الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
Ministère de l'enseignement supérieur et de la recherche scientifique
République Algérienne Démocratique et Populaire

جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم والتكنولوجيا
قسم: .....
المرجع: .....

Université Mohamed khider – Biskra
Faculté des Sciences et de la technologie
Département :……..
Réf :……

مذكرة لنيل شهادة
الماجستير في الهندسة المعمارية

تخصص
التجمعات البشرية في المناطق الجافة وشبه الجافة

العمارة الاستعمارية ومدى تأثيرها على الممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية (دراسة حالة مدينة بسكرة)

من إعداد:
تابعي إبراهيم

نوقشت في: جويلية 2012

أعضاء لجنة المناقشة:

أ.د/ فرحي عبد الله	**أستاذ التعليم العالي**	**رئيسا**	**جامعة محمد خيضر - بسكرة.**
د/ علقمة جمال	**أستاذ محاضر (أ)**	**مقررا**	**جامعة محمد خيضر - بسكرة.**
د/ الديب بلقاسم	**أستاذ محاضر (أ)**	**ممتحنا**	**جامعة الحاج لخضر - باتنة.**
د/ محمود عيسى	**أستاذ محاضر (أ)**	**ممتحنا**	**جامعة منتوري - قسنطينة.**

الفصل التمهيدي:

مقدمة عامة.

مقدمة عـــامـــة:

إن المتأمل في التوسعات العمرانية الجديدة للمدن الجزائرية يجدها تفتقد إلى حد كبير إلى عوامل الاستدامة كما أنها تلاقي نوعا من الرفض من قبل السكان جراء عدم توافقها مع الخصوصيات الزمنية والمكانية بل وتعارضها أحيانا مع المقومات الثقافية للمجتمع الجزائري، ومن جهة أخرى فان الأنسجة القديمة التي نجحت في توفير العديد من ملامح الاستدامة نجدها غير متماشية في هذه الأزمنة ومتطلبات العصرنة.

وحدث كل هذا بسبب التطور المذهل والمتسارع للمدن بما يعرف بالتسرع والتمدد العمراني (Etalement Urbain) حيث يعد هذا مشكلا عويصا لا سيما إن لم يكن مراقبا ومتحكما به فقد أدى في الكثير من الأحيان إلى الإخلال الكبير بالمظهر العام للمدينة فأصبح من أعقد المباحث التي يسعى الكثير من أصحاب الاختصاص على اختلافهم التطرق إليه وفهم تداعياته والبحث عن نتائجه كل على حسب اختصاصه ووجهة نظره:

- فالاجتماعيون: تكلموا عن تغير الحياة الاجتماعية الموافقة للتوسع العمراني لأن الحيز الفيزيائي المركزي كان يفرض شروطا لحياة اجتماعية واضحة المعالم، أما الحيز الفيزيائي الجديد (المنطقة المتوسعة بحواف المدينة) فإنها تمنح شروطا أخرى لحياة اجتماعية مغايرة للأولى. (Guilluy ;C ;2000)

- أما الجغرافيون والاقتصاديون: ومن بينهم **جاكلين بوجو قارنيي** التي تطرقت إلى ما ينجر عن هاته التوسعات العمرانية من استهلاك للمجال (الأراضي الصالحة للزراعة) فتنتج عنها ما يسمى بالاختلال الايكولوجي، وكذا استهلاك للطاقة من مياه وغذاء وغيرها بصفة تخلق الفوضى وعدم الاستقرار في المجال المعمر. (بوجو قارنيي، ج، 1989).

- أما العمرانيون والمعماريون: فتكلموا عن مصطلح التعقيد والقطيعة للنسيج العمراني وتوسعاته المتعاقبة من خلال البحوث المعتبرة التي أقيمت من طرفهم وخصوصا الجغرافي (Jean Pelletier) والمعماري والعمراني (Charles Delfante) ضمن الكتاب الذي ألفاه والذي هو بعنوان (Villes et Urbanisme dans le monde) بحيث أكدا على وجود تنوع في التوسعات العمرانية على اختلاف مواضعها ضمن ربوع العالم فمنها المميز لمدن كل من (أوربا الغربية، أمريكا الشمالية، أوربا الشرقية، دول العالم الثالث، الدول الإسلامية) ولكن هذا التنوع يتماثل في اكتسابه خاصية عدم التجانس في التركيبة الظاهرية للأشكال العمرانية أي بين الأقطاب الرئيسية (المراكز والأنوية) والتوسعات التي تليها (حواف المدن).
(بوجو قارنيي، ج، 1989).

وفي هذا البحث سنقوم بدراسة المجالين العمرانيين والمعماريين العتيق والحديث في محاولة للدمج بينهما والاستفادة من محاسن كل نموذج والتعرف على ملامح الاستدامة الموجودة في كلا النوعين من الأنسجة العمرانية ويكمن الهدف الأساسي من هذا في محاولة استعارة بعض المفردات العمرانية والمعمارية من الأنسجة العتيقة والقابلة للتأقلم وتوظيفها في برمجة التوسعات

العمرانية المستقبلية من أجل الحصول على نسيج عمراني قادر على التكيف مع الخصوصيات الزمنية والمكانية والاستجابة لما تدعو إليه الهيئات الدولية والمحلية في هذا المجال.

1)- الإشكـــاليـــة:

يعد الطراز المعماري والعمراني ميزة من مميزات المجتمعات الإنسانية ونتاجا للتفكير لديها ينم عن عادات وتقاليد ومبادئ تلك المجتمعات، فمن عاداتهم وحاجاتهم ومتطلبات حياتهم وإمكاناتهم المادية والاقتصادية تنبثق الطرز المعمارية والعمرانية الخاصة بهم، ولكن وبمرور الزمن قد تتغير تلك الطرز وهذا لعدة عوامل منها التقدم والتطور، أو اختلاف أنماط التفكير، أو ظهور متطلبات جديدة أو نقل للأفكار إما من طرف أبناء ذلك المجتمع أو بأيادي خارجية لعل أهمها هو **الاستعمار**.

<< ولقد أثرت الظروف التاريخية المتعاقبة التي مر بها العالم الإسلامي منذ تأسيس الدولة على يد الرسول صلى الله عليه وسلم واتساع رقعتها إلى غاية تراجعها وانحسارها وضياع بعض أقاليمها مؤقتا أو بصفة دائمة - كما هو الحال في الأندلس- على الإنتاج العمراني والمعماري خاصة وعلى الفنون بشكل عام >>. (خلف الله، ب، 2008).

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات كان يتميز بطراز معماري منبثق من أصالته وتراثه الإسلامي، فالإسلام وإن لم يكن هو الأصل لهذه المجتمعات إلا أنه حافظ على هويتها وقومها وعدلها، فقد حافظ على نفس الطراز المعماري والعمراني المتجلي في القصور، لكن بدخول الاستعمار إلى أراضي إفريقيا فقد جاء بطراز معماري وعمراني جديد ودخيل على هذا المجتمع المسلم فظهرت مجالات ومرافق جديدة وبمسميات جديدة حيث استبدلت الهيكلة الوظيفية والعناصر النمطية للفضاء المسكون بعناصر أخرى، وحتى المبدأ التصميمي الذي كان يعتمد على مبدأ المركزية والاتجاه نحو الداخل والواجهات الصماء عموما أصبح يعتمد أنظمة هيكلية ووظيفية جديدة، فأصبحت الفضاءات المسكونة ذات وظائف وحيدة وموجهة بعناصر تأثيث ثابتة وأصبح مبدأ التصميم يعتمد على المحورية المتجهة نحو الخارج واستحدثت ما يسمى بالواجهات ذات الشرفات الخارجية وحتى البنايات ذات الطوابق العديدة، وأدخلت المرحلة الاستعمارية المجتمع الجزائري في مرحلة استهلاك منتوج العمارة الأوربية ذات الطراز الدولي الذي كان يعتمد أساسا على مفهوم مكننة الفضاء المسكون اعتمادا على توصيات المؤتمر الدولي للعمارة، بل حتى على مستوى العمران ظهرت الشوارع الواسعة والمكشوفة لأغراض أمنية وغيرها.

<< إن المتأمل في التوسعات العمرانية للمدن الجزائرية يجدها قد تأثرت بالاتجاهات الحديثة في التخطيط العمراني والتصميم المعماري، وهكذا تغيرت صورة المدن العتيقة بشكل متدرج بعد الاستقلال بظهور معايير جديدة وتقنيات متطورة في الإنشاء المعماري وتخطيط المجال أدت إلى الانبهار بها والانجذاب نحوها وتناسي الخبرات الموروثة في هذا المجال.

- ومع مرور الزمن بدأت ملاحظة عدم توافق التشكيلات العمرانية الجديدة مع البيئة المحلية ومع الخصوصية الثقافية وذلك لافتقارها لبعض معايير الاستدامة التي كانت موجودة في العمران والعمارة التقليديين، وبرز ذلك جليا من خلال الاستهلاك المفرط للمجال الحضري وتدهور

المجالات السكنية الخارجية من جهة، والاقتباس غير الواعي للعناصر المعمارية الوافدة والمتعددة المصادر من جهة أخرى وقد أدى هذا إلى فقد التفاعل المتوازن بين المحيط والقيم الاجتماعية.>> (خلف الله، ب، 2008).

- وبالرغم من ملامح الاستدامة الكثيرة التي نجح العمران التقليدي في تحقيقها للمدينة وسكانها على حد سواء فإننا نلاحظ عزوفا عنه نحو العمران الحديث الذي عجز عن تلبية الكثير من متطلبات السكان، هذا العمران الحديث الذي عرفه المجتمع الجزائري بدخول المستعمر إلى أراضيه ثم ساير بعد ذلك العمران العالمي الذي عُرف بعد ذلك بالطراز العالمي الذي أصبح من الواضح عجزه عن تلبية متطلبات السكان في الحاضر وإهماله لحق الأجيال المستقبلة.

- ولمعرفة ما إذا كان لهذا الطراز الجديد تأثيرا على هوية أفراد المجتمع وعلى عاداته وتقاليده وممارساته الاجتماعية وهل هذا الطراز يتناسب مع واقع الأسرة الجزائرية اليوم وما مدى إمكانية العودة إلى الطراز القديم نحاول تناول هذا الموضوع بالبحث تحت عنوان:

"العمارة الاستعمارية ومدى تأثيرها على الممارسات الاجتماعية للأسرة الجزائرية."

2)- الأسئلة البحثية:

ومن هذا المنطلق ولمعرفة الأسباب الحقيقية التي تدفع بالسكان وأصحاب القرار على حد سواء إلى تبني هذه الأفكار العمرانية والمعمارية والزج بها ضمن التوسعات المستقبلية للمدينة اليوم ينبغي التطرق إلى عدة أسئلة بحثية نوجزها كما يلي:

1- ما هي مميزات الطراز المعماري والعمراني القديم للجزائر قبل الفترة الاستعمارية؟

2- ما هي مميزات الطراز الاستعماري؟

3- هل نستطيع الحفاظ على العمارة الاستعمارية وأقلمتها لواقعنا ؟

4- مدى قدرة العمارة الاستعمارية على التجاوب مع واقع العائلة الجزائرية على مستوى التنظيم الفضائي؟

5- ما هي الأسباب التي تركت العائلة الجزائرية تتأقلم مع هذا الإرث المعماري؟

3)- الفـرضـــيات:

وللإجابة عن هذه الأسئلة نطرح الفرضيات الآتية:

1- إن تأثير العمارة الاستعمارية على المنتوج المعماري الحالي راجع إلى اندثار القصور والعمارة المحلية القديمة.

2- أصبحت العمارة الاستعمارية هي المرجع التصميمي والتنظيمي.

3- إن تأقلم العائلة الجزائرية مع العمارة الاستعمارية راجع إلى النقص الكمي خاصة في الفضاء المسكون.

إن استعراضنا لهذه الملامح العمرانية والمعمارية ليس هو لمجرد الذكر وإنما يفرض علينا أن ننطلق منها لتحقيق توسعات عمرانية يتحقق فيها التكامل بين التقنيات والوسائل الحديثة من جهة ومتطلبات الاقتصاد الحضري في المجال والطاقة من جهة أخرى.

4)- أهداف البحث:

إن الأهداف الرئيسية من وراء هذا البحث تكمن في:

1- الخلوص بمفردات معمارية وعمرانية قابلة للتأقلم وتوظيفها في برمجة التوسعات العمرانية المستقبلية من خلال التعرف على الخصائص والسمات المميزة للأنسجة العمرانية المكونة للمدينة وذلك وفق مستويات محددة من التحليل العمراني.

2- التحقق من مدى قابلية الأسرة الجزائرية للعمران الحديث الذي يعد امتدادا للتعمير الاستعماري من خلال ملاحظة التغيرات الحاصلة على مستوى الإطار المبني وهذا ضمن فترات معينة من الزمن.

3- الوصول إلى برامج محددة تهدف إلى الترشيد في استهلاك المجال العمراني.

4- الرقي بالمجتمع الجزائري من مستهلك لمنتوج العمارة الأوربية إلى منتج لعمران خاص به يتماشى مع خصوصياته ويستجيب لمتطلبات العصر.

5- الحد من التدخلات العشوائية على الأنسجة العمرانية في ظل عمران علاجي فاشل وتأسيس مبادئ عمران وقائي قادر على إنتاج أنسجة عمرانية متكيفة مع الخصوصيات الزمنية والمكانية.

6- إثراء المعارف والمكتسبات المتعلقة بالعمارة التقليدية جراء اندثار القصور العتيقة وأفول ملامح العمارة المحلية هذا من جهة، ومن جهة أخرى طغيان ملامح العمارة الشمالية.

5)- تحليل مفاهيم البحث الأساسية:

ونسعى في هذا العنصر إلى الانتقال بالمفاهيم من الصيغة التجريدية إلى صيغة مفاهيم مبسطة وملاحظة في الواقع تحت مفهوم الوضع ضمن الإطار العلمي للبحث أو ما يسمى **بتحليل المفاهيم**.

وقد عُرف هذا المصطلح عند (أنجرس، م، 2004) أنه << سيرورة تدريجية لتجسيد ما نريد ملاحظته في الواقع، بحيث يبدأ هذا التحليل عند شروع الباحث في استخراج المفاهيم من الفرضية أو الهدف، ومن ثمة يقوم بتفكيكها إلى أبعاد وبعد ذلك إلى مؤشرات وظواهر قابلة للملاحظة، وبعدها يتوصل الباحث إلى تجميع بعض المؤشرات لإيجاد قياس تركيبي وهو ما يسمى بالدليل، وفي الأخير تأخذ بعض المؤشرات شكل متغيرات من أنواع مختلفة.>>

أما بالنسبة لـ (Van der Maren . J-M; 2004) فإن تحليل المفاهيم <<...هو البحث على تحديد الدلالات والمداليل لمفهوم بهدف توضيح بيانات الخطاب ...>>.

5)-1- البيئة:

البيئة لغة: اسم مشتق من الفعل "باء" و"بَوَّأ" الذي مضارعه "يبوء" و"يتبوأ" وهو بمعنى ينزل ويقيم، والبيئة هي اسم، واستباء أي اتخذه مباءة، والمباءة هي منزل القوم وفيها ورد مجموعة من الآيات في القرآن الكريم منها:

- << وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت ألا تشرك بي شيئا ...>> (الحج -26-)
- << والذين ءامنوا وعملوا الصالحات لنبوأنهم من الجنة غرفا ...>> (العنكبوت - 58-)

- << وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا ...>> (يونس -87-)
- << وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء ...>> (يوسف - 56-)
- << وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ...>> (الزمر - 74-)
- << وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا ...>> (الأعراف - 74-)

والبيئة اصطلاحا: هي المكان الذي يعيش فيه الإنسان وغيره، وهي المنزل كما في المعجم الوسيط، وفي المنجد: بوأه منزلا أي هيأه له وأنزله فيه.

وعرفها **محمد سعيد صباريني** بأنها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته من غذاء وكساء ودواء ومأوى ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من البشر.

أما **حسين طه نجم** فقال إنها كل ما يتعلق بالمحيط الذي تعيش فيه النباتات والكائنات الحية.

وعند **محمد عبد القادر الفقي** فالبيئة هي كل ما تخبرنا به حاسة السمع والبصر والشم والذوق واللمس سواء كان هذا مما خلق الله سبحانه وتعالى أو من صنع الإنسان.

كما حدد مؤتمر ستوكهولم عام 1972 مفهوم البيئة بأنها رصيد الموارد المادية والاجتماعية المتاحة في وقت ما وفي مكان ما لإشباع حاجات الإنسان وتطلعاته.

كما عرفها (أحمد يحيى عبد الحميد، 1998) بأنها المجال الذي تحدث فيه الإثارة والتفاعل لكل وحدة حية، وهي كل ما يحيط بالإنسان من طبيعة ومجتمعات بشرية ونظم اجتماعية وعلاقات شخصية وهي المؤثر الذي يدفع الكائن إلى الحركة والنشاط والسعي، فالتفاعل متواصل بين البيئة والفرد والأخذ والعطاء مستمر ومتلاحق.

فالبيئة ليست مجرد موارد يتجه إليها الإنسان بل هي أكثر من ذلك فإنها تمتد إلى العلاقة القائمة بين الإنسان والإنسان التي تنظمها المؤسسات الاجتماعية والعادات والأخلاق والقيم والأديان، لكن القسم الأهم منها هو القسم المؤثر وهو البيئة المشيدة المعروفة **بالبيئة العمرانية**.

5)-2- البيئة العمرانية:

جاء عند (أحمد يحيى عبد الحميد، 1988) أن البيئة العمرانية تتكون من البنية الأساسية المادية التي يشيدها الإنسان ومن النظم الاجتماعية والمؤسسات التي أقامها، ومن ثم يمكن النظر إلى البيئة المشيدة من خلال الطريقة التي نظمت بها المجتمعات حياتها والتي غيرت البيئة الطبيعة والحاجات البشرية، وتشمل البيئة المشيدة استعمالات الأراضي الزراعية والمناطق السكنية والتنقيب فيها عن الثروات الطبيعية وكذلك المناطق الصناعية والمراكز التجارية والمدارس والمعاهد والطرق والموانئ وغير ذلك من مكونات المدينة عموما.

أما (محمد سعيد العطار، 1983) فيقول عن البيئة العمرانية أنها البيئة التي صنعها الإنسان كالمستوطنات البشرية وما يترتب عنها من إنتاج مادي في أوسع معنى للمصطلح.

وفي بحثنا هذا سنقتصر في الدراسة على الجانب المادي أي الجانب الفيزيائي المشيد وهو الجانب العمراني أي البيئة العمرانية المحضة.

6)- منهجية البحث:

إن السعي في إثبات أو نفي صحة فرضيات البحث يقتضي منا تتبع المراحل التوسعية للمدينة حال الدراسة (بسكرة) عبر الزمن.

وقد سبقت الإشارة إلى أن الدراسة ستمس بالجانب الأكبر الجانب الفيزيائي للمدينة من خلال العناصر والعلاقات بين عناصر الشكل العمراني فإننا اعتمدنا في بحثنا هذا على المقاربة المورفونمطية التي تقوم أساسا على الجانب الوصفي التحليلي، ومن ثم نقوم بترجمته إلى وصف كمي وهذا لجعل المعلومات أكثر موضوعية.

ومنه فإن المنهجية المتبعة في البحث تقوم وفق اتجاهين أساسيين هما:

6)-1- اتجاه نظري:

حيث نعتمد فيه على التخصصات التي تعنى بدراسة المدينة والظاهرة الحضرية ككل ومختلف الاتجاهات التي تفسر كيفية تأثر المدينة وتأثيرها على النسق الاجتماعية للأسرة والفرد، ويرى (Gianfranco Caniggia) أن التغيرات التي تمس الأنسجة العمرانية أثناء مراحلها التطورية تعود إلى عدة عوامل ومسببات مرتبطة بأحداث تاريخية بارزة تتعلق أساسا بعوامل ثلاثة اجتماعية واقتصادية وثقافية كان لها التأثير البالغ على الأنسجة العمرانية للمدينة، أما عن الدراسة التي تخص الأنسجة العمرانية وخصائصها ومميزاتها فتم الاعتماد على الشبكة التحليلية لـ (Albert Levy) كمرجعية لضبط عناصر الشكل العمراني التي تضم (الموقع، نسق شبكاتي، نسق تحصيصي، نسق المجال الحر)، والعلاقات القائمة بين عناصر الشكل العمراني (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي)، (الموقع العمراني//نسق المجال الحر)، (النسق الشبكاتي//النسق التحصيصي)، (النسق الشبكاتي//نسق المجال الحر)، (النسق التحصيصي//نسق المجال الحر) وفي الأخير ومن خلال الربط بين المتغيرات مع البدائل التابعة لها نستطيع الخلوص إلى مميزات النسيج العمراني المدروس.

6)-2- اتجاه ميداني:

ويقوم هذا الجزء أساسا على جس نبض المستعملين للمجال الحضري المحدد من خلال استعمال الأدوات العلمية المعمول بها ميدانيا ونعني بذلك إجراء الاستمارات والاستعانة بدراسات المؤسسات الخاصة والوزارات الوصية المعنية بهذا المجال (مديرية التعمير والبناء، المصالح التقنية للبلدية، مديرية التخطيط بالولاية، مديرية مسح الأراضي والري) وكذلك بعض مكاتب الدراسات الخاصة.

كما تجدر الإشارة إلى الصعوبات الميدانية التي تعرضنا لها أثناء تأديتنا للاستمارات والمقابلات ويتجلى ذلك من خلال التخوف الشديد من المواطنين في الإدلاء بأقوالهم أو حتى المشاركة بملأ البيانات المطروحة ضمن الاستمارة.

7)- عينة الدراسة:

تم الاعتماد على عينة عشوائية للدراسة مأخوذة من المدينة محل الدراسة، وكانت هذه العينة مقسمة إلى قسمين حسب ما رأيناه يخدم مسار البحث ويكون أكثر ارتباطا بفرضيات البحث وكان هذا التقسيم كما يلي:

1)- استمارة استبيان موجهة لشريحة النخبة من الطلبة الجامعيين المتخصصين في الهندسة المعمارية حيث روعي في هذا الجانب أن يكون الطلاب في مراحلهم النهائية كونهم أكثر معرفة بالجانب المعماري والعمراني، وبعض المختصين الميدانيين من معماريين ومخططين ومسيرين وهذا كونهم أكثر الناس احتكاكا مع البيئة الحضرية بإدراك وتمعن، وكان مجمل الاستمارات التي غطت هذا القسم (100)استمارة مقسمة كالأتي:

- (75) استمارة موزعة على طلاب الهندسة المعمارية بجامعة محمد خيضر ببسكرة.
- (25) استمارة موزعة على المختصين الميدانيين من معماريين ومخططين ومسيرين.

2)- استمارة استبيان موجهة للمستعملين للحي الاستعماري لجس نبضهم ومعرفة مدى تأقلمهم وقبولهم لهذا الواقع العمراني الجديد عليهم، وبلغ مجموع المستجوبين (70) استمارة ما يشكل (20%) من مجموع السكنات المشغولة بالحي الاستعماري والبالغ تعدادها (330) مسكنا.

ولقد اعتمدنا على تحليل البيانات الواردة في الاستمارة بواسطة اللجوء إلى الإعلام الآلي وبرنامج (Sphinx 5.1) ثم تحليل العلاقة بين المعلومة ومضمون الموضوع وفرضيات البحث كل هذا للخروج بنتائج عملية كفيلة بمعرفة السبب الحقيقي الذي أدى إلى انتشار هذا النمط من العمران الأجنبي.

8)- هيكلة المذكرة:

تم تقسيم هذه المذكرة إلى سبعة فصول موزعة على جزأين أساسيين أحدهما نظري والآخر تحليلي أو ميداني وقد تقدم كل ذلك فصل تمهيدي:

فالفصل التمهيدي خصص لبلورة الإشكالية وشرح بعض المفاهيم المتعلقة بالدراسة.

فالجزء النظري يضم ثلاثة فصول تناولنا فيها المدينة عموما وطرح المفاهيم والتعاريف النظرية المتعلقة بها وهذا من أجل تشكيل قاعدة راسخة تشكل منطلقا قويا للموضوع المدروس.

- أما الفصل الأول فيقدم كل المفاهيم التي تتعلق بالمدينة وديناميكية الأنسجة العمرانية ومسببات هذا الحراك وكذا أهم المقاربات الفكرية التي تتكلم عن المدينة والشكل العمراني ومركباته.

- أما الفصل الثاني فخصص للكلام عن المدينة العتيقة ومكوناتها وظروف نشأتها وتطورها وملامح الاستدامة العمرانية والمعمارية المحققة بها.

- وأما الفصل الثالث فكان للكلام عن المدينة الاستعمارية التي تعد البذرة الأولى نحو تغير وتحول الأنسجة العمرانية ومراحلها نشأتها كما تم التطرق إلى أهم النظريات التي أثرت على هذا النوع من التعمير، وقد تم تذييل هذا الفصل بالمقاربة المتبعة في هذا البحث من أجل الكشف عن خصائص النسيج العمراني المدروس (الحي الاستعماري ببسكرة).

أما الجزء التحليلي فخصص للكلام وبدقة عن حالة الدراسة أي مدينة بسكرة وبصفة أخص الحي الاستعماري:

- فالفصل الأول هو عبارة عن تقديم عام وعرض لمدينة بسكرة انطلاقا بالكلام عن الصحراء عموما.

- أما الفصل الثاني فكان الكلام مركزا عن مدينة بسكرة من خلال تقديم جميع المعطيات المميزة والمساعدة على الدراسة من خلال فهم منحى تطور المدينة عبر الزمن.

- أما الفصل الثالث فتركزت الدراسة أكثر على الحي الاستعماري من خلال القراءة التحليلية الوصفية بواسطة المقاربة المورفونمطية الهادفة إلى الكشف عن خصائص البنية التحتية للشكل العمراني لمعرفة مدى تجانسها.

- أما الفصل الرابع فخصص لتحليل نتائج الاستبيان من خلال الاعتماد على الإعلام الآلي المتمثل في برنامج (Sphinx 5.1) هذا كله من أجل معرفة الأسباب الحقيقية التي أدت إلى انتشار هذا النوع من التعمير.

وفي الأخير فقد ذيل هذا البحث بخلاصة عامة تتضمن ما يلي:

- سردا لأهم النتائج المتوصل إليها في هذا البحث.
- الإجابة عن أسئلة البحث المقدمة في البداية وكذا الفرضيات التي اقترحت في بداية الدراسة.
- واختتمت هذه المذكرة بذكر قائمة المراجع المعتمدة في هذا البحث.

الفصل الأول:

مفاهيم ونظريات:

المدينة ونشأتها.

مقدمة:

إن ظاهرة التحضر تعتبر حديثة نسبيا في التاريخ البشري، كما إن عمليات التحضر لم تعرف نشاطا كبيرا إلا في الحقبة الأخيرة من التاريخ قياسا بالعمليات الاجتماعية والمجتمعاتية الأخرى.

لقد عرفت المدن في الآونة الأخيرة حركية عالية الوتيرة بفضل ما تعرفه من نهوض كبير في شتى المجالات وخاصة الاقتصادية منها دفع بأفواج كبيرة من السكان بالنزوح نحوها من أجل تحقيق ورفع مستوى معيشتهم.

إن التطور العمراني يستند أساسا وأكثر فأكثر على الإرث العمراني والمعماري والذي يصبح الهدف الأساسي والمهم للتطور العمراني للمدن والمجتمعات، ومن هذا المنطلق فان معرفة تاريخ الإطار المبني هو الكفيل لإجراء دراسة معمقة.

1)- مفهوم المدينة:

لقد شهدت المدن منذ نشأتها قديما عدة تغيرات توافق متطلبات واحتياجات سكانها، فاكتسبت نوعا من التعقيد على مستوى منظوماتها التركيبية مما صعب المسؤولية أمام المختصين في ضبط ملامحها التعريفية وذلك لتعدد التعاريف الخاصة بها وذلك باختلاف التخصصات العلمية.

ومنه فان المدينة تعتبر ظاهرة يصعب حصرها في ممارسة أو ممارستين، فقد اختلف الباحثون والمنظمات المعنية بهذا الشأن اختلافا كبيرا في وضع مفهوم للمدينة نظرا لما تحيط به من ظواهر وما تمتاز به من حركية عالية الوتيرة.

فمن جهة اللغة وكما جاء عند (غالب، ع- ر، 1988) المدينة هي الكلمة المستقاة من " دين " ذات المعنى السامي وهي مفرد جمعها مدن ومدائن وهي حصن يبنى وسط قرية كبيرة وكثيرة السكان كما يطلق عليها أيضا مصطلح " المصر ".

وأما اصطلاحا: فنجد اختلافا كبيرا نظرا لكثرة العلماء والمؤرخين ولتعدد أمكنتهم وأزمنتهم، فقد اعتقد **أرسطو** كما عند (خلف الله، ب، 2005) أن المدينة هي مجموعة من الذكريات الصخرية التي يمكن إدراك معانيها ومكوناتها، أما **ابن خلدون** فيرى << أن المدن والأمصار ذات هياكل وأجرام عظيمة وبناء كبير ... وهي موضوعة للعموم لا للخصوص فتحتاج إلى اجتماع الأيادي وكثرة التعاون، فلا بد في تمصير واختطاط المدن من الدولة >>.

ونقل **بلقيريني** في كتابه << الجغرافيا الحضرية >> عن **دلماسو** تعريفه للمدينة على أنها << إسقاط على حيز من المجال للظروف الطبيعية والمخلفات التاريخية وصراع القوى الاقتصادية وجهود التطور التقني والعبقرية الخلاقة للمهندسين المعماريين والضغوط الإدارية والعادات اليومية وكذا التطلعات الشعورية واللاشعورية للسكان >>.

وأما **إيدالو** كما ورد عند (بوجو قارنيي، ج، 1989) فقد قال << المدينة موجودة بالفعل، وهي الإطار الذي تمارس فيه الوظائف الاجتماعية (الثقافة، القيم، حماية الفرد) وهي العنصر الوظيفي للنظام الاقتصادي والإطار الذي تمارس فيه البرجوازية المنسجمة سلطتها، وهي كيان يستمد وحدته من الممارسة اليومية لسوق العمل >>.

فمن هذا التعريف نستنتج أن المدينة كيان مركب من عدة قوى وأن كلا ينظر إليها حسب اختصاصاته فالأفكار تتوزع على المختصين كل حسب اهتماماتهم، فالوجود الفعلي للمدينة يهم الجغرافي بشكل مباشر، أما عن الوظائف الاجتماعية فهي تخصص يعنى به علماء الاجتماع، وأما عن الأفكار الوظيفية فهي من اهتمامات علماء الاقتصاد.

وقال كل من **شارل ديلفانت** و**جون بيليتيي** أن المدينة تقوم أساسا على أنها تركز وتجمع بشري بحجم أقله 2000 نسمة تقوم وتربط بينهم الأنشطة الخدماتية التي تشترك وتوافق الأنشطة الصناعية.

وقد اعتمد الكاتبان في كتابهما« Villes et urbanisme dans le monde » على ثلاثة مفاهيم أساسية لتعريف المدينة وهي:

أولا - المفهوم الإحصائي:

وهو الذي يعتبر في نظرهما الأكثر بساطة إذ أن مبدأه يتسم بالوضوح لاعتماده على الجانب الرقمي، وقالا << المدينة إذا هي تركز لمجموعة من الأشخاص على مساحة معينة وبتعداد كاف فهم يشكلون إذا كثافة مجالية، لكن وبالرغم من أن المبدأ واضح وجلي إلا أن تطبيقه يختلف حسب الدول>>.

ومن تطبيقات هذا التعريف: اعتبر المعهد الوطني للإحصاء والدراسات الاقتصادية الفرنسية المدينة كل بلدة لها تجمع سكاني يتعدى أفراد سكانها 2000 نسمة شرط أن التباعد بين المنازل لا يتعدى 100 متر.

أما في الولايات المتحدة الأمريكية فان هذا التعريف أكثر تعقيدا إذ يضاف إليه عامل الدخول في نطاق الريفية، وتجدر الإشارة إلى أن القيمة الإحصائية تمتاز بعدم الثبات من دولة إلى أخرى فنجد أن 1500 نسمة تؤهل أي تجمع بشري لان يكون مدينة في هولندا، أما في الهند فنجد القيمة الإحصائية الدنيا هي 5000 نسمة.

وأكد الكاتبان أن المفهوم الإحصائي غير كاف للاعتماد عليه من اجل تأهيل التجمعات السكانية إلى مصاف المدن على افتراض كون منطقة فلاحيه ذات كثافة سكانية متزايدة فإنها قد تتخطى العتبة الدنيا المؤهلة للرقي كمدينة لكنها تبقى محافظة على مميزات وسمات النطاق الريفي.

ثانيا - المفهوم الاقتصادي والوظيفي:

واعتبره الكاتبان أهم العوامل وهو إلزامية احتواء المدينة على مجموعة من الأنشطة المتفاوتة والتي يمكن لبعضها أن يكون أهم من الآخر، كما أكد الباحثان على ضرورة احتواء المدينة على الأنشطة الضرورية على اعتبار أن المدينة في حد ذاتها مكان للتبادل وتقديم الخدمات بكل أنواعها سواء للمقيمين أو غيرهم، واعتبر الباحثان أن الحد الأدنى من الوظائف التي يجب توفرها في أي منطقة كي تؤهلها إلى مدينة هي تلك الخدمات المتنوعة والمقدمة على جميع المستويات (بنوك، مكاتب، إدارات، مرافق صحية، عروض، أماكن لعب) والتي يمكن أن تكون بشكل متفاوت حسب نوع المدينة وأن هذه الخدمات والوظائف هي التي تحدد نوع المدينة (خدماتية، تجارية، صناعية، ...)، فالمدن الصناعية يكون فيها النشاط الصناعي هو الغالب كتواجد العديد من المصانع أو المناجم، كما تشهد قوة في المواصلات وخاصة المواصلات الثقيلة، أما في المدن ذات الطابع الخدماتي فنجد أن الإدارات فيها أكثر وتتركز فيها أكثر مثل العواصم، وعلى العموم فان هذه الخدمات نجدها منتظمة أكثر وظاهرة أكثر في المدن المتطورة، وقد اعتبر الباحثان أن هذه الخدمات والوظائف يجب أن تتواجد في كل مدينة، لكن لا يمكنها أبدا أن تحدد مدينة وكمثال مساكن العمال المتواجدة على ضواحي المصانع بها هذه الخدمات لكنها لا تشكل مدنا أبدا، وزد على ذلك فقد أكد الباحثان على وجود خاصية أخرى للمدينة في حالة توفرها على الوظائف الخدماتية وهي الإيقاع الحضري، ويمتاز هذا الإيقاع الحضري بالاستمرارية وهذا لحيوية الشوارع حتى في الليل وذلك لاستمرار القيام بالوظائف على عكس التجمعات الريفية.

ثالثا - تم الاعتماد على خصائص أخرى تساهم في تحديد مفهوم المدينة (الكثافة، ارتفاع المباني والرمزية للمدينة)، وعلى الرغم من كل ما سبق إلا أن المدن الحديثة تفتقد لهذه العناصر حيث تتميز بالآثار الممتدة والكثافة السكانية البسيطة والمعالم الرمزية المنعدمة أو الموجودة بصفة مبددة، زد على ذلك اضمحلال الصفة الأثرية للمدن كما هو الحال في مدينة لوس انجلوس الأمريكية، ورغم هذا فان التطور الحالي للعمران أعطى قيمة لمفهوم المركزية والرمزية المعمارية لاعتبارهم الأسس المصاحبة لمعيشة السكان بالمدينة.

ومن خلال الملاحظة المتفحصة للتعاريف السابقة للمدينة يتضح لنا جليا عدم إلمامها بجوانب المدينة ككل وذلك أن كل باحث ينظر إلى المدينة من زاوية اختصاصه غاضا الطرف عن الجوانب الأخرى والعناصر الأخرى والتي قد يكون من شأنها المساس بالمعنى الحقيقي للمدينة ومنه فإننا سنتطرق إلى ذكر مجموعة من المقاربات التعريفية التي من شأنها محورة المفاهيم وفق هيكلة واضحة الدلالة.

ومن بين هذه المقاربات ما قاله **معاوية سعيدوني** حيث صنفها إلى:

1)- 1- المقاربة الوظيفية:

تقوم هذه المقاربة على أساس التفرقة بين المدينة والريف من ناحية الوظائف السائدة مع التركيز على إبراز عنصر التكامل بينهما وهذا باعتبار أن الريف يمد المدينة بكل ما تحتاج إليه من الموارد وحتى اليد العاملة، أما المدينة فتمتاز بطابعها الخاص من الوظائف والإشعاع الثقافي.

وفي حقيقة الأمر أن الريف والمدينة تختلفان عن بعضهما في أمور عدة وليس الجانب الوظيفي فقط، فقد قامت عدة دراسات هدفها رفع أستار اختلاف المدينة عن الريف لعل أهمها ما قام به الباحثان **سوروكان** و**زيمرمان**، فبعد قيامها بتحليل كل من المجتمعين الريفي والمديني (الحضري) تمكنا من تحديد الخصائص الآتية والتي بموجبها يمكن التفريق بين المجتمع الحضري (المدينة) والمجتمع الريفي:

* المهنة: يعمل غالبية سكان الريف في المجال الفلاحي مع وجود مهن أخرى وهي تلك المهن التي يحتاجها الإنسان في الريف في حياته اليومية، في نجد المجتمع الحضري يقوم على تعدد المهن، إذ يعمل أغلبية سكانه في الميدان الصناعي وما يتبعه من أنشطة كالتجارة والإدارة والحكم، وبعبارة أخرى مجملة ومختصرة نقول إن سكان المدن يعملون في كل الأنشطة عدا النشاط الفلاحي.

* البيئة: يتصل أهل الريف بحكم أنشطتهم اتصالا مباشرا بالطبيعة والأرض، بينما سكان المدن منعزلون عن الطبيعة وهم أقرب إلى البيئة المشيدة من طرف الإنسان.

* حجم المجتمع: يعيش الريفيون في مجتمعات صغيرة، أما حجم المدن فهو اكبر ويتناسب تناسبا ايجابيا مع التحضر، فقد أصبح يرى في أيامنا هذه عديد المدن التي تجاوز تعداد السكان بها المليون نسمة مثل مدينة مكسيكو، لوس انجلوس، شيكاغو، القاهرة، ... الخ.

* كثافة السكان: تتميز التجمعات الريفية بانخفاض الكثافة السكانية مقارنة بالمدينة.

* تجانس السكان: يمتاز السكان الريفيون على نظرائهم من سكان المدن بأنهم أكثر تجانسا في السمات العنصرية والسيكولوجية الاجتماعية، وأوضح الباحثان أن سكان الريف لا تتغير لديهم الخصائص الاجتماعية والنفسية المكتسبة، بينما تتغير كثيرا في المدينة، وهذه الخصائص مثلا هي اللغة والأعراف وأنماط السلوك.

* التباين الاجتماعي: في المجتمع الريفي لا يظهر التباين المؤدي إلى قيام الطبقية، بينما يبدو هذا العنصر جليا في المدن، واعتبر الباحثان أن هذه الخاصية هي أهم الخصائص التي توضح الفروق الجوهرية بين المجتمعين الريفي و الحضري.

* التنقل: لا تشهد المجتمعات الريفية حركات تنقل كبيرة من غيرها إليها ونقصد بحركات التنقل الهجرة، بينما تعرف المدينة على أنها مكان يتميز بالتنقل الاجتماعي الكثيف ولهذا فان هذا العامل يرتبط ارتباطا وطيدا بالتحضر.

ومما يلاحظ في أوقاتنا هذه الأعداد الكبيرة التي تهاجر من الأرياف نحو المدن بسبب ظهور عدة ظروف مشجعة كالرقي الاجتماعي وتعدد فرص العمل، لكن أحيانا ما يحدث العكس فنجد أفواجا كبيرة من سكان المدن يغادرونها إلى الأرياف وبمعدلات مرتفعة ويحدث ذلك خاصة في أوقات الكوارث والأزمات.

* نسق التفاعل: تتميز التفاعلات في المجتمع الريفي بالبساطة والمودة والإخلاص لأن الإنسان يتعامل مع غيره في هذه المجتمعات بدوافع إنسانية أساسا، بينما تسود المجتمع الحضري المدني العلاقات السطحية والغير شخصية القصيرة المدى والقائمة أساسا على مبدأ المصلحة والمنفعة وتتميز بالتعقيد والتداخل والشكلية في أغلب الأحيان.

1)- 2- المقاربة الديمغرافية والإحصائية:

وتعتبر المدينة المكان الذي يتركز فيه السكان حيث يشكلون كثافة مجالية، وتعد هذه المقاربة التجمعات السكانية على أنها مؤسسات سكانية بالاعتماد على العتبات الديمغرافية.

1)- 3- المقاربة السياسية:

تعتمد على مراسيم إدارية من شأنها إسناد أدوار مهمة ومميزة ضمن التسلسل الإداري للإقليم، وكمثال على ذلك التحولات التي حصلت بالجزائر خلال الحقبة الاستعمارية وما تلته من تقسيمات إدارية متعاقبة بعد الاستقلال.

وفحوى الكلام الأخير أنه قد تترقى بعض التجمعات الحضرية إلى مصاف المدن وتوكل إليها مهام مميزة ليس لأهميتها هي وإنما لأهمية الدور الذي ستلعبه ومثاله التقسيمات إبان المرحلة الاستعمارية لتنظيم الثورة، وبعد الاستقلال شهدت الجزائر عدة تقسيمات إدارية أخرى لعل السبب الفاعل وراءها هي المشاكل الحدودية مع الدول المجاورة.

1)- 4- المقاربة الجغرافية الحضرية:

وتعتبر المدينة عنصرا مهيكلا ومقننا وذا أهمية كبيرة، وتنظر إلى المدينة من زاويتها العمرانية وهذا بالتركيز على المباني والمؤسسات ودرجة هيكلتها وتنظيم شوارعها ومدى موافقتها للقوانين العمرانية التي تخص شغل الأراضي والطراز المعماري والعمراني، ... الخ.
ويعتقد أصحاب هذه النظرة - وهم الجغرافيون الحضريون - أن أهم عنصر في المدينة هو التنظيم المجالي، ويوضحون أنه يرتكز على ثلاثة أسس تشمل (المجال، السكن، دور المدن) ويتجلى هذا في تعدد البنى الداخلية وتنوع الأشكال العمرانية والعلاقات التبادلية المتنوعة، لكن هذه النظرة طرأ عليها تغيير كبير في ظل الحركية المعرفية الواسعة والمتماشية مع التغيرات المجتمعاتية الكبيرة، ففي السابق كان الاهتمام منصبا على المظاهر الملموسة كالموقع، مخطط المدينة وأشكال استعمال الأرض، وارتقت بعد ذلك إلى الاهتمام بأصول السكان ومميزاتهم في

ظل ما يعرف حاليا بالجغرافيا البشرية، ومن بعدها قام التركيز على أنماط العيش وسمات التحضر التي تمايز سكان المدن عن غيرهم من سكان الريف تحت ما يعرف باسم علم الاجتماع الحضري، وأخيرا أصبح الاهتمام منصبا على تمييز وظائف المدينة والبحث عن أسس التنمية الحضرية ومعرفة دور المدينة الإقليمي، وعن شبكات وهياكل الأنوية القديمة، وقد ظهرت عدة اتجاهات معتمدة في منهج البحث الخاص بالجغرافيين:

* اتجاه يهتم بالمظاهر النظرية وهذا عند الباحثين الألمان والأمريكان، إذ يركزون في دراساتهم على موضوع المركزية والشبكات وترتيبها، ومن أبرز روادهم كريستالير(1933).

* اتجاه يهتم بالتطور التاريخي - خصوصا عند السوفييت - ويقترحون تصنيفات وظيفية كنتيجة لتغيرات جذرية تحدث على مستوى المدن.

* اتجاه يهتم بمونوغرافيا المدن من خلال الدراسات المقارنة على مستوى الإطار الإقليمي، وقد تبنى هذا الاتجاه الباحثون الفرنسيون.

وبالرغم من ذكر كل التعاريف السابقة إلا أن تعريف المدينة بقي يتسم بالغموض والتعقيد والنقص، وقال (خلف الله، ب، 2005) << وحتى بالجمع فيما بينها ترى أنك قد أهملت العديد من جوانب المدينة، وسبب هذا التعقيد والغموض مرده إلى التعقيد في المدينة بحد ذاتها على اعتبار أنها في تطور وحراك دائمين وبخاصة في أدوارها ووظائفها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وغيرها من جهة، وإطارها الفيزيائي من جهة أخرى، وبذلك تفتقد للضبط في الاصطلاحات التعريفية مع الحراك المستمر والمتميز بالصعوبة والتعقيد >>.

ومفاد الكلام السابق أن حركية المدينة المتزايدة والمعقدة جعلت من التعاريف غير متطابقة مع الواقع أو ناقصة كون المدينة قد تغيرت فيها عدة أدوار، فتلك التعاريف كانت مطابقة للواقع في الزمن الذي قيلت فيه أي في الوقت الذي سبق حركية المدينة والتغير الذي طرأ على أدوارها ووظائفها، ومنه نخلص إلى أن تعاريف المدينة غير ثابتة، بل هي متغيرة ومتناسبة مع حال المدينة، وقد وصف Rosnay المدينة على أنها مجموعة معقدة من العناصر فيما بينها، منظمة حول هدف، أما Lowry فعدها نسقا عاما معقدا أين الكل يؤثر على الكل.

2)- ظهور وتأسس المدن :

لقد عرفت المدن في الآونة الأخيرة حركية عالية الوتيرة بفضل ما تعرفه من نهوض كبير في شتى المجالات وخاصة الاقتصادية منها دفع بأفواج كبيرة من السكان بالنزوح نحوها من أجل تحقيق ورفع مستوى معيشتهم.

إن التطور العمراني يستند أساسا وأكثر فأكثر على الإرث العمراني والمعماري والذي يصبح الهدف الأساسي والمهم للتطور العمراني للمدن والمجتمعات، ومن هذا المنطلق فان معرفة تاريخ الإطار المبني هو الكفيل لإجراء دراسة معمقة، ومما لا شك فيه أن لكل مدينة دوافع وأسباب نشأة، والملاحظ هو عدم تسجيل فروق واختلافات كبيرة ومتفاوتة في أقوال العلماء والباحثين حول هذه الدوافع وخاصة إذا ما تم ربطها بالوثائق التاريخية أو العناصر الأثرية التي تم العثور عليها إثر الحفريات الأثرية، فتتأسس هذه المجتمعات لدوافع معينة وبعدد معين من السكان، ثم ومع مرور الزمن تبدأ عمليات توسع تدريجية للتجمعات السكانية على شكل توسعات محيطية على حدود المدن والتجمعات الموجودة، كما تشهد عمليات تملك للأراضي واندماج بين السكان، وهكذا فإننا نجد أن حجم التجمعات السكانية ينمو ويتطور بمرور الزمن وقد تظهر عوامل أخرى قد تطغى على الدافع الأساسي المشكل للمدينة وتهيمن عليه، إذ بالملاحظة نرى أن هناك عوامل تدفع لإنشاء مدن قد تزول مع الأيام مثل تأسس مدينة من أجل العامل الدفاعي فبالاستقرار قد يزول هذا العامل، وهناك عوامل أخرى ملازمة للمدينة لعل أبرزها العامل الديني مثل مدينة مكة المكرمة فقداستها باقية مع الأيام، وعموما ترى **بوجو قارنيي** أن العوامل المؤسسة للمدن ثلاثة اقتصادية وسياسية ودفاعية:

فالاقتصادية منها هي من زاوية نظر الماركسيين الذين يرجعون نشأة المدن إلى ارتقاء نوع العمل وتطوره، حيث تكمن البداية بالقطاع الفلاحي الذي يخصص جله للاستهلاك الخاص، ثم يأخذ تدريجيا في النمو والتنوع وينشط إلى جانبها النشاط التجاري وترويج النقود الذي يمتد إلى تخوم المدينة، وتظهر حركات النقل وتتوسع التعاملات التجارية وتكثر الوظائف وتزيد الثروات عند الأشخاص وترتفع عمليات التملك للأراضي والاستثمارات، فتنمو المدن وتتطور وتزدهر ويحصل نوع من الاستقرار تتولد معه الخدمات الأساسية للسكان، ومجمل القول إن أساس ديمومة الحضارات وبقائها هو الازدهار الاقتصادي.

كما أكدت الباحثة أن العامل الاقتصادي يساهم وبشكل فاعل في نشأة مدن أخرى ذات تخصص آخر بفعل الصناعة وذلك ابتداء من بريطانيا 1870م، حيث أصبحت المدن تتخصص في مجال ما (الصناعة الثقيلة، النسيج، ...)، ومنه خلصت الباحثة أن العامل الاقتصادي ذا فعالية كبرى في نشأة المدن وتطورها خصوصا إذا ما اشترك بعاملي الصناعة والتجارة لإسهاماتهما الكبيرة في الازدهار الاقتصادي.

أما العامل الثاني فهو العامل السياسي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا باستقرار المدن، فالاطمئنان والتحكم الجيد في تسيير أمور السكان تنشأ من جرائها تجمعات سكانية وتنمو فيها الإدارة وتتنوع بها الخدمات ويزدهر فيها الاستثمار والإنتاج، فالسياسة أدت إلى بناء العديد من المدن، فالمستعمر كان ينشأ مدنا ويوكل إليها مهمة العاصمة لتسهيل السيطرة على الدول، كما أن السياسة الحديثة وبقراراتها البراقة تساهم في بناء مدن جديدة ذات حياة عصرية أسعد وأسهل ذات مساكن جديدة وتجهيزات ملائمة بمسافات قريبة بين العمل والإقامة ومجهزة بمجالات خضراء وحركة منظمة ومتحكم بها بين حركة الراجلين والحركة الميكانيكية.

وأما العامل الثالث وهو العامل الدفاعي فان المدن التي نشأت بفعل هذا العامل تغلب عليها النظرة الإستراتيجية التي تكاد تخلو من العلاقات الاقتصادية مثل المدن القديمة حيث كانت تؤسس في أعالي التلال لتحقيق المنعة أو المدن المؤسسة لحراسة الحدود، وما يلاحظ على هذه المدن هو أن مصيرها لا يبقى مرتبطا دائما بما أنشأت له، بل إنها تتغير مع الوقت وتصبح مدنا تنمو نموا عاديا كغيرها من المدن وخاصة إن زال الدافع الذي أسست من اجله ولم تستطع أن تثبت وتتأقلم مع التقلبات وتعاقبات نمو الوظائف الأخرى فيها.

وقد قام الدكتور **(خلف الله، ب، 2005)** بتحديد دوافع ظهور المدن وأكد أنه قد يجتمع أكثر من عامل واحد في تأسيس مدينة ما، كما أوضح إمكانية تجلي العوامل المؤثرة في تأسيس المدينة وظهورها على مستوى النسيج العمراني للمدينة كما يمكن أن تكون العكس بحيث نضطر إلى العنصر التحليلي لإبرازها، وهذه العوامل هي:

2)- 1- العوامل الدفاعية:

ويعتبر هذا العامل من أقدم العوامل التي أدت إلى إنشاء المدن والحواضر، فالبداية كانت مع إنشاء المأوى ليكون سكنا للإنسان يحتمي فيه من الخطر المتعدد الذي يحقد به، ثم عند بداية الاجتماع صار الإنسان يبحث عن المواقع الإستراتيجية التي تمنحه الأمان لبناء المدن والدفاع عنها، فالمدن قديما غالبا ما كانت تقام على قمم التلال العالية (الصورة -1-) المحاطة بالسهول المنبسطة لتحسين مستوى الرقابة وتدعيم الحماية إضافة إلى حفر الخنادق العميقة المحيطة بالمدن وإنشاء القلاع وإحاطتها بالأسوار العالية المنيعة مثل ما هو عليه الحال في أغلب المدن اليونانية والرومانية.

الصورة (I-1): منظر عام لقصر ايغزر- تيميمون -
المصدر: الباحث 2009.

2)- 2- العوامل الصناعية:

وهي تلك العوامل التي دفعت المدن للتمركز حول أماكن تواجد المواد الأولية كالحديد والفحم وتوفر اليد العاملة، فكانت المواقع تختار حسب هذه العوامل، وأما الوقت الحالي ومع التطور المشهود في وسائل النقل والاتصالات أضحت هناك حرية في تخطيط المدن وتلاشت إلزامية الربط بين موقعي العمل والسكن، وفي أيامنا هذه أصبح النفط أهم عامل لظهور المدن وتطورها والمر واضح وجلي في دول الخليج العربي وروسيا.

2)- 3- العوامل التجارية:

وتنشأ المدن التجارية على مستوى خطو التجارة، حيث تعتبر هذه المدن ملتقى للخطوط التجارية ونقاط استراحة واستعداد لمواصلة السفر، فنجد على مستوى هذه المن مرافق خاصة كالخانات للاستراحة، وهذه المدن كما أوضح الدكتور خلف الله << تكثر في الطريق الرابط بين العالم العربي والإسلامي والهند كما هو الحال مع دمشق واسطنبول، وقامت على مرافئ السفن أسواق تجارية كبرى وصناعات تحويلية مثل ما هو الحال في المدن الايطالية والاسبانية الساحلية وكل ساحل البحر الأبيض المتوسط .>>

2)- 4- العوامل السياحية:

ونشأت هذه المدن للراحة والاستجمام بعد ما أحدثته الثورة الصناعية من إختلالات، فأصبح الإنسان يبحث عن أماكن للراحة والهدوء من اجل الاسترخاء، ومنه فقد أقيمت عدة مدن لهذا الغرض لاسيما تلك التي تمتاز بجو جميل ومناظر خلابة كما هو الحال مثلا في مصايف فرنسا واسبانيا وايطاليا ومرافق ومركبات بلبنان والجزائر، ويدخل في هذه العوامل أيضا المدن المقامة من اجل الاستشفاء والاستجمام والنقاهة ونعني بها المدن المتواجدة في أماكن تواجد الحمامات المعدنية مثل بوحنيفية وحمام ريغة، ومدن أخرى للمتعة والتجوال مثل شواطئ الآزور بفرنسا ونادي الصنوبر وتيبازة بالجزائر.

2)- 5- العوامل الدينية:

وهو من أهم العوامل الدافعة لإنشاء المدن وتطورها، فقد ظهرت عدة مدن لهذه العوامل في شتى بقاع العالم << فقد ظهرت مدينة مكة مثلا حول البيت الحرام الذي بناه إبراهيم عليه السلام، وبيت المقدس حول المسجد الأقصى الذي بناه يعقوب عليه السلام، كما قامت تاج محل حول ضريح أميرة هندية، وكربلاء والكاظمية حول قبور آل البيت الذين قتلوا في معارك مختلفة بسبب الفتن الدينية>>

فهذه المدن لها صيغة الجذب للسياح فتزيد بذلك النشاطات المتعلقة بالمأكل والمشرب والمسكن، لكن ما يلاحظ عن هذه المدن هو اكتساءها للصيغة الموسمية فالكثير منها لها مواسم ازدحام كبرى مثل مكة في مواسم الحج أثناء أداء ركن الحج ورمضان أثناء أداء العمرة، وكربلاء والنجف أثناء إقامة الحسينيات الشيعية في عاشوراء، كما أن لهذه المدن ميزة أخرى

وهي الخصوصية فلا يقصدها إلا أتباع ذلك الدين أو أنصار المذهب، فمكة لا يقصدها إلا المسلمون، وكربلاء لا يقصدها إلا الشيعة.

2)- 6- العوامل السياسية والإدارية:

وهي المدن التي تنشأ بدوافع سياسية وإدارية، وهو حل تلجأ إليه الدول من اجل تخفيف العبء عن المدن العريقة التي أصبحت تعجز عن الاستمرار في تأدية دور الريادة في الاقتصاد والسياسة للبلاد، كما أن للقرارات السياسية والإدارية دورا في إنشاء الأقاليم الكبيرة مثل تقسيم الجزائر إلى ولايات كبرى إبان المرحلة التحريرية وجعل عاصمة لكل ولاية لتسهيل العمل العسكري والجهادي ضد العدو المحتل.

<< وعليه يمكن استخلاص أن دوافع ومسببات نشوء المدن وكما جاء عند (مدوكي، م، 2010) يعود إلى صيغة مرتبطة بأهم المتطلبات المعيشية للإنسان وما يهدف إليه من تحقيق للغايات التي تتيح له فرصة الرقي بنفسه وبمحيطه وتسهل عليه التعامل مع المجتمعات الإنسانية الأخرى في حدود حريته وديمومة سمو مكانته إزاء الآخرين >>.

كما نؤكد على أن العوامل السالفة الذكر يمكن أن يجتمع العديد منها في تأسيس مدينة واحدة، كما يمكن أن تتأسس المدينة لعامل واحد منها فقط.

3)- تصنيف المدن :

لقد تعرضنا في كلامنا السابق إلى العوامل الدافعة لنشوء المدن، وبالنظر إلى طبيعة التجمعات السكانية المكونة لها واختلاف خصائصها ونشاطاتها فإننا نجد أنفسنا أمام تساؤل مهم يدفعنا إلى التعرض إلى التصنيفات الخاصة بالمدن، ومما لا شك فيه أن هذا العنصر يفيد كثيرا في زيادة فهم طبيعة المدن وكما قال **بيري** << نصف الأشياء حتى يمكننا التعرف أكثر على موضعها، فالمعرفة والفهم والتشكيل أو التعديل للمستقبل كل هذه دوافع للمحاولة >>.

3)- 1- حسب علماء الاجتماع:

ونورد ما جاء عند (عاطف غيث، م، 1987) أن أبرز تصنيف في هذا المجال ما قام به **جوبرج** بحيث قسم المجتمعات إلى نماذج ثلاثة هي:

* الفولك: وهو تجمع صغير مكتف بذاته غير متمدن ويفتقر إلى تقسيم العمل الحقيقي والتكنولوجيا المعقدة ولا يمكن أن تنشأ عنه بلدان ولا مدن.

* المجتمع الإقطاعي: وهو مجتمع غير صناعي، متمدن ويملك فائضا في الزراعة، ويضم طبقة عليا تعيش في المدن، ويمتاز بكبر في الحجم وكثافة سكانية عالية وغير متجانسة، كما أنه يضم طبقة متخصصة في الأعمال غير الزراعية وحجمها أكبر منه في القرى.

* المجتمع الحضري الصناعي: ويضم المدن الصناعية التي تعتمد على المعرفة الفنية وتستخدم مصادر متعددة للطاقة وتضم تنظيمات كبيرة الحجم.

كما قام **ويرث** بتصنيف خاص بالمدن الصناعية معتمدا على حجمها وموقعها ووظائفها الاقتصادية وعمرها، فالحجم يظهر جليا أن المدن تمتاز بالكثافة وعدم التجانس، أما العمر فهو دليل على مدى نجاح وفشل التوازن في الاقتصاديات المميزة، كما تجدر الإشارة إلى أنه ثمة العديد ممن اهتم بتصنيف المدن الصناعية أمثال (**موزر** و**سكوت**) بانجلترا، و(**هادون** و**بورجاتا**) بالولايات المتحدة، وممن تخصص في تصنيف المدن قبل الصناعية هما **رادفيلد** و**سينجر** اللذين قاما بتقسيمها إلى قسمين:

* مدن إدارية وثقافية: وهي المدن الاستعمارية.
* مدن تجارية.

وأما **ماكس فيبر** فقد قدم تصنيفا آخر لهذه المدن حيث استعان بمحاكاة متعددة منها موقع المدينة ومدى اعتمادها على غيرها من المدن وكذا أثر الحركات الإصلاحية وتطور ضواحيها والترتيب الطبقي الاجتماعي فيها وسيطرة المدينة على مصدر مواردها وأسلوب استغلالها للأراضي.

3)- 2- حسب الجغرافيين:

وقد اعتمدوا في تصنيفهم للمدن على عدة أسس كما جاءت عند (بوجو قارنيي، ج، 1989):

3)- 2- 1 - الأسس التحليلية:

ومن أشهرها تصنيف **وارسو** الذي ميز ستة (06) فئات كبرى للمدن والتي بدورها تكون مقسمة إلى عدة أقسام ثانوية، وهذه الفئات هي:

* الفئة الأولى: وتشمل المدن الإدارية.
* الفئة الثانية: وتشمل المدن الدفاعية والحصون والقواعد العسكرية ومدن الثكنات.
* الفئة الثالثة: وتشمل المدن الثقافية مثل المدن الجامعية والمعابد ومراكز الفن والحج والمراكز الدينية.
* الفئة الرابعة: وهي للإنتاج وتشمل المدن الصناعية.
* الفئة الخامسة: وتشمل مدن المواصلات وتعد الأكثر تعقيدا وتضم ثلاثة أقسام ثانوية:
  - الجمع: وتضم مدن المناجم والصيد والغابات والإبداع.
  - العبور والتحويل: وتضم مدن الأسواق التي توجد على طول الحدود، ومدن الجسور.
  - مدن التوزيع.
* الفئة السادسة: وتشمل مدن التسلية ومدن الاستجمام والسياحة والعطل.

وكذلك نجد تصنيف **هوسن** << ... هذا التصنيف يبين المساوئ الواضحة لهذه الصيغ التي أخذت مجموعة من المعطيات المميزة والهامة لكن خالية من الانسجام أو التجانس التام، فالوظائف الحضرية الموصوفة هنا هي مثل السكن، ومراكز إنشاء الاتصالات بين المجموعات البشرية، والنقل والحكومة والإدارة والتربية والتعليم والعلاقات العرقية والصحة والعمران والهندسة المعمارية والصناعة، ...>>.

وقد قالت (بوجو قارنيي، ج، 1989) معلقة: << وعليه فإن قائمة هوسن تستدعي جلب الانتباه لسلسلة من الوظائف التي يمكن اعتبارها اجتماعية أكثر منها جغرافية، إذ لديها نتائج معتبرة على المجال العمراني لا يمكن للجغرافي تجاهلها مثل ضرورة الاتصالات داخل المجموعات البشرية ذات الوحدات الصغيرة، والصعوبات الناجمة عن هذا البحث خاصة العلاقات العرقية ومسؤولية العمران في تصاعد العنف وأهمية دور المدينة في نمو العالم الثالث... >>.

3)- 2- 2 - الأسس الوصفية التفسيرية:

إن هذا النوع من التصنيف يحصي ويحسب كما ورد عند (بوجو قارنيي، ج، 1989) كل المظاهر وجوانب العمل داخل وخارج المدينة، ثم يعيد جمع هذه المظاهر تحت عناوين أخرى كبرى، أي يعطي أمثلة لكل عنوان وظيفي، وهذه التصنيفات تصف ما في الموضوع والموقع أو هيئة المدينة والذي يؤدي إلى تمييز الوظائف الأصلية أو السائدة والمظاهر الداخلية الموجهة نحو الخارج، كما أنها تبحث عن السبب الذي أدى إلى توقيع هذه أو تلك الحرفة النشيطة في هذا الوضع، وتنفرد بتمثيلها لأحد مظاهر المنهج الاستقرائي الجغرافي الذي ينتقل من الجزئي إلى الكلي لأنها تنطلق من سلسلة من الأمثلة الوصفية لاستخراج خلاصة النمط التطوري.

ومن أشهر هذه التصنيفات تصنيف **جورج شابو** الذي اقترحه في كتابه << دراسة في جغرافية الحضرية >> حيث صنف الوظائف الكبرى إلى ستة (06) مجموعات:

* الوظيفة العسكرية:

* الوظيفة التجارية: وتضم أشكالا بدائية تجارية قارية كبرى، موانئ بحرية ومطارات ومراكز تجارية.

* الوظيفة الصناعية: وتضم المدن المنجمية والصناعات التحويلية.

* الوظيفة الثقافية: وتضم مدن الجامعات والمراكز الأدبية والفنية ومدن المتاحف والحفلات والمؤتمرات.

* وظيفة الاستقبال: وتضم مدن المستشفيات والاستجمام والتسلية والسياحة.

* الوظيفة الإدارية والسياسية: وتضم المدن التي تلعب أدوارا إدارية كالعواصم.

فهذا التصنيف ذو قيمة كبيرة إذ يقوم على تجارب واسعة التطبيق خصوصا عندما يعطي صورة واقعية لحياة المدن بوصف عام لمميزاتها وقواعد تطورها.

وعلى العموم فان شابو في تصنيفه يركز فقط على الحرفة السائدة وعلى العامل المقبول موضوعيا حسب الشهرة التقليدية لمدينة معينة أو حسب عامل بارز، كما يمكن ظهور عدة تصنيفات في المدن لأنها تجمع بين العديد من الوظائف لكن مع اختلاف نسبي في أهمية النشاطات المعتبرة، وهنا يبقى البحث دائما على بعض النماذج للقياسات المقارنة.

3)- 2- 3 - التصنيف الشامل:

ويمتاز بكونه أكثر دقة وهذا لاستعماله لعدد أكبر من المتغيرات المعبرة عن المقارنة، والاستعانة بلغة الإعلام الآلي والتصنيف التحليلي، وهو أنواع:

* تصنيف المدن حسب مقاطعات النشاط:

ويهتم فيه بالمقاطعة وأهم نشاطاتها ويتم ترتيبها وتحليلها ومقارنتها وفق ما تكتسبه المدن من استراتيجيات اقتصادية ووظيفية تميزها عما يحيط بها.

* تصنيف المدن حسب البنية الاجتماعية الوظيفية:

حيث يؤخذ في الحسبان تصنيف المدن ومختلف نشاطات العمال ضمن القطاعات بشرط عدم الاعتماد على عددهم فقط، إذ لا يمكن أن يكون هو المتغير الوحيد المعتمد في هذا التصنيف إذ يمكن اخذ متغيرات أخرى مثل المستوى الاجتماعي الوظيفي، لأنه في الغالب يظهر الترابط الوثيق بين مختلف أصناف النشاطات الاقتصادية.

3)- 3- حسب العمرانيين:

إن المبحث الخاص بإعطاء تصنيف محدد للمدينة يكتسي درجة من الصعوبة مقدارها كتلك التي تعتري المبحث الخاص بتعريف المدينة، ولذا فقد لجأ العمرانيون إلى تقسيم المدينة إلى أقسام عدة أهمها:

3)- 3- 1 - تقسيم المدن من حيث الحجم:

وهو من أبسطها كما قال (فاروق القباني. ه، عابدين. ي، 2007) ويستخدم غالبا للتفرقة بين الحضر والريف، ومن أشهرها التقسيم الذي قام به كل من **دنكان** و**ريس** حيث صنفا المدن الأمريكية إلى أحد عشر (11) نموذجا حسب الحجم، ونجد كذلك تقسيم **فيليب هاوزر** الذي قسم المدن إلى مدن صناعية وأخرى ما قبل صناعية وميتروبولية ونجد كذلك التقسيمات التالية وفق هذا التقسيم:

* المدينة الصغيرة(town) :

وهي البلدة أو المدينة الصغيرة التي تتميز عن الوحدات الصغرى المعروفة بالقرى والوحدات الكبرى المعروفة بالمدن، وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على المنطقة الريفية، كما نجدها تتمتع بأهمية ثقافية كبيرة ويتم على مستواها ممارسة التجارة البسيطة الداخلية.

* المدينة الصناعية(city) :

وتتميز بتقسيم العمل، وينتظم وجودها حول الإنتاج الذي توفره، وهي تتمتع بموقع حضري يسيطر على الإقليم برمته ريفه وحضره.

* المدينة(Metropolitan) :

وهي المدينة العظمى أو الكبيرة ولها خصائص المدينة الصناعية.

3)- 3- 2 - تقسيم المدن من حيث تعداد السكان:

ويعتبر التقسيم الأكثر شيوعا إذ تستخدمه وتطبقه معظم الدول في تقسيماتها الإدارية، ففي فرنسا تعتبر المدينة كل تجمع حضري يضم 2000 نسمة، وما قل عنه فهو يعتبر قرية، وأما في أمريكا فان العتبة تصل إلى 2500 نسمة، وفي بلجيكا 5000 نسمة.

3)- 3- 3 - تقسيم المدن حسب التطور التاريخي:

وله دور كبير في تتبع تطور الحضارات وتعاقبها والتي تؤثر على منحى تطور المدينة مستقبلا.

3)- 3- 4 - تقسيم المدن من حيث متغيراتها الاقتصادية:

قام **بريس** بتقسيم المدن إلى صناعية، إدارية وتجارية، وأكد **لمبارد** أن الصناعة السائدة كانت أساس تصنيف المدن، كما يعود نمو هذه المدن إلى نمو اقتصادها، وصنف **هاريس** و**أولمان** المدن حسب موقعها المركزي إلى مدن النقل ومدن ذات وظائف متخصصة، كما قام **كارل ماركس** بتصنيف المدن إلى مدن العبيد ومدن الإقطاعية ومدن الرأسمالية ومدن الاشتراكية، كما أشار **هوزليتز** إلى وظيفة المدينة في ضوء نموها الاقتصادي وصنف المدن إلى قسمين:

* المدن المنتجة: والتي تتميز بالنمو الاقتصادي الدائم.

* المدن الطفيلية: وهي التي يقتصر دورها على الاستهلاك.

3)- 3- 5 - تقسيم المدن من حيث درجة تقدمها:

وهو التقسيم الذي قام به **تورنديك** وأساسه مبني على نوعية وكمية الخدمات التي تقدمها المدينة للسكان، فقام بجمع وتصنيف الخدمات إلى (37) نوع تجمعها (05) أقسام كبرى تتجلى في الصحة، التعليم، الترويح، الاقتصاد والنثريات، كما اكتشف من هذه الدراسة أنه ثمة ارتباط عام بين التقدم والتخلف أساسه التعليم، فكلما ارتفعت نسبة التعليم كانت حالة السكان الاقتصادية والصحية والترفيهية أفضل.

3)- 3- 6 - تقسيم المدن من حيث الأعمال التي تؤديها:

وأشهر هذه التقسيمات ما قام به **جينيست هلبرت** والتي صنفت المدن إلى ستة (06) أصناف وهذا حسب النشاط الغالب فيها، واستخرجت لنا: المدن الصناعية، المدن التجارية، المدن السياسية، المدن الثقافية، المدن الصحية الترفيهية والمدن المتعددة الأغراض.

وفي خاتمة هذا المبحث نجد أنه يكتسي نوعا من الغموض والإبهام وأن كل من قام بتصنيف معين للمدن إنما قام به على أساس متطلبات اختصاصه بصيغة تحليلية توافق تطلعات الاختصاص.

4)- خصائص المدن:

ويعتبر أهم عنصر من عناصر هذه الدراسة إذ إن رحى دراستنا يدور عليه فالمدن وبالنظر للتعاقبات التاريخية والأحداث التي تمر عليها فإنها تشهد نوعا من التغيير قد يكون جذريا بحيث يزيل معالم الهوية والثقافة التي سبقته بالكلية وهو ما حاول المستعمر القيام به عند دخوله إلى أغلب مدن العالم الإسلامي عموما والعربي خصوصا وبصفة أكبر وأخص ما قام به المستعمر الفرنسي في أراضي الجزائر، وقد يكون التغيير طفيفا هدفه ترك بصمة تدل على الصانع ونجد هذا غالبا فيما قام به أجيال الخلفاء الذين تعاقبوا على إدارة شؤون الدولة الإسلامية مثل الأمويين والعباسيين والفاطميين ومن بعدهم، بحيث تركت كل حقبة منها آثارا تدل عليها دون طمس ما سبقها بل زادت في خزانة التراث الإسلامي تحفا تحسب له لا عليه ولازالت إلى اليوم دليل إبداع وتقدم المسلمين آنذاك وعلو كعبهم في عالم البناء والعمران، ومنه فإن التطرق إلى خصائص المدن يعد خطوة لا بد منها في دراستنا هذه:

4)- 1- المدن العتيقة:

وتمتاز بخاصية الوحدوية والتي نجدها تتجسد في النقاط الآتية:

* النسق الرتبي للطرقات (الطرق الرئيسية، الطرق الثانوية وصولا إلى الدروب).

* الوحدوية في المباني وعلاقتها بالروابط العائلية ومواد البناء المحلية، الفتحات المناسبة من حيث الأشكال والأبعاد والمواضع.

* الخاصية المقترنة بالوقت حيث إن تطور هذه المدن يمتاز بالصفة البطيئة عبر فترات متباعدة من الوقت مما يجعلها تكتسي طابعا من الوحدة الشكلية للتجمع العمراني.

وسوف نتعرض لخصائص هذا النوع من المدن بإسهاب في فصل لاحق في خطوة مقارنة بينه وبين المدن الاستعمارية مدار بحثنا.

4)- 2- المدن الكلاسيكية:

وتمتاز بثلاث (03) مجموعات خاصة بالفن العمراني:

* التجمعات المخلوقة: وهي تتعلق بالمباني المخصصة للملوك ومباني السلطة الوطنية كواشنطن بأمريكا وتاج محل بالهند.

* التجمعات العمرانية المجاورة للتجمعات القديمة: كنانس بفرنسا وبرلين بألمانيا.

* التجمعات المعادة الناتجة عن التدخلات التي تمس الأنسجة العمرانية: وأبرزها أعمال **هوصمان** على باريس في عهد الإمبراطور نابليون الثالث.

4)- 3- المدن الصناعية:

ونعني بها تلك التي بدأ ظهورها يتجلى مع الثورة الصناعية وبروز المكننة، واتسمت هذه الحقبة بالانتشار الواسع للعمليات العمرانية وظهور ما يسمى بالمدن الصناعية والتي نجدها على نوعين حسب الدول المنتمية إليها:

* المدن الصناعية ضمن دول العالم الثالث: وتمتاز بالاكتظاظ وعدم التنظيم وتكون محاطة بالأحياء القصديرية.

* المدن الصناعية ضمن الدول المتقدمة: تمتاز بوجود جزيرات غير صحية وأماكن معزولة وضواحي آخذة في النمو مما خلق ما يسمى بالخلل الوظيفي.

5)- أنماط المدن:

قام الباحثان (Pelletier, J & Delfante, Ch. 2000) بتمييز أنماط المدن المعاصرة وهذا وفقا لتموضعها على الخارطة الجيوسياسية في العالم، وقاما بتصنيف خمسة (05) أنماط عامة من المدن وهي:

5)- 1- مدن العالم الغربي (أوربا):

وهي ذات جذور ضاربة في التاريخ تعود إلى آلاف السنين كما هو الحال مع أثينا عاصمة بلاد الإغريق، أما الآن فهناك العواصم ذات التفوق السياسي والنهضة الكبيرة كباريس ولندن، بحيث إن الكل يشتمل على ملامح نمطية متقاربة مع وجود لبعض الاختلافات التي تعزى لتغير الموقع، حيث نميز الحضور القوي للإرث التاريخي الذي شهد العديد من التغيرات فحصل ما يسمى بملامح التجاور لمختلف الأنسجة العمرانية، فنجد أنسجة متموضعة فوق بعضها البعض، حيث نميز الشكل المنتظم من العهد الروماني وتليها تداخل الأشكال العشوائية من حقبة القرون الوسطى ومن ثمة تخترقها الأشكال المنتظمة الشطرنجية التي تأسست خلال القرنين الثامن عشر (18) والتاسع عشر (19) الميلادي وصولا إلى المخططات المتطورة للقرن العشرين (20)، فتكونت العديد من الفروق على مستوى المخططات من حيث شكل النسيج وارتفاع المباني وحجمها، وكذلك نميز السياسة العمرانية الخاصة بالدولة تحت إمرة السلطات العمومية من خلال تطبيقات القوانين وفرض الرقابة والحرص على تطبيقها وتسييرها بحيث نجد أن أغلب الدول الأوربية تفرض عدة التزامات لعل أهمها:

* تأطير كل العمليات العمرانية من خلال تطبيق القوانين على مستوى كل من (POS/SDAU).
* العمليات المباشرة في البناء.
* توفير السكنات الاجتماعية من خلال هيئات ودواوين مختلفة.
* وضع مؤسسات للتهيئة تشرف على التكفل بالمجالات الخارجية.

وبذلك فان المدن في الغرب تمتاز بهيكلة عمرانية على شكل حلقات تستند على المركز الأول للمدينة مع وجود بعض التشوهات الناتجة عن التضاريس أو لعوائق وعوامل أخرى.

وقد قام الباحثان (Pelletier, J & Delfante, Ch. 2000) بتحديد الحلقات المكونة للمدينة والتي تتمثل في:

* المركز العتيق: والذي يتسم بالكثافة والغنى بالمعالم الأثرية وبه المراكز الإدارية.
* الحلقة الأولى: وتكون بعد المركز وهي تمثل الأرباض.
* الحلقة الثانية: وهي الضواحي وتمتاز بكثافة جيدة وباتصال جيد بكل من المركز والأرباض.
* الحلقة الثالثة: وهي تحدد المجال الشبه عمراني يمتاز بخصائصه الهجينة بين الريف والمدينة وبه كثافة متوسطة وتسود فيه الوظيفة الزراعية.

وبإمعان النظر في هذا التقسيم نجده مطابقا إلى حد كبير ومؤيدا لأصحاب المدرسة الحضرية في تعريفهم وتقسيمهم للمدينة، حيث تقوم فكرة رواد هذه المدرسة أمثال **برجس** و**ريدفيلد** و **ورث** على الأنماط والعمليات التي تشملها مرحلة الانتقال من الزراعة إلى الصناعة حيث يعتبرون أن المدينة تشكل قوة إيجابية في التغيير الاجتماعي، ويرى أصحاب هذه المدرسة أن المدينة غالبا ما تنشأ بنشاط معين ومحدود ومع مرور الوقت يأخذ في النمو والتطور، وبالضغط على النطاق الأول وهو المركزي فإنه يؤدي إلى توسعه تدريجيا على شكل حلقات، كما يرى أصحاب هذه المدرسة أن هذه النطاقات تمتاز بالحركية وعدم الثبات مع زيادة الضغط على النطاق فإنه يضطر إلى التوسع على حساب النطاق الذي يليه، ويرى أنصار هذا الاتجاه إمكانية تقسيم المدينة إلى نطاقات ستة (06) أساسية هي:

(01)- نطاق مركزي.
(02)- نطاق الصناعات.
(03)- نطاق انتقالي.
(04)- نطاق مساكن العمال.
(05)- نطاق ذوي الدخل المتوسط.
(06)- نطاق الضواحي.

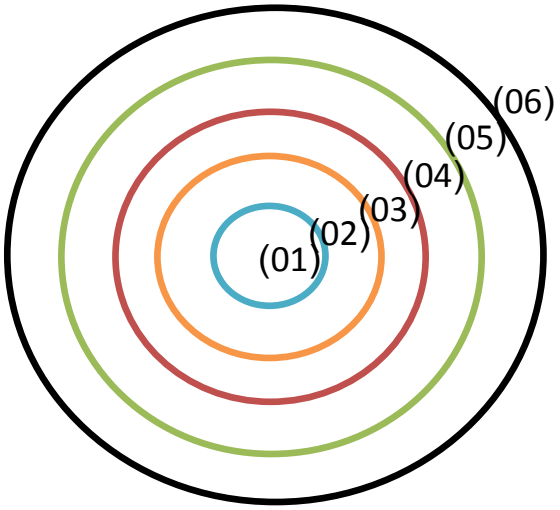

الشكل (I-1): نموذج النطاق الدائري لبرجس.
المصدر: الديب، ب، 2009.

5)- 2- مدن أمريكا الشمالية:

وهي مدن تعد حديثة من حيث نشأتها إذا ما قورنت بمدن القارة الأوربية، وعموما فهي تتميز بالتطور الكبير في التقنيات العمرانية والهندسية، مما ترتب عنه مساحات وتجمعات حضرية كبيرة وغاية في التعقيد تغلب عليها ناطحات السحاب ذات الارتفاعات الشاهقة.

5)- 3- مدن الدول الاشتراكية:

بسبب إيديولوجيات الطابع الجماعي وسياسة الاشتراك في كل شيء التي ساهمت وأدت إلى إفراغ الريف وانتقال التركيز إلى مدن الصناعات فإن هذه المدن كانت تتوسع بشكل كبير تحت وطأة تخطيط صارم يهدف إلى توحيد المدن ولو بصفة نظرية لكل من شكل التوسع، البنايات

الجديدة ووسائل المواصلات وهذا وفقا للأهداف الديموغرافية والمخططات التطورية المسطرة من طرف الدولة، والمثال الأحسن يوجد في الاتحاد السوفياتي قطب الاشتراكية، حيث اعتمد في تعمير العاصمة موسكو على قرارات مجلسي الحكومة والهيئة المركزية للدولة سنة 1971م، والهدف من كل هذا هو الوصول إلى:

* المحافظة على التراث والمدن العتيقة من خلال إصدار قانون 1917م والذي يقضي بالمحافظة على أملاك الشعب من قصور ومتاحف، والقيام بالإجراءات الكفيلة من حيث الترميم وإعادة الهيكلة.
* الإنقاص من سمات الحضرية في المدن العتيقة وإخراج المراكز التجارية إلى الضواحي وأدى ذلك إلى خلق مدن تفتقر إلى الحركية التجارية بهدف تقليل الجذب إليها.
* توفير التجهيزات ذات الطابع الإستجمامي والثقافي من خلال المساحات والحدائق المجهزة.
* سيطرة وسائل النقل الجماعية مما ينقص تبعات الاختناق على الطرق.

5)- 4- مدن العالم الثالث:

كانت قبل الحرب العالمية الثانية تحظى بنظرة إزدرائية هامشية، ولكن عقب نهاية الحرب أخذت تظهر الحواضر العظيمة مثل ساوباولو و نيومكسيكو، هاتان الأخيرتان يقطن بهما في نهاية القرن العشرين (20) أكثر من (20) مليون نسمة، ويتميز نمط مدن العالم الثالث بما يلي:

* النمو الديموغرافي الكبير والهجرة الداخلية من الريف إلى المدينة بحثا عن فرص العمل المثلى مما نتج عنه معامل تعمير جد مرتفع بحيث أخذ سكان العالم الثالث في التزايد بمعدل متوسط يفوق 04% كل سنة وهذا منذ سنة 1961م، والبلد الأكثر تزايدا هو البرازيل فقد قفز معدل التزايد من 31% سنة 1940م إلى 45% سنة 1968م ثم إلى 68% سنة 1980م ليقارب 80% نهاية القرن الحالي.

* هيكلة عمرانية خاصة بسبب عدم وجود الوحدة في التاريخ العمراني والنمط الاقتصادي بين مدن العالم الثالث مما انعكس سلبا على أشكال المنظومة العمرانية فأصبحت جد متباينة، فتتجه معظم المدن نحو الضخامة (Mégalopoles)، وقد تكون وحيدة في البلد وتتمحور حولها بقية المدن الأخرى مما يعطي ظاهرة التضخم الأحادي (Monoéphalisme) ويبدو الأمر جليا في كل من داكار بالسنغال والقاهرة بمصر.

* تعدد الأزمات العمرانية من خلال المشاكل التقنية الناتجة عن الضعف المادي من جهة وتعدد مراكز القرار من جهة أخرى، وتظهر كذلك المشاكل الاجتماعية الدائمة بسبب عدم مواكبة فرص العمل لتزايد السكان مما يؤدي إلى ارتفاع مستويات البطالة يعقبه انتشار عشوائي للسكان على أطراف المدن.

5)- 5- المدن الإسلامية:

وتعد أصل الحضارة العربية العريقة وطالما شكلت حضارة رائدة استمرت لعدة قرون من الزمن، وكان انبثاق فجرها من الجزيرة العربية لتتوسع شيئا فشيئا لتعم كل بقاع العالم حيث استطاعت هذه الحضارة بحق تحقيق الانسجام التام والتأقلم بين الإنسان ومحيط عيشه ضمن حدود الالتزام والتام بالمنهج الديني القويم الذي سطره الشرع تبعا لما أتت به الرسالة المحمدية.
أما المدينة الإسلامية فلقد مرت بعدة حقبات متنوعة ساهم الكثير منها في إثراء العمارة الإسلامية ابتداء من تأسيس الدولة بالمدينة النبوية على يد النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى غاية سقوطها عقب معاهدة لوزان في جويلية سنة 1924م، وسبب الثراء هو الفتوحات الإسلامية التي شهدتها الدولة ابتداء من فتح كل من إمبراطوريتي فارس والروم سنة 651م وهذا بعد فتح كل من سوريا سنة 640م ومصر سنة 645م كما وصلت الفتوحات إلى شمال إفريقيا سنة 698م على يد موسى بن نصير وعقبة بن نافع، ثم الانتقال إلى أوربا وهذا بعد فتح الأندلس واسبانيا سنة 712م على يد طارق بن زياد، وامتدت الفتوحات الإسلامية من النواحي الأخرى إلى الصين والهند وأوربا إلى غاية بواتييه جنوب غرب فرنسا أيام كانت الدولة تحت راية التوحيد يحكمها مركز واحد يتمثل في عاصمة الخلافة، وهكذا ظلت الدولة تنتقل من عهد إلى عهد يمكن تلخيصها:

العهد	المركز	تاريخ التأسيس		تاريخ السقوط	
		هجري	ميلادي	هجري	ميلادي
الراشدي	المدينة المنورة	11	632	40	661
الأموي	سوريا	41	661	132	750
العباسي	العراق	132	750	656	1258
الأدارسة	المغرب	172	789	314	926
الطولونيون	مصر وسوريا	254	868	292	905
الحمدانيون	سوريا	293	905	394	1004
الفاطميون	مصر	297	909	567	1171
الإخشيديون	مصر	323	935	358	969
المزيديون	وسط العراق	350	961	545	1150
العقيليون	الجزيرة	380	990	489	1096
المرداسيون	سوريا	414	1032	472	1079
المرابطون	شمال إفريقيا	448	1056	541	1147
الموحدون	شمال إفريقيا	524	1130	667	1269
الأيوبيون	العراق	564	1169	القرن 9ه	1260
المرينيون	المغرب	592	1196	956	1549
الوطاسيون	المغرب	592	1196	956	1549
الحفصيون	تونس	625	1228	982	1574
المماليك	مصر	648	1250	922	1517
العثمانيون	تركيا	680	1281	1342	1924

الجدول (I-1): مختلف الحقبات الإسلامية التي تعاقبت على حكم الدولة الإسلامية.
المصدر: الباحث (2011).

وأدى هذا الانتشار الإسلامي إلى ترك بصمات رائعة من خلال إنجازه لمجموعة رائعة من العمائر والمدن التي وإن دلت فإنما تدل على سعي المسلمين وراء مستقبل مزهر، فلقد كان المسلمون إبان عمليات الفتح الإسلامي يقومون بتأسيس مدن في كل المناطق التي يتم فتحها، ففي الشرق الأوسط تم تأسيس مجموعة من المدن مثل البصرة سنة 635م والكوفة سنة 638م وهاتان المدينتان أسستا في إطار تعمير العراق في عهد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ثم أسست مدينة الفسطاط سنة 641م من طرف الصحابي عمرو بن العاص في عهد نفس الخليفة حيث تعد هذه المدينة نقطة الانطلاق نحو تعمير مصر وإنشاء مدينة القاهرة عاصمة الدولة الفاطمية ومدينة المعز لدين الله الفاطمي على يد قائد جيوشه جوهر الصقلي، وفي المغرب ولنفس الهدف لمراقبة الحدود المفتوحة قام المسلمون بإنشاء عديد المدن على غرار القيروان سنة 670م ثم المانستير ثم سوس ثم المهدية، وهكذا تقدمت العمليات أكثر فأكثر نحو الغرب مع إنشاء بسكرة سنة 680م وفاس سنة 810م ومكناس سنة 940م ثم مراكش سنة 1040م، وعند القرن الحادي عشر (11) الميلادي قامت الفرق الخارجية وهم الإباضيون ومن أجل المحافظة على مميزاتهم الخاصة قاموا بتأسيس مدن الميزاب على تخوم الصحراء.

ومما سبق يمكننا التأكد من أن المدن الأولى في الإسلام ظهرت في وقت مبكر جدا من ظهور الدين الإسلامي الجديد يومئذ، فقد بنى العرب الفاتحون في مدة زمنية قصيرة مدنا كثيرة بالمشرق العربي وأخرى بأقصى الغرب والشمال الإفريقي، وتعد عمليات إعادة هيكلة المدينة المنورة من طرف الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أول مدينة إسلامية حيث قام عليه الصلاة والسلام بتغيير معالم المدينة القديمة (يثرب) والتي كانت كما قال ياقوت الحموي بأنها حرة سبخة الأرض ولها نخيل كثير ومياه، ونخيلهم وزرعهم تستقى من الآبار عليها العبيد، قام بتغييرها بما يتماشى مع تعاليم الإسلام وتشريعاته والتي تعتبر تجسيدا للمقومات الروحية للأمة التي كانت طور التكوين.

وجاء عند (خلف الله، ب، 2007) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام ببناء المسجد الجامع الذي لازال قائما إلى يومنا هذا بحيث حافظ على التماسك القبلي القائم حينما قام بتقسيم الخطط واختيار موقع المسجد بحيث جعل لكل قبيلة خطة متماسكة تنتهي بواسطة شبكة من الشوارع والطرقات إلى المسجد الجامع الذي يعتبر القلب النابض للمدينة ونقطة تلاقي الجميع.

واعتبرت هذه النواة نقطة ارتكاز أساسية للتوسع، حيث تنطلق منها تقسيمات الأراضي إلى خطط وأحياء شكلت الوحدة الأساسية في البنية الكلية للمدينة وفق نمط توزيعي قبلي، ومخطط المدينة عموما أسس بطريقة تهدف إلى إظهار التماسك العمراني عن طريق هيكلة الأجزاء العمرانية حول المسجد والمقبرة.

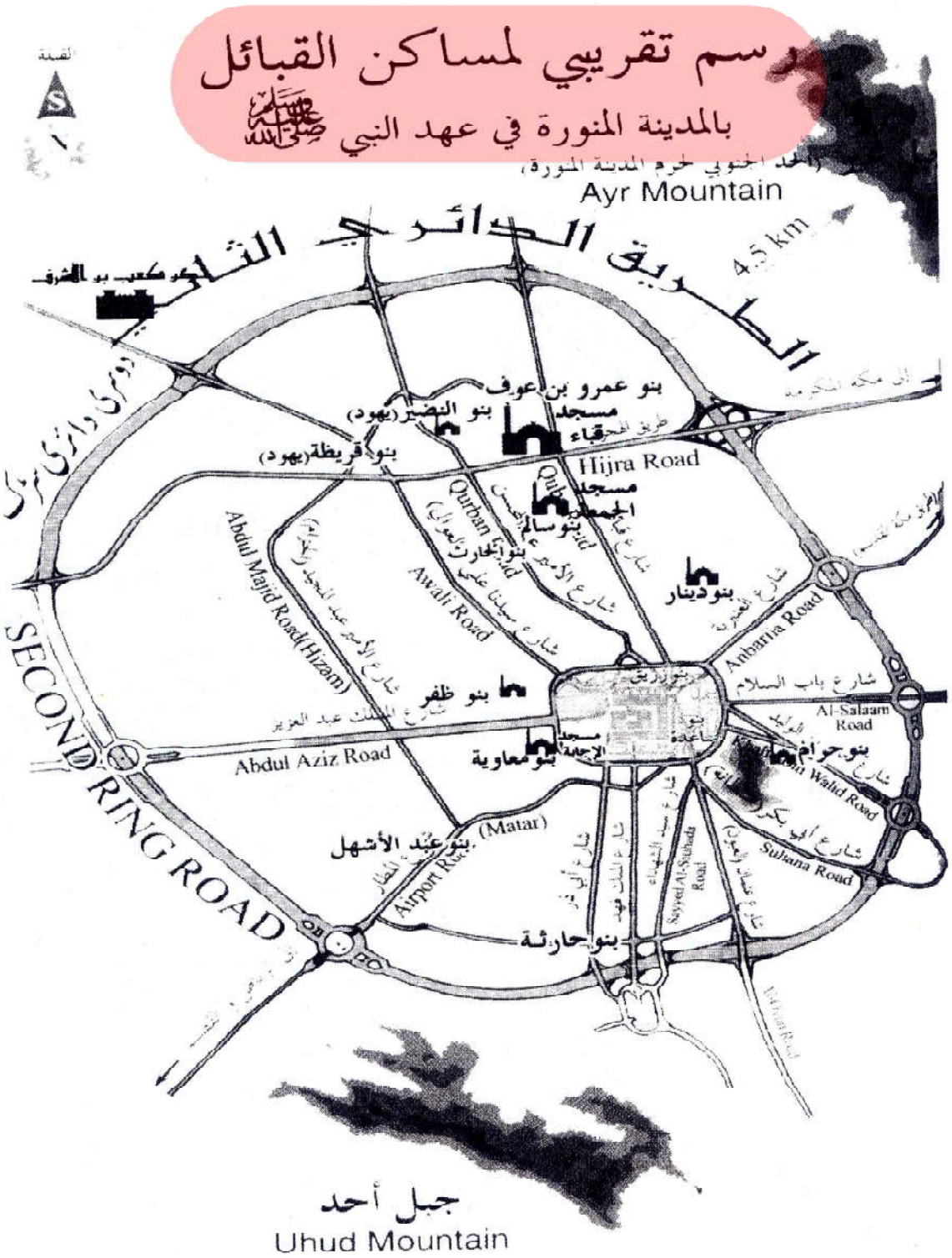

الشكل (I-2): رسم تقريبي لمساكن القبائل بالمدينة المنورة في بداية العهد الإسلامي.

المصدر: (خلف الله. ب، 2007).

5)- 5- 1 - خصائص المدينة الإسلامية:

إن الفتوحات الإسلامية التي مست الإمبراطوريات العظمى آنذاك عادت بفوائد كبرى على الدولة الإسلامية وصلت إلى المجال العمراني والمعماري، فتمازجت الحضارة الإسلامية بالحضارات الأخرى مما اكسبها ثراء كبيرا على غرار الحضارة الفارسية والرومانية والإغريقية وغيرها، وعلى الرغم من هذا التمازج إلا أننا نميز خصائص تشمل أغلب المدن الإسلامية لخصها الدكتور خلف الله بوجمعة في النقاط التالية:

أ)- العضوية:

حيث قال خلف الله << يمثل الترابط العضوي الذي يعني أن الأجزاء تمثل جهازا واحدا متكامل الوظائف أهم مميز للمدينة الإسلامية >> حيث تقوم الجماعة الإسلامية أساسا على التكامل الوظيفي بين مجموعة من العناصر لتشكل في نهاية المطاف النسق العضوي، وتتمثل هذه العناصر في: المسجد الجامع الذي يعد العنصر المحوري الموحد والمهيكل للأعضاء والمنظم لحركتها، وكذا توجيه الأحياء نحوه لكي يستمد منها مركزيته وقوته بتوفيره للاستمرارية، زيادة على ذلك المسالك والأزقة التي تمثل شرايين رابطة بين الأعضاء عبر حركة تجعل من العناصر متداخلة بشكل كامل ومنسجم.

ب)- التوزيع الوظيفي والانسجام القياسي:

يقوم توزيع المجالات داخل المدينة الإسلامية على تدرج هرمي من خلال علاقة منسجمة بين الكل والجزء وهذا عن طريق تقسيم المجالات إلى مجالات عمومية تقوم على مستواها التعاملات المضبوطة بتعاليم الإسلام، ومجالات خاصة وهي المنازل حيث تمتاز بتوفير كبير لجانب الحرمة وعدم الاعتداء على الجوار، ومضمون هذا الكلام مستنبط من قول خلف الله << تتوزع الوظائف الحضرية المختلفة داخل المدينة وفق التوزيع التصميمي في انسجام كامل، فالمسجد المركزي يقوم بالوظيفة الدينية والسياسية والإدارية، والأحياء تقوم بوظيفة الاتصال والتواصل، ويقوم المحيط وهي المدينة - هو المجال الغير مبني - بالوظيفة التجارية عن طريق الأسواق، أما وظيفة العمال فهي أساسا تعتمد على الزراعة المنتشرة في المحيط >>.

ج)- المركزية:

وهي فكرة سائدة وشاملة في تصميم المدن الإسلامية حيث يلاحظ أنها تعتمد في كل مكونات المدينة، فالمدينة عموما تقوم على المركزية من خلال الساحة الكبرى أو المسجد (الصورة - 2-)، والحي يقوم على المركزية من خلال الرحبة (الصورة - 3-)، والمنزل كذلك يقوم على المركزية من خلال الفناء أو الحوش (الصورة - 4-).

الصورة (I-2): منظر عام لساحة تماسغت
(قصر موغل - بشار-)
المصدر: الباحث 2009.

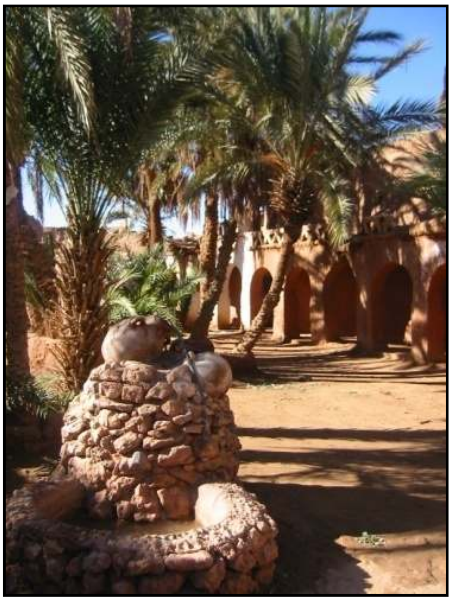

الصورة (I-3): منظر عام لرحبة القصبة
(قصر موغل - بشار-)
المصدر: الباحث 2009.

الصورة (I-4): منظر عام لساحة الدار البيضاء.
(قصر كرزاز (المرابطين) - أدرار-)
المصدر: الباحث 2009.

و<< تعود فكرة المركزية إلى البعد الفكري للمنظومة الإسلامية القائمة على المركز الذي يحتله الدين في الحياة اليومية للمسلمين، وهذا المبدأ هو عنصر بارز في النظام العضوي الكلي للمدينة، ولا تحمل المركزية مفهوما هندسيا فقط لكون المركز المقترح يمكن ألا يتطابق مع المركز الهندسي، وإنما تدل على وجود القلب المحرك للنشاطات الحضارية والمهيكل للنسيج العمراني الكلي للمدينة>>.

د)- التدرج الهرمي للمجالات:

لقد أثر مبدأ الحرمة التي يدعو إليها الدين الإسلامي على المصممين فدفع بهم إلى اعتماد مخططات عمرانية تقوم على التدرج المجالي ابتداء من المجال العمومي المتمثل في المسجد أو الساحة أو السوق وصولا إلى المجال الخصوصي وهي الدار، كما ترسم الجدران الخارجية للمنزل حدود المجال الذي ينبغي مراعاته والذي لا ينفتح على الخارج إلا بالمدخل أو فتحات محدودة ومدروسة، وقد قام الدكتور خلف الله بضبط الصفة التدرجية للمجالات كما يلي:

* تدرج تام: شارع – زقاق – درب – دار.
* تدرج نصف تام: شارع – زقاق.
* تدرج بسيط: شارع – دار.

ولتطبيق هذه الخصائص في المدن الإسلامية فإنه يستلزم وجود مجموعة من الشروط قام الدكتور خلف الله بتلخيصها كما يلي:

* أن يسوق إليها الماء العذب للشرب ويسهل تناوله من غير عسف بتوفير مصادر المياه وسهولة توصيلها إلى المدينة عن طريق مد شبكات المياه << ويرتبط مد القنوات بمستوى وجود الماء ومكان تواجده من المدينة والعوائق الطبيعية والمحدثة التي تفصل مكان الاستخراج عن مكان الاستعمال>>.
* مد شبكات الطرق والسهر على صيانتها واعتماد المعايير الخاصة بالشوارع وجعلها متناسبة ومتلائمة مع حركة المرور ومتماشية مع كثافتها.
* بناء المسجد الجامع وسط المدينة كونه محط اهتمام المسلمين وروح التخطيط لديهم.
* إنشاء السوق وتقدير حجمه تماشيا مع حاجات السكان.
* تقسيم الأحياء بين القبائل فتسكن مجموعة القبائل في حي واحد وهذا من أجل القضاء على التعصب القبلي بشكل تدريجي فتنشأ علاقات اجتماعية بين السكان وتذوب معها تلك النعرات القبلية.
* أن يجعل خواصه محيطين بها من كل الجهات للدفاع عن المدينة من مناطق متقدمة.
* إحاطة المدينة بسور منيع لتوفير الأمن للحاكم والرعية على حد سواء.
* << ... أن ينقل إليها من أهل العلم والصناع بقدر حاجة سكانها حتى يكتفوا به ويستغنوا عن الخروج إلى غيرها، وفي هذا الشرط دلالة واضحة على وجوب تعمير المدينة وضمان اقتصادها المحلي وتثقيف سكانها >>.

إن هذه الشروط السابقة الذكر لهي أكبر دليل على أن المدينة الإسلامية كانت تسعى لتوفير أكبر نفع للإنسان ودفع أغلب الأضرار عنه وفق ضوابط وقواعد عامة مستنبطة أساسا من الدين الإسلامي الذي يعد منهج حياة متكامل فضلا على أنه دين الحق.

5)- 5- 2 - قواعد تنظيم المدينة الإسلامية:

إن تنظيم المدن هو نتاج فكر إنساني بحت ينبثق أساسا من احتياجات الحياة الإنسانية وارتباطها بالعقيدة الدينية فكل يصمم حسب ما يحتاج وحسب ما تمليه عليه عقيدته الدينية، ولذا فقد كان الإسلام هو المحرك الأساسي لتصميم المدن الإسلامية وسنتطرق إلى أهم الأسس التنظيمية للمدن الإسلامية في الفصل المخصص لدراسة المدينة العتيقة.

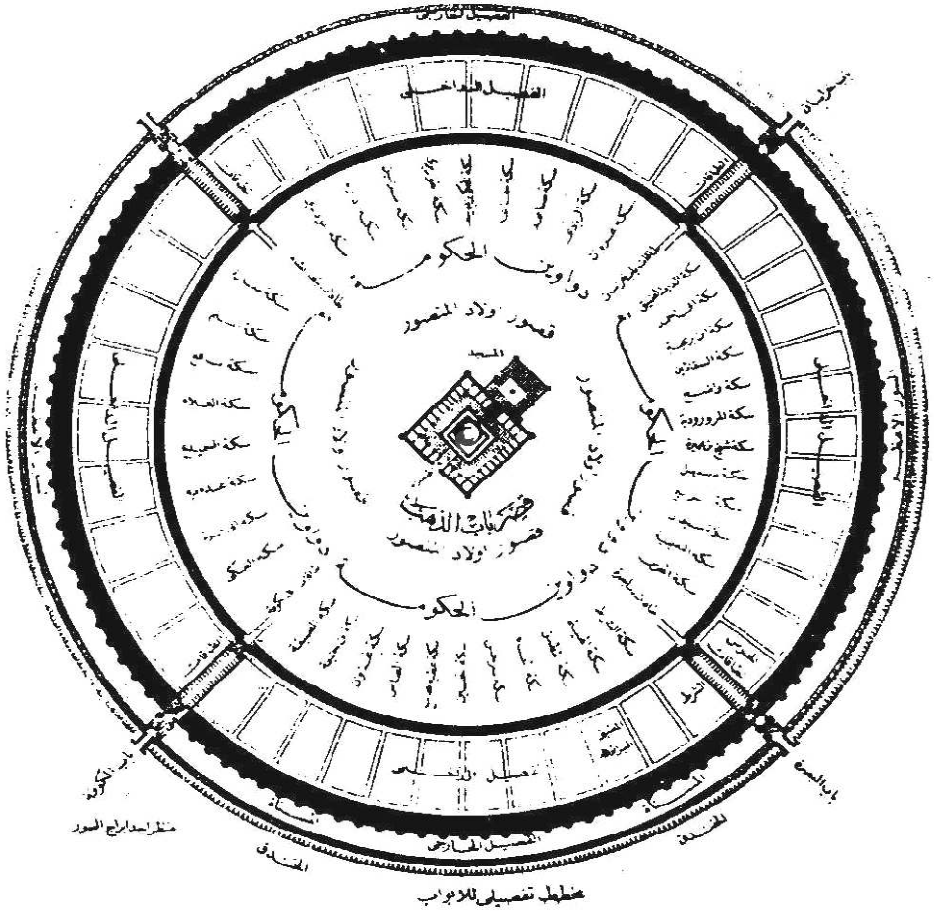

الشكل (I-3): مخطط مدينة بغداد – تمركز لكل من المسجد و القصر والسوق.
المصدر: (الخليل. س، 1992).

6)- المدينة الصحراوية:

ويقصد بها المدينة الواقعة بالصحراء أي نسبة للحيز الجغرافي الخاص بمنطقة الصحراء، لكن الاختلاف بين العلماء يكمن في تعريف ماهية الصحراء، فيعتبر الكثير من العلماء أن أي منطقة لا يسقط فيها المطر أكثر من 25 سم سنويا هي صحراء، غير أن البعض من فضل الاعتماد على نوع التربة وأصناف النباتات كأساس لتحديد المنطقة وتصنيفها، في حين أن الجمع بين كل هذه العناصر هو الطريق الذي فضلته البقية الباقية من العلماء فيطلقون اسم الصحراء على كل منطقة قليلة النبات بسبب قلة الأمطار وجفاف التربة.

(وسيتم التطرق لتعريف الصحراء بإسهاب في الفصل المخصص بالتعريف بحالة الدراسة).

ويرى (Pliez, O, 2006) تأسس المدن الصحراوية على واقع العديد من التحولات المعقدة والسريعة في ظل الكثير من التحديات المتعلقة بالثروة المائية وتسييرها وشغل المحيط والديناميكيات الاقتصادية والاجتماعية.

أما عند (J. P. Allix, 1999) فإن المدينة بالصحراء عبارة عن مفارقة.

والمفارقة المقصودة هنا هي وجود مدن وتجمعات بشرية تمتاز بالديمومة والاستقرار وسط محيط صحراوي يمتاز بالهشاشة وصعوبة العيش وهذا أمام ندرة العوامل المحفزة على استقرار الإنسان، كل هذا يدفعنا إلى التساؤل عن خصوصيات هذا العمران الصحراوي الذي سمح بإقامة تجمعات سكانية في ظل صعوبة الظروف المميزة. الصورة (I-4).

الصورة (I-5): منظر عام لمدينة بني عباس.
(التوسع الأول- بشار-)
المصدر: الباحث 2009.

7)- العمران الصحراوي:

أولا يجب علينا تحديد وضبط ماهية العمران إذ إن المهندس الإسباني (Ildefonse Cerda) يعد أول من اعتمد هذا المصطلح رسميا من خلال تصوره كعلم خاص بتنظيم المدينة ومرافقها وتحديد احتياجاتها، لكن وبإمعان النظر يتضح أن المصطلح قديم فأصول الكلمة تعود إلى المعنى اللاتيني القديم (urbs) وهي المدينة، ونظرا لتعلق العمران بالمدينة وتعقيداتها ومحتوياتها فقد تنوعت تعاريفه واضطربت، فقد عرفه الدكتور (خلف الله، ب، 2005)على أنه مقاربة استشرافية لواقع المدينة ويحاول فهم طبيعتها المعقدة والتأقلم معها بغية التحكم في صيرورتها عن طريق أدوات وآليات تسمى أدوات التهيئة والتعمير.

كما يرى البعض أن العمران هو تطبيق قواعد القديس **أيربان**(Saint Urbain).
وهو قواعد المدن والعلم الذي يدرس تقنية بناء وتهيئة التجمعات البشرية والمدن والقرى، وهو أيضا دراسة الطرق التي تسمح بتكييف السكن خاصة مع متطلبات الإنسان، وهو أيضا مجموعة التقنيات الهادفة إلى تطبيق هذه الطرائق.
وقد سرد (Pellettier ;J&Delfante ;CH ;2000) العديد من التعاريف المتعلقة بالعمران منها:
* ما يراه (GB, Forde, 1920) أن العمران هو تصحيح لأخطاء الماضي عن طريق القيام بتهيئة المجال، كما ألقى **فورد** هذه المسؤولية على عاتق الجميع مستعملين ومتدخلين.
* والعمران حسب رأي (Alfred Aghache, 1920) هو فن يلعب فيه الخيال والتشكيل دورا مهما في تطبيقاته وأوضح كذلك أنه ينبغي على العمراني أن يأخذ في الحسبان كل الآراء حسب الاختصاص كالاقتصادي وعالم الاجتماع ومختص الوقاية، ثم ترجمتها إلى اقتراحات، وهو عبارة عن فلسفة اجتماعية تهدف إلى تحقيق وتوفير أسباب الراحة والرفاهية للسكان.
* أما (F, Chaoy) فيعتبر العمران تلك الممارسات الاجتماعية الخاصة والتي حاولت بعد الثورة الصناعية بناء تنظيم مجالي مبني على أساس علمي ومتكيف مع المجتمع التكنولوجي والاقتصادي الجديد.

أما في ما يتعلق بأدوات التهيئة والتعمير فهي كثيرة ومتنوعة وقد قال **(لعروق. م. م، 2008)** << تشكل التهيئة والتعمير أقوى وأكثر الخدمات المحلية التصاقا وتأثيرا في حياة السكان لما لها من مردود فعال في توفير الخدمات والمرافق والمنشآت التي تضمن ترقية إطار المعيشة وتحسين رفاهية البيئة الحضرية >>.

وهذه الأدوات الخاصة بالتهيئة والتعمير تحدد القواعد العامة لتنظيم إنتاج الأراضي القابلة للتعمير وتحويل المبنى في إطار التسيير الاقتصادي للمجال والموازنة بين وظيفة السكن والفلاحة والصناعة والمناظر الطبيعية والتراث الثقافي والتاريخي، ويرى **خلف الله** أن كلا من التخطيط والتعمير والهندسة المعمارية عناصر متداخلة جدا وهي عناصر محتواة ضمن بعضها البعض فالكبير يحوي الصغير وأكبرها هو التخطيط وهو على ثلاثة مستويات:

أ)- الرسيمة الوطنية لتهيئة الإقليم (SNAT):

وهو أين يمكن للدولة أن تكشف عن أهدافها الكبرى، وهو عبارة عن نافذة للاختيارات التي ينبغي أن تكون مسجلة في إطار الحداثة، وهو أساسا يقوم على أربعة (04) خطوط عريضة:

أ)- 1 – استدامة الثروات: وتقوم هي الأخرى على خمسة مبادئ أساسية هي:

- استدامة الثروات المائية.
- ضمان التوزيع اليومي للثروات.
- حماية وتثمين الأنظمة البيئية.
- الوقاية من الأخطار الكبرى.
- الحفاظ وتثمين المعطيات الثقافية المختلفة.

أ)- 2 – إعادة التوازن للإقليم الوطني: ويقوم هو الأخر على مبادئ أساسية هي:

- التقليل من الهجرة نحو المدن الكبرى بإقامة أقطاب للاستقطاب البشري.
- تنمية الجنوب وتأسيس صندوق الجنوب.
- إعادة موضعة بعض النشاطات.
- التوازن الجهوي.

أ)- 3 – الوصول إلى جاذبية وتنافسية الأقاليم.

أ)- 4 – تحقيق المساواة الاجتماعية والتوازن بين الأقاليم.

ب)- الرسيمة الجهوية لتهيئة الإقليم (SRAT).

ج)- مخطط تهيئة الولاية (PAW).

د)- المخطط العمراني التوجيهي (PUD):

وهو أول أداة عمرانية في الجزائر بعد الاستقلال، وهو مخطط استشرافي يبين كيفيات استعمال المجال في مدة زمنية محددة ويهدف إلى:

* التسيير العقلاني للمجال الحضري ضمن ما يسمى بالمحيط الحضري والذي يتم استنفاده في مدة (20) سنة.

* التجاوب مع حاجيات السكان من حيث السكن والمرافق العامة، ويحتوي على وثائق كتابية وأخرى بيانية بحيث تكون الوثائق الكتابية مقسمة إلى أربعة (04) مراحل:

- مرحلة المعاينة.
- مرحلة التحليل.
- مرحلة الاقتراح.
- مرحلة التقنين (مخطط شغل الأراضي).

ويعتبر المخطط العمراني التوجيهي أحد قرارات قانون نزع الملكية من أجل المنفعة العامة سنة 1975م بحيث أصبحت البلديات مجبرة على إعداد مخطط عمراني توجيهي، وقانون نزع الملكية من أجل المنفعة العامة جاء كدعم لقانون الاحتياطات العقارية البلدية سنة 1974م والمعروف بقانون (74/26) والذي بعد الشعور بضرورة التدخل للتحكم في نمو المدن لأنها بدأت تأخذ شكلا فوضويا.

ونظرا للنقائص الكبيرة التي عانى منها هذا المخطط فقد توجهت الجزائر إلى قانون جديد بسبب صدور قانون جديد عقب دستور فبراير 1989م، ففي قانون 1989/02/24م تغير الدستور وأصبحت الملكية حقا دستوريا ومنه ألغي قانون نزع الملكية وجاء قانون جديد للتهيئة العمومية وهو قانون (90/30) وهو قانون محدد للتهيئة والتعمير بحيث أصبح لزاما على كل البلديات إعداد مخطط التهيئة والتعمير(PDAU).

ه)- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير (PDAU):

هو مخطط عمراني يهدف إلى رسم صورة استشرافية لبلدية معينة أو مجموعة بلديات ومدته النظرية (30) سنة أما عمليا فهي (20) سنة، << وهو أداة للتخطيط والتسيير الحضري يحدد التوجهات الأساسية للتهيئة العمرانية للبلدية أو البلديات المعينة أخذا بالاعتبار تصاميم التهيئة العمرانية ومخططات التنمية ويضبط الصيغ المرجعية لمخطط شغل الأراضي >>.

(المادة -16- من القانون 90/29 المؤرخ في 1990/12/01م والمتعلق بالتهيئة والتعمير)

وهو عبارة عن نقل حرفي لما وقع في الرسيمة التوجيهية للتهيئة والتعمير الفرنسية المعروفة اختصارا بـــ (SDAU) الناتجة عن قانون التوجيه المعماري والعمراني سنة 1967م الذي يهدف إلى توسيع المدينة وفق مخططات (SDAU).

و)- مخطط شغل الأراضي (POS):

ويغطي جزء من تراب بلدية << ويحدد بالتفصيل في إطار توجهات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير حقوق استخدام الأرض والبناء >>.

(المادة -16- من القانون 90/29 المؤرخ في 1990/12/01م والمتعلق بالتهيئة والتعمير.)

ي)- رسيمة التناسق الإقليمي (SCOT):

وهو وثيقة ما بين البلديات تسمح بتهيئة المجال بطريقة متناسقة، وهدفها الأساسي هو إعطاء السياسات العمرانية للبلدية نظرة موحدة وأن توافق عليها، وهذه الأداة تفرض نفسها كوثيقة محلية للعمران وتتمثل مهمتها في تعويض مكان الرسيمات التوجيهية لأنها تحتوي على معلومات أكبر وأسهل للتسيير ومدتها (10) سنوات ويعتبرها الكثيرون أداة للتشكيل العمراني وليس مجرد أداة قانونية.

م)- المخطط المحلي للتعمير (PLU):

ويأتي بعد مخطط شغل الأراضي وتعطى فيه الأولوية للعمران وليس للجانب القانوني، فللمصمم الحق في إبداء رأيه ولو بمخالفة بعض القوانين التي تتعارض مع التعمير.

ن)- مخطط التهيئة والتنمية المستدامة (PADD):

وهو وثيقة عمرانية تهدف إلى تحقيق الأهداف السياسية العمرانية في العمران والسكن والتنمية الاقتصادية والترقية وتنقل الأفراد والسلع وتوقف السيارات وتنظيم حركة المرور، وهو يدمج بين مخططين بلديين هما: (PCD) ومخطط التهيئة العمرانية (PAU).

وينقسم العمران من حيث الأدوار التي يقوم بها والوظائف التي يؤديها نحو المدينة إلى قسمين أساسيين :

* العمران الوقائي:

هو الذي يستبق المشاكل ويحضر لها الحلول المستقبلية، فهو يقوم على الاستشراف كالعلم الذي يقوم على التنبؤ بما سيكون عليه المجال في آفاق محددة وفق معايير إحصائية مضبوطة، فهو قائم أساسا على التوقع وهناك من يدرجه ضمن العمران الاستشرافي (L'urbanisme prospectif).

* العمران العلاجي:

وهو عمران يتدخل على وضعيات قائمة ويقوم بتحليل الوضعية ومن ثم الاستنتاج والتدخل وله أدوات.

وقد لعب العمران دورا هاما وأساسيا في تشييد المدن والمنشآت عبر التاريخ، فقد اعتمدت الحضارات السالفة على العمران في تنظيم مدنهم على غرار الحضارة الفرعونية والبابلية اللتان اعتمدتا في تنظيم مدنهما التوافق مع التمايز الاجتماعي من خلال تدرج وفصل المجال المدني وفق الطبقية السائدة، أما عن الرومانيين واليونانيين فقد أبدعوا في التنظيمات العمرانية على واقع انعكاس النشاطات الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والسياسية على الحياة اليومية وما ينجر عنها من مساعي لإيجاد الحلول في ما يخص التوسعات المستقبلية.

أما بالنسبة للعمران ضمن القرون الوسطى فامتاز بتلاحم الكتل المعمارية جراء التكتل المجسد والغالب على أفراد المجتمع يومئذ، أما عن عصر النهضة الأوربية فقد اتجه نحو إتباع الفكر والمدرسة الكلاسيكية اليونانية والتي تستند معالمها على إظهار الهيبة والضخامة من خلال تخطيط ميادين رسمية على محاور ضخمة للحركة تقام بها الحفلات والمهرجانات الرسمية، وأما عن القرن الثامن عشر (18)م فقد تميز بظهور تحولات كبيرة مست المدن على كل المستويات من خلال تداعيات الثورة الصناعية ومساهمتها في تطوير المواصلات والتزايد الهائل للسكان وتركز أغلبهم في المدن مما نتج عنه مشكلات عمرانية جد معقدة تطلبت نظريات عمرانية بغية التخفيف من هاته المشاكل فنتجت العديد من التيارات والمدارس المختلفة أهمها التيار التقدمي والتيار الثقافي.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين (20) شهدت أوربا عمليات إعادة إعمار جراء الحرب العالمية الثانية وما خلفته من دمار شامل وكان المطلوب هو سرعة الإنجاز وبأكبر عدد ممكن، فظهرت المكننة وهي إدخال عنصر الآلة فنتج عن كل هذا القطيعة بين المدينة العتيقة والأخرى الحديثة أدى هذا إلى بروز عدة مدارس تدعوا إلى ضرورة دمج النسقين القديم والحديث ولعل أبرزها هي:

* مدرسة الاسترجاع (Recupero):

وهي مدرسة ايطالية دعت إلى ضرورة الدمج بين المدينتين القديمة والحديثة والمطالبة بعدم إهمال دراسة المدينة العتيقة، وظهرت هذه المدرسة في سنوات السبعينيات.

* مدرسة بولونيا:

وهي مدرسة ايطالية أيضا ويعد (Aldo Rossi) و (Muratori) من أهم منظريها، وقد ذاع

صيتها حتى أصبحت مبادئها مدمجة إجباريا في المسار الدراسي للهندسة المعمارية حتى تفهم وأصبحت مدينة بولونيا مقصدا للطلبة لاقتباس المبادئ منها.

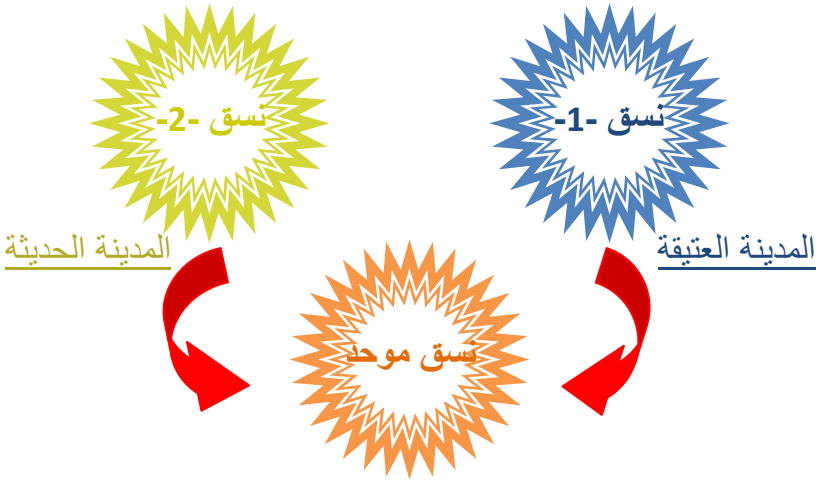

الشكل (I-4): مخطط عام يظهر أهم مبادئ مدرسة بولونيا - إيطاليا -
المصدر: الباحث 2011.

ومن كل ما سبق يتضح لنا جليا أن العمران هو علم يهدف إلى حل المشاكل التي تتخبط فيها المدينة مع التخمين لمستقبل مزهر في ظل التغيرات السائدة بالمدينة.

لقد تميز العمران في المناطق الصحراوية بالوتيرة الجد متسارعة أرجع الكثير من الباحثين على غرار (Bisson V, Bisson J, 2002) أسبابه إلى اقترانه بالاكتشافات المتعلقة بالموارد المعدنية والغازية (النفط، الغاز، الحديد، الفوسفات، ...) تطلبت خصوصية في البنية التحتية لتلك المناطق مما جعل منها قطبا لجلب السكان والاستقرار بها وممارسة مختلف الأنشطة الاقتصادية، وأما عن (Cote, M, 2005) فقد تخصص في الدراسة لإقليم الصحراء المنخفضة بالجنوب الشرقي الجزائري وقال إنه يوجد ما يسمى بميكروعمرنة (Micro-urbanisation) وهو التعمير المتسارع بالمنطقة وأن حقيقته تعود إلى ما قبل هذه الآونة لكن بحدة ووتيرة أقل مما هو عليه اليوم، نفس الأمر أكده (Ferhi , A, 2005) في دراسته للتجمعات البشرية بمنطقة الصحراء المنخفضة مع تأكيده على وجود أقطاب ثلاثة (03) ميتروبولية تمتاز بالنمو الكبير والمتسارع مقارنة بما يحيط بها من تجمعات سكانية صغيرة فنتج ما يسمى بظاهرة كبر الرأس أو ما يعرف بـ (Macrocéphalie) لهاته الأقطاب الثلاثة وهي بسكرة عاصمة الزيبان، والوادي عاصمة وادي سوف، وتقرت عاصمة وادي ريغ حيث تعدى القاطنون بها 100,000 نسمة.

ونفس هذه الظاهرة سجلت أيضا في منطقة الصحراء الغربية بالجزائر وبالضبط في مدينة بشار حيث سجل تجمع وتركز للتجمعات الحضرية حول المركز بشكل كبير مقارنة بالتجمعات الأخرى، في حين لم تسجل ظاهرة (Macrocéphalie) في باقي أقاليم المنطقة (الساورة، التوات، القورارة) حيث لوحظ وجود نوع من التجانس بين التجمعات السكانية. (الشكل -05-).

أما الدكتور (علقمة، ج، 2005) فقد نحى منحى آخر من خلال تكلمه وتطرقه إلى خصوصية العمران بنفس المنطقة وأشار إلى قوة العمران في التجمعات التي فاق تعداد السكان بها 100,000 نسمة ولاح بالضوء إلى عظم المشاكل الناجمة عن هذا العمران من خلال تسيير الموارد المائية والمحافظة على المحيط عموما.

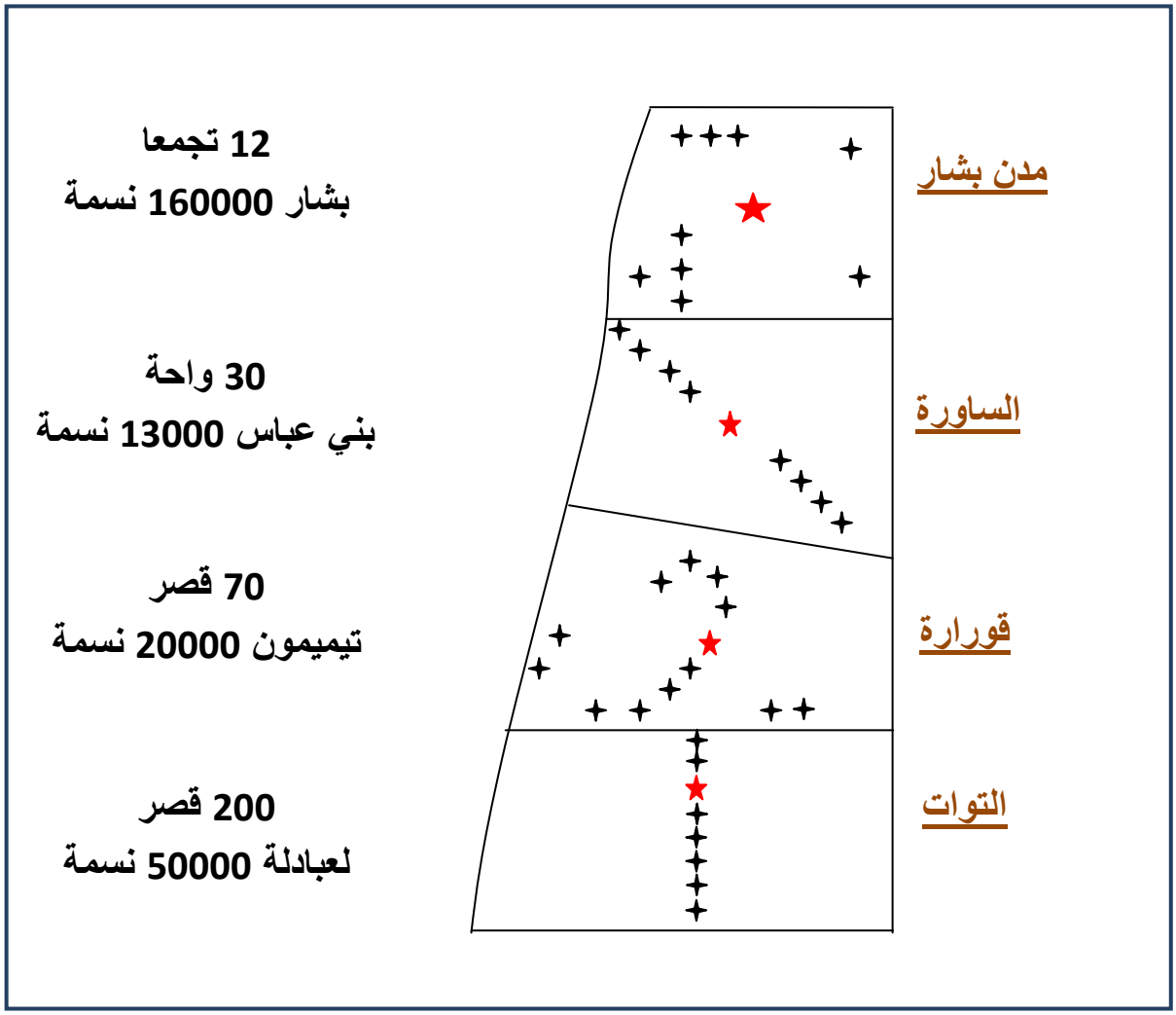

الشكل (I-5): التنظيم الإقليمي للصحراء الغربية الجزائرية.

(ملخص الجولة العلمية - 2009 -).

المصدر: (COTE, Marc, 2009).

8)- خصائص المدن الصحراوية:

بعد تطرقنا إلى العمران الصحراوي كان لزاما علينا التكلم عن خصائص ومكونات المدن الصحراوية ومسار نموها وتطورها عبر الزمن:

8)- 1- الواحة:

وتكون قريبة من مصادر المياه سواء أكانت جوفية قريبة من السطح أو على ضفاف وحواف الأودية والأنهار العابرة للصحراء، وتكون غالبا مكسوة بغطاء نباتي. (الصورة - 06 -).

وأما (R-Capot-Rey, 1953) فيرجع أصل كلمة واحة إلى اللغة المصرية القديمة.

وأما(Bernard, A, 1939) فقال أنها قبطية الأصل وهي ألواح وتعني مكان الإقامة.

هذا لغويا، أما اصطلاحا فقال (Lévy, J & Lussault, M, 2003) " أنها مكان مسكون ومعزول في محيط قاحل وعدائي متعلق بإمكانية استغلال مصادر الماء من أجل ممارسة الزراعة المسقية."، وأما (Retaille, D, 1989) فقال إن الواحة هي مكان للاستقرار وتضم قصرا ومدينة ومحيطا غذائيا ويقصد بها غابة النخيل.

الصورة (I-6): منظر عام لواحة (قصر تاغيت- بشار-)

المصدر: الباحث 2009.

8)- 2- القصر والمدينة:

إن استعمال كلمة القصر في الصحراء لا يعني ذلك المكان الذي يسكنه الملوك والسلاطين وإنما هو المدينة القديمة أو التجمع السكاني في المدن القديمة (الصورة -07-)، وغالبا ما تؤسس هذه بسبب وجود مصادر المياه (منابع مياه، أودية، ...) إضافة إلى العوامل الأمنية التي تتحكم في طريقة بناء القصر.

وقد تنوعت التعاريف التي تدور حول القصور فعرفها (عبد الجواد. ت، 1970) أنها << عبارة عن مجموعة من المباني الإدارية والسكنية المحصنة لتفادي هجوم الأعداء، وتكون محصنة بأسوار وأبواب وأبراج مراقبة.>> (الصورتان -08-09-)

الصورة (I-7): منظر داخلي عام لقلعة حلب - سوريا -
المصدر: الباحث 2009.

الصورة (I-8): منظر عام للمدخل الرئيسي والسور والخندق بقلعة حلب - سوريا -
المصدر: الباحث 2009.

الصورة (I-9): منظر عام لقلعة الإسكندرية - مصر -
المصدر: الباحث 2009.

واعتبر (MAZOUZ, S, 2005) القصر دالا على المفهوم الحقيقي والصريح للفظ وهو القصر أي (Palais) وهي مجموعة من الحصون ممتدة من جنوب المغرب الأقصى إلى الجنوب التونسي وهي عبارة عن تجمعات صحراوية تم تشييدها قديما ويكون بها الطابع الريفي، وأما عن تموضعها فبسبب الجانب الدفاعي وحفاظا على مصادر المياه والتربة الخصبة نجد هذه القصور متموضعة على أرضية صخرية مرتفعة (الصورة -10-)، وهي كما يلاحظ نظرة ذكية وتصرف حكيم من أجل المحافظة على مصادر الزراعة وللأسف نجدها مهملة بشكل كبير في أيامنا هذه فأغلب التوسعات لا تراعي أبدا هذا الجانب المهم.

الصورة (I-10): منظر عام لقصر غرداية بالصحراء الجزائرية.

المصدر: (Jeandroz. P & Chateher. P, 2004)

أما (Dorier, Apprill, 2001) فيعتبر أن المدينة الإسلامية الكلاسيكية هي الأساس في تعريف المدينة وقال أنها تكون محاطة بجدار وهذا للحماية من الاعتداءات الخارجية ومهيأة بمبان دينية وتمتاز بهيكلة متراصة مع طرق ضيقة ويكثر بها التعرج والالتواءات وتكون مقسمة إلى مناطق سكنية وأسواق.

وقد تعرض (Chaline; C; 1996) إلى خصائص المدن العربية الإسلامية ولخصها كما يلي:

- تركز جغرافي لنشاطات التداول والإنتاج في منطقة الأسواق.
- استمرارية الكثافة في النسيج المبني.
- ديمومة الملامح الخارجية للإسلام مجسدة بأماكن العبادة والتعليم.
- البراعة في الاستجابة المعمارية والعمرانية للتقليل من شدة الحرارة الصيفية من خلال ضيق الشوارع، وفرة المجالات المفتوحة الداخلية، السطح المستعمل كملحق.

9)- خصائص النسيج العمرانى:

إن الحضرية تمثل تغييرا في النمط الكلي للحياة الاجتماعية، فقد تكون في ذاتها نتاجا لتطورات مجتمعاتية غير أنها كانت رغم عمرها القصير نسبيا ذات تأثير فعال في كل مظاهر الوجود الإنساني، ولا تزال عملية التحضر واقعة ومستمرة ومازال الكثير من نتائجها ومشكلاتها يمثل واقعا تعيشه أجزاء عديدة من العالم اليوم، كما أن اتجاهاتها المستقبلية لا تزال أمورا يصعب التكهن بها.

فبالملاحظة المتفحصة للتجمعات الحضرية نجد أن عناصرها تمر بمراحل مختلفة طيلة فترات حياتها، فالتجمعات الحضرية متغيرة إما شكليا أو وظيفيا، وهذا التغيير إنما هو تبع لمتغيرات أخرى مختلفة، وقد أدى هذا التغيير على مستوى الحيز الفيزيائي للأنسجة العمرانية إلى إحداث فجوة كبيرة بين العمارة القديمة والحديثة ونشوء أنسجة عمرانية غير متجانسة وغير متوافقة، وقد أكد الدكتور (علقمة، ج، 2005)على ذلك بقوله << إن واقع التجمعات بالصحراء ونشوء هذه التطورات العمرانية وذلك بتوضع لأنسجة عمرانية غير متجانسة ومن دون أي توافق لم تستطع أن تعطي صورة لمدينة متوازنة مع بيئتها، وكذلك أدى هذا التموقع إلى ظهور أنماط جديدة من العمارة غير متوافقة مع المعطيات المناخية والبيئية وحتى التطور على حساب عمارة طالما شكلت الصورة الحقيقية والمتزنة لعمارة محلية وأفقدتها عناصرها ومدلولاتها وأصبحنا نرى من يوم لأخر ظهور عمارة رديئة منقولة من دون مهارة ولا إتقان لما ينتج بمدن الشمال والتي تشكل عنصرا دخيلا على بيئة الأحياء العتيقة والواحات التي أصبحت تعرف الموت والاندثار البطيء.>>

وسنحاول التطرق إلى مختلف أنماط التغيرات التي تطرأ على مستوى الأنسجة العمرانية.

9)- 1- مفهوم النسيج العمرانى:

يرى كل من (Marlin, P & Choay, F, 2000) أن النسيج العمراني يشبه الخلايا المبنية والفراغات العمرانية بتشابك خيوط النسيج، فهو يعتبر مجموعة من عناصر الإطار العمراني الذي يكون الكل المتجانس، وقالا إن النسيج العمراني هو التغيير الفيزيائي للشكل العمراني ويتكون من مجموعة من العناصر الفيزيائية (الموقع، الشبكاتية، التحصيصات، النسبة بين ما هو مبني وغير مبني، البعد، الشكل والطراز) وتضاف إليهما العلاقات التي تربط بين كل هذه العناصر، وخلص الباحثان إلى " أن النسيج العمراني هو جزء ومظهر لجزء من المدينة، حيث إنه إن كان متجانسا فإننا نميز عدم وجود الاختلاف بين العناصر المذكورة سالفا."

أما الباحثان(Duplay, M & Duplay, C, 1982) فقد قدما ثلاث صيغ للنسيج العمراني:

* معماريا: أين يعتبر النسيج العمراني للمدينة كشيء مركب.
* عمرانيا: أين تعتبر المدينة ككل كأرضية مقسمة وظيفيا لتصل بنا إلى النماذج.
* معماريا وعمرانيا معا: أين تعتبر المدينة كنسق، وهي الطريقة المثلى لدراسة الأنسجة العمرانية الموجودة ضمن تعقيداتها وتراكيبها دون تجاهل لأي عنصر.

كما استنتج (Panerai, Ph, 1987) أن كلمة النسيج وبالنظر إلى معناها ومدلولها يمكن إرجاعها إلى مفهومين أساسيين:

أولهما: النسيج المحاك وما يضمه من أفكار للاستقامة والتنظيم والتراص وهو موافق للكلمتين (شبكة ونسيج).

ثانيهما: النسيج البيولوجي وما يحويه من أفكار من جهة إمكانية التطور والتأقلم مع الشروط المستجدة وكذا الأمراض التي يمكن أن تصيب النسيج فتحول دون تطوره ونمائه.

وأما من جهة التركيب والبناء فيرى الباحث نفسه أن النسيج العمراني مركب من ثلاث (03) مجموعات كبرى هي:

* مجموعة المجالات الحرة:

وهي الشوارع والساحات والطرق الضيقة والطرق المحدودة والنهج والطرق الواسعة والمنظمة على أساس شبكي متواصل ومتعرج.

* مجموعة التحصيصات:

والتي تعبر عن التجزئة العقارية في حالة قبلية أو نتاج تقسيم إداري(Lotissement).

* مجموعة المباني:

المباني العشوائية، المباني المخططة، المتاجر، المباني الخاصة مثل المعالم والمرافق.

وذهب (Gauthiez, B, 2003) إلى أن النسيج العمراني هو نتاج تهيئة المجال وكذا العلاقات في ما بين عناصره: كالتوضع ونمطية المباني والتحصيصات والطرق وشكل المجالات الحرة والارتباط بعوائق الموقع.

9)- 2- تطور الأنسجة العمرانية:

أكد (Peneau, J-P, 1987) أن النسيج العمراني يعتبر كالكائن الحي يضم هيكلة متغيرة وقابلة للتطور، غير أن تطور النسيج العمراني يمكن أن يأخذ أشكالا مختلفة من حيث التجانس والتواصل، فتطور الأنسجة العمرانية يمكن أن يكون متصلا ومتلاحما ومترابطا ارتباطا مباشرا بالمركز القديم للمدينة فيتكون لدينا نوع من التكثف للنواة القديمة الأصلية وما يليها من توسعات عمرانية مستحدثة (الشكل -06-)، وقد عرف (خويش. م. خ، 2003) النواة القديمة على أنها << مجموعة من الأبنية وساحات الفضاء تشمل المواقع الأثرية التي تشكل مستوطنا بشريا في بيئة حضرية أو ريفية، ويعترف بقيمتها من الناحية الأثرية أو المعمارية أو التاريخية أو الجمالية أو الاجتماعية أو الثقافية >>.

كما يمكن للنسيج العمراني أن يتطور بشكل منقطع عن النواة الأولى حيث نلاحظ وجود فراغات مفتوحة في شغل الإقليم بين النواة القديمة والتوسعات الجديدة (الشكل -07-).

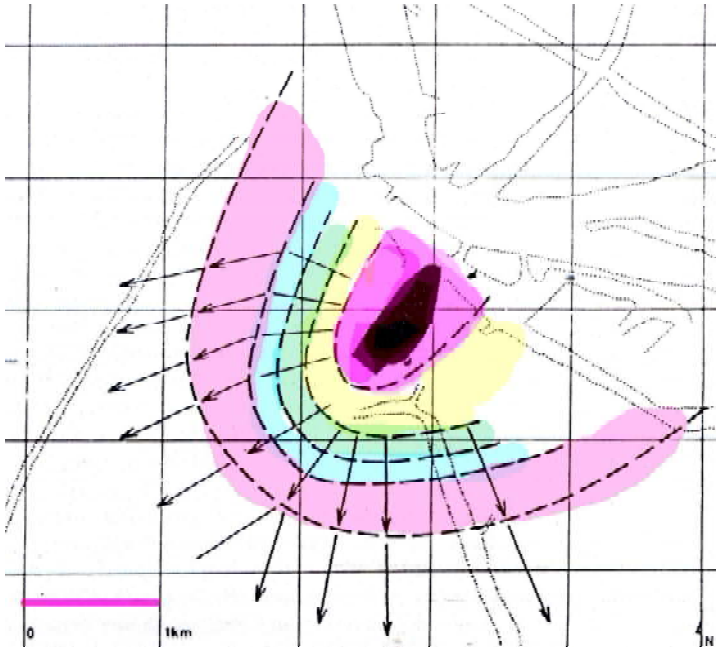

الشكل (I-6): التطور المتواصل للنسيج العمراني لمدينة أمستردام (تطور إشعاعي).
المصدر: مدوكي. م، 2010.

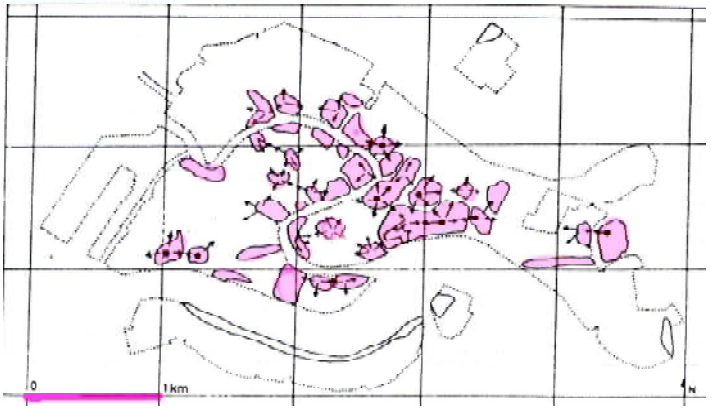

الشكل (I-7): التطور المنقطع للنسيج العمراني لمدينة البندقية.
المصدر: مدوكي. م، 2010.

وإذا ما دققنا النظر في عبارة تطور الأنسجة العمرانية فإنه يتضح لنا وجود مركز أولي يأخذ في التطور وفق منحى معين تتحكم فيه عوامل، وهذا المركز الأولي والمنحى أطلق عليهما الباحث (Philippe Panerai) اسم عناصر التنظيم ويمكن ذكرهما بالتفصيل كما يلي:

9)- 2- 1 – قطب التطور:

وهو النواة الأساسية والنقطة المرجعية التي تبدأ منها عمليات النمو والانتشار والتوسع للأنسجة العمرانية وفق عدة خطوط تطورية وهذا بوجود قطب أحادي للتطور وهي الحالة العادية والأكثر شيوعا كما في الشكل (08)، وقد يكون هذا التوسع والانتشار بوجود قطبين أو أكثر وهي الحالة المعقدة المعروفة باسم (Bipolaire) أي ثنائي القطب كما في الشكل (09).

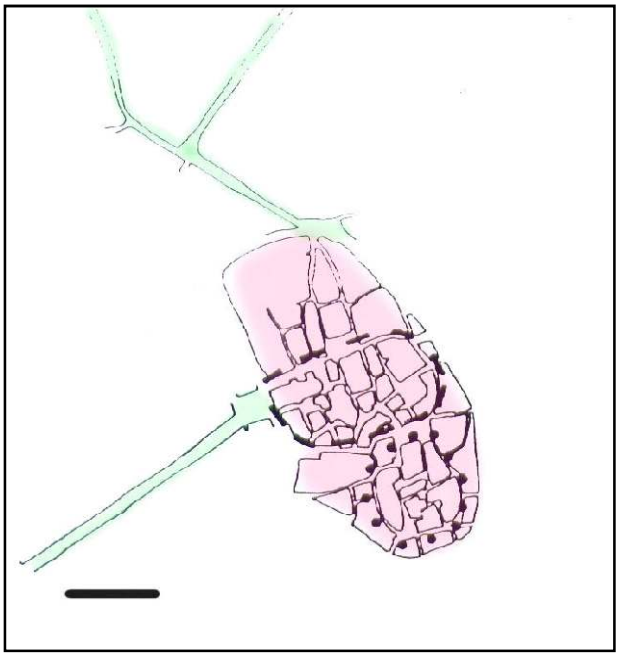

الشكل (I-8): انطلاق تطور المدينة من قطب أحادي، مدينة Rodez بفرنسا.
المصدر: مدوكي. م، 2010.

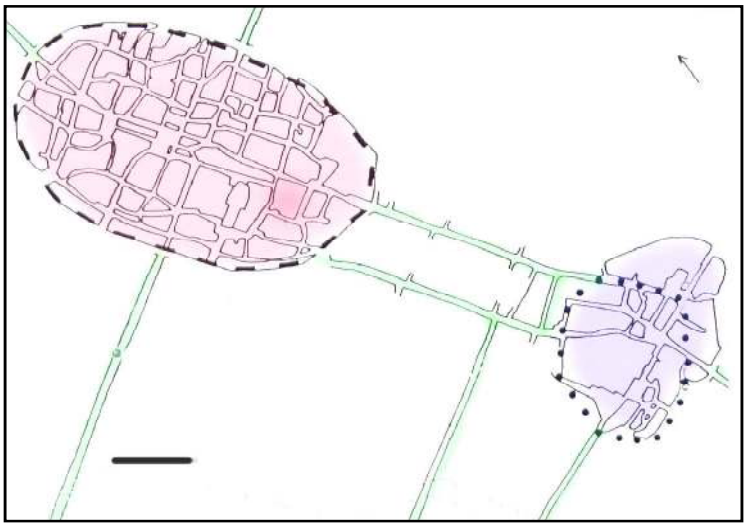

الشكل (I-9): انطلاق تطور المدينة من قطبين - مدينة Reims بفرنسا
المصدر: مدوكي. م، 2010.

9)- 2- 2 – خط التطور:

وهو المنحى الذي تأخذه التجمعات الحضرية والأنسجة العمرانية في مراحل نموها وتطورها وهي مختلفة ومتنوعة فيمكن تمييزها وفقا لاتجاه تطور التجمعات السكانية على طول الطرق وكذا خطوط الأنهار والأودية والسكك الحديدية، ويمكن أن تكون خطوط تطورية ذات صيغة طبيعية وتكون موجودة قبل التعمير، وقال (Panerai, Ph & Panerai, Al, 2002) أن وظيفة خطوط التطور لا تنحصر في صيغة الطرق المميزة بتراصف المباني على جانبيها، لكن تتعدى إلى الربط بين الأقطاب وضبط التطورات الثانوية والتكثفات العمرانية وهيكلة المجال العمراني.

9)- 3- العوامل المتحكمة في تطور الأنسجة العمرانية:

إن تطور الأنسجة العمرانية لا يتم اعتباطا ولا يأتي صدفة، وإنما هو نتيجة دراسة خاضعة لعدة عوامل تتحكم بشكل كبير ومهيمن على شكل التطور لهذا النسيج العمراني، وأكبر هذه العوامل وأهمها عاملان أساسيان هما:

9)- 3- 1 – العوامل الطبيعية:

فهي تلعب دورا أساسيا في التأثير على مخطط الأنسجة العمرانية حيث نجدها تتحكم في شكل تطور الأنسجة العمرانية وتلعب دور الموجه لها، وعلى سبيل المثال لا الحصر المدن الكائنة أسفل وبمحاذاة الوديان والأنهار نجدها تنمو وتتطور على ضفافه وحوافه على غرار مدن Tulle بفرنسا و Liège ببلجيكا.

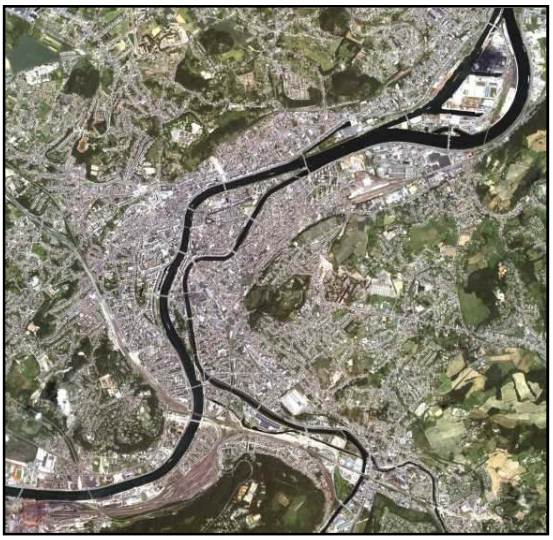

الصورة (I-11): منظر عام لمدينة (Liège) - بلجيكا-

المصدر: موسوعة ويكيبيديا 2011/04/26

الصورة (I-12): منظر عام لمدينة (Liège) - بلجيكا-

المصدر: موسوعة ويكيبيديا 2011/04/26

الصورة (I-13): منظر عام لمدينة (Tulle) - فرنسا-

المصدر: موسوعة ويكيبيديا 2011/04/26.

كما تتحكم منحيات التسوية في مسارات الشوارع فنجدها تساهم وبشكل واضح في التأثير على شكل الأنسجة العمرانية وهذا بإكسابها الطابع المركزي.(الشكل -10-).

الشكل (I-10): المخطط المركزي لمدينة New Orléans بالولايات المتحدة.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

أما المناخ فإن اكبر تأثير يمثله يكمن في تأثيره على توجيه الشوارع وهذا اتقاء الرياح الضارة والسائدة ونجد هذا عند السومريين والإغريق.

9)- 3- 2 – المخططات المروضة من قبل الإنسان:

أين يكون تخطيط المدن وتوسعها ونموها خاضعا لقرارات مفروضة من قبل الإنسان وفقا لقرارات إدارية تستند على أسس وقوانين قابلة للتنفيذ، وكمثال على ذلك أشغال هوصمان وتدخلاته على العاصمة باريس (الشكل -11-)، وقد تكون هذه المخططات لا تولي أي اهتمام للمعطيات الموجودة من قبل في الموقع كما هو الحال في مدينة سان فرانسيسكو بالولايات المتحدة حيث أن مخططها الشطرنجي يمر عبر نتوءات جبلية أوجدت شوارع ذات انحدار شديد.

الشكل (I-11): الرسومات التي عدل بها هوصمان النسيج العمراني الباريسي
المصدر: (مدوكي. م، 2010).

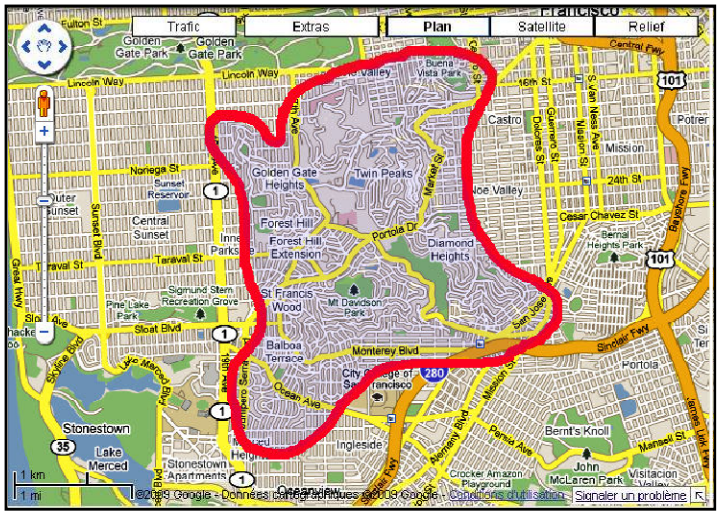

الشكل (I-12): الاختلاف بين شكل مخطط المدينة (الشطرنجي) وطبيعة الأرضية.
مدينة سان فرانسيسكو - الولايات المتحدة -
المصدر: (مدوكي. م، 2010).

9)- 4- أشكال تطور الأنسجة العمرانية:

لقد أخذت العمارة الإسلامية منحى جديدا ومفاجئا نحو تتبع حركة معمارية وعمرانية جديدة غربية وغريبة عن هذه المجتمعات شكلت انقلابا وتحولا وسط هذه التجمعات العمرانية التي لها تاريخ بعيد وممتد عبر تعاقب السلطات والحضارات لعدة قرون من الزمن.

إن الأنسجة العمرانية اليوم تشهد مواجهة بين عالمين أحدهما متحضر ومتمدن يضغط وبقوة على عالم قديم ويحاول كبت وظائفه الحيوية ومقوماته الاجتماعية وإرثه الثقافي والحضاري، فأصبحت المدينة اليوم عبارة عن فسيفساء اجتماعية ومجالية دون تجانس لأن مجالها الحضري يمتاز بالتمزق.

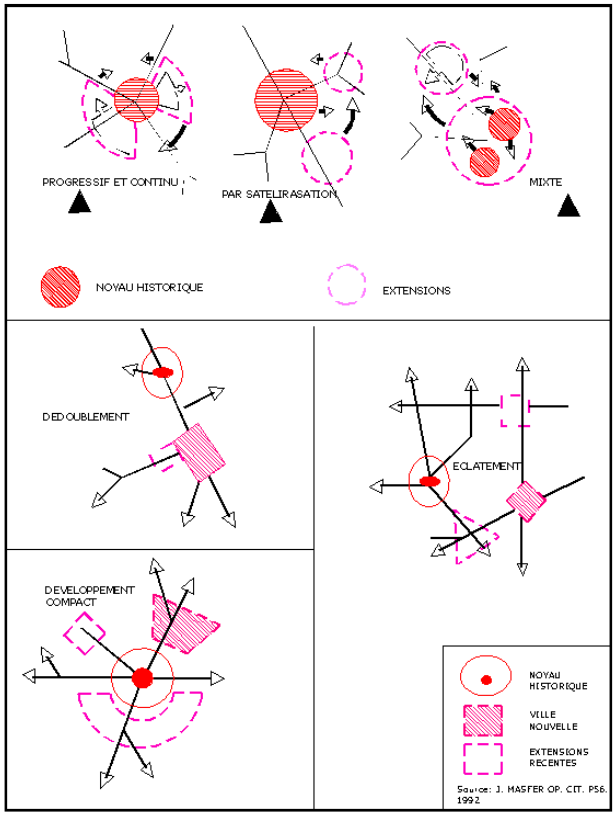

الشكل (I-13): أشكال تطور المدن استنادا إلى أنويتها القديمة.
المصدر: (Kadri, S, 2006).

9)- 4- 1 - التطور بتضاعف الأنسجة العمرانية:

ويكون بخلق نسيج عمراني جديد ومعزول عن النواة الأصلية التي لم تعد قابلة للتوسع مع الزيادة الدائمة والمستمرة للكثافة السكانية، وهنا في هذه الحالة يكون التوسع حتما لا مفر منه أي يكون إلزاميا، كما يمكن أن يكون عن قصد ونذكر كمثال على ذلك مدينة فاس بالمغرب الأقصى ومدينة ميلة بالجزائر ومدينة تونس العاصمة.

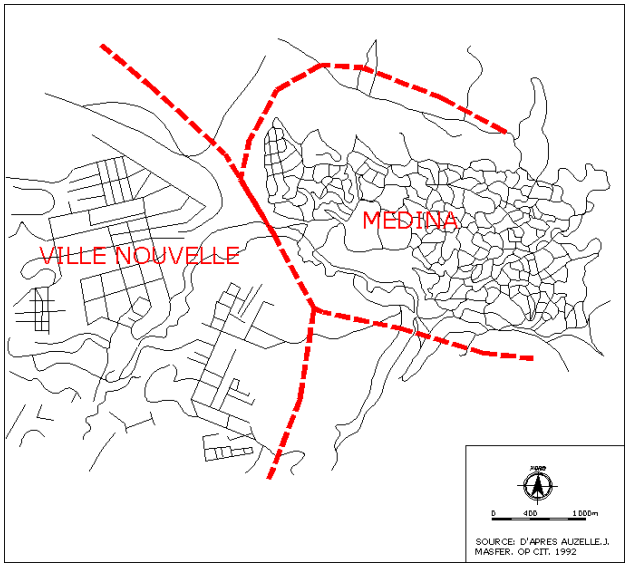

الشكل (I-14): تضاعف النسيج القديم بمدينة فاس - المغرب-
المصدر: (Kadri, S, 2006).

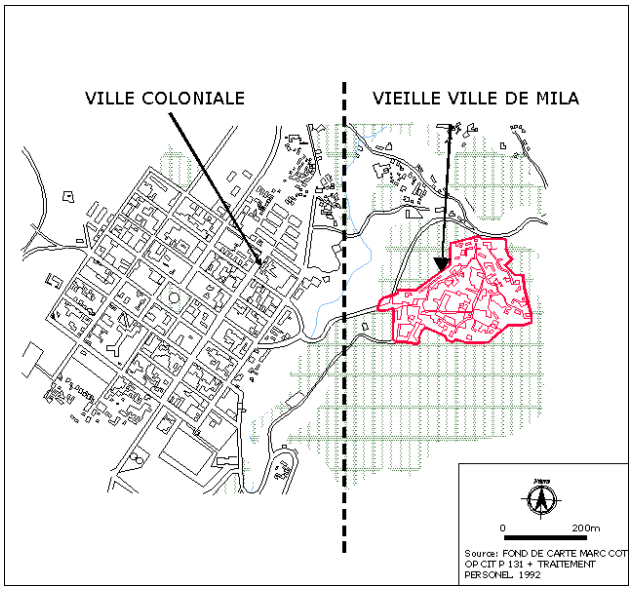

الشكل (I-15): تضاعف النسيج القديم بمدينة ميلة - الجزائر-
المصدر:(Kadri, S, 2006).

وفي هذا النمط من أنماط التوسعات نشهد وجود مشاكل في الربط والتواصل بين الأنسجة الجديدة والقديمة حيث تبدأ تظهر حالة من الموت والاندثار البطيء للنسيج العتيق وذلك بظهور مكونات ومرافق عمرانية جديدة داخل الأنسجة الجديدة لا تمت بأي علاقة للنسيج العتيق لا على مستوى المخطط المجالي ولا على مستوى المخطط الوظيفي، وكذلك بتسجيل ظهور شكل جديد لاستهلاك المجال بواسطة ظهور شبكة جديدة من خطوط المواصلات والتجارة لا تأخذ في الحسبان النسيج العمراني القديم.

وبإلقاء نظرة متفحصة نجد أن هذا النوع من التطور للأنسجة العمرانية يؤدي في أغلب الأحيان إلى نشوء قطبين مختلفين بالمدينة في آن واحد، أحدهما عتيق ومركز وذو كثافة مرتفعة بمسالك ضيقة للراجلين، وآخر حديث ذو مسالك واسعة وساحات كبيرة قابل للتوسع والتطور مستقبلا.

هذا الفصل والقطيعة بين النسيجين العتيق والحديث يؤدي أيضا إلى إضفاء نوع من الخصوصية والاحتكارية الوظيفية، فنجد في أغلب الأحيان أن النسيج العمراني القديم يتميز بظهور أنشطة ذات طابع حرفي كالأسواق الشعبية والفنادق ومحلات بيع التحف، في حين نجد أن الأنسجة العمرانية الحديثة تكون متمركزة بها الأنشطة الجديدة كدور السينما والتجارة الحديثة ومراكز الخدمات، لكن أهم شيء يلاحظ هو تركز الخدمات الإدارية في النسيج الجديد مما يضفي نوعا من عدم التوازن الذي يؤدي بالتدريج إلى اندثار العالم القديم.

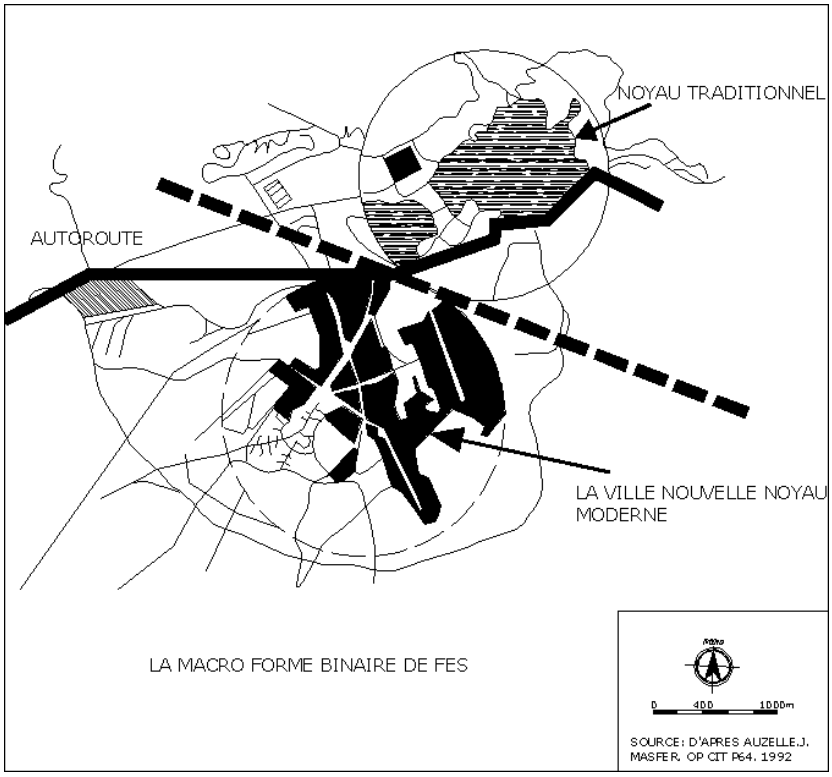

الشكل (I-16): الفصل بين النسيجين القديم والجديد.
مدينة فاس - المغرب -
المصدر: (Kadri, S, 2006).

9)- 4- 2 - التطور بانفجار الأنوية القديمة :

ويقصد به تشكل أنوية جديدة على حدود وحواف النواة الأولية أو القطب الأصلي وكمثال على هذا مدينة الدار البيضاء بالمغرب الأقصى، كما أن هذا النوع من التوسعات العمرانية يساعد على ظهور عدة تجمعات عمرانية مبعثرة ومتفرقة تشغل مساحة كبيرة من الإقليم.

وما يميز هذا النوع من الانتشار هو بقاء النواة الأصلية محافظة على خصائصها الأصلية حيث أن الأنوية الجديدة تنمو وتتوسع خارج حدود القطب الأصلي مما يشكل المدن القصديرية والأحياء العشوائية.

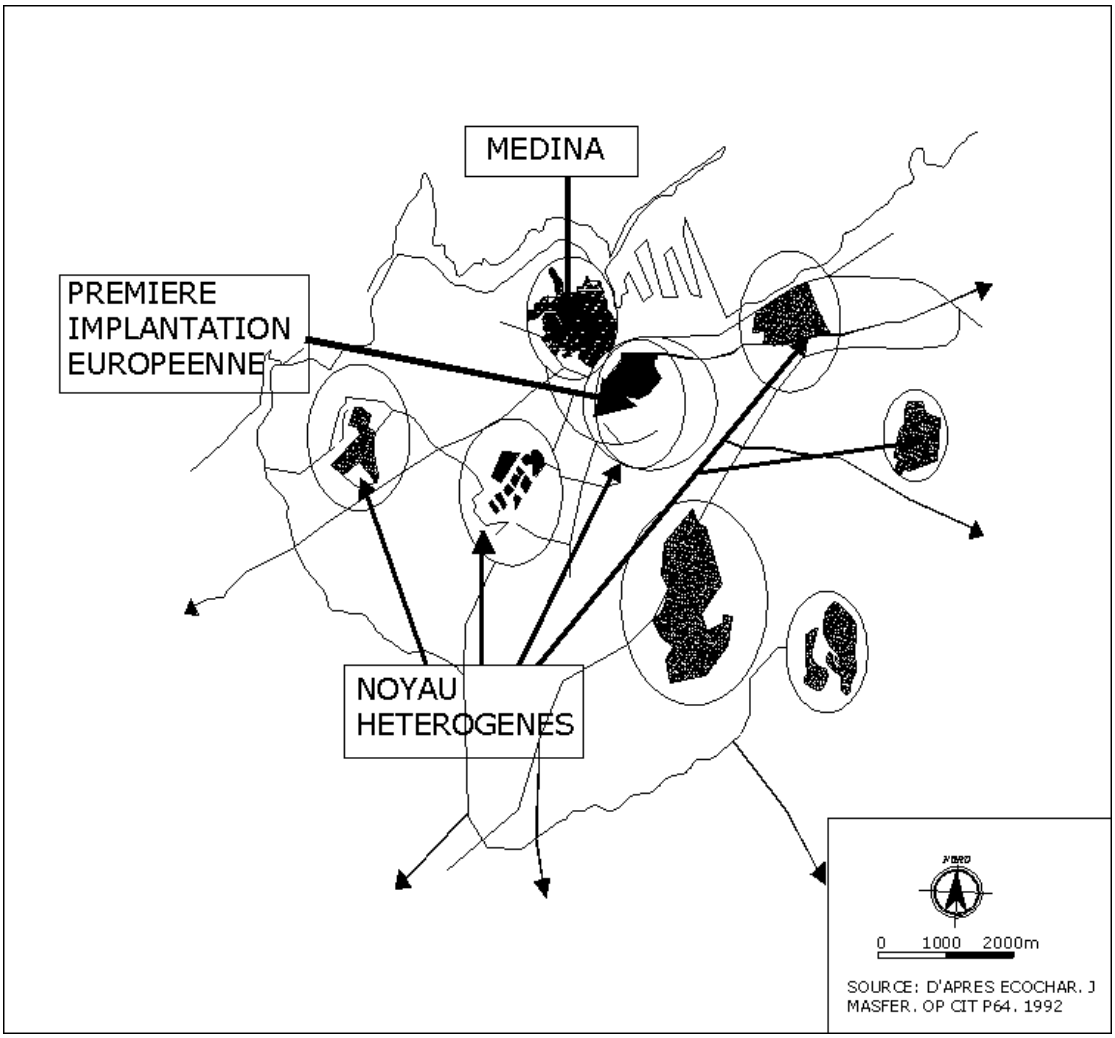

الشكل (I-17): التطور بانفجار الأنوية القديمة.
مدينة الدار البيضاء - المغرب -
المصدر: (Kadri, S, 2006).

9)- 4- 3 - التطور المتراص للأنسجة العمرانية :

في هذا النوع من التطور تنمو الأنسجة العمرانية وتمتد بصورة متراصة ومتدرجة على محيط النواة الأولى مما يؤدي إلى ظهور نوع من المركزية حول النواة الأصلية، حيث تصبح هذه الأنسجة الجديدة محيطة بالنواة الأصلية من عدة جبهات الوظيفية منها والمجالية مما يجعل النواة الأولى تحت تأثير هذه الأنسجة العمرانية الجديدة مما يؤدي إلى طمس المعالم النوعية للنسيج العتيق، ولتحقيق التعايش بين النموذجين ينبغي القيام بتحويل مجالي، فتنشأ ظاهرة تحويل وتعويض للمنازل القديمة ببنايات معاصرة وتوسيع الشوارع والطرقات للاستجابة للتطور في حركة المواصلات.

فالملاحظ المتفحص لهذه الحالة وهذا النمط من التوسعات يجد أن الأنسجة العمرانية العتيقة تصبح بشكل تلقائي متضمنة ضمن النسيج العمراني الجديد فهو يشكل ظاهرة خنق للنسيج العتيق وكمثال على ذلك مدينة القصبة بالجزائر العاصمة.

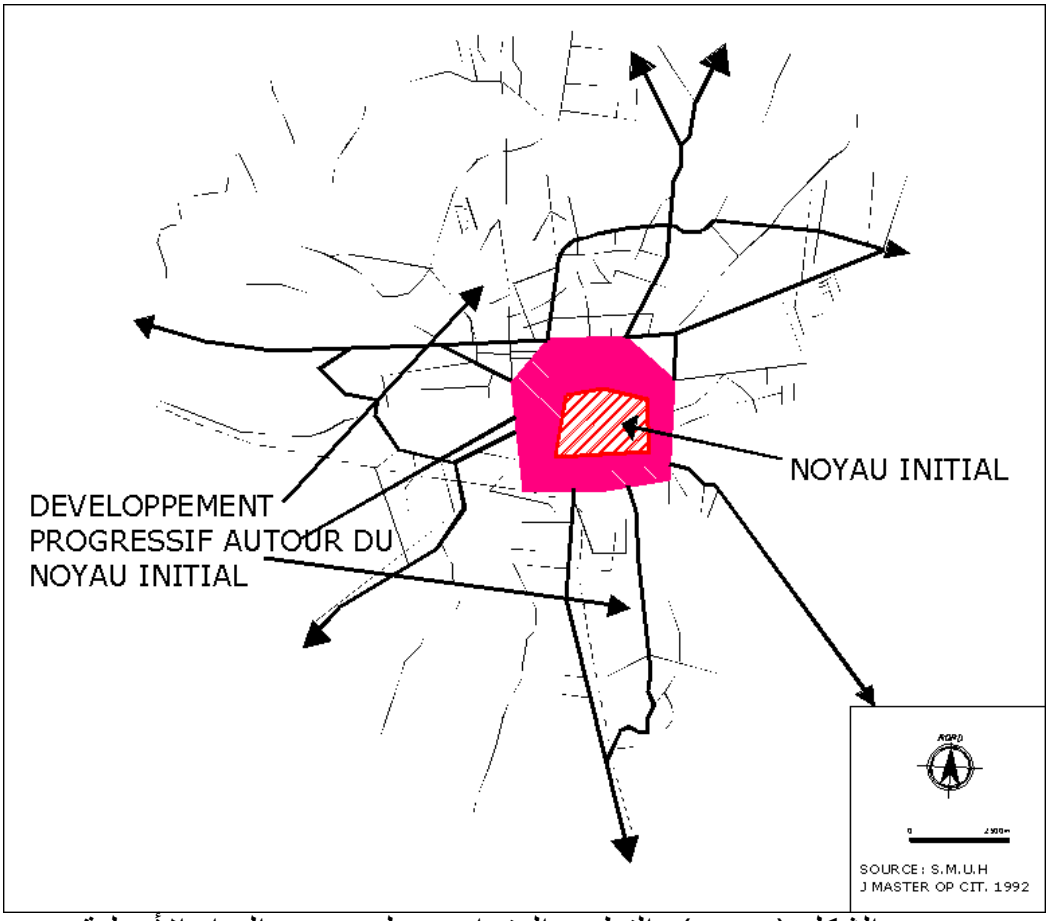

الشكل (I-18): التطور المتراص على حدود النواة الأصلية.

المصدر: (Kadri, S, 2006).

وبإلقاء نظرة متفحصة نجد أن الأنسجة العمرانية العتيقة تنجذب وببطء نحو مشابهة الأنسجة العمرانية الجديدة وأول بواعث هذه الظاهرة تبدأ على مستوى الحدود ثم تزحف تدريجيا نحو المركز، هذا يؤدي حتما إلى القضاء على الإرث المعماري والعمراني القديم بتعويض تلك المباني العتيقة بأخرى معاصرة، فنشهد ظاهرة زحف عمراني للأنسجة الجديدة على حساب الأنسجة التاريخية، فتبدأ نهاية الأنسجة العمرانية العتيقة عن طريق ذوبانها واضمحلالها وسط مجموعة الأنسجة العمرانية الجديدة ونفقد بذلك ثروة لا تعوض، في حين توجد بعض المدن التي ظلت محافظة على سلامتها إبان الفترة الاستعمارية ونعني بذلك تلك المدن التي لم يعرف نسيجها العمراني أي تدخلات غير بعض التعديلات على التنظيم الداخلي للمجال وبعض المرافق العمرانية التي أصبحت فيما بعد تشكل عنصرا هامشيا وسط محيطها العمراني وكمثال على هذا نذكر مدينة الرباط بالمغرب الأقصى ومدينة ميلة بالشرق الجزائري أين قام الاستعمار بإنشاء أقطاب جديدة باتجاه الغرب سنة 1868م.

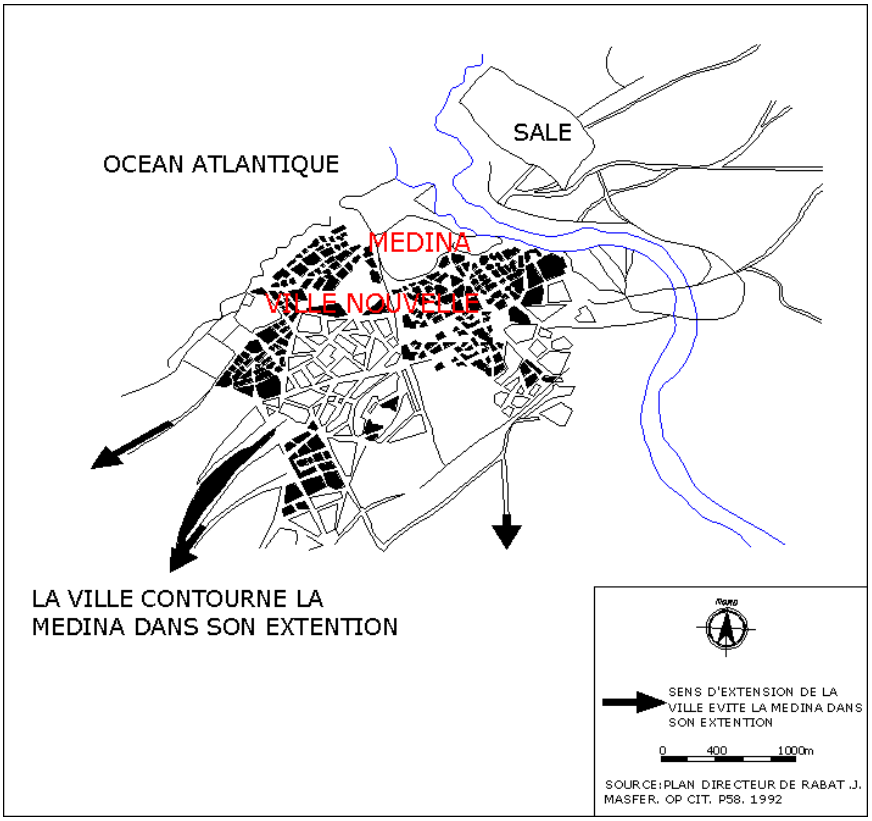

الشكل (I-19): زحف الأنسجة الجديدة على الأنسجة العتيقة.

مدينة الرباط - المغرب -

المصدر: (Kadri, S, 2006).

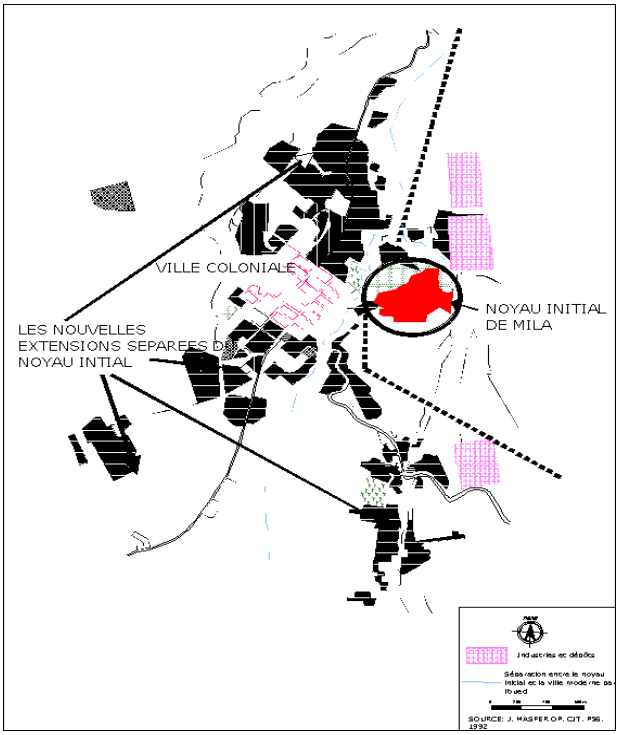

الشكل (I-20): محافظة النسيج العتيق على خصائصه رغم التوسعات الجديدة - ميلة-
المصدر:(Kadri, S, 2006).

إن تطور الأنسجة العمرانية يؤدي إلى فقدانها العديد من العناصر الدالة على التراث والهوية العرقية والاجتماعية والاقتصادية ...الخ، ومما يفقده النسيج العمراني القديم بعد عمليات التوسع والتطور شكله فيأخذ بعد عمليات التطور أشكالا عديدة ومختلفة منها المركزية والخطية والنجمية.

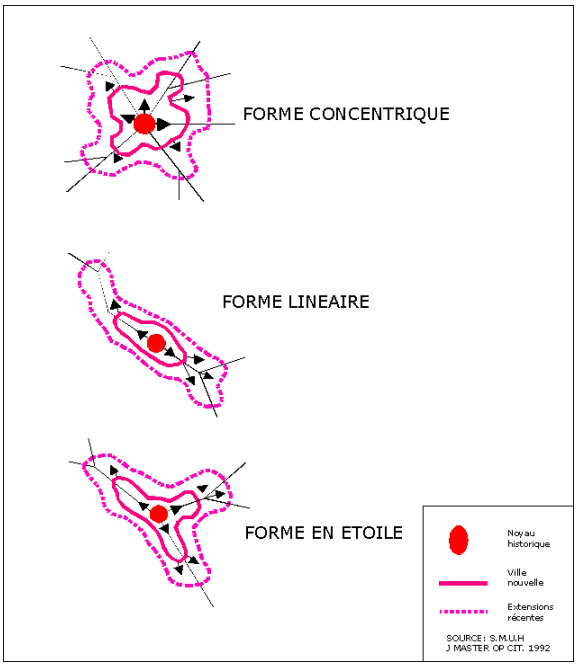

الشكل (I-21): الأشكال الجديدة للمدن.
المصدر: (Kadri, S, 2006).

9)- 5- أنماط الأنسجة العمرانية

بالنظر إلى الجانب الذي ينظر منه الباحث فإنه قد نجد العديد من التصنيفات للأنسجة العمرانية، وقد أكد (Allain, R, 2004) على وجود أربعة (04) أنماط للأنسجة العمرانية عددها كما يلي:

* النسيج القديم:

ويميز المدن القديمة التي تضم مباني شعبية وفنية يصعب إعادة بناءها وترميمها ويرجع ذلك إلى تغير الشروط الموافقة لتغير الزمن.

* الأنسجة المركبة والمبرمجة:

وهي مركبة أساسا على التحصيصات وتعد الأكثر انسجاما.

* النسيج (Fordistes):

وهي أنسجة مركبة وعشوائية متواجدة عند مداخل المدن.

* الأنسجة الغير متصلة بالمدن الكبيرة:

وتكون متموضعة على الحواف العمرانية بصفة تمددية للمركز في بعض الأحيان، أما بالنسبة للعلاقات بين المباني فتكون متباعدة، أما التحصيصات العقارية فهي ضعيفة الكثافة.

وبالنظر إلى أشكال الأنسجة العمرانية فقد قام (Pelletier, J & Delfante, Ch, 2000) بتصنيفها إلى:

* مخططات الشبكات المستطيلة والمربعة:

وتضم شبكة من الطرقات المتعامدة، كما أنها تمثل النسبة الأكبر من تعداد الأنسجة العمرانية وهي مشتقة أصلا من مخططات (Hippodamos) " وهو مهندس إغريقي عاش في القرن الخامس قبل (05) الميلاد ولد في ميليتوس وكان يعتمد في تخطيط الشوارع على الشكل الشبكي، كما قام بتطوير ميناء بيرايوس في العاصمة أثينا، وينسب إليه بناء مدينة رودس الجديدة."
(la rousse 2008)

ونجد هذه المخططات في المدن الرومانية حيث تعتمد هذه المدن على محورين أساسيين هما (le Décumanus) و (le Cardo)وهما محوران تتعامد عليهما الطرق الفرعية، وكذلك توجد هذه المخططات بالمدن الأيونية بآسيا الصغرى، إضافة إلى المدن الصينية لكنها تمتاز بدرجة من التعقيد بسبب تأثيرات مبادئ (Cosmogonique) وهي متعلقة أساسا بنظرية تشكل العالم.

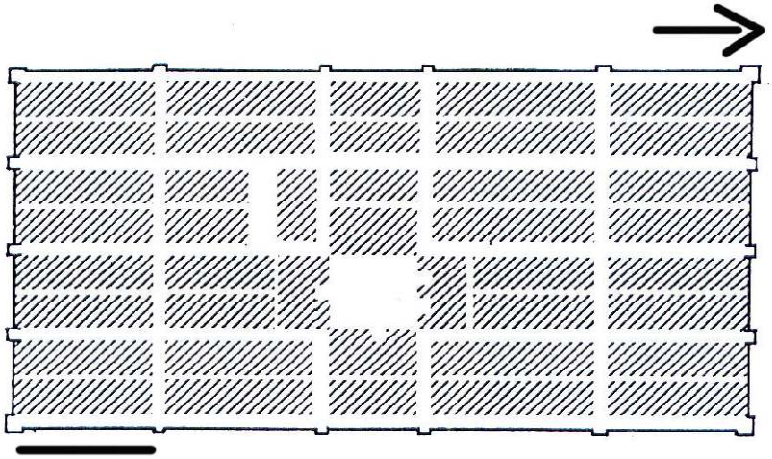

الشكل (I-22): مخطط شبكي مستطيل
مدينة Monpazier بفرنسا
المصدر:(Pelletier, J & Delfante, Ch, 2000).

* المخططات الدائرية والشبه دائرية:

وحظي بشهرة واسعة في أوربا الغربية ضمن حقبة القرون الوسطى وكذلك حتى عند المسلمين حيث تنتظم هذه الأنسجة العمرانية حول عناصر مهيكلة مركزية ذات أهمية بالغة عند السكان المحليين (قصر، مسجد، كنيسة، ...) حيث نجد أن الشبكات والأنسجة الصغيرة تكون دائما على الحواف الخارجية مما يضمن أن التوسعات المستقبلية تكون دائما ذات منحى عضوي.

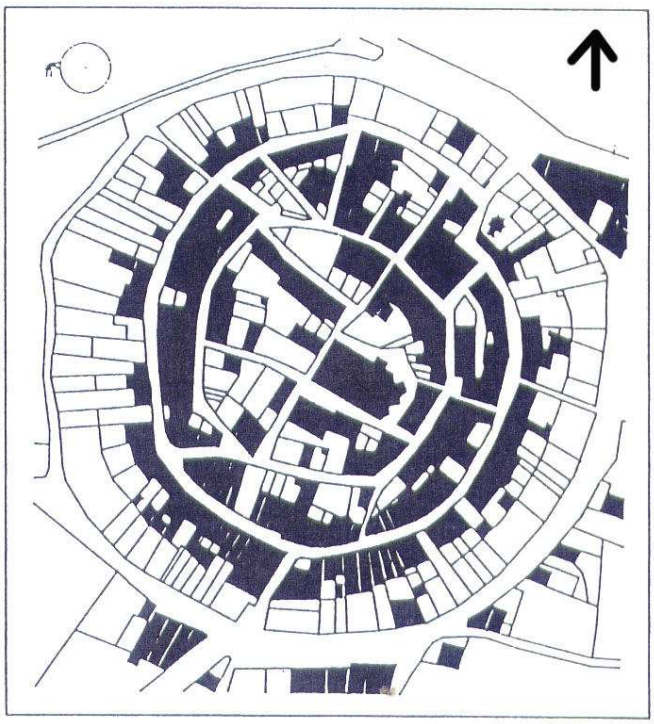

الشكل (I-23): مخطط إشعاعي مركزي
مدينة Bram بفرنسا
المصدر:(Pelletier, J & Delfante, Ch, 2000).

* المخططات الهندسية المعقدة:

وكانت بداياتها مع بداية العمران الحديث أي بدءا من النهضة الأوربية، حيث انصب اهتمام العمرانيين على الناحيتين الجمالية والوظيفية:

- فمن الناحية الجمالية: يتجلى ذلك من خلال إعطاء قيمة أكبر للطرقات والساحات التي تضم معالم أثرية لتحقيق المناظر.

- أما من الناحية الوظيفية: فبدأ الاهتمام بها في القرن الثامن عشر (18) مصاحبا للتطورات على مستوى الحركية والتعمير.

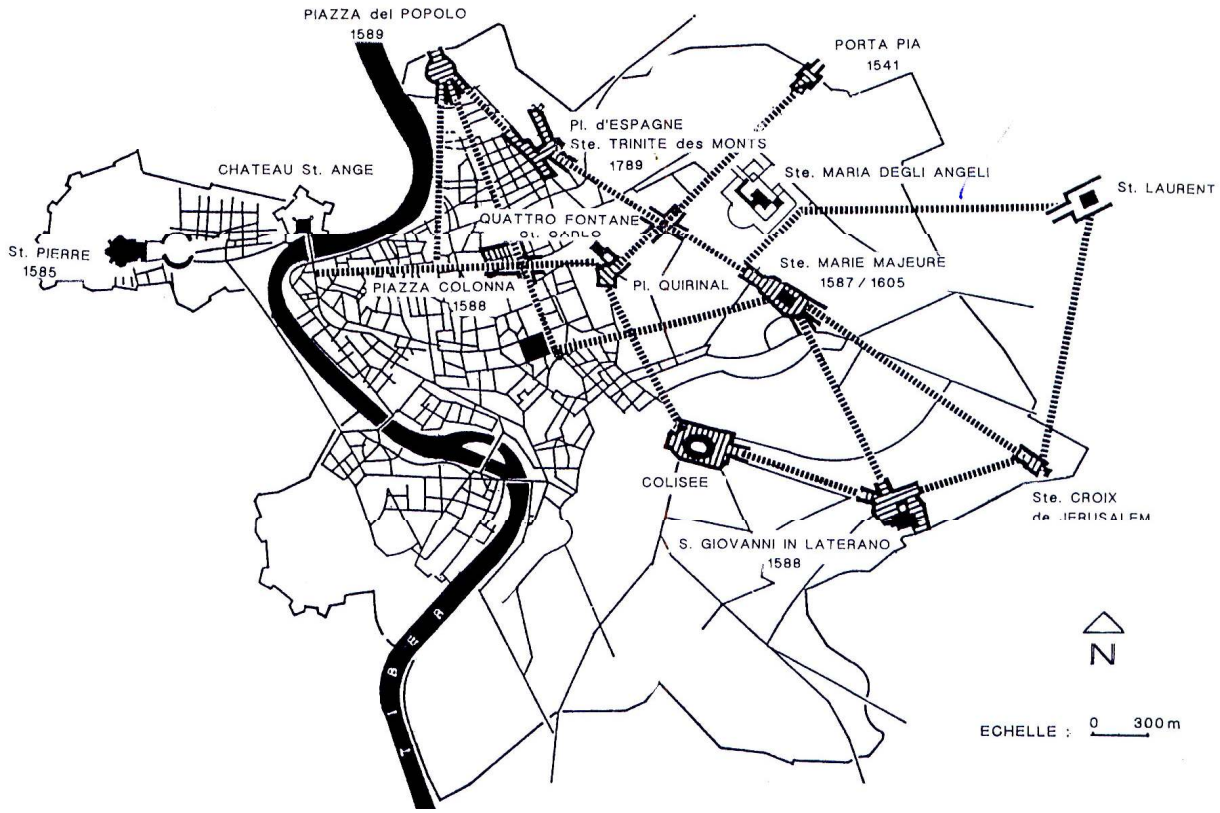

الشكل (I-24): التعقيد الباروكي للرسومات يساهم في خلق عقد رمزية.

المصدر: (Pelletier, J & Delfante, Ch, 2000).

وقد قام (عبد الرحيم أبو العيون. أ، 1996) بدراسة الأنسجة العمرانية المصرية وأكد أنها تجمع كثيرا من الأنماط العمرانية والتي تبدو لنا كمزيج من التفاعلات الماضية والحاضرة تحمل في طياتها تأثير العوامل والظروف التي نتجت عنها، ويمكن حصر هذه الأنسجة في:

* الأنماط العمرانية التاريخية التلقائية القديمة:

وهو متواجد أصلا في المدن القديمة التي تضم نسيجا عمرانيا جد معقد لكنه في الوقت الحالي يعجز عن تلبية متطلبات العصرنة.

* الأنماط العمرانية الحديثة والمعاصرة:

وهي متواجدة عموما عند أطراف المدن والتكتلات العمرانية الحديثة، وهي تبدو وتظهر بها سمات التغيير عن الأنماط التلقائية القديمة، فهي تبدو أكثر تنظيما وتحقيقا لمطالب العصرنة.

* الأنماط العمرانية العشوائية:

تعاني هذه الأنسجة من عدة مشاكل عمرانية واجتماعية واقتصادية ولا تخضع لأي ضوابط تتحكم في تخطيطها أو تنظيمها وتتواجد غالبا عند أطراف الكتل العمرانية للمدن القائمة.

* الأنماط العمرانية الريفية:

وتتواجد هذه الأنماط عند حدود التجمعات العمرانية، حيث يغلب عليها الطابع الريفي بكل مقوماته وهي بيئة عمرانية متدهورة تخطيطيا وغير صحية وتشكل خطرا بالغا على استقرار المدن.

9)- 6- الأسباب الأساسية المساهمة في تغير الأنسجة العمرانية:

لقد مرت الأنسجة العمرانية في رحلة تطورها ونموها وتحولها بنفس الإجراءات والمراحل تقريبا ويمكن ذكر آراء بعض الباحثين حول ذلك، فقال (إبراهيم بن يوسف، 1999) << إن الديناميكية الاجتماعية والاقتصادية تساهم في وظيفية وتنظيم المجال الفيزيائي.>>

وبعد الدراسة التي قامت بها على اليمن تحت عنوان " التطور الاقتصادي والتغير المعماري " أكدت الدكتورة (منى سراج الدين، 1983) أن التحول الاقتصادي المصاحب للتحولات الاجتماعية والثقافية الحاصلة بالمنطقة تساهم بشكل كبير في التأثير على العمارة كما ونوعا." ومنه فإن التغير في الأنسجة العمرانية يرجع وبقسط وافر إلى هذه العوامل الثلاثة: الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

9)- 6- 1 – العامل الاجتماعي:

ويعد من أهم العوامل المساهمة في تغيير الأنسجة العمرانية، ولكن وحتى يسهل ربط تأثير العامل الاجتماعي على تغير الأنسجة ينبغي في البداية معرفة مفهوم التغيرات الاجتماعية وأنواعها، فقد عرف كل من **جيرث** و **ميلز** التغير الاجتماعي على أنه التحول الذي يطرأ على الأدوار الاجتماعية التي يقوم بها الأفراد والنظم الاجتماعية في مدة زمنية معينة.

في حين أن كل تغيير يطرأ على البناء الاجتماعي في الكل والجزء وفي شكل النظام الاجتماعي يعتبر تغيرا اجتماعيا عند **جنزبرج** ولذا فإن كل الأفراد يمارسون أدوارا اجتماعية مختلفة عن تلك التي كانوا يمارسونها في حقبة من الزمن.

وعرف (حجازي. م-ف، 1987) التغير الاجتماعي على أنه " أي تحول بنائي يطرأ على المجتمع في تركيبه السكاني ونظمه ومؤسساته وظواهره الاجتماعية والعلاقات بين أفراده وما يصاحب ذلك من تغيرات في القيم الاجتماعية والاتجاهات وأنماط السلوك المختلفة."

9)-6-1-1- التغير في النظام والتركيبة الاجتماعية:

ونقصد به التغير الذي يطرأ على التركيبة الأسرية خاصة، ومنه فالتغير يصيب النظم القبلية عامة وهي تتكون كما عند (آل عبد الكريم. ف. ب. ع ك، 2004) من العناصر الآتية:

أ)- القبيلة:

وهي جماعة الناس ذات الأصل الواحد والمكونة من عدة بطون وعشائر يسكنون إقليما واحدا ويتكلمون لهجة موحدة ولهم ثقافة متجانسة وعصبية تجاه بعضهم ضد العناصر الخارجية، والقبائل منتشرة في كل أنحاء العالم منها البائدة مثل قبائل الجرمانيين، ومنها من هو في حال الاندثار مثل قبائل الهنود الحمر.

وإذا ما استقرت جماعة من العشائر وتشكلت بينها عاطفة الجماعة فإنها تعد هي الأخرى قبيلة عند علماء الاجتماع ويدخل في هذا حتى القبائل البدوية التي تمتاز بالترحال.

ب)- الأسرة والعائلة:

من الناحية اللغوية أسرة الرجل هي عشيرته ورهطه الأدنون الذين يتقوى بهم، والأسرة هي عشيرة الرجل وأهل بيته وهي مشتقة أصلا من الأسر المتضمن لمعنى القيد والإحكام والقوة.

وعند **أرسطو** الأسرة هي تنظيم طبيعي تدعو إليه الطبيعة، أما **أوجست كونت** فيرى أنها الخلية الأولى في بنية المجتمعات ومنه فأي تطور يبدأ من مستواها، ويعرفها **جون لوك** أنها مجموعة أشخاص ارتبطوا بروابط الزواج والدم والاصطفاء مكونين حياة معيشية مستقلة يتقاسمون نعيم العيش وشقاؤه، أما **نيمكوف** فقلل من هذا كله وقال إن الأسرة هي مجرد رابطة اجتماعية من زوج وزوجة وأبنائهما، في حين أن الأسرة هي مؤسسة اجتماعية تنبعث من ظروف الحياة والطبيعة التلقائية للنظم والأوضاع الاجتماعية كما يراها **مصطفى الخشاب**.

أما الدكتور **عبد الله العبادي** فقد حدد أصنافا ثمانية للأسرة بالنظر لتراكيبها الاجتماعية وهي كالآتي:

* الأسرة النووية: وهي مكونة من الوالدين والأبناء الغير متزوجين كما يمكن يقيم بها أحد الأقارب كالعم أو العمة أو...الخ.

* الأسرة الممتدة: وتتكون من الأبوين والأبناء المتزوجين والغير متزوجين والأقارب الآخرون حيث يقيمون كلهم في بيت واحد تحت حكم كبير العائلة، والشيء الملاحظ أن هذا النوع من الأسر هو الذي كان يقيم بالمدن القديمة.
* أسرة التوجيه: وهي أقل من الأسرة النووية حيث تقتصر على الأب والأم والأبناء الغير متزوجين وهي في الأصل أسرة نووية في مراحلها الأولى.
* أسرة الإنجاب: وتكون إذا تزوج احد الأبناء من الأسرة النووية واستقل بعيشه تسمى حينها الأسرة النووية بأسرة الإنجاب.
* الأسرة الزوجية: وهي مطابقة تماما لأسرة التوجيه.
* أسرة الوصاية: ويشتغل أعضاء هذه الأسرة كأوصياء على اسم الأسرة وأملاكها.
* الأسرة المنزلية: وهي مشتقة من أسرة الوصاية ولكن بسلطة أقل.
* الأسرة الذرية: ويكون بها الحد الأدنى من السلطة للأسرة.
وهذه العناصر المذكورة سالفا هي التي يطرأ عليها التغيير وذلك لموافقة مستجدات الحياة فينتج عنه تغير في الأنسجة العمرانية تبعا لما يلحق بالتراكيب الاجتماعية من تغيرات.

9)-6-1-2- أثر التحولات الاجتماعية على الأنسجة العمرانية:

يقول (نصير عبد الرزاق حسج البصري، 2007) << تمتاز المدينة بكونها ذات طبيعة إنسانية وذلك وفق ثلاث طبائع حيوية ونفسية واجتماعية، والمدينة تلقائية النشأة حيث تكون في البداية مجرد مجموعة متناثرة من المنازل التي بنيت لمجرد الإيواء ثم تجتمع لتعطي القرية وتتسع القرية نتيجة للتزايد في السكان وتتنوع حرفهم ويزداد الدخل القومي في القرية لتتحول إلى مدينة صغيرة، وعندما تتوافر بها المصانع ووسائل المواصلات والخدمات فإنها تنمو لتصبح مدينة رئيسية وهذا يعني أن المدينة كظاهرة اجتماعية ليست من صنع أفراد ولكنها من صنع المجتمع وبوحي من العقل الجماعي.>>.

فبتحليل هذا الكلام يتضح مما لا يدع مجالا للشك أن للتغير في التراكيب الاجتماعية وبنية الأسر أثرا بالغا ومهما في تغير وتطور الأنسجة العمرانية، فتغير نمط الحياة الاجتماعية يدفع إلى التغيير في الممارسات الاجتماعية الحياتية والوظائف الاجتماعية وبالتالي بروز أنواع أخرى من المرافق داخل المدينة لم تكن موجودة في الأصل أو كانت موجودة لكن تبدو بنمط آخر جديد، كما إن سرعة النمو الديموغرافي يتطلب سرعة في إنجاز كم معين من السكنات تلبي حاجات المجتمع، أما العامل الأكثر تأثيرا فهو التغير في الهيكلة الأسرية جراء الانفجار العائلي وهو انتقال العائلة التي كانت

من قبل تضم (الوالدين والأبناء بجيل أو جيلين) إلى عائلة بجيل واحد أي الانتقال من الأسرة الممتدة التي كانت متواجدة داخل القصور إلى الأسرة النووية والتي تسعى إلى العيش برفاهية اكبر بصيغة جديدة من متطلبات ومرافق فنتج نمط جديد من السكنات يهدف إلى كسر البنية الاجتماعية للعائلة بحيث تكون لكل أسرة مسكنها الخاص.

9)- 6- 2 – العامل الاقتصادي:

الاقتصاد هو العلم والفن الذي يهدف إلى تنظيم وتقويم عملية إنتاج وتوزيع واستهلاك الثروة، ومن الناحية اللغوية فهو مشتق من القصد وهو الاعتدال والتوسط بين الإسراف والتقتير، أما عند **ليونيل روبنز** << فهو علم يهتم بدراسة السلوك الإنساني كعلاقة بين الغايات والموارد النادرة ذات الاستعمالات.>>

فمن هذا التعريف يتضح لنا أن الاقتصاد يعد كأحد فروع علم الاجتماع لاهتمامه بدراسة السلوك لكن باتجاه غاية معينة وهي الإنتاج والاستهلاك، أما عند (عبد العال صالح. م، 2005) فهو العلم الذي يبحث في كيفية إدارة واستغلال الموارد الاقتصادية النادرة لإنتاج أمثل ما يمكن إنتاجه من السلع والخدمات لإشباع الحاجات الإنسانية من متطلباتها المادية التي تتسم بالوفرة والتنوع ضمن إطار معين من القيم والتقاليد والتطلعات الحضارية للمجتمع، كما يبحث في الطريقة التي توزع بها هذا الناتج الاقتصادي بين المشتركين في العملية الإنتاجية بصورة مباشرة وغير المشتركين بصورة غير مباشرة في ظل الإطار الحضاري نفسه.

ولكن وحتى تسهل معرفة كيفية تأثير العامل الاقتصادي على تغير الأنسجة العمرانية يجب علينا أولا معرفة التحولات الحاصلة على الجانب الاقتصادي وخاصة الأنشطة التي تتغير مع مرور الزمن ومنه فإننا سنتطرق إلى النشاطات الاقتصادية المميزة للقطاعات الأساسية.

والنشاطات الاقتصادية تنسب في أغلب الأحيان إلى قطاعاتها المميزة (القطاع الأولي، القطاع الثانوي، القطاع الثالثي) وكذلك هو تقسيم النشاطات الاقتصادية وفقا لطبيعتها والسلع المنتجة.

* القطاع الأولي: وهو مجموعة النشاطات الاقتصادية المساهمة بإنتاج المواد الأولية (الزراعة).
* القطاع الثانوي: وهي مجموعة النشاطات الاقتصادية الصناعية المساهمة في تحويل المواد الأولية إلى منتجات استهلاكية وإنتاجية.
* القطاع الثالثي: ويجمع النشاطات الاقتصادية التي تساهم في توفير الخدمات للأفراد والجماعات والشركات.(إدارة وتجارة).

9)-6-2-1- أثر التحولات الاقتصادية على الأنسجة العمرانية:

ويكمن التغير عند انتقال المدينة من صيغة إلى صيغة أخرى أي وبعبارة أخرى انتقال المدينة من قطاع إلى قطاع آخر مثلا انتقال مدينة ما من القطاع الأولي إلى القطاع الثانوي فينتج معه انتقال المدينة وتغير سماتها وكمثال على ذلك نذكر ما توصل إليه (Racine, F, 1999) بعد دراسته لمدينة Sainte-Anne-Des plaines حيث أكد أنه بعد انتقال المدينة من النشاط الزراعي إلى النشاط الصناعي وذلك على مدى مرحلتين كانت أولاهما عام 1900م والثانية عام 1955م صاحب هذا تغير على مستوى الأنسجة العمرانية للمدينة وتحديدا على مستوى التحصيصات حيث ازداد عددها وهذا راجع إلى زيادة عدد السكان العاملين بالمصانع في هذه المنطقة.

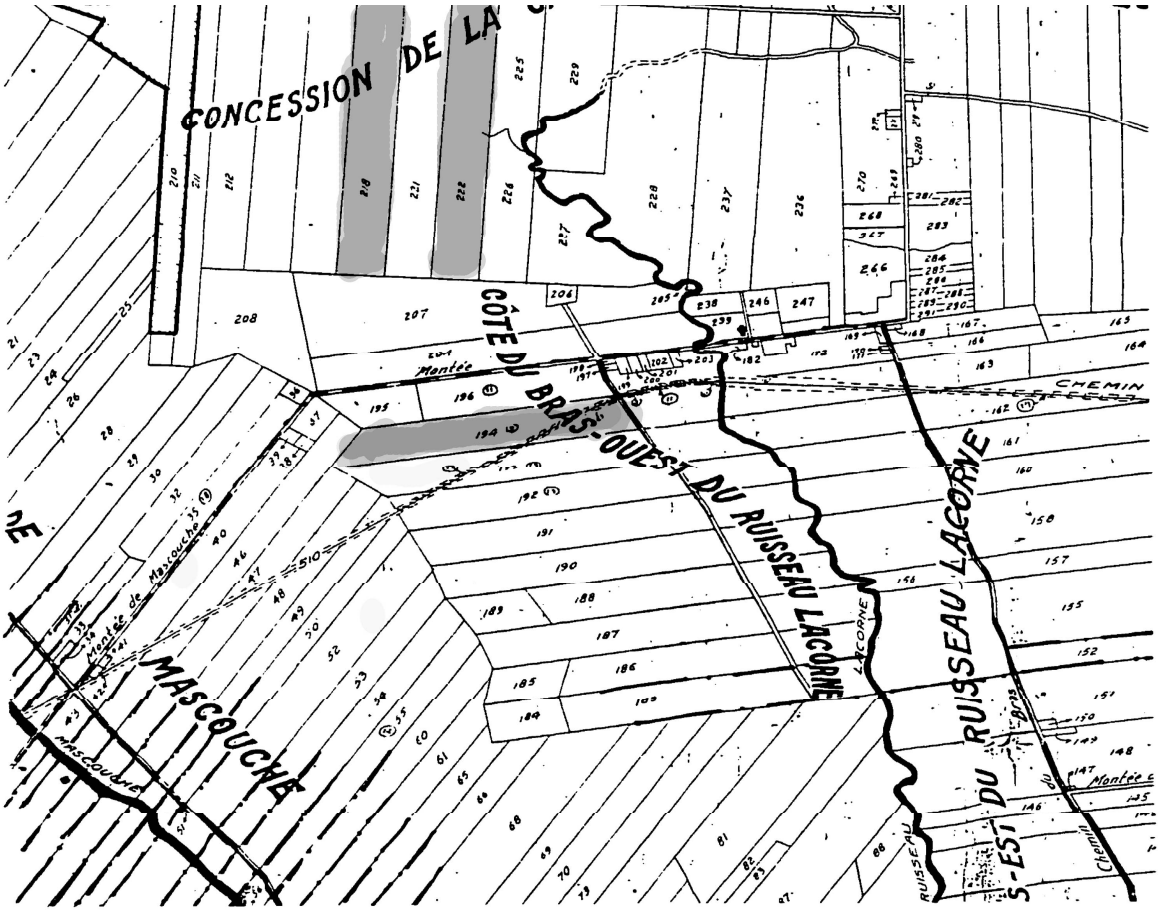

الشكل (I-25): التقسيمات التحصيصية لمدينة
Sainte-Anne-Des plaines
في الفترة 1889م.
المصدر: (Racine, F, 1999).

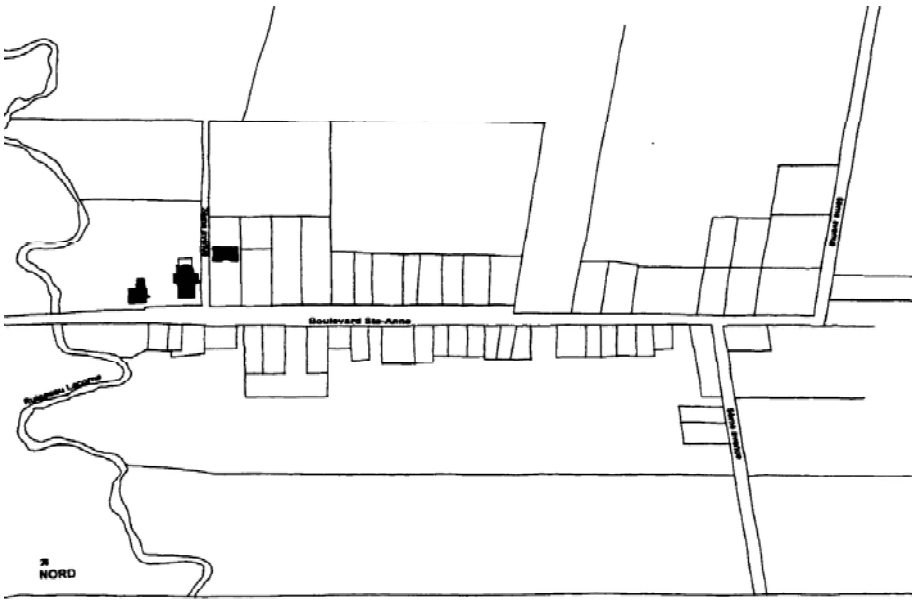

الشكل (I-26): التقسيمات التحصيصية لمدينة
Sainte-Anne-Des plaines
في الفترة 1900م.
المصدر: (Racine, F, 1999).

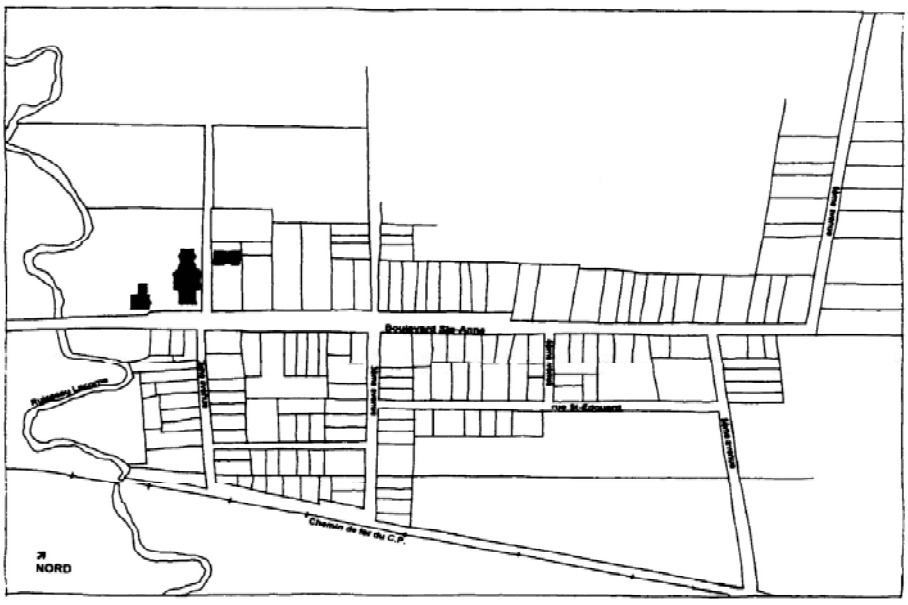

الشكل (I-27): التقسيمات التحصيصية لمدينة
Sainte-Anne-Des plaines
في الفترة 1955م.
المصدر: (Racine, F, 1999).

9)- 6- 3 – العامل الثقافي:

لغويا الثقافة مأخوذة أصلا من كلمة " ثقف " والتي من معانيها كما قال **الفيروز أبادي**: ثقفه أي صادفه أو اخذ هاو ظفر به أو أدركه كما قال تعالى " فإما تثقفنهم في الحرب فشرد به من خلفهم لعلهم يذكرون " (الأنفال -58-)، وأثقفته أي قيض لي، كما من معانيها أيضا ثقف يثقف ثقفا وثقفا وثقافة صار حاذقا خفيفا فطنا ومنه ثقف الكلام حذقه وفهمه بسرعة، وثقف الرمح إذا قومه وسواه، وثقف الولد إذا هذبه وعلمه، وثاقفه مثاقفة غالبه فغلبه في الحذق والذكاء.

وقال **بن منظور** في لسان العرب: ثقف جدد وسوى، وفي المعجم الوسيط الثقافة هي العلوم والمعارف والفنون التي يطلب فيها الحذق.

9)-6-3-1- التحولات الثقافية:

التحول الثقافي وكما ورد عند (العمري. ع-أ، 2007) هو كل تحول له علاقة بالجوانب الثقافية وهو أعم وأشمل من التحولات الاجتماعية حيث عرف تايلور الثقافة أنها ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف وبذلك يكون التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي أو جانبا منه.

كما يمكن أن نعدد بعض مميزات التحول الثقافي:

- عملية تحول وتفكك يتولد عنه كثير من العلل.
- يقوم على الحراك المفاجئ والسريع.
- يعتمد على رأس المال الأجنبي الذي ينجم عن الاتصال الخارجي مع الثقافات الأخرى.
- يقتصر على التغيرات التي تحصل في المجتمع.

وبإلقاء نظرة متفحصة على العنصر الأخير يتضح لنا جليا أن بين التحول الاجتماعي والتحول الثقافي علاقة عموم وخصوص، فالتحول الاجتماعي هو ضمن التحول الثقافي من حيث مجالاته وميادينه فالتحول الاجتماعي هو احد مجالات وفروع التحول الثقافي، بينما يجد التحول الثقافي نفسه محصورا ضمن نطاق وفضاء التحول الاجتماعي من حيث مكانه فالتحول الثقافي إنما يكون في المجتمعات.

9)-6-3-2- أثر التحولات الثقافية على تغير الأنسجة العمرانية:

إن أثر التحولات الثقافية على الأنسجة العمرانية يؤثر بصفة كبيرة على المنشآت والمرافق ذات الطابع الثقافي من خلال التأثير على قيمتها ووزنها ومدى الاهتمام بها وإقبال الناس عليها كالمدارس والمكتبات ودور الثقافة والمسرح، مما يبدي قيمة الثقافة في المجتمع ومستوى الإدراك والوعي الثقافي لدى الشعوب، كما أن للتحولات الثقافية أثرا على الأنسجة العمرانية من خلال التأثير على تنظيمها العمراني من خلال تحديد مناطق ذات تخصص ثقافي تضم هياكل ثقافية مما يترتب عليه ظهور أشكال عمرانية جديدة على غرار المناطق السكنية والتجارية والصناعية.

خـــلاصـــــة:

تطرقنا في هذا الفصل إلى المفاهيم المتعلقة بالمدينة وكذا العلوم والفنون والمقاربات الساعية إلى الإحاطة بها في خطوة تهدف لإدراك الفهم الحقيقي لهذا الكيان الجد معقد، وقد اتضح لنا أن المدينة هي كيان جد معقد يصعب وضع مفهوم محدد له وذلك إذا ما نظرنا إلى خصائصها والتي نجدها تختلف من مدينة لأخرى بسبب ما تتصف به من سمات وأنواع وموقع جغرافي ودوافع النشأة وكيفية التخطيط وغيرها، ولذا فقد حاول كل صاحب اختصاص وضع تعريف لها من جهة تخصصه لكننا نجده يتسم بالقصور وعدم الإحاطة الكاملة بها إذ نجده يعنى بجانب محدد ويهمل بقية الجوانب الأخرى.

والمدينة أيضا ككيان فيزيائي يؤثر ويتأثر بما حوله من ثقافات السكان وظروفهم الاجتماعية والاقتصادية وغيرها، فالمدينة تعد ذات طبيعة إنسانية وفق طبائع حيوية ونفسية واجتماعية وهي تلقائية النشأة لكنها ليست من صنع الأفراد وإنما هي من صنع المجتمع وبوحي من العقل الجماعي ومعنى هذا أن للتغير في التراكيب الاجتماعية وبنية الأسرة والتطور والتحول الثقافي أثرا بالغا في تطور الأنسجة العمرانية وذلك لما يصحب هذا التحول من تغير في الممارسات الاجتماعية الحياتية والوظائف الاجتماعية والهياكل الأسرية مما يؤدي إلى بروز وظائف جديدة في المدن تتطلب مرافق جديدة بمسميات جديدة.

ومنه نخلص إلى أن المدينة في حراك مستمر وفي حالة ديناميكية تطورية تمس مظهرها الفيزيائي، وهذه الحركية هي نتاج لمختلف التحولات التي تطرأ على العوامل الاجتماعية أو الثقافية أو الاقتصادية، فالأنسجة العمرانية لا تمثل إلا استجابة لتلك العوامل وهي في نفس الوقت متماشية معها في علاقة تأثر وتأثير، وسنحاول في الفصل الموالي الحديث عن أوائل المدن المشكلة للعالم وقتها والتي ظلت إلى أمد بعيد تشكل معالم حضارة عظيمة راسخة بجذورها في أعماق التاريخ وهي المدينة العربية الإسلامية.

الفصل الثانـى:

المدينـة القديمـة بين مطرقة التجديد وسندان التقليد

مقدمة:

تشهد المدينة الجزائرية اليوم واقعا مؤلما وحالة من الذهول بين ما هو ماض لا يتماشى مع ما هو جديد وآخر مستحدث متعارض مع مبادئ المجتمع وعاداته وتقاليده ومبادئ دينه.

وبين أخذ ورد بين من يقول أن المدن القديمة كانت قائمة وترتكز أساسا على المعطيات الروحانية وأنها غير صالحة في الوقت الحالي، وغيرهم ممن يرى أن المدن الحديثة ترتكز أساسا على الجانب المادي وتهمل الجانب الروحي، وبين هذا وذاك ظلت المدينة ومازالت إلى اليوم تتخبط في حلكة ظلام دامس من الفوضى والتشتت وتسير في طريق معتم من التوسعات اللامدروسة التي لا تدري أين ستنتهي بها أفي مدينة متكاملة ومتجانسة تجمع بين الحداثة والأصالة حيث ينعم سكانها بالرقي والأمان، أم في مدينة فوضوية متضاربة يشقى سكانها ويغرقون وسط الفوضى والإجرام.

لقد تعرضت المدينة القديمة إلى حالة من التهميش بسبب النظرة السلبية نحوها والقول بأنها كانت صالحة لوقت معين مضى وانقضى، بل لقد تحامل البعض عليها ونعتها بأقبح نعوت ومن أمثلتهم قول **علي باشا مبارك** في وصف القاهرة أواخر القرن الثالث عشر (13) هجري كما أورده (جميل عبد القادر، أ، 1995) << ... وأما الحارات فكانت كثيرة الانعطافات، ضيقة المسالك ليست على هيئة انتظامية، بل بعض البيوت بارز في الطريق والبعض داخل عنه وهذا من أسفل، أما من الأعلى فكانت بعض المشربيات تتلاصق من جوانبها وتتلاقى مع ما واجهها حتى تحدث ساباطا مركبا على جميع الطريق فضلا عن الأسبطة الحقيقية ...>>، وأما في وصف المنازل فيقول << ... وأكثر محلات الدار قليل النور والهواء اللذين هما أساس الصحة وقل أن تخلو من الرطوبات التي تتولد عنها الأمراض>>
ثم يقول بعد ذلك واصفا المدينة عموما << وبالجملة فقد كان الخراب عم والدمار طم وكثير من التلال داخل وسط الأماكن سوى ما في الخارج من التلال الشاهقة في الهواء الممتدة إلى أمد بعيد فإذا هبت الريح فهي القيامة، ولا ترى إلا غبارا منبثا على البيوت متلفا للصحة والعيون.>>
هذه النظرة ساهمت بشكل كبير في اندثار المدن العتيقة ودفعت بالكثير من المصممين إلى غض الطرف عن المدن القديمة أثناء القيام بعمليات التصميم والتخطيط بسبب قناعتهم بأنها عبارة عن أزقة وشوارع ضيقة يغيب عنها التنظيم والانسجام، غير أن المدينة القديمة ذات الطرق الملتوية والتي لا نراها منتظمة هي أفضل ما يمكن الوصول إليه عند تلك المجتمعات، فهي تعد مدنا ذات جوهر رفيع المستوى وهنا ينبغي طرح هذا السؤال:
" أيعجز من أتقن بناء الواجهات الداخلية المحيطة بالأفنية الداخلية للمنازل والمدارس والمساجد وأبدع في الاعتناء بالفناء الداخلي ووضع الأشجار فيه وابهر في جمال الرسومات ونسب النقوش المزينة للعقود والقباب والأقواس على أن ينظم المخططات أو مواضع البنايات؟"

الصورة (II-1): مدرسة بن يوسف بفاس.
- المغرب الأقصى-
المصدر: (خلف الله. ب، 2005).

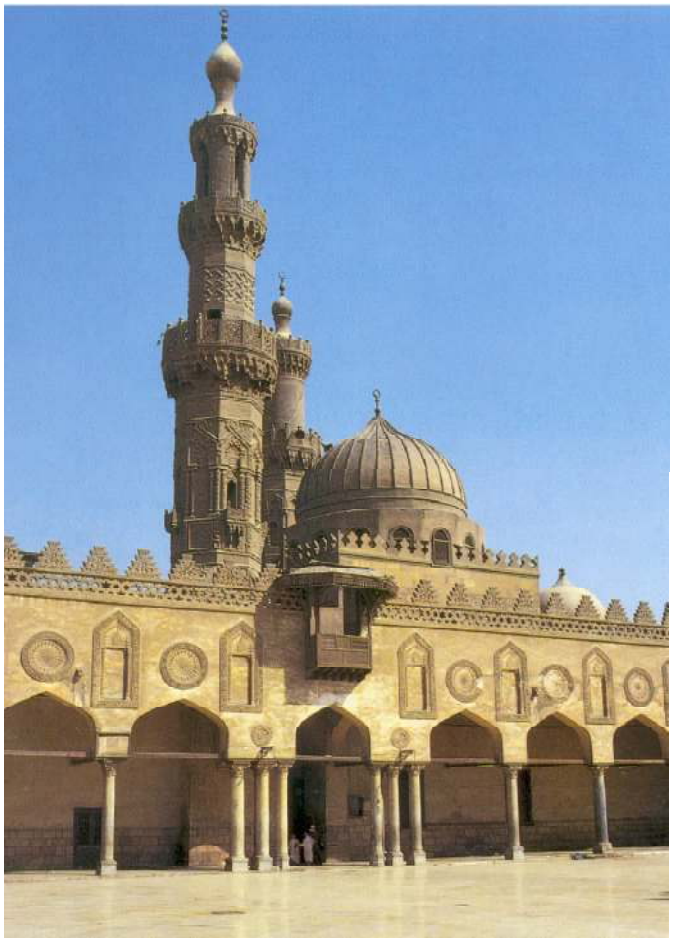

الصورة (II-2): الجامع الأزهر بالقاهرة
- مصر-
المصدر: (خلف الله. ب، 2005).

إن هذا التساؤل يدفع بنا إلى التأكيد على أن العمارة كانت نتاجا لتفاعل عدة ثوابت ومتغيرات فالثوابت هي الدين والمناخ والعرف، وأما المتغيرات فهي الإمكانات الاقتصادية والصناعية.

وانطلاقا من الكلام الأخير يتضح وبصورة جلية أن أسلافنا فهموه حقا فغيروا ما يقبل التغيير وحافظوا على ثوابتهم فأنتجوا عمارة رغم اختلاف قالبها إلا أن قلبها وجوهرها واحد، وللأسف وفي أيامنا هذه قمنا بتغيير شق المعادلة كله ثابته ومتغيره فتغير لنا الناتج كله وأنتجنا إرثا معماريا مختلفا عن سابقه قلبا وقالبا رغم أن الثابت الأكبر (الدين) واحد، والمشكل الأكبر هو أن البعض ممن انبهر بالعمارة في الشمال قام بنقل عمارتهم كما هي وألصقها في مجتمعاتنا دون أن يدخل عليها أدنى تغيير مما يشير ولو بطرف سبابته إلى ملمح من ملامح عمارتنا وهويتنا وأصالتنا.

إن تصميم المدن وتجهيزها بكل مرافق ومتطلبات الحياة ومحاولة إدخال عناصر الترفيه لا يمكن أن يطرد عنها الملل والكآبة إذا تم هذا دون مراعاة لثوابت المجتمع، فنقل أفكار مستحدثة وغربية وإهمال دور السكان ومتطلبات حياتهم سوف ينتج لنا ومما لا شك فيه مدنا وتجمعات حضرية لن تسلم يوما أن تطأها يد التغيير.

إن العمارة القديمة وكما أسلفنا هي نتاج لامتزاج عدة عوامل وعلى رأسها ثوابت المجتمع، بينما نظيرتها الغربية هي نتاج لفكر بشري بحت ومجرد، ولا يمكن للعقل البشري وحده الإلمام بجميع الظواهر فمنها الخفية التي لا يتفطن لها المصممون والمخططون وأصحاب القرار إلا بعد فوات الأوان، ولذا فإننا لا نلبث أن نرى نظرية إلا وتفندها أخرى بعد مدة منتقدة إياها بالنقص والقصور، فالعقل البشري وحده غير كاف لسن القوانين والتي منها قوانين البناء والتعمير، وحتى تلك القوانين التي يسنها ما هي إلا تصحيح لقرارات سابقة وستعقبها هي الأخرى قرارات مصححة لها.

كما أن نبز العمارة القديمة بعدم الانتظام لهو إجحاف في حقها، والغلط يكمن في إساءة الفهم بين ما هو غير منظم وبين ما هو غير منتظم، فالغير منتظم يعد منظما لكن بطريقة غير منتظمة لان عدم الانتظام هو أحد أنواع التنظيم، في حين أن الغير منظم يمكن أن نطلق عليه لفظ العشوائي أي انه لا يخضع لنظام معين، فالبيئة التقليدية غير منتظمة في مخططاتها لأسباب مدروسة سيتم التطرق إليها في حينها عند ذكر مميزات المدن القديمة.

ولقد اختلفت آراء المعماريين والمخططين على حد سواء في محاولتهم استنباط أفكار معمارية وعمرانية من أجل محاكاة المدينة القديمة، فرأى البعض أن الإكثار من استعمال الزخارف والرسوم القديمة وتصميم الأفنية الداخلية والأزقة كاف لإنتاج عمارة قديمة، في حين لم يقنع البعض الآخرون بهذا واتجهوا نحو التركيز على النواحي الاجتماعية والاقتصادية للبيئة القديمة واستخدامات الفراغ ومحاولة تطوير عناصر البيئة القديمة لملائمة متطلبات العصر كبناء بيئة تنمي الترابط الاجتماعي وتلائم المناخ وبأقل التكاليف.

إن القصور العتيقة وطريقة بناءها وانسجامها وكثافة بناياتها وعمارتها التقليدية ليست مجرد صدفة وإنما تعتبر معبرة بشكل واضح عن القيم الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وعن التواصل بين الإنسان ومحيط عيشه.

كما أن التنظيم المجالي في القصور العتيقة يعد نتاج مجتمع منظم ومتماسك لتلبية حاجيات السكان فهو بهذا يعتبر إبداعا جماعيا ذا تنظيم محكم ينم عن مركزية عامة يمثلها المسجد الجامع، أما عن تنظيم الشوارع فنجد أغلبها قد نظمت على شكل تفرعات غصنية عكس التي نجدها في المخططات الحديثة المتوزعة في شكل شبكي منتظم، وهذا الاختلاف نابع من تباين أهداف كل نموذج، فيهدف النموذج الحديث إلى تحقيق أكبر قدر من الحركة، بينما يهدف النموذج التقليدي إلى التقليل من الحركة.

أما عن المجالات في القصور العتيقة فهي تشهد تدرجا من الخارج نحو الداخل لتحقيق الراحة والخصوصية وحفظ الحرمات وتحقيق الأمن، فهذا التنظيم وإن دل فإنما يدل عن تنظيم يعكس حرص السكان على قيم متعددة أهمها الراحة والخصوصية والأمن وسلامة البيئة.

وما يلفت انتباه المتجول في الشوارع هو مقياسها الإنساني، زيادة على ذلك وهو تغير المشهد في المسار الواحد، كما أن تقنيات ومواد البناء المستعملة في القصور العتيقة مختلفة عن تلك المستعملة في الأنسجة الحديثة من حيث الاستدامة فنجد توافقا تاما وانسجاما بين التوسعات الجديدة.

1)- ملامح الاستدامة في العمران التقليدي :

ومما لا يخفى علينا أن الأنسجة القديمة كانت تضم مجموعة من ملامح الاستدامة على المستويين التخطيطي العام والإنشاء المعماري حيث قام الدكتور خلف الله بتلخيصها في النقاط التالية:

1)-1- التناسب بين مساحة القصر والكثافة السكانية:

وهذا استجابة لرغبة المصممين في الحصول على نسيج متراص والتقليل من استهلاك المساحة وقد نتج عن ذلك تناسب واضح بين مساحة القصر والكثافة السكانية وفق الأهداف المرجوة، ويعتبر هذا ملمحا بارزا نجده في مبادئ التنمية المستدامة التي تركز على خلق تجمعات حضرية محدودة الحجم والسكان للتحكم في الموارد وتنظيم الخدمات تكون ذات طرق قصيرة وحركة محدودة بغية الاستهلاك الراشد للمجال.

1)- 2- تنويع استعمال المجال:

ويظهر هذا الملمح في النسيج العمراني التقليدي في تنوع وتعدد الاستعمالات في الرحبات وفي مجالات التفاعل الاجتماعي الأخرى كالمسجد والسوق والأزقة، بحيث نجد أن استعمال المجال يكون متعددا لأكثر من نشاط واحد، وقد يكون هذا التنوع يوميا حيث يكون لكل نشاط وقت معين من اليوم صباحا ومساءا، أو قد يكون فصليا أو موسميا، وهذا التنوع يفيد في عمليات كسب المساحات وإبقاء الحيوية والنشاط دائما على الأنسجة العمرانية فبعض الأنشطة تكتسي الطابع الموسمي فلو خصص لها مجال خاص بها فسيفقد حيويته بمجرد فوات النشاط المقام به.

1)- 3- المعالجة البيئية:

ويقصد بها إنتاج نسيج عمراني متلائم ومتكيف مع الظروف المناخية المحلية.

2)- ملامح الاستدامة في العمارة التقليدية:

2)- 1- تنظيم وكفاءة الفراغ المعماري:

ويظهر في تنظيم المكونات المعمارية للقصور والحرص على تقدير الحاجيات والمتطلبات الحقيقية للسكان.

2)- 2- استخدام مواد بناء محلية:

ولكون هذه المواد نابعة من البيئة فإنها تكون ذات ديمومة عالية وذات خواص فيزيائية قادرة على التكيف مع المعطيات المناخية للبيئة المحلية.

3)- الخصائص العامة للمدن العتيقة:

إن السمة الغالبة على هذه المدن القديمة هو نشأتها على طول الطرق القافلية المخصصة للتجارة من مدن الصحراء العميقة إلى مدن الشريط الساحلي، والعناصر التي نجدها بارزة في تلك المدن كانت بفعل وبإيحاء من الجغرافيين والعمرانيين في تلك العصور وهذا بغية الوصول إلى المدينة المثالية، وما يلاحظ على هذه المدن هو تغير رموزها الاجتماعية بعد مجيء الإسلام وهذا على جميع المدن سواء أكانت عربية أم بربرية.

3)- 1- المظهر الشكلي والتنظيمي العام للمدن العتيقة:

اتسمت المدن العتيقة بمجموعة من الخصائص على المستوى العام والشكل التنظيمي لعل أهمها:

* تغليب الجانب الدفاعي من خلال استعمال الأسوار والخنادق، والتركيز والبناء في الوسط واختيار الأماكن المرتفعة المحصنة لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأمن.

* تأخذ المباني ذات الأهمية الكبرى سواء الدينية كالمسجد أو مباني الحكم كالقلاع والقصور المكان المركزي في المدن العتيقة ويظهر هذا في العهد البابلي كما سجل أيضا حتى في دول

أوربا الوسطى، كما نجد تركز الأنشطة التجارية والحرف على امتداد عدة طرق رئيسية، وما يلاحظ على مستوى المدن البيزنطية هو تركز الأنشطة والوظائف بصيغة تفاضلية فكلما كان النشاط ذا قيمة كلما دنا واقترب من المركز ومن المباني ذات الأهمية، ونجد في المدن الإسلامية وعلى مقربة من الأماكن الدينية المباني التعليمية كالزاوية والمدرسة ثم المستشفى والمقبرة على مقربة من بعضها لقرابة الصلة الوظيفية بينها، أما على الصعيد الدفاعي فنجد أن الاهتمام كان منصبا على الفاعلية في الحماية وتوفير الأمن فنجد الأسوار المزودة بالبوابات الكبيرة التي تضم بعض الآثار الرمزية المستمدة من العمارة المحلية.

الصورة (II-3): قلعة الإسكندرية - مصر-
المصدر: موسوعة ويكيبيديا 2011/04/22.

* الدور المهم جدا للماء وهو العنصر الأساسي للحياة بحيث نجده عنصرا مهما في المدن القديمة من خلال توفره واستعماله في كل مكان نافورات، أحواض، حمامات. (الصورة -17-).

الصورة (II-4): استعمال الماء في الأفنية الداخلية
قصر الحمراء بغرناطة - إسبانيا-
المصدر: (خلف الله. ب، 2005)

وقد زاد هذا العنصر وهو الماء أهمية ارتباطه ببعض الشعائر التعبدية في الدين الإسلامي كالوضوء والاغتسال، وتكمن أهمية الماء في القديم هو ارتباطه بالنشاط الاقتصادي السائد حينها وهو الزراعة فكان الماء يستعمل للسقي، وقد اتخذت في ذلك أي في السقي واستخراج الماء من باطن الأرض عدة نظم أهمها:

أ - الآبار: وهي حفر في الأرض متفاوتة الأعماق تحفر لغرض الحصول على الماء وتأخذ غالبا الشكل المستدير، ويتم من خلالها استخراج المياه من باطن بواسطة عدة طرق منها الحبل والبكرة (الصورة -17-)، الخطارة (الصورة -18-).

الصورة (II-5): صورة لبئر بحبل وبكرة
المصدر: موسوعة ويكيبيديا.

الصورة (II-6): صورة للخطارة
المصدر: الباحث 2009.

ب - الفوغارا: وهي مجموعة آبار تحفر بالتتابع حيث تصب كل بئر في التي تليها حتى الوصول إلى كمية كافية من الماء وهذا بعد حفر حوالي 150 بئرا كحد أدنى يفصل بين كل اثنين منهما مسافة 04 أمتار تقريبا، وبعدها تجمع كمية معتبرة من الماء في البئر الأخيرة وهي أكبرهن حجما تدعى " آقوسري " (الصورة -19-)ومنها وعبر السواقي (الصورة -20-) إلى الغابات والبساتين أين يتم تقسيم حصص الماء بالاعتماد على " القصرية " (الصورة -21-).

الصورة (II-7): صورة لساقية بكاف القصر - تيميمون-
المصدر: الباحث 2009.

الصورة (II-8): صورة للبئر آقوسري بكاف القصر - تيميمون-
المصدر: الباحث 2009.

الصورة (II-9): صورة القصرية.
المصدر: الباحث 2009.

* وجود شبكة متعددة من الطرق والمسالك والتي تأخذ سمة الضيق وكثرة التعرج، وتضم أبوابا للحماية من الغرباء حيث كان هذا الطراز سائدا في العصور الوسطى، أما في المدن العربية فيمكن ترجمة هذه الوضعية بالنظر من عدة زوايا مختلفة تكنولوجية، مناخية واجتماعية:

- الجانب التكنولوجي:

إن ضيق المسالك يضمن مبدأ التراص الذي يساعد كثيرا المباني على الديمومة حيث يتم تقاسم الحمولات، إضافة على ذلك لم تكن هناك حاجة ملحة لتوسيع المسالك وهذا لاعتماد المدن القديمة وسكانها على الحيوانات حيث يتم تخطيط وشق الطرقات بدرجة تسمح لحيوان واحد مزود بجرابين أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله بالمرور فنتج عن كل ذلك ضيق المسالك.

- الجانب المناخي:

وهو جانب مهم جدا في التأثير على تخطيط المدن القديمة بحيث يتم شق طرق ملتوية ومتعرجة للتقليل من هبوب الرياح الباردة أو الحارة والتي تكون غالبا محملة بالأتربة فالتعرج يساهم في كسر الرياح بشكل جيد جدا، أما عن ضيق المسالك فالهدف منه هو خلق أكبر قدر من الظل وخاصة في فترة ارتفاع درجات الحرارة وما يؤكد هذه النظرية هو أننا نجد أغلب المسالك في المدن القديمة مسقفة سواء أكان هذا السقف مستعملا أو غير مستعمل.

- الجانب الاجتماعي:

ضيق الطرقات والمسالك ناتج من تراص المباني وقربها من بعضها والذي يدل على الوحدة والتماسك في إشارة إلى قوة الروابط الاجتماعية القائمة بين أفراد المجتمع.

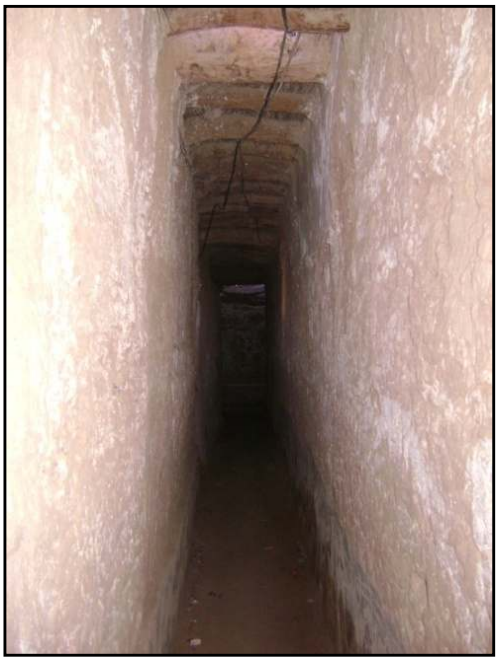

الصورة (II-10): صورة لزقاق بقصر كرزاز- بشار-
المصدر: الباحث 2009.

3)- 2- إبراز الملامح والرموز الاجتماعية:

هناك العديد من العناصر الخاصة بالمدن القديمة وخاصة المدن العربية منها تدل بصورة واضحة على أساليب العيش في تلك المدن العتيقة وتبرز تصرفات أهلها الخاصة أو العامة والتي نجد الكثير منها ذات مرجعية إسلامية ونذكر منها:

* الخصوصية: وهي تتجلى من خلال عزل الفرد الأجنبي عن العائلة على مستوى الخلية والوحدة السكنية عن طريق إقامة جدران صماء والتي قد تتخللها أحيانا بعض الفتحات المطلة على الشارع حيث تبدأ هذه الفتحات من مستوى الطابق الأول، كما أن جل المنازل تأخذ تقريبا نفس الشكل وهو الاعتماد على فناء مركزي تتم على مستواه كل الأنشطة اليومية خصوصا النسوية منها.

* تتجمع الوحدات السكنية مع بعضها بشكل عنقودي فينتج لنا عدة أحياء فكل قبيلة تأخذ حي معين تعيش فيه ويتم الوصول إليها عن طريق شبكة من المسالك شبه الخاصة والتي تأخذ شكل الممرات توصل إلى الأحياء.

* الأهمية الكبيرة للوقت المخصص للحياة الخاصة مع وضع مجموعة من القوانين تهدف إلى الفصل التام بين المجالات العامة والأخرى الخاصة، حيث تخصص المجالات العامة كمراكز يتم على مستواها الأنشطة العمومية كالصلاة والتجارة، أما نظيرتها الخاصة فتأخذ الاهتمام الأكبر لارتباطها بالنشاطات العائلية والأسرية الخاصة، وفي دراسة تحليلية معاصرة قام بها (حكيم، ب، 1996) أشارت إلى أن 69% من مساحة مدينة تونس مخصصة للإسكان بما في ذلك الأفنية الداخلية، وأن 12.5% من مجمل المساحة مخصص للطرق بما في ذلك الممرات والمسالك التي يمكن ضمها إلى الجزء الخاص، في حين أن 07% مخصص للنشاطات والوظائف الدينية، أما البقية الباقية فموجهة إلى النشاطات الاقتصادية.

* الفصل المجالي الجيد في الأحياء المتجانسة ونقصد بهذا الفصل بين المباني المتقاربة كالمسجد والحمام والسوق، هذا التجانس ينشأ أساسا من قاعدة دينية أو عرقية.

* إبعاد الغرباء والأجانب عن المجالات الأسرية أدى كما أسلفنا إلى إعطاء مبادئ خاصة في تخطيط الأحياء عن طريق التدرج في الطرقات من العام إلى الخاص، كما أدى أيضا إلى إنشاء واستحداث مباني خاصة بالمسافرين والتجار ومجالات خاصة بالعبور وإنشاء المخازن والمستودعات تأخذ عدة تسميات حسب المنطقة كالخان والفندق والوكالة، وتأخذ شكلا عاما عبارة عن فناء رحب محاط ببناءات ذات طوابق وأروقة وتكون هذه المباني على مقربة من السوق والأماكن العامة.

* الغياب الواضح للتدخل الحكومي في مسائل البناء والتعمير في المدن العتيقة وخاصة العربية منها حيث أكد (جميل عبد القادر، أ، 1995) أنه << لم يكن للسلطة تدخل كبير في شؤون تسيير

أحوال الناس، وكان تدخلها مقتصرا على فض النزاعات التي يعجزون عن حلها في ما بينهم، فكان تسيير الأمور يعتمد اعتمادا كبيرا على العادات والأعراف.>>

ولا ننسى كذلك الدور المهم الذي لعبه العلماء ورجال الدين في تسيير أمور الناس في تلك الأزمنة فقد كانوا يحظون بمكانة عالية وإليهم يرجعون في أمور الحل والعقد، والسلطة إنما فضلت عدم التدخل في شؤون الناس كونها علمت أن تدخلها يعد إرغاما للسكان على أمر قد لا يكونون راضين عنه ولذا نجد عمر رضي الله عنه يقول (ردوا الخصوم حتى يصطلحوا فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن).

وإذا كان هذا في مسألة واحدة فكيف بمن تفرض عليه نمطا معينا من العيش قد لا يعجبه ولا يتماشى مع رغباته وعاداته وتقاليده.

* إن من أهم خصائص البيئة التقليدية التي أوردها (جميل عبد القادر، أ، 1995) هو تواجد جميع عناصرها المهمة داخل العقارات الخاصة كالمنازل والقصور أو العقارات ذات الاستخدامات المحددة كالمدارس والمساجد على عكس البيئة الحديثة فالكثير من ثروات المجتمع تستثمر في المناطق العامة كالساحات والطرقات ولنأخذ الأشجار كمثال، ففي المدينة التقليدية نجد أن غالبية الأشجار متواجدة في أفنية العقارات الخاصة كالمنازل والقصور والمدارس والمساجد بينما تندر في الأماكن العامة كالساحات والطرق والشوارع، وهذا خلاف المدينة الحديثة حيث نجد بها أن أغلب الأشجار متواجدة في الأماكن العامة كالطرق والحدائق والساحات العامة وهذا الاختلاف له أسباب كثيرة منها السبب الاجتماعي وهو الأكثر شيوعا بين الباحثين وهو أن العمارة الإسلامية تنظر إلى الأسرة من ناحية الستر (الخصوصية) والبعد عن أعين المتطفلين ولذا فقد وفرت للإنسان كل شيء في بيته هذا على عكس العمارة الغربية التي تدعو إلى الاختلاط فلا بأس عندها من استخدام الحدائق العامة مجتمعين ولذا كثرت الأشجار في الأماكن العامة.

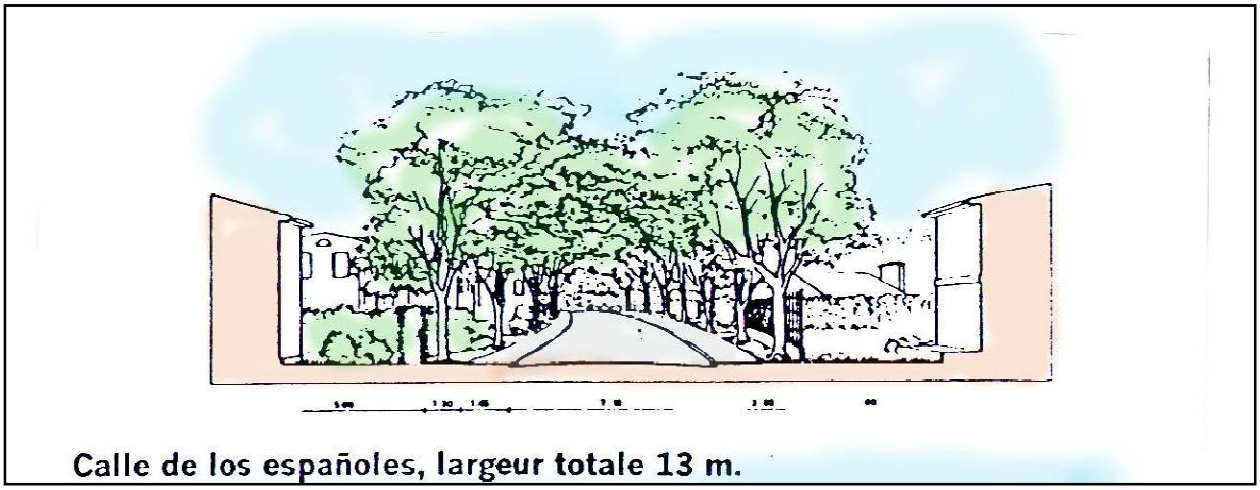

الشكل (II-1): مقطع لأحد شوارع المدن الحدائقية.

بعرض 13م.

المصدر: (Panerai, Ph & Al, 2002).

الشكل (II-2): مقطع لأحد شوارع المدن الحدائقية.

بعرض 20,20م.

المصدر: (Panerai, Ph & Al, 2002).

الشكل (II-3): مقطع لأحد شوارع المدن الحدائقية.

بعرض 30,50م.

المصدر: (Panerai, Ph & Al, 2002).

الشكل (II-4): مقطع لأحد شوارع المدن الحدائقية.

بعرض 25,25م.

المصدر: (Panerai, Ph & Al, 2002).

* الأوقاف والحبس:

وهي إحدى خصائص المدن القديمة حيث يقوم أحد الأغنياء بوقف شيء مما يملكه في سبيل الله بحيث لا يكون لأحد الحق في الاستفادة منه إلا من أوقف لهم وكمثال أن يقوم أحد بوقف أحد بساتينه لابن السبيل فلا يحق لأحد أن يأكل منه ما عدا أبناء السبيل، ويعتبر الوقف والتسبيل عند علماء الدين الإسلامي من الصدقات الجارية التي يلحق ثوابها وأجرها صاحبها بعد موته.

* القيام بإجراءات وحلول من أجل التكيف مع المناخ، وسوف نقتصر في هذا العنصر وتماشيا مع منطقة الدراسة على ذكر بعض الحلول المعمارية والعمرانية المتخذة في المدن العتيقة من أجل التكيف مع المناخ الحار والجاف.

أ- في فصل الصيف:

1- توفير أكبر قدر من الظل بواسطة:
- المخططات المتراصة.
- الأفنية الداخلية.
- التقليل من الفتحات واستعمال جدران صماء.
- استعمال عناصر معمارية مثل المشربيات وكاسرات الشمس.
- الأروقة المغطاة.

2- العمل على خلق حركية للهواء من خلال خلق فتحات تسمح بحركة الهواء.

3- عزل مركز الحرارة من خلال استخدام جدران وأسقف تمتاز بالثقل والسماكة الكبيرة.

4- التبريد: ويتم هذا عن طريق إدخال عنصر الماء إلى البيوت من خلال إنشاء النافورات وكذا إدخال العنصر الأخضر.

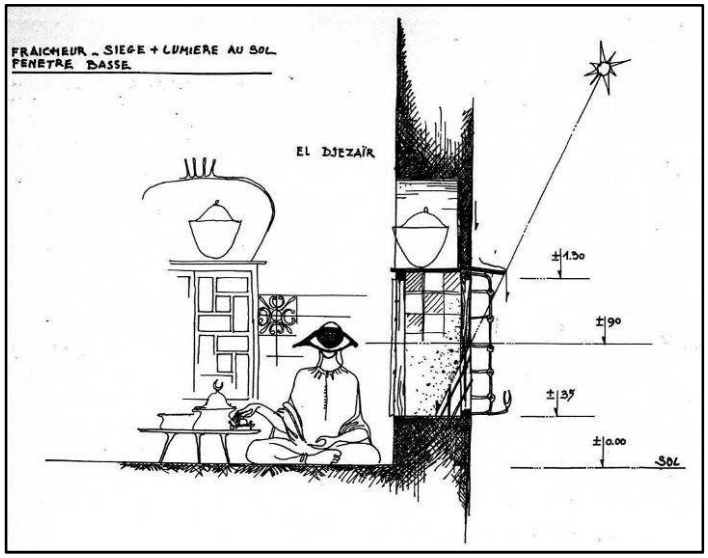

الشكل (II-5): الجدران والفتحات المدروسة للتقليل من الحرارة.

المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

ب- في فصل الشتاء:

1- العمل على توقيف حركة الهواء من خلال القيام بشق فتحات صغيرة للتهوية.

2- القيام بعمليات التدفئة والاعتماد على عنصر النار.

(المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007).

ج- الطرق والممرات المغطاة تسمح بتحقيق وتوفير برودة لطيفة للمارة، كما أنها تحمي جدران المنازل من أشعة الشمس مما يحقق برودة أكبر داخل المنازل، كما أن تعرج الطرق وعدم استقامتها يعمل على كسر وإيقاف عمل الرياح.

الصورة (II-11): توفير الظل بواسطة الطرق المسقفة
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

د- الفتحات الرأسية الصغيرة تسمح بمرور الضوء وتمنع دخول الحرارة.

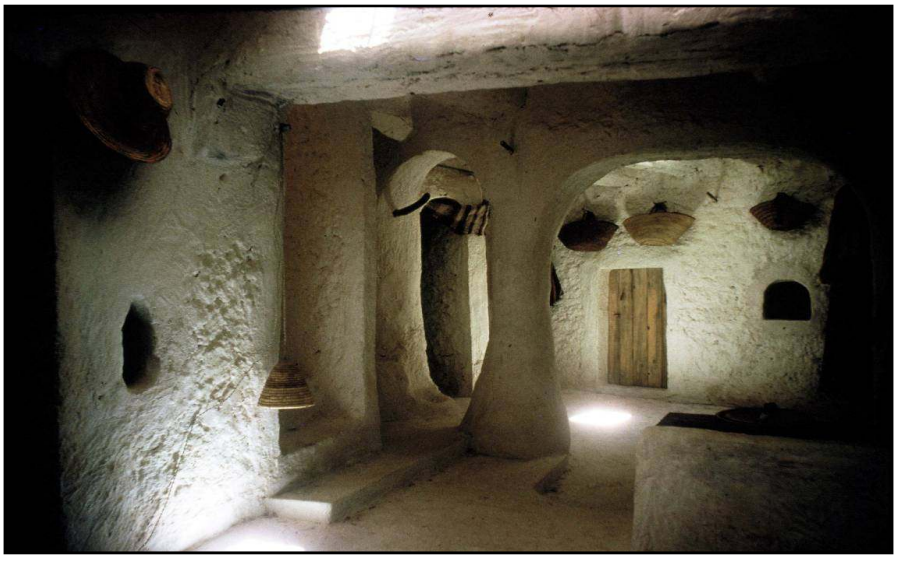

الصورة (II-12): الفتحات الصغيرة تسمح بدخول الضوء وتقلل من الحرارة.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

ه- المجالات المفتوحة والمغلقة وعلاقتها بالأنشطة اليومية أو الفصلية، حيث يمكن اتخاذ عدة مجالات ذات استعمالات متعددة حسب اليوم أو الفصل على غرار السطح الذي يسمح بالنشاط فيه والعمل، وعند ارتفاع درجات الحرارة يمكن النوم على السطح، كما أنه وفي بعض أيام السنة ومع تلطف درجات الحرارة يمكن العمل على السطح.

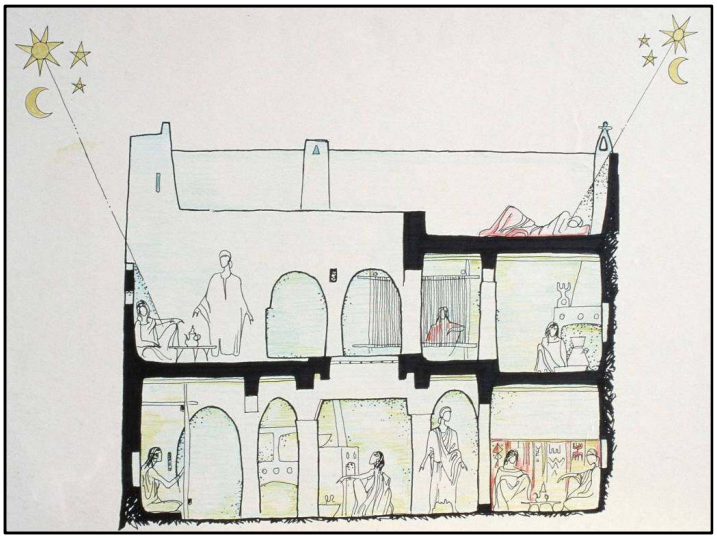

الشكل (II-6): الاستعمال المتعدد للمجال الواحد.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

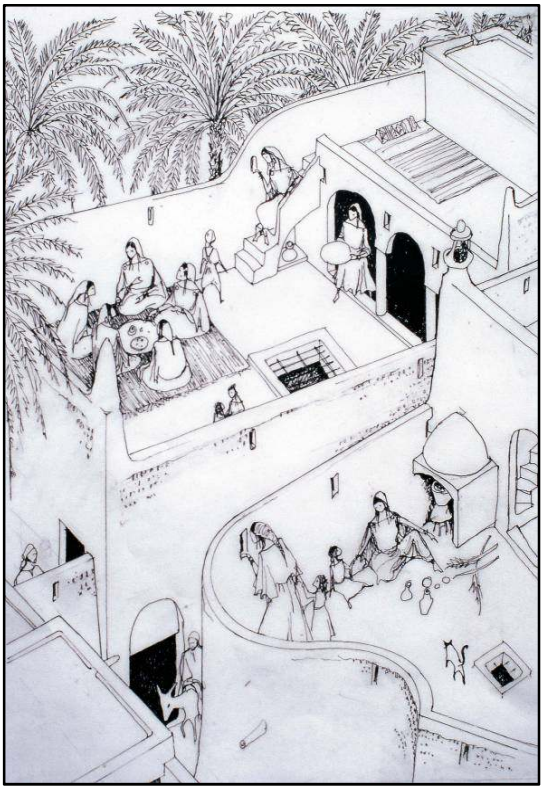

الشكل (II-7): استعمال السطح عند تلطف درجات الحرارة.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

و- استعمال كاسرات الشمس للتقليل من دخول الشمس حيث تكون الكاسرات متناسبة مع الواجهات فنجدها أفقية في الواجهات الجنوبية وعمودية في الواجهات الغربية (الشكل -11-)، كما أننا نجد أيضا نوعا أخر من العزل الحراري وهو الجدران المغطاة حيث تكسى الواجهات بطبقة مفصولة عنها مما يسمح بمرور الهواء والحفاظ على البرودة. (الشكل -11- والصورة -24-)

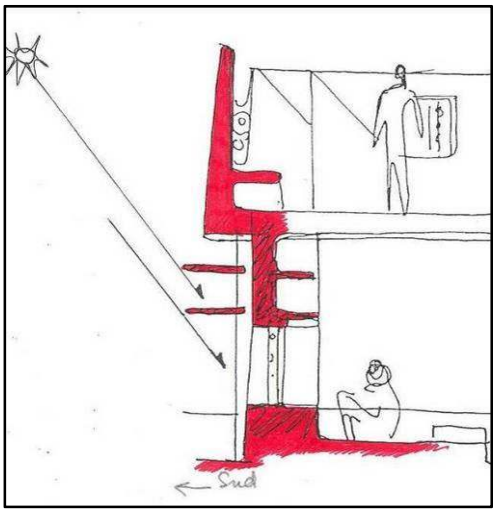

الشكل (II-8): كاسرات الشمس المتناسبة مع الواجهات.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

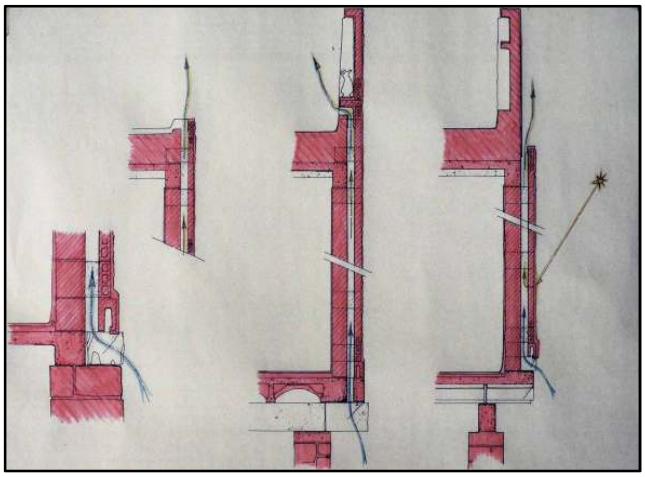

الشكل (II-9): الجدران المزدوجة للتبريد.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

الصورة (II-13): كاسرات الشمس والجدران المزدوجة للتقليل من الحرارة.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

ي- التحكم الجيد في الأبعاد والنسب مما يخلق مجالات متكيفة بشكل شبه تام مع المناخ السائد يدل على معرفة جيدة بأحوال الطبيعة والتقدير المحكم للأبعاد والارتفاعات.

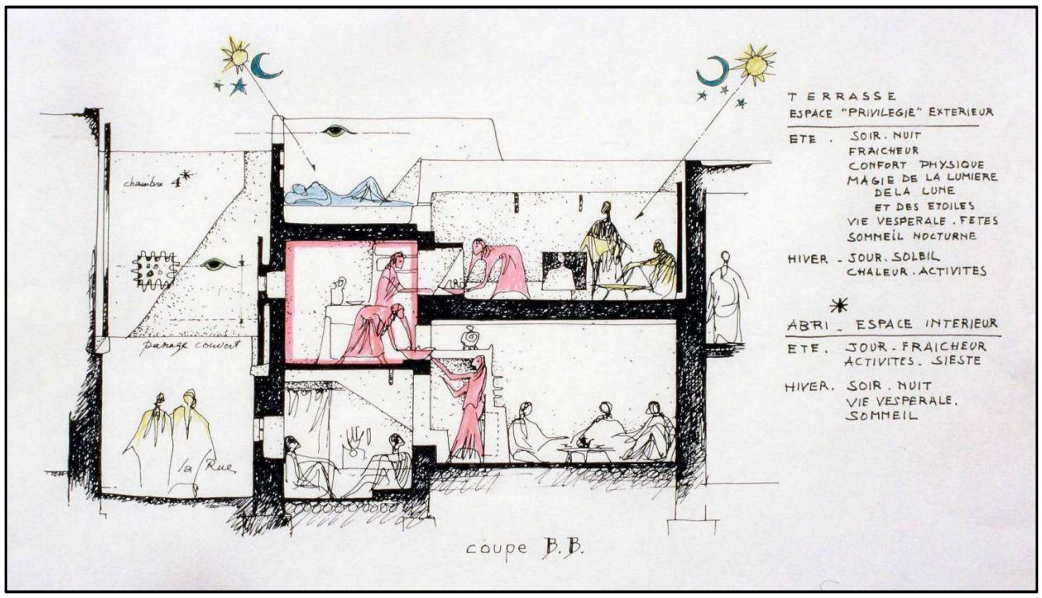

الشكل (II-10): التحكم الجيد في الأبعاد والنسب.

المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

ل- التدرج في المجالات من المفتوحة إلى النصف مفتوحة إلى المغلقة والتقدير الجيد للمسارات والطرق وأحجام الأحياء مع إنشاء الطرق المغطاة على كامل المسار لتوفير أكبر قدر من الظل والبرودة.

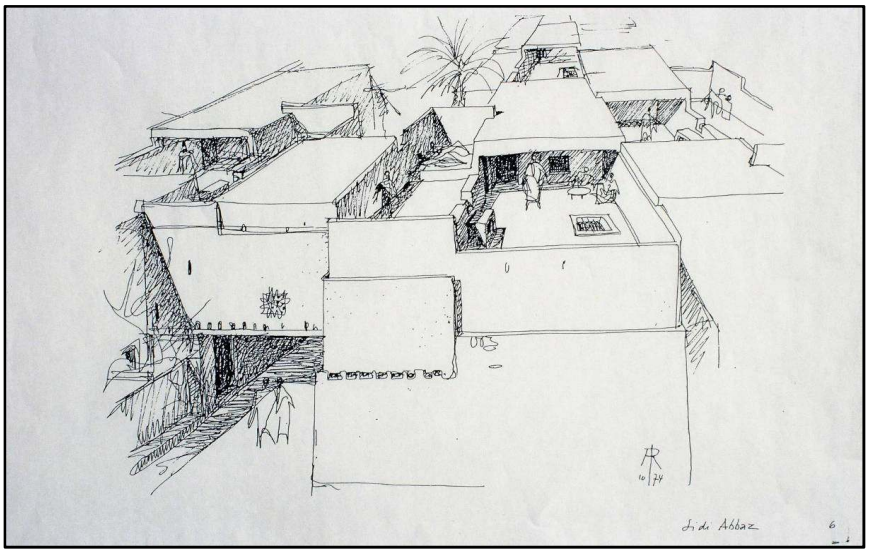

الشكل (II-11): التدرج في المجالات من المفتوحة إلى المغلقة.

المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

م- وفي المناطق ذات الإشعاع الشمسي الكبير (المناطق الجافة وشبه الجافة -منطقة الدراسة-) يلجأ السكان المحليون بغية التقليل من الضوء في الجزء العلوي من خلال وضع زجاج سميك ويوضع الزجاج الفاتح في الأسفل للسماح بمرور النور بشكل غير مؤثر.

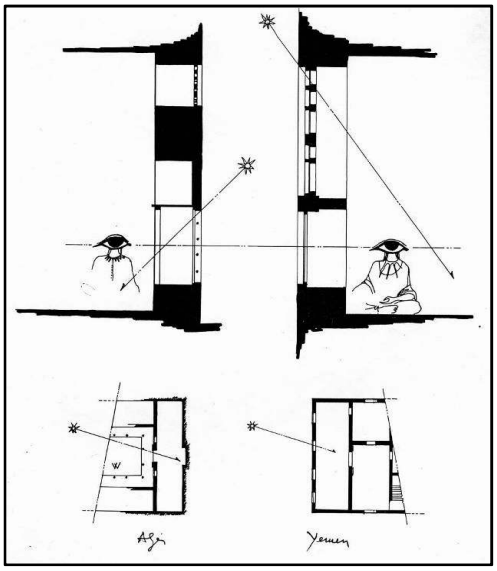

الشكل (II-12): التقليل من الإشعاع الشمسي.
المصدر: المؤتمر الدولي للعمارة والمناخ، ديسمبر 2007.

لقد عزف المصممون الجدد واستغنوا عن العمارة القديمة التي طالما حققت للإنسان العيش الأمثل من خلال استجابتها لأكبر قدر ممكن من متطلبات حياته، ولعل السبب الفاعل هو تأثر هؤلاء المصممون بحال المسلمين اليوم وما آل إليه واقعهم من ضياع وضعف وما هو عليه العالم المتحضر بقيادة الغرب وما يسمى بالنظام العالمي الجديد الذي أدى إلى إنتاجية أكبر وتقنية عالية ورفاهية تبهر العقول في بعض الأماكن وتمزق الإنسانية في أماكن أخرى وما انجر عن هذه الحداثة المزعومة من انتشار للفقر والجهل والمرض.

إن الحداثة هي إحدى نتائج النظام الرأسمالي المعروف بالنظام الليبرالي الذي حقق للعالم تقدما مشهودا في شتى مجالات الحياة كالطب والتعليم والصناعة وحتى في السياسة من خلال مبدأ التعددية الحزبية تحت شعار الديمقراطية، وانتهت بالعالم إلى مفهوم الحداثة الذي يهدف إلى السيطرة والتحكم في قوى الطبيعة قدر المستطاع، لكن وبالملاحظة يتضح أن مجتمعات الحداثة قادت العالم إلى ما يسمى بالتلوث البيئي.

وبالعودة إلى تاريخ الإنسان الأوربي نجده إنسانا مقلدا ومطموس الشخصية جراء تسلط وتحكم الكنيسة في العصور المظلمة الأوربية، أدى هذا إلى سخط الأوربيين وتولد الرغبة في التحرر وتحكيم العقل في تسيير شؤون حياتهم وقد عرفت هذه المرحلة بعصر النهضة الأوربية.

إلا أن هذا النهج لم ينتصر إلا في القرن الثامن عشر (18) وبفضل مساهمات الفلاسفة أمثال **كانط** و**فولتير** و**روسو** الذين رأوا إمكانية تشكيل دستور للحريات وخلق السلام بين الأمم من خلال التقدم البشري، ولاقى هذا الفكر قبولا شعبيا في أوربا فقامت الثورة الفرنسية ضد الاستبداد

الإقطاعي ومحاولة من أجل تسويد القانون، وقامت الثورة الصناعية التي حررت الإنتاجية برأسماليتها وخلقت أفاقا أخرى اتسمت بالرفاهية والرقي.

غير أنه لم يلبث هذا النهج أن تواجهه موجات من السخط والتذمر لا سيما بعد انتشار إفرازاته الغير مرغوبة من ظهور للطبقية في أوساط المجتمع وانتشار واسع للفقر والجهل واستغلال اليد العاملة والتسابق نحو التسلح، هذا الأخير أدى إلى ظهور آفة كانت السبب في انقسام العالم ورقي جزء منه على حساب الأخر ألا وهي الاستعمار، حيث نجد أن الدولة الأقوى أرغمت الدول الضعيفة إلى الاستجابة لرغباتها فنجد كل ما يتم انجازه في هذه البلدان يتم وفق وكما تريده الدول الأقوى فنمط تعليمها هو السائد وطراز بنائها هو الغالب، فظهر نوع من جديد من البناء المتمثل في الطراز الاستعماري الذي كان يستمد مبادئه وتعاليمه من مبادئ الحداثة.

لقد أفرزت الحداثة عن نتائج لم تخطر ببال أحد حتى من سطروا أسسها وسنوا قوانينها فثارت ضدها العديد من الأصوات المناهضة وعلى رأسهم المفكرون الأوربيون أمثال **جان ليوتار** و**مايكل فوكو** و**جاك داريدا** الذين ثاروا وبشدة على أسس الحداثة معتبرين إياها تسعى للسيطرة والتحكم رغم ما تدعيه من تحرر واستقلالية، فهي تخضع الناس لإرادتها، فمن ملك شهادات أعلى كانت له السيطرة، ومن ملك المال أكثر كان الأحق بالمتعة، ومن ملك التقنية والقوة العسكرية احتل واستعمر من لم يملكها، فيمكن تلخيص نتائج الحداثة في تغليب الغريزة المنفعية السلطوية على الغريزة المعرفية التحررية، والمتأمل يرى وبوضوح أن الحداثة خرجت بالمجتمع من تسلط الكنيسة لتوقعه تحت سلطة المال والقانون والمنفعة الخاصة.

وقد جاء التعمير الاستعماري بمنطق جديد ومخالف لما كان عليه الأمر في العمران التقليدي بحيث يمكن اعتبار أن التعمير الاستعماري يعد البذرة الأولى في تغير المركزية التي كانت متمثلة في القصر.
وقد قام الباحث(Kouzmine, Y, 2007) بعرض المنطق التعميري في الجزائر من خلال تقسيمه إلى ثلاث حقب رئيسية كما يلي:

*** المنطق القديم في التعمير:**

يكون هذا التموضع على حساب القوافل التجارية المتنقلة عبر الصحراء أي على خطوط الطرق القافلية التجارية، كما يمتاز بالإدماج الكبير مع العناصر النسقية (ماء/واحة)، أما على صعيد الأنشطة السياسية أو الاقتصادية والاجتماعية فهي مركزة بشكل تام داخل حدود القصر الذي يكون دائما متجاورا مع مصدر المياه وغابات النخيل.(الشكل -11-)
كما أنه يلاحظ في العمران القديم وجود ما يسمى بالشبكة القصورية أو الواحاتية وهي توضع مجموعة من القصور إلى جنب بعضها بمسافات متناسبة للقيام بالتبادلات التجارية وإقامة علاقات وروابط تسعى للتعاون على البقاء والاستمرارية.(الشكل -11-)

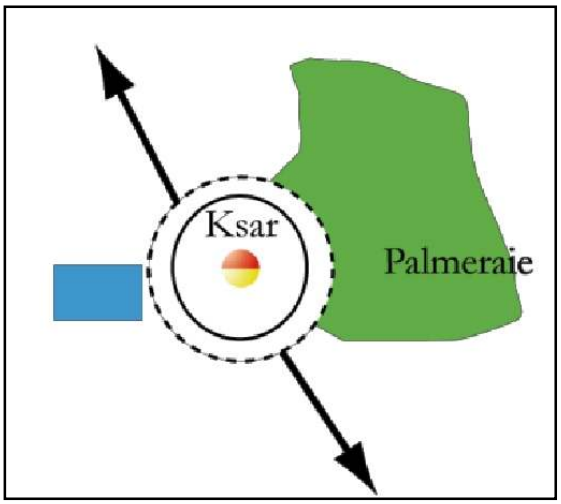

المفتاح:

- المركزية السياسية
- المركزية الاقتصادية الاجتماعية
- المصادر المائية
- حدود المبني

الشكل (II-13): رسم يوضح توضع القصور قبل الاستعمار.

المصدر: (Kouzmine, Y, 2007).

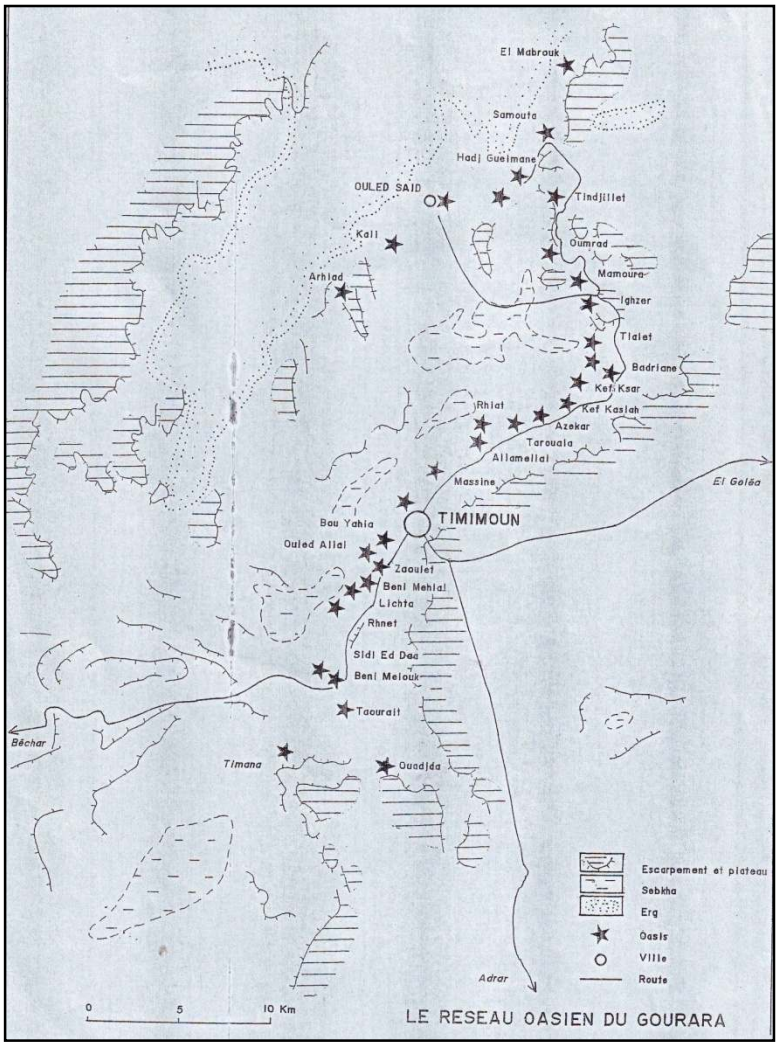

الشكل (II-14): رسم يوضح الشبكة الواحاتية لإقليم القورارا.

المصدر: (Cote, M, 2009).

*** المنطق الاستعماري في التعمير:**

ويتمثل في إنشاء مدن وأحياء جديدة يكون بعضها مرتبطا بالقصر وبعضها يكون معزولا تماما مما نجم عن هذا وكما أسلفنا تحول في المركزية، حيث نجد أن القصر حافظ على قوته الاجتماعية والاقتصادية في حين انتقلت القوة السياسية إلى ما تم تشييده من طرف المستعمر.

أما بالنسبة لما شيده المستعمر فان تموضعها لم يكن بالتماس مع مصادر المياه والغابات وذلك لاعتمادها على مصادر أخرى للبقاء (الاعتماد على الثروات المنقب عنها وتطور التقنيات المحققة لرفاهية الإنسان والتي ساهمت كثيرا في استقراره بالمنطقة)، وما يلاحظ أيضا هو لجوء المستعمر في أغلب الأحيان إلى إنشاء أحياء جديدة تكون في بداية الأمر محاذية للقصر القديم وهذا من أجل المراقبة وتحقيق الأمن ثم تنطلق بعدها عمليات التوسع والتي قد يأتي بعضها على حساب القصر بعد هجرة السكان منه.

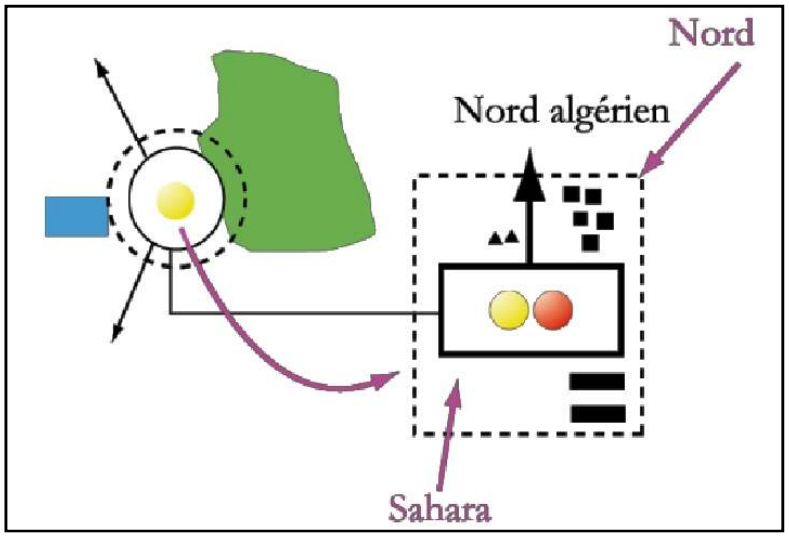

المفتاح:

- المركزية السياسية
- المركزية الاقتصادية الاجتماعية
- المصادر المائية
- حدود المبني
- سكنات جماعية
- سكنات فردية
- سكنات عشوائية
- وجهة هجرة السكان

الشكل (II-15): رسم يوضح توضع القصور والتوسعات الاستعمارية.

المصدر:(Kouzmine, Y, 2007).

*** منطق التعمير في زمن الاستقلال:**

ذكر (Kouzmine, Y,2007) عدة خصائص للتعمير الجزائري بعد الاستقلال لعل أهمها:

- تطور السكنات العامة الجماعية والسكنات الفردية.
- تطور أكثر للسكنات العشوائية.
- تقهقر واضمحلال السكنات العريقة.
- تطور النشاطات والمرافق العمرانية.
- انتشار واسع للمركزية حيث طغى حتى على حساب المواقع التوسعية المشيدة من طرف الدولة فأصبحت تشكل أقطابا اجتماعية واقتصادية لا يستهان بها.

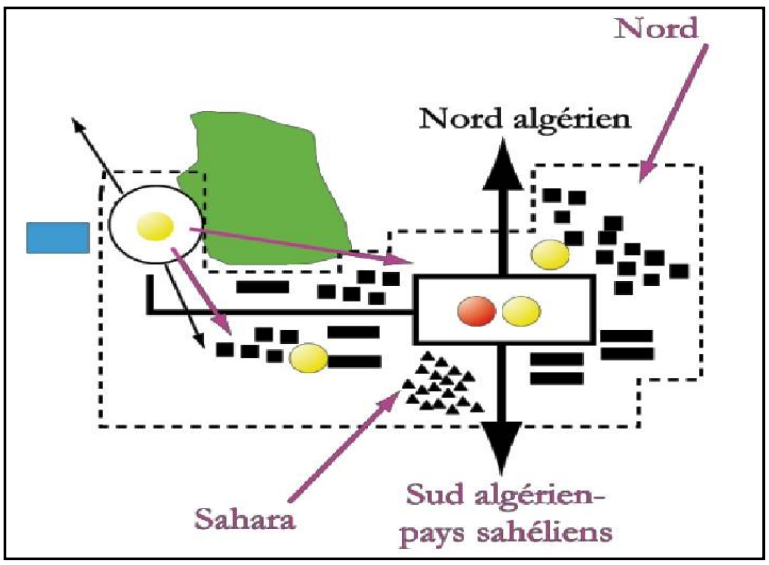

المفتاح:

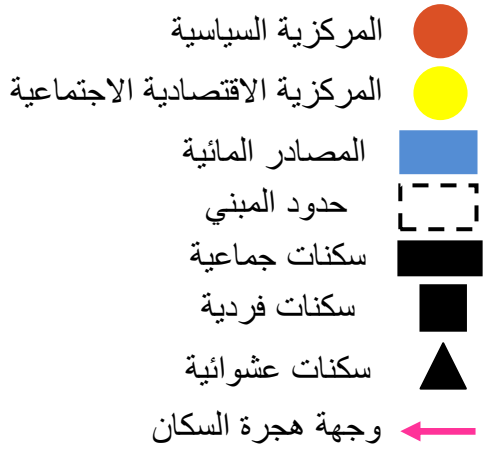

الشكل (II-16): رسم يوضح توضع القصور بعد الاستقلال.

المصدر:(Kouzmine, Y, 2007).

4)- تاريخ المدن القديمة قبل الإسلام:

تعد المدينة الإسلامية الأساس في دراسة المدن القديمة وهذا للأثر الكبير والبالغ الذي أحدثه الإسلام بعد مجيئه على تلك المدن والمجتمعات، فقد لوحظ أن هذه المدن يتم فيها تغير كبير وجذري أحيانا على مستوى الأنسجة العمرانية والرموز الاجتماعية بعد مجيء الإسلام وهذا لأن جل العادات والتقاليد يتم تهذيبها وأقلمتها لتتماشى مع تعاليم الشريعة الإسلامية، لكن تطرح إشكالية مفادها أنه لم تكن للعرب قبل مجيء الإسلام أي حضارة فقد كانت تلك الشعوب منتشرة في أقاصي الصحراء الواسعة للجزيرة العربية وتدور بينها حروب شعواء ويمتازون بالترحال والتنقل الدائم فكيف توصلوا إلى التربع والسيطرة على الإمبراطوريات العظمى آنذاك وإقامة حواضر ومدن تعد الأكبر في عصرها سنوات فقط بعد ظهور الدين الجديد.

وقد أجاب (خلف الله، ب، 2005) عن هذا التساؤل بقوله << ومن الناحية العمرانية يقودنا هذا الأمر أيضا إلى أن نتساءل عن النماذج والثقافات الخاصة التي تشكلت منها الحضارة الإسلامية التي أنتجت هذه المدن، كما يدفعنا للتساؤل عن مظاهر الحيوية والتنوع فيها من توسع مدروس بشكل دقيق وتنظيم داخلي محكم رغم ما يقال عن افتقار الفاتحين المسلمين العرب إلى هذه الروافد كما يرى بعض المشككين >>.

ومضمون الكلام الأخير أنه كانت للعرب أفكار عمرانية ومعمارية لكنهم لم يكونوا يولونها الاهتمام الأكبر، لكن بعد مجيء الإسلام وحثه على التعمير في الأرض وبعد الاحتكاك بالإمبراطوريات العظمى التي تم فتحها قويت هذه الرغبة لدى المسلمين في إنشاء عمائر خاصة بهم وتحمل صفاتهم وخصائصهم وهو الرأي الذي مال إليه بعض المفكرين حيث قال إن للعرب قوة تمكنهم من دمج الثقافات المحلية في آسيا الوسطى وبلاد فارس والمغرب العربي والأندلس في بوتقة جديدة موحدة ومتنوعة .

لكن الدكتور (خلف الله، ب، 2005) أكد وبشدة على أنه كانت للعرب قبل ظهور الإسلام مدن وعمائر تشهد على تمكنهم من فني العمارة والتخطيط، واعتبر أن من شكك في هذا فإنه يقدم طرحا سطحيا مناقضا للشواهد التاريخية المختلفة والثابتة التي تدل على تواجد مدن عظيمة وقتئذ ودلل على كلامه ببعض الأمثلة المختلفة فقال << إن في الهلال الخصيب مثلا نجد مدينة الحيرة عاصمة الفرات والتي كان يسكنها اللخميون كانت حاضرة كبيرة توجد بها قصور مميزة وسكنات فاخرة ومبان في غاية الجمال >>.

بل إن من أكبر ما يرد به على هؤلاء المشككين هو مملكة **سبأ** المذكورة في القرآن الكريم فقد كانت آية في الجمال والروعة فقال تعالى << لقد كان لسبإ في مساكنهم آية ...>> (سورة سبأ - 15-)، فالعرب قبل الإسلام << ليسوا أقواما متناحرة ومتقاتلة تعيش على الحل والترحال وعلى الغزو والإغارة فقط وإنما هم أيضا أصحاب حضارة وثقافة عريقة منهم الحضر الذين أقاموا حضارات وممالك ما تزال شواهدها قائمة لحد الساعة خاصة في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية>>.

5)- الأسس المادية لتنظيم المدينة العتيقة:

وتعد المدينة الأولى التي بناها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد هجرته من مكة نحو المدينة المرجع لما تم تخطيطه فيما بعد من مدن وعمائر وخاصة الأولى منها وهي مدن الفتوحات، وقد قام الدكتور خلف الله بتعدادها كما يلي:

5)- 1- المسجد الجامع:

وهو المؤسسة الروحية الثقافية الاجتماعية والوسط الهندسي للمدينة الإسلامية القديمة وهو الموضع الذي باستطاعة الجميع الوصول إليه من كل جهات المدينة دون صعوبات، والمسجد الجامع هو نقطة استقطاب عمراني ويلعب دورا اجتماعيا ثقافيا وسياسيا دينيا، فمن الناحية الدينية هناك الصلوات اليومية وصلاة الجمعة الأسبوعية والتي تعتبر فرصة للتواصل والتفاعل الاجتماعي، وهذه الصلوات من الناحية الثقافية هي فرصة للاستزادة من العلماء والاستنارة بعلمهم والتواصل معهم، كما أن الجمع واللقاء بين العلماء وقادة الدولة يعد أكبر فرصة من الناحية السياسية للتباحث فيما يخص الدولة ومشاريعها المستقبلية.

وانطلاقا من الموقع المتوسط الذي يشغله المسجد الجامع فقد شكل النواة الأساسية التي يتمحور حولها تكوين المدينة وتخطيطها فتنتظم حوله الأحياء والساحات والأسواق ويعتبر منتهى الطرق والأزقة والشوارع.

5)- 2- دار الإمارة:

وهذا المرفق لم يكن موجودا في بداية ظهور الإسلام وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرن بين وظيفة الحكم وسياسة المجتمع مع الوظيفة التعبدية داخل المسجد الجامع لكون القائد العام والحاكم هو نفسه الإمام القدوة المتجلي في شخص النبي عليه الصلاة والسلام، ومع مرور الزمن وتطور الدولة وانفصال شخص الحاكم عن الإمام أصبحت إدارة أمور الدولة تتطلب مجالا خاصا

منفصلا عن الوظيفة التعبدية فاستقلت وظيفة الحكم وإدارة الدولة وسياستها بمرفق خاص سمي **دار الإمارة**.

وبالرغم من الانفصال بين الوظيفتين الدينية والسياسية إلا أن المصممين اختاروا لدار الإمارة مكانا مجاورا للمسجد الجامع وهذا للدلالة على الترابط الوثيق بين الوظيفة السياسية والوظيفة الدينية، لكن ومع توسع رقعة الدولة وبروز الانقسامات والفتن الطائفية فقد اضطر المصممون لعزل دار الإمارة عن مساكن العامة والأسواق التي كانت تحيط بالمسجد وهذا بغية تأمين هذا المرفق.

وبرز هذا الأمر جليا في بغداد حيث اقتصرت المنطقة المركزية على المسجد الجامع وقصر الخلافة والدواوين، << وهكذا تغيرت معالم مركز المدينة الإسلامية فأصبح مركزها يضم المسجد الجامع وبجواره مركز الحكم أو دار الإمارة والدواوين التابعة لها وكذا دار القضاء، وشكلت هذه المرافق العامة نواة المدينة وجهازها الإداري الذي يشرف على جميع الشؤون من حكم وقضاء وحسبة وشرطة يؤطرها معنويا المسجد الجامع رمز الإشراف والمراقبة >>.

5)- 3- الخطط أو الأحياء السكنية:

وتكون الأحياء السكنية داخل المدن العتيقة مقسمة وفق التنظيم حيث يترك لكل قبيلة حرية تقسيم الحي الذي يسكنون فيه فيأخذ على عاتقها مسؤوليات البناء والتعمير ويعتبر كل حي نموذجا مصغرا للمدينة، كما تجدر الإشارة أنه لكل حي مسجده الخاص تقام به الصلوات الخمس فقط ويكون متوسطا من حيث موقعه، كما يمكن أن نجد بجواره مدفنا خاصا بسكان ذلك الحي بحيث يشكل الكل هيكلا عضويا متماسكا ومتكاتفا.

5)- 4- السوق:

لقد نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن البيع والشراء في المسجد ولذا فقد قام بإنشاء سوق لتعويض هذا الدور الحيوي بالمدينة وهو الدور الاقتصادي.

وتعتبر السوق إحدى أهم المكونات العمرانية للمدينة، وكانت في بداية الأمر عبارة عن أرض مشاعة لا تخضع لأي تحديد خاص ثم امتدت النشاطات التجارية بعد ذلك إلى الشوارع حيث أصبحت الشوارع التجارية تشكل مع السوق عنصرا تخطيطيا هاما للمدينة مرتبطا ارتباطا مباشرا مع سكانها لما لها من دور متميز في شحن حياتهم الاقتصادية والاجتماعية.

ولم تكن السوق تضم أي بنايات في أوائل ظهورها بل كانت عبارة عن فضاء واسع رحب، لكن بتطور العمران والحاجات المجتمعية فقد شرع في إقامة البنايات فيها، وأول من قام بهذا الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه فقد أقام بها بناءين هامين هما " دار الأقطران " و" دار النقصان "، وأما تعمير السوق وإقامتها كبناية فلم يتم هذا إلا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي أمر ببناء دار تضم سوق المدينة بأكمله << وبهذا أقام هذا الأخير لهذا الغرض جدارا ذا طاقات وبوابات ثم بنى البيوت التي احتوت جميع السوق، ويقال إن بوابات البنايات جلبت من مدينة البلقاء>>.

بل لقد أقام هذا الأخير القيصارية وهي السوق المغطاة وهذا بمدينة الفسطاط وسماها باسمه حيث جمع فيها بين الوظيفتين السكنية والتجارية حيث كانت هذه القيصارية مكونة من طابقين أحدهما أرضي ويضم حوانيت للتجار والباعة، أما الطابق العلوي فكان يضم المساكن التي كانت تؤجر للتجار، ويتم الوصول إلى هذه السوق بواسطة بوابات مفتوحة على الحارات.

ومن الكلام الأخير يتضح لنا أن الأمويين قد اهتموا بالأسواق اهتماما كبيرا ضمن سياسة الدولة التي وجهت لتعمير الدولة ودفع التطور الاقتصادي بها.

أما في العهد العباسي فقد ازداد الاهتمام بالأسواق ودفعها نحو التطور الكبير والفائق آنذاك فقد شكلت السوق في بغداد جزءا هاما من مخطط المدينة فقد كان هذا المرفق متوفرا في كل جزء من أجزاء المدينة، ولما توسعت المدينة رأى الخليفة **المنصور** إخراج السوق خارج المدينة للمحافظة على هدوء المدينة ونظافتها وأمنها.

بل لقد وصل الخليفة المنصور بالأسواق موصلا غاية في التطور، فعند إنشائه لسوق الكرخ حدد لكل أهل تجارة مكانا مميزا خاصا بهم وتعدى الأمر حتى وصل إلى أصحاب الحرف فقد قال **اليعقوبي** " فقد خصص لكل حرفة منطقة خاصة ..."، وبعد هذا التطور المذهل الذي عرفه هذا المرفق كان لزاما على الدولة وضع نظام معين يشرف على تنظيمه وتحصيل مدخوله فظهرت وظيفة المحتسب التي تم تطويرها فيما بعد إلى مؤسسة إدارية هامة تقوم بوظائف متعددة تسمى مؤسسة الحسبة.

وقد توصل الدكتور خلف الله إلى أن الأسواق في المدن الإسلامية القديمة أخذت تكوينا خاصا يقوم وفق نمطين رئيسيين هما:

* النمط الأموي:

يقوم النمط الأموي على أسواق مشكلة من مجموعة من الحوانيت تطل على ساحة مكشوفة في الوسط وللحوانيت ظهر إلى الخارج وفوقها سكنات كانت تؤجر لمن يرغب في السكن في هذا الموقع، وقد روعي في بناء السكنات الخصوصية الإسلامية التي تقدس حرمة العائلة ولهذا فقد صممت بطريقة تجعلها مفتوحة على الداخل وبعيدة عن فضول الغرباء في إطار القيم المجتمعية التي تمنع كشف الحرمات.

* نمط العصور الوسطى:

<<ويقوم هذا النمط أساسا على أسواق تتشكل من حوانيت متراصة تقع على جانبي الشارع الرئيسي للمدينة تمتد إلى الشوارع الفرعية منها، ويرتبط وجود هذا النوع الخاص من الأسواق بوجود شوارع نافذة تنتهي عادة إلى عنصر معماري مهم كالمسجد الجامع أو دار القضاء مثلا >>

كما امتاز هذا النمط أيضا بأنه جعل لكل أهل صنعة سوقا خاصة بهم وتعرف صناعتهم فيها، وقد تحكمت نوعية النشاط الغالب في توزيع هذه الأسواق داخل المدينة فالتجارة التي كان يستعمل فيها الوقود ويصدر عنها دخان أو شرر أو رائحة غير مرغوبة كالحدادة والخبازة كانت بعيدة عن سوق العطارين والبزازين وهذا لعدم التجانس وإمكانية تضرر إحداهما بالأخرى.

5)- 5- الشوارع والطرقات:

وهي المجالات التي تسمح بالربط والاتصال بين المكونات العمرانية والمعمارية للمدينة، وهي تتكون عموما من شوارع رئيسية تربط بين الأطراف تتخللها أخرى فرعية تتوغل وتمتد إلى داخل الخطط والأحياء السكنية لإظهار مبدأ التدرج من العام إلى الخاص، وقد أصبحت شبكة الطرقات والشوارع في المدن على اختلاف أنواعها وأشكالها وأبعادها تمثل عناصر عمرانية ذات أهمية كبرى للتطوير الاقتصادي والاجتماعي والعمراني للمدن، كما أن للتنقل والحركة والاتصالات دورا مؤثرا وهاما في إحداث التفاعل البشري الذي يؤدي إلى التوسع المجالي، فقد كانت الطرق الأولى التي أسسها النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة ذات أبعاد محددة فلم تزد الطرق الرئيسية عن (10) أذرع (05 أمتار)، بينما يتراوح عرض الطرق الجانبية بين (05) و(07) أذرع، واختيار هذه الأبعاد للطرق الهدف منه تحقيق التدرج المجالي من العام إلى الخاص في خطوة هادفة إلى الحفاظ على حياة الجماعة والتقوية بين العلاقات الأسرية وتعزيز حسن الجوار وتوفير الظل وتعديل درجات الحرارة.

وإضافة إلى الاهتمام بأبعاد الطرق والشوارع فقد اهتم المصممون أيضا بتوجيه الشوارع وجعلها متكيفة مع المعطيات المناخية من خلال توجيه الشوارع توجيها يتناسب مع حركة الشمس ومع الرياح السائدة وهذا لتوفير الظل والاحتماء من الرياح الغير مرغوبة وجلب الرياح المحببة، ففي المدن الواقعة في الأقاليم الحارة يتم توجيه الشوارع من الشمال إلى الجنوب لتكون عمودية مع حركة الشمس وبهذا يتوفر الظل أغلب فترات النهار ويتم مع كل هذا جلب الرياح الشمالية الباردة، وعلى العكس في المدن الواقعة في المناطق الباردة فتوجيه الشوارع بها يكون شرق غرب.

كما كان لارتفاع المباني وبروز الشرفات وبعض العناصر في الواجهات الأثر الكبير في توفير الظل في الطرق والشوارع فغالبا ما كان ارتفاع المباني يصمم بحيث يصل إلى أربعة أضعاف عرض الشارع في بعض الأحيان.

وبفضل ربط الشارع بالإنسان في علاقة مميزة تشعر الإنسان بكيانه فقد تمكن المصممون من تحقيق الجانب الجمالي في الشوارع والطرقات وطرد الملل عنها من خلال الشعور بالتغيير والتنوع في منظر الشوارع والساحات وهذا بفضل عاملي الضيق والاتساع، كما أن عدم امتدادها على استقامة واحدة إلى مسافات طويلة تبقي الرؤية المنظورية في إطار معقول غير ممتد إلى الشكل اللانهائي كما هو عليه الحال في مدننا اليوم، وعموما يمكن تقسيم الشوارع والطرق إلى:

* الطريق العامة العمومية:

وهي الطرق ذات الاستعمال العام التي يتقاسمها جميع السكان وتقع مسؤولية صيانتها والمحافظة عليها على عاتق الدولة وهي من جهة تصميمها نافذة داخل الأحياء وتكون مفتوحة وموصلة إلى غيرها من الشوارع ويطلق عليها أيضا الشوارع الرئيسية.

* الطريق المغلقة:

وهي الطرق ذات الطابع الخصوصي الموصوفة بعدم النفاذ كما أن ملكيتها وحق الانتفاع بها مشترك بين أصحاب المساكن المحيطة بها ولا سلطة مباشرة للدولة عليها إلا بطلب من أصحابها.

5)- 6- المنشآت الدفاعية:

وهي إقامة عوامل تقوم أساسا كعراقيل في وجه تقدم المهاجمين والوقاية من كل أساليب هجومهم وتمكن المدافعين عن المدينة من رد الخطر الداهم والتصدي للهجوم المحتمل، وقد بدا هذا الأمر بإقامة الأسوار وحفر الخنادق حول المدن ثم تطورت شيئا فشيئا لتتجاوز العيوب التي أظهرتها التجارب.

وقد يلجا في بعض الأحيان إلى القيام بتحصين المدينة قبل إنشاءها وذلك حين يتم اختيار الموقع الحصين بطبيعته كإقامتها فوق هضبة وعرة من الجبل أو إحاطتها بنهر أو خندق عميق، ويرى عدة باحثين أن المزاوجة بين التحصين الطبيعي والتحصين الاصطناعي الذي يتطور بمرور الأزمنة والعصور وتطور وسائل الحرب الهجومية والدفاعية هو الحل الأمثل لتحقيق أكبر قدر من الحماية للمدينة وسكانها.

5)- 7- الرحبات والميادين:

وهي الساحات الشاغرة الغير مبنية وتكون مفتوحة ومتعددة الوظائف حسب أوقات اليوم وحسب المناسبات والأعياد والفصول، ويعتبر الميدان والرحبة من الناحية الاجتماعية مجالا للتفاعل الاجتماعي والتبادل الإعلامي والتواصل بين أفراد المجتمع، كما انه من الناحية الهندسية يعد ملتقى مجموعة من الشوارع والأزقة مما يسهل تدفق الحركة منها واليها.

ويطلق اسم الرحبة على المجال الواسع الخالي من البنايات أما إذا كان بها بنايات أو ما شابه فإنه غالبا ما يطلق عليها اسم العرصة.

وتختلف الرحبات حسب تسمياتها واتساعها ونوع النشاط المقام بها، كما أنها قد تشتمل على بعض المرافق العامة التي تدعم النشاطات خاصة مصادر المياه للشرب والوضوء المتمثلة في العيون والنافورات.

5)- 8- الحمامات العامة:

<< أنشأت الحمامات لخدمة عامة المسلمين من سكان المدينة وذلك لأنها تؤدي وظيفة مرتبطة بالوظيفة التعبدية المتمثلة في الصلاة والتي يشترط فيها الطهارة، وبما أنه ليس بمقدور كل المنازل أن تتوفر على هذا العنصر المعماري فقد ظهرت الحمامات كمحلات عامة لهذا الغرض.

وحرص المصممون للحمامات على طهارة مياهها مما استوجب تصميم أحواض بطريقة خاصة تلبي هذا المطلب، وقد أحصى **اليعقوبي** عام 272 هجرية عشرة آلاف حمام ببغداد لوحدها، وتطورت الحمامات فيما بعد حتى ذكر **الصابئي** أن عددها صار ستين ألفا عام 448 هجرية والفرق بين الرقمين يعطي دلالة واضحة على توسع عمران المدينة.>>

5)- 9- الحدائق والمساحات الخضراء:

وهي مجالات لم تكن ذات أولوية في التخطيط العمراني في أوائل ظهور المدينة الإسلامية وإنما ظهرت بعد ذلك بسبب توسع رقعة الدولة وتحسن الظروف المادية والأمنية، وقد أبدع المسلمون في فن التزيين والتأليف العمراني وإنشاء الحدائق وهذا للعوامل التالية:

- القيمة الكبيرة التي أعطاها الدين الإسلامي للشجرة والحث على غرسها والاعتناء بها.
- التأثر بالحضارات العظمى التي تم فتحها والتي كان لها الباع الأعظم في ميدان التصميم وتزيين الحدائق.

وللفوائد الجمالية والاجتماعية والمناخية والصحية التي تحققها المساحات الخضراء فقد اهتم المصممون بتزيينها والاعتناء بها وهذا بجعلها مجالات خاصة وإحاطتها بالأسوار والنخيل لحجب الأنظار وتحقيق الحرمة واختيار المواقع المميزة كالروابي والسهول، وعلى العموم فقد استخدمت في الحدائق الإسلامية عناصر أساسية نذكر منها:

- الأشجار والنباتات التي كان الغرض منها توفير الظلال والمتعة البصرية وتحقيق الحرمة حيث بالغ البعض في الاعتناء بها حتى ذكر أن **خمارويه بن أحمد بن طولون** كسى جذوع نخل قصره بالنحاس المذهب.
- المياه التي ترمز إلى أصل الحياة عند المسلمين ويعد عنوان الطهر والصفاء واستخدامه على شكل مسطحات عليها الأشجار والنافورات والعيون وإكساءها بالفسيفساء ووضع الأسماك والطيور.

ومع هذا كله فقد اعتنى المسلمون بأساليب وكيفيات المحافظة على الماء والاقتصاد فيه فقد قام المصممون بما يلي:

- وضع النافورات والمسطحات المائية داخل الأفنية المنزلية وإحاطتها بالأشجار للحماية من أشعة الشمس والرياح والغبار والأتربة.
- تضييق القنوات التي تتدفق فيها المياه لتفادي التسرب والتبخر.
- اختيار الأشكال المناسبة التي تقلل من حجم المياه المستعملة.
- إعادة استعمال المياه.

وقد وصل المسلمون في باب الحدائق إلى أروع الأمثلة وخاصة حدائق الأندلس التي وصفت بأنها حديقة الحضارة الإسلامية.

5)- 10- المرافق العمومية:

وهي المرافق ذات المنفعة العامة التي يشترك في استعمالها والانتفاع بها جميع السكان، وقد كانت هذه المرافق تستحدث استجابة للمطالب الصحية والاقتصادية والبيئية والسياسية، كما اقتضت الضرورة أن تنشأ المرافق العمومية وتتطور بتطور الحاجات في المدينة، وهكذا فكلما ظهرت ضرورة أو بدت حاجة ملحة يتم إنشاء مرفق عمومي خاص بها، وعلى سبيل المثال عند تزايد قدوم الوفود الزائرة والمبايعة للرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة لم يعد المسجد الجامع كافيا لاستقبالهم مما أوجب التفكير في إيجاد مكان لنزولهم وإقامتهم ومنه فقد تأسست دور الأضياف التي كان أهمها دار **عبد الرحمن بن عوف** ودار **رملة بنت الحارث الأنصارية**، وعلى صعيد الاهتمام بالحياة اليومية للمسلمين وتوفير ما يلزمهم فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الإنفاق بسخاوة على الماء الشروب وقد بادر المسلمون إلى ذلك فاشترى **عثمان بن عفان** رضي الله عنه بئر رومة وليس بالمدينة يومئذ بئر يستعذب منها غيرها ووهبها للمسلمين.

<< وهكذا ندرك بوضوح إذا أردنا التأصيل أن ملامح تكوينات المدينة الإسلامية في المجال العمراني ومنهج تخطيطها وتسييرها وإدارتها بدأت كلها في مدينة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم الذي وضع بنفسه مخططها النموذجي الذي يحفظ تماسكها ويقوي الروابط الاجتماعية والثقافية بين سكانها وقد مكن هذا التصور من جمع شتات ما كان يعرف بيثرب في مدينة جديدة موحدة الكيان وعضوية الهيكل ومتماسكة الأطراف وذات دعائم موطدة هي المدينة المنورة، وهكذا تشكل عمليا النموذج الأول للمدينة الإسلامية بلمسات بسيطة في ظاهرها وعميقة في معانيها ومقاصدها.>>

6)- الواقعية في العمارة والعمران العربي الإسلامي:

ونعني به مدى ارتباط وانسجام واستجابة المنتوج المعماري والعمراني لمتطلبات المجتمع الذي أنتجها ودرجة تماشيها مع مقومات هذا المجتمع، فحتى تكون العمارة أكثر واقعية يجب أن يتوفر فيها أكبر قدر من الدلالة عن المعطيات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والزمانية والمكانية لمجتمعها أي بعبارة أخرى يجب أن تكون هذه العمارة منبثقة من صميم بيئتها إلى الدرجة التي لا يمكن أن ترحل معها من مكان إلى آخر أو من عصر إلى آخر، وبإهمال هذا الترابط نقع حتما في الشَرَك المخفي الذي تعاني منه أغلب مدن اليوم وهو غربة الناتج المعماري وعدم استساغته من المدارك الإنسانية.

والمدينة الإسلامية العربية وكما يقول (الديب، ب، 2001) << صاغت ثوبا على مقاس مستعمليها رغم تنوع مشاربهم وطبائعهم واختلاف ربوعهم المنتشرة في أصقاع الأرض >>

ومعنى هذا الكلام وقد سبقت الإشارة إليه أن العمارة الإسلامية العربية كانت نتاجا حقيقيا لمتطلبات بيئتها من غير زيادة ولا نقصان وبتكيف مثير مع المعطيات البيئية والمناخية والمادية وأحوال ذلك العصر وإمكانات السكان يومئذ، ولقد أضاف (طالب حميد الطالب، 1990) أن ما يعزز واقعية المدن العربية الإسلامية هو المظاهر التقليدية المتاحة فيقول <<... لا يمكن بحال من الأحوال تصور بيئة سكنية تقليدية أصيلة دون أن نقرنها بمشاهد السكان التقليديين بملابسهم ومقابلاتهم الحميمة ولا يمكن أن نسلخ هذا الواقع عن مشاهد الأطفال بعبثهم البريء على قارعات

الطرق والحارات أو مشاهد دكان الجيرة ومقهى الحي كل هذه المفردات وغيرها تضفي إلى العمارة والمجال العمراني عبيرها وشذاها المحلي وبالتالي تعزز واقعيتها وانتمائها البيئي ...>>.

وقد أكد (الديب، ب، 2001) أن الإنتاج العمراني والمعماري في المدينة الإسلامية ينبع من واقع المجتمع الذي يلبس ثوب ثقافة وليدة حضارة عالمية تبنى على أسس راسخة ومبادئ ثابتة تستوعب مختلف المستجدات والثقافات التي استطاعت أن تحتويها مع مرور الزمن وفي كل أشبار رقعة العالم الإسلامي ومع اختلاف مشارب المسلمين وطبائعهم وممارساتهم.

خـــلاصـــــة:

لقد شكلت المدينة الإسلامية رغم بساطتها مثالا رائعا في تحقيق الطابع الإنساني من خلال نسيج عمراني متعاطف بدرجة وثيقة مع حاجات ومتطلبات الإنسان وقدراته المادية وتحقيق مبادئ الدين والأخوة بالرغم من أقوال المغرضين أمثال **ماكس فيبر** الذي أورد (مدثر عبد الرحيم، 1983) قوله << إن المراكز الحضرية في البلدان الإسلامية كانت لا تعدوا أن تكون تجمعات بشرية مترابطة من الزمر والأفراد ويعني ذلك أنها أبعد من أن تكون مدنا.>>

ولعل **حسن فتحي** أحسن الرد حينما وصف صورة المدينة الإسلامية كما عند (حسن حنفي، 1981) بقوله << ... والمدينة الإسلامية لقاء بين المكان والزمان، فالمكان لقاء بين الطبيعة والفكر، بين المساحة والتصور، بين الامتداد والرؤية، وحيث إن الإنسان سيد الكون وخليفة الله في الأرض فإن اختيار المكان يتحدد طبقا لهذا الإطار، فموقع البقاع للسيطرة والإشراف على الأطراف والسواحل للدفاع على الشواطئ، والتصور الإسلامي يؤثر في بناء المدينة، فالمسجد الكبير يمثل المحور والمركز وهو موقع خطبة الإمام وتوجيه مصالح الأمة وحول المسجد المدارس ودور المسلم ومساكن الطلاب والمكتبات ثم الأسواق والحمامات والمرافق العامة، والمدينة لها قلب وأطراف، مركز ودوائر، ففي المركز نجد دور القضاء وحاكم المدينة ويتم البناء وفقا للطبيعة التي أبدع الله صنعها من أرض خضراء وماء وهواء فهي قطعة من الطبيعة وامتداد لها، والفن الإسلامي يعبر بوحداته الصغيرة اللامتناهية عن اللامتناهي وعن التواصل.

فالمدينة الإسلامية تعد استجابة لمتطلبات الإنسان الحقيقية ومتماشية في نفس الوقت مع إمكاناته المادية حيث نجدها تضمن للإنسان راحته من جهة الموقع وكذا كيفية البناء وتموضع المرافق العامة بها، كما نجد هذه المدن تضم العديد من العناصر الخاصة والملامح والرموز الاجتماعية التي تدل وبصورة واضحة على أساليب العيش في تلك المدن وتبرز تصرفات أهلها الخاصة أو العامة، وتتجلى هذه الملامح في الخصوصية والتجمع العنقودي للأحياء والوحدات السكنية وكذا التدرج المجالي من العام إلى الخاص والفصل المجالي وإبعاد الغرباء والأجانب عن المجالات الأسرية، كما اتسمت هذه المدن العتيقة بمجموعة من الخصائص على المستوى العام والشكل التنظيمي كتغليب الجانب الدفاعي من خلال استعمال الأسوار والخنادق والبناء في الوسط واختيار الأماكن المرتفعة، كما أن المباني ذات الأهمية الكبرى تأخذ المكان المركزي بالمدينة، كما أن للماء دورا مهما في هذه المدن نظرا لمجالات استعماله المتعددة بها، كما أن شبكة الطرق والمسالك بهذه المدن تأخذ سمة التعرج والضيق لأسباب مدروسة، ونجدها مع كل هذا متماشية ومنسجمة مع الطبيعة التي خلقها الله في صورة تكاملية كأنما هي قطعة من الطبيعة وليست عنصرا غريبا عنها.

الفصل الثالث:

المدينة الاستعمارية:

البذرة الأولى نحو تغير الأنسجة العمرانية.

مقدمة:

المدينة الاستعمارية هي نفسها المدينة الأوربية وإنما سميت بذلك كونها انتشرت في العالم بواسطة الاستعمار ،فهي إذا امتداد للمدينة اليونانية ومن بعدها المدينة الرومانية ،وقد بدأت المدن الأوربية في الظهور ابتداء من القرون الوسطى مع أفول نجم الحضارة الرومانية ،وقد مرت هذه المدن بعدة فترات زمنية حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن ،وتعتبر المدينة الاستعمارية البذرة الأولى نحو تغير الأنسجة العمرانية في العالم القديم ،ونخص بالذكر ما قام به الاستعمار الفرنسي في المغرب العربي وفي الجزائر على وجه أخص إذ حاول طمس هوية الجزائريين على كل الأصعدة حتى العمرانية والمعمارية منها ،فقام بزرع نسيج عمراني ذي ثقافة غربية دخيلة على هذا المجتمع كان له الأثر البالغ على التوسعات العمرانية المستقبلية للمدن الجزائرية حتى عقب الاستقلال.

1)- مرحلة القرون الوسطى:

وبدأت هذه المرحلة مع نهاية القرن العاشر (10) الميلادي أي مع بداية النهضة الأوربية، وهذه النهضة شملت نموا في الاقتصاد الأوربي وتزايدا في عدد السكان وتحسنا في مستوى كل من الزراعة والصناعة على حد سواء مما كان له الأثر الكبير على المجال الفيزيائي للمدينة، وكانت أسباب هذه النهضة العناصر الآتية حسب ما جاء عند (Benevolo ;L ;1994):

- تراجع حدة الحروب واستقرار الشعوب الغازية في هذه المرحلة.
- التقدم التقني في المجال الزراعي.
- النشاط التجاري مع المدن الساحلية في البحر المتوسط والتي أنتجت مدنا أخرى كمراكز تجارية.

وقد انتعشت التجارة في هذه الفترة وأصبحت منظمة على مدار العام مما أدى إلى استقطاب العدد الكبير من السكان الذين لا يجدون عملا في القرى ،فاجتمعوا في المدن مما أدى إلى تزايد كتلة الحرفيين والتجار الذين يعيشون على هامش النظام الإقطاعي ،فأصبحوا يشكلون تجمعات سكانية تنشط فيها التجارة على تخوم المدن المحصنة التي يصفها المؤرخون الأوربيون بالعشوائية في صغرها النسبي وتنظيمها الفيزيائي ،فأصبحت هذه التجمعات أكثر اتساعا من النواة الأصلية فكان من الضروري تكوين حزام جديد يحدد المجال الفيزيائي للمدينة ويضم مختلف التجمعات الجديدة والمؤسسات المختلفة الموجودة خارج الصور آنذاك.

وتشكل طبقة الحرفيين والتجار كما أورد (الديب ،ب ،2001) نسبة مرتفعة بالنسبة للطبقة البرجوازية التي تضمن بدورها امتداد النظام الاقتصادي والإمداد بالمادة عن طريق الحرية الشخصية ومن ثم الاستقلالية القضائية الإدارية ،فنظام جبائي مناسب يمد المنشآت العامة الأخرى بالتموين، وهنا يمكن تسجيل بروز منظومة جديدة لتسيير المدينة تقوم على قمة يتصدرها مجلس أعلى مشكل من العائلات المهمة، ومجلس مصغر تنفيذي الدور، ثم عدد من القضاة ... وفي المقابل هناك الجمعيات التي تمثل المواطنين ويفصل القطاع الديني الذي محله في المدينة في المنازعات بين السياسيين ومختلف الطبقات الاجتماعية.

أي أن المدينة الأوربية في هذه الفترة كانت تتمون من القرية، لكن سياساتها الداخلية كانت خادمة للسكان البرجوازيين ومصالحهم الشخصية على حساب سكان القرى الذين لم يضمن لهم القانون حق المساواة مع الطبقات الأخرى، والمتأمل الجيد يلحظ وبصورة جلية أن هذه السياسة هي نفسها التي مارسها المستعمر الفرنسي في الأراضي الجزائرية، فكان المعمرون يحظون بأحسن المساكن وأفخرها وينعمون بأشهى عيش، بينما يشقى السكان المحليون من الجزائريين تحت طائلة الفقر والعوز.

لقد كان لهذه التغيرات السياسية الأثر البالغ على ميلاد مجالات فيزيائية جديدة بالمدينة الأوربية من خلال فتح أقاليم زراعية جديدة أثرت على نمو القرية وأدت إلى تراجع نظامها الزراعي القديم وتطوره بفضل الوسائل الحديثة والاستغلال العقلاني للمنتوج الفلاحي مما أدى إلى إنشاء مدن جديدة لحساب ملاك الأراضي الحرة التي لم تستغل بعد وجلب الأعداد الكبيرة من العمال الأحرار وضمان حرية العمل لهم، كما أشار(الديب ،ب ،2001) إلى أن بعض المدن الجديدة أنشأت على محيط العالم الأوربي لأهداف اقتصادية وعسكرية محضة كالمستعمرات الفرنسية والاسبانية والبرتغالية في منطقة البلقان والهند وآسيا وأمريكا اللاتينية.

1)- 1- الصورة العمرانية للمدينة الأوربية خلال القرون الوسطى:

لم تكن لهذه المدينة في تلك الفترة صورة محددة وموحدة، فقد تختلف وتتمايز من منطقة لأخرى لتتكيف مع المعطيات التاريخية والجغرافية للموقع، وقد قام (الديب، ب، 2001) بتعداد البعض من مميزات هذه المدن خلال تلك الفترة:

- شبكة طرقات داخلية غير منظمة وهذا ما يؤدي إلى صعوبة التعرف على الأحياء، كما أن الشوارع لا تحظى بنفس الأهمية إذ نجد البعض منها يختص بالنقل والآخر يحتضن النشاط التجاري أما السكنات فنجدها متعددة الطوابق ومفتوحة مباشرة على المجال العام الذي لا نجده يتناقض مع المجال الخاص، بل هناك مجال عام معقد وموحد يظهر في جل المدينة والذي يحوي بجزأيه الداخلي المنشآت العامة بمجالاتها الداخلية من حدائق وأحواش، كما يخضع هذا التوازن بين هذين المجالين للعلاقة بين التشريع والمصالح الخاصة.

- وقد تميز التركيب لهذه المدينة أيضا بساحة الكنيسة ذات التشكيل الإنساني التي تختلف فيها الأضلاع وتتجانس فيها المباني ويرتفع فيها برج الكنيسة، وقد حظي هذا التشكيل في هذه المدينة بالعناية الكبرى من حيث بنائه وزخرفته، أما الساحة فكانت تضمن تعدد المناظر وتوفر عنصر المفاجأة من مداخلها المختلفة، ومما زاد في عنصر التشويق هو العامل الطوبوغرافي للأرضية، كما يظهر في مدينة العصور الوسطى الاهتمام بالجانب الدفاعي من خلال ضيق الشوارع وامتداد الأنشطة التجارية انطلاقا من البوابة الحصينة المتواجدة على السور الخارجي.

- وبفعل هيمنة الكنيسة في هذه العصور على الحياة في أوربا فقد كان تخطيط المدينة مرتبطا ارتباطا وثيقا بالكنيسة التي كانت مصدر السلطات ومركز العبادة، فامتدت منها شرايين المدينة بطريقة عفوية، كما امتازت عمارة القرون الوسطى بتلاحم الكتل المعمارية وامتدادها على جوانب الطرق بشكل يجعل من النادر وجود مبان منفصلة عن بعضها مما يعطي دلالة واضحة على الرابطة الاجتماعية التي كانت تسود المدينة التي شهدت فيما بعد تكوين النقابات التجارية والمهنية.

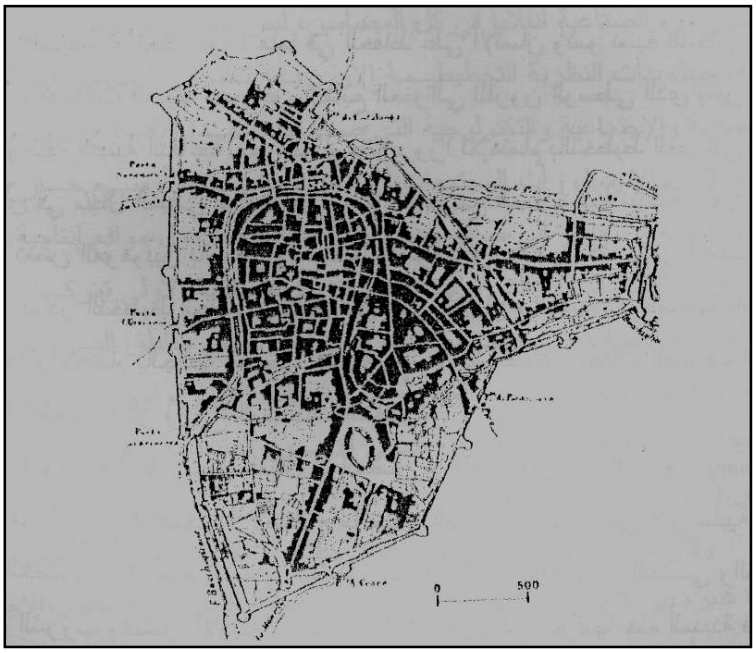

الشكل (III-1): مدينة بادو المتوسطية في القرون الوسطى.

المصدر: الديب، ب، 2001.

2)- التطور الجديد للمدينة الأوربية:

2)-1- النهضة الفكرية والصناعية:

لقد كانت المدينة الأوربية في مراحلها الأولى عبارة عن مدينة ذات نسيج كلاسيكي جراء تحول فكر معمارييها يومئذ وانصراف نظرتهم إلى الكلاسيكية الخاصة بالعصرين اليوناني والروماني ويتجلى ذلك من خلال محاولة إظهار العمارة في صورتها الرسمية التي تعبر عن مظاهر القوة والعظمة مما أدى إلى إنتاج عمارة رسمية تعبر عن مركزية المبنى المفرد ضمن المجال الحضري الرسمي، وتراجعت معه سلطة الكنيسة وهيمنتها على المجتمع الأوربي لتحل محلها سلطة الإمبراطوريات ونفوذها التي انعكست على تخطيط المدن الدفاعية وشاع حينها الشكل النجمي الذي يعد الأنسب لمثل هذه الأفكار والوسائل الدفاعية يومئذ، وقد اهتم المصممون في هذه الفترة بتخطيط الميادين الكبيرة على طول المحاور الرئيسية للحركة أين تتجمع المواكب وتتحرك، وقد أدى التطور العلمي والأبحاث في مجالات الصحة وتنظيم المدن إلى الحفاظ أكثر على ديمومة الإنسان ورفع نسبة نمو السكان.

وظل الأمر كذلك إلى حين بروز معماريين اهتموا بالتخطيط العمراني وبخاصة في مجال المباني العامة وسن القوانين لأجل ذلك فبدأت تظهر ملامح العمارة الكلاسيكية الأوربية والاهتمام بالمباني وإعطائها المنظر اللائق بها وظهور التخطيط الحضري الذي يدعو إلى إقامة الشوارع الممتدة والميادين الواسعة والاهتمام بالجانب الصحي للمدينة عن طريق تطوير شبكات الصرف الصحي وكذا الاهتمام بالآثار وزرع المساحات الخضراء، ومن أبرز هؤلاء المخططين الفرنسي الشهير هوصمان(Hausmann) الذي تدخل على مدينة باريس في محاولة لإصلاح ما خلفته المدينة الصناعية من آثار سلبية تتعلق بالوضع الصحي وخاصة شبكات الصرف الصحي والتموين بالماء الشروب وانتشار الأوبئة.

2)-2- الثورة الصناعية وأثرها على المدينة الأوربية:

وقد سبقت الإشارة إلى أن الثورة الصناعية أحدثت انقلابا في كل الميادين ليس فقط في القارة الأوربية وإنما في العالم بأسره، حيث بدأت النظريات التخطيطية الأوربية تتطور من أجل مواكبة المستجدات الاقتصادية والاجتماعية والتكنولوجية التي صاحبت النهضة الصناعية، فتطورت وسائل النقل والمواصلات مما دفع بالمجتمعات إلى النمو خارج نطاق المدينة القائمة أو البحث عن مواقع جديدة وإنشاء مدن أخرى تتوفر على مواقع إنتاجية هامة.

وقد نتج عن الثورة الصناعية عدة آثار غير مرغوبة منها تمركز مساكن العمال حول المصانع القريبة من المناجم وفي قلب المدن وعلى ضفاف الأنهار والبحيرات مما أدى إلى نشوء بيئة غير صحية للعمال الساكنين بها، إضافة إلى استغلالهم المذل من طرف أرباب العمل مقابل أجور زهيدة وعدة أمراض اجتماعية أخرى.

وقد كان للتطور التكنولوجي الفضل الأكبر في النمو الاقتصادي لكنه ساهم أيضا في إحداث هوة عميقة بين التطور الاقتصادي والتطور الاجتماعي الذي كان بطيئا ومن ثم حصول الخلل الاجتماعي مع فقدان التوازن الايكولوجي بين السكان والبيئة العمرانية الجديدة.

2)-3- ظهور النظريات التخطيطية الحديثة:

لقد كانت هذه النظريات عبارة عن حلول للمشاكل الاجتماعية والبيئية التي تسببت فيها الثورة الصناعية، ولقد زاد قلق المختصين على مصير المدينة الأوربية بسبب الأزمات التي كانت تعاني منها في تلك الفترة، وكان منطلق هذه النظريات من تشخيص سبب الأزمة ثم وضع الحلول المناسبة لها.

كما أن التطور العلمي الهائل وظهور التقنيات الجديدة أدى إلى زعزعة البنيات القديمة التي بنيت عليها علاقات الثروة والسلطة في المدن الصناعية لتحل محلها علاقات سوسيواقتصادية من نوع جديد، ومن هنا يقول (الديب ،ب ،2001) أصبح ضروريا استحداث تنظيمات اجتماعية واقتصادية جديدة داخل المدينة وتبني تشكيلة سياسية مغايرة لما كانت عليه المدينة من قبل وبالمقابل تحوير وصياغة جديدة مناسبة لشكل المدينة ومجالها.

ومن الأمور التي اعتقدها المخططون وقتئذ هو ضرورة التخلي عن المدن القائمة آنذاك، حيث إن المحافظة عليها وعلى أنظمة تهيئتها وشكلها في ظل الصراعات الاجتماعية التي تعصف بها يعد ذا عواقب وخيمة على المدينة خصوصا وعلى حضارة الإنسان بشكل عام، وأساس هذه النظرة هو أن المدينة القديمة لم تعد قادرة على التماشي مع العالم الجديد بتقنياته الحديثة، ومنه جاء التفكير في تخطيط عمراني ومعماري جديد لمدن جديدة مغايرة تماما لأشكال المدن السابقة حيث تكون قادرة على استيعاب حقيقة المجتمع التكنولوجي الجديد واحتواء تعاليم الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وقيم العالم الصناعي الحديث وتقنياته، ومن هذا المنطلق فقد ظهرت عدة نظريات جديدة في فني العمارة والتخطيط كان هدفها رسم معالم المدن الجديدة، ومن أبرز هؤلاء المفكرين الذين رسموا معالم العمران المعاصر: **هوارد، سوريا ماطا، لوكوربوزييه**.

2)-3-1- هوارد والمدينة الحدائقية:

لم تؤثر هذه النظرية على المدن القائمة آنذاك لأن نظرتها كانت فك الخناق عن المدن بواسطة تصميم وإقامة مدن جديدة في أمكنة عديدة، ويرى **"هوارد"** أن كلا من الريف والمدينة يشكلان مغناطيسا كل على حدة ولكلمنهما ايجابيات وسلبيات والحل يكمن في إقامة مدن جديدة يمكنها أن توفر هذه المحاسن وتجتنب العيوب:

- أما المدينة:

فتمثل مغناطيسا إيجابياته تتمثل في فرص الثراء المتوفرة وأماكن الراحة والترفيه والأجور المرتفعة والشوارع والأزقة حسنة التصميم وتوفر البنايات والقصور الفخمة.

في حين تعاني المدينة أيضا من عدة أمور سلبية أخرى كالبعد عن أماكن العمل وغلاء الأسعار وتلوث الهواء وتكاليف النظافة والصرف الصحي.

- وأما الريف:

فهو يمثل مغناطيسا آخر يضم مجموعة من الإيجابيات تتمثل في توفر الهواء النقي والثروة الغابية وانخفاض أسعار الكراء والمعيشة وتوفر المياه العذبة وأشعة الشمس المنعشة.

كما يضم مجموعة من السلبيات تتمثل في نقص فرص العمل وتدني الأجور وانعدام الترفيه وأماكن الراحة وانعدام قنوات الصرف الصحي.

- وأما الإنسان:

فهو يمثل المغناطيس الثالث والذي جيء به ليجمع بين محاسن كل من الريف والمدينة ويلغي مساوئهما، وعليه تقوم قواعد تصميم المدن الجديدة كما يراها أصحاب هذه النظرية.

وقد حرص "هوارد" في مدنه على إعطاء القيمة الكبرى للعلاقات الإنسانية كالتعاون وتنظيم المجتمع لأنه رأى أن الإنسانية في أحوج ما تكون إلى التآخي والتآزر وأن المدن الكبرى لا تتوفر على هذه السمات فهي لم تعد صالحة كمدن للمستقبل وقال << إن المدن سيئة التهوية وغير منظمة وشديدة الاختناق وغير صحية وتشكل خطرا على المدن الجميلة، فالمدن المكتظة والكبرى

قد ولى زمانها ولم يعد لها أي مبرر للوجود والاستمرار إذ تعتبر آخر مرحلة لإنشاء مجتمع مبني على الأنانية والجشع، فهي بطبيعتها غير صالحة لمجتمع ينشد تعاضدا أكبر بين أفراده وأخوة أسمى بينهم.>>

ومجمل القول أن "هوارد" كان يسعى لتصميم مدن تجمع بين محاسن الريف والمدينة التي كانت أساس التخطيط المعماري والعمراني الحديث.

وقد صمم "هوارد" أفكاره في مدن صغيرة أو متوسطة تضم كتلا صغيرة من السكان يتوزعون أساسا على المؤسسات الصغيرة وعلى الزراعة ويتوفر لكل منهم محيط صحي وجميل وقد تم انجاز مدينتين هما:

- لتشوورث: وتبعد بحوالي 50كلم عن لندن ويسكن بها 35000 نسمة، لكنها لم تعمر بالمستوى المطلوب والمرجو.
- لولين: وتبعد بحوالي 25كلم عن لندن ويسكن بها 50000 نسمة.

وقد حدد (الديب، ب، 2001) أهم المبادئ التي يقوم عليها تيار مدن الحدائق كما يلي:

- تحقيق مجتمع يبلغ درجة الكمال والاكتفاء الذاتي.
- إيجاد تركيبة جديدة مستخلصة من محاسن الريف ومحاسن المدينة، ومن ثم توفير أعلى قدر ممكن من الحياة الريفية المناسبة والمتوافقة مع الحياة المدينية.
- التأكيد على مبدأ الحرمة بدل العلاقات الاجتماعية الحرة وتوفير حياة عائلية يسودها السكون وتجنب اختلاط وفوضى المدن الكبرى.
- القضاء على المضاربة الخاصة.
- وضع حد لاتساع المدينة الغير محدودة.
- إعادة إصلاح الخلل في العلاقة بين الريف والمدينة.

2)-3-2- سوريا ماطا والمدينة الشريطية:

ويرفض أصحاب هذه النظرية اتساع المدينة ونموها بشكل مركز أي نموها على الأطراف كون هذا يساهم في إبعاد الريف والمناظر الطبيعية عن مركز المدينة، ومنه فقد اقترح " سوريا ماطا " الشكل الشريطي لنمو المدينة، حيث تكون التجمعات السكنية والمصانع على جانبي طريق مواصلات رئيسية تمتد إلى مسافات طويلة وتتفرع منها شوارع فرعية ذات نهايات مسدودة لتبنى حولها المساكن، وترتبط المدن ببعضها بواسطة الطرق الرئيسية وبذلك يستطيع الكل الاستفادة من جمال الطبيعة والخدمات المتوفرة.

وقد أكد (Benevolo ;L ;1979) في كتابه **" تاريخ العمارة الحديثة "** أن المدن الشريطية تقوم أساسا على شارع رئيسي يصل عرضه إلى 40 مترا محاط بالأشجار على جانبيه ويتوسطه خط سكة حديدي كهربائي بشكل طولي، أما الشوارع العرضية فيصل عرضها إلى 20 مترا

وبطول 200 متر، وتركت مساحات أصغرها 400 م^2 للمباني التي لم ينجز إلا خمسها، أما المساحة الباقية فتركت كبستان.

وتبدو المدن الشريطية على شكل مساكن ممتدة بشكل طولي في وسط طبيعي.

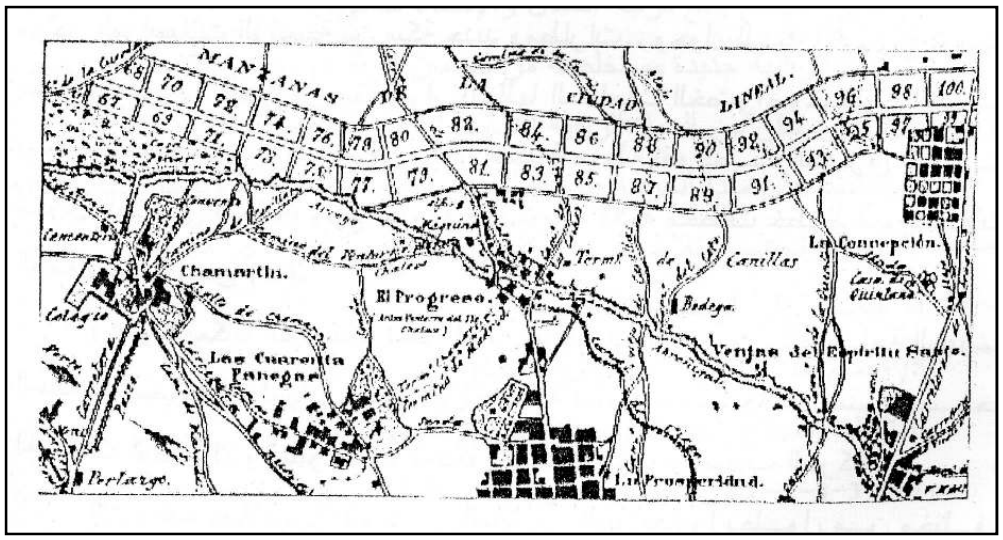

الشكل (III-2): المدينة الشريطية التي اقترحها سورياماطا.

المصدر: الديب، ب، 2001.

2)-3-3- لوكوربوزييه والمدينة الإشعاعية:

مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين عرض " لوكوربوزييه " مخططا لمدينة سماها مدينة الغد وهي عبارةٌ عن حدائق ضخمة تتوسطها عمارات عالية يصل ارتفاعها إلى ستين (60) طابقا تغطي حوالي 5% من مساحة المدينة، حيث يتركز في هذا الوسط مركز المواصلات الرئيسية من سكة حديد ومطارات، وحول تلك الأبراج توجد عمارات سكنية تتكون من (06) طوابق تتخللها المساحات الخضراء، وخارج المدينة توجد منطقة الفيلات، وقد أقيم في مركز المدينة محطة تقع تحت الطرق الفرعية لتحويل السير في المدينة وتقع تحتها في مستويات ثلاثة محطات خطوط المواصلات العامة تحت الأرض.

أي أن " لوكوربوزييه " كان يهدف إلى جعل مركز المدينة أقل كثافة من ناحية المباني وتعميره بالمساحات الخضراء والحدائق والمتنزهات، ولذا فقد عمد إلى تبني فكرة ناطحات السحاب والتعمير الرأسي لربح المساحة وتنظيم الحركة.

وقد برزت في تلك الفترة العديد من الأسماء الذين أرادوا إعطاء واقع جديد للعمران أمثال **فرانك لويد رايت**، **جودمان** وغيرهم من رواد الفكر العمراني والمعماري.

كما اتفق أصحاب هذه الأفكار المستحدثة على ضرورة العودة للمنظور البيئي للمدينة وذلك بإحداث توازن بين المجال الأخضر والمجال المبني ومسايرة التطور التكنولوجي السريع الذي نتج عنه عدة آثار سلبية على مستوى المنظومة الاجتماعية والاقتصادية، وكانوا يدعون إلى معاملة الإنسان كمخلوق متعدد الأبعاد.

ولقد ظلت المدينة تتطور إلى غاية وصولها إلى المدينة الصناعية التي حاولت الاستجابة لحاجات المجتمع ومتطلباته عن طريق تلك النظريات السابقة الذكر غير أن الكثير منها لم ير النور على أرض الواقع.

2)-3-4- المؤتمرات العالمية (CIAM):

وكان أهم شيء في هذه المؤتمرات هو مشكل السكن كونه الحاجة الملحة التي أدى إليها التقدم الصناعي، وقد طرح هذا الإشكال في المؤتمر الذي انعقد في مدينة **" فرانكفورت "** الألمانية وهذا من أجل مناقشة أقل الشروط الواجب توفرها في المسكن، وقد سار المؤتمر وفق الفكر الألماني الذي كان يمثله المعماري **" والتر غروبيوس " (Walter GROPIUS)**نظرا للخبرة والتجارب الجارية في ألمانيا حول هذه المشكلة، وقد اعتمد كثيرا على الجانب الإحصائي والرؤى التطورية ومراعاة الأبعاد الصحية من توفير للتشميس والتهوية والإضاءة الجيدة، كما تم تحديد غرفة لكل بالغ مراعاةً لنمو الأسر وتفعيلا لعلاقة التعاون السارية ضمن المساكن الجماعية خلافا لنظيرتها الفردية.

وقد حدد المؤتمر أيضا الشروط الدنيا من الرفاهية التي يجب توفرها في المسكن وخاصة لتلك المستعملة من طرف العمال في قطاع الصناعة، كما تم التطرق إلى حالة ذوي الدخل المتدني الغير قادرين على اكتساب مأوى خاص وأن هذا يتطلب تدخلا من طرف الدولة، كما تم أيضا في هذا المؤتمر التطرق إلى المرافق العامة وكيف يجب أن تكون، وبهذا يلاحظ أن الكلام قد انتقل من معالجة مشاكل المجال المبني إلى معالجة مشاكل الحي ككل.

ولقد جاء **ميثاق أثينا** سنة 1933م بخطوات جديدة تهدف إلى تطوير النظام الحضري بواسطة ما طرحه " لوكوربوزييه " والمتمثل في أربعة نقاط جوهرية هي:

- ضمان المسكن الصحي للإنسان. (السكن).
- تنظيم أماكن العمل. (العمل).
- تأمين التسهيلات الضرورية لاستخدام وقت الفراغ بأسلوب مناسب. (الترفيه).
- إنشاء صلات بين تلك المنظمات المختلفة عن طريق شبكة مرور توفر الروابط اللازمة مع احترام امتيازات كل مركب. (الحركة).

وأكد (الديب، ب، 2001) أن تلك المهام اعتبرت بمثابة مفاتيح الانطلاقة الحضرية الحديثة والتشكيل العمراني، غير أن تنظيم القطاع الإنتاجي القائم على تقسيم العمل في المجتمع الحضري قد أدى إلى انقسامات أكبر وأكثر عددا في قلب الحياة الاجتماعية الحضرية المادية في المدينة العامة.

لكن المشكل الحقيقي للسكن كان عقب نهاية الحرب العالمية الثانية وما جرَّته للعالم وخاصة القارة الأوربية من دمار شامل على كل الأصعدة، وما زاد في حدة المشكلة هي الهجرة الريفية باتجاه المدن، فاضطرت الحكومات إلى تبني فكرة البناء الجماعي في ضواحي المدن حيث طبقت فيه تقنيات البناء الجاهز على شكل مبانٍ مستطيلة وذات نمط موحد ومتعدد الطوابق لكنها خالية

من المرافق الضرورية لحياة الإنسان العادي، وانتشرت في هذه الفترة فكرة تقسيم المدينة إلى مناطق وظيفية وظهور رخصة البناء، وشهدت أوربا بعد هذا ثورة عمرانية بأفكار غنية وتقنيات جديدة لم تخل من مشاكل وانتقلت هذه الأفكار لتشمل العالم الثالث وتسوده حتى بعد حصول أغلبه على الاستقلال.

هذه الأفكار تعد دخيلة على المجتمعات وخاصة العربية منها، فالسكن الجماعي يشكل نمطا اجتماعيا جديدا يضم مختلف الشرائح والأعراق والمستويات المعيشية والوظيفية، كما كان لهذه الأفكار والتقدم الصناعي والتكنولوجي الدور الهام في توطيد العلاقة بين المدينة والريف واختزال الفروقات سيما بفعل وسائل النقل والمواصلات مما يعني انتقال الثقافة المدنية إلى الريف وما يصحب ذلك من سلوكيات لها أثرها الايجابي والسلبي على الفرد والمجتمع، وأصبحت المدينة كما أورده (الديب، ب، 2001) عبارة عن مجال لتمدن متفكك - بعدما كانت مجالا للاجتماع تعلم معرفة الآخرين واحترام الغير- وعلامة على الإقصاء والعزلة واللامبالاة والعداوة والعنف وما إلى ذلك من أمراض اجتماعية ونفسية تكاد تقصم الفرد والأسرة في المدينة بل المجتمع برمته.

والمجال المديني الجزائري هو أحد المجالات التي تأثرت بتلك الأفكار بسبب الاستعمار الذي غزا أراضيها طيلة الفترة الممتدة من سنة 1830م إلى غاية سنة 1962م، حيث عرفت هذه الفترة تكريسا لنمط عمراني ومعماري يقومان على ثقافة دخيلة على هذا المجتمع المسلم المحافظ، كما أن المدن الحالية وما هي عليه الآن من ممارسات وتهيئة مجالية وتقسيمات عمرانية إنما هي مرتبطة أساسا بالتغير الذي حصل إبان الفترة الاستعمارية وما جرى فيها من إعادة تشكيل لبنية المدن القديمة، وتحولت أنسجتها العمرانية التقليدية إلى أنسجة استعمارية ذات أغراض عسكرية واقتصادية وتم كل ذلك وفق أداتين أساسيتين:

*** قانون توسيع المدن وتطهيرها:**

وقد صدر هذا القانون في 14 مارس 1919م وعُدِّل في 19 جويلية 1924م وأصبح قابلا للتطبيق في الجزائر اعتبارا من سنة 1922م طبقا للمرسوم الصادر بتاريخ جويلية 1922م وأكتوبر 1922م، وهو التشريعات والأنظمة التي تتضمن تهيئة المدن بتمويل من طرف الدولة يخص المشاريع البلدية عن طريق الحاضرة (Métropole)، حيث أصبح قانون توسيع المدن وتطهيرها قابلا للتطبيق في الجزائر اعتبارا من بداية العقد الثالث للقرن العشرين ويعني ذلك توفير كل الإمكانات المالية والقانونية لتحديث المدن المعنية بمبادرة من الهيئات البلدية بالدرجة الأولى.

*** مشروع قسنطينة (1958م):**

أورد (الديب، ب، 2001) أن مشروع قسنطينة يدخل في إطار سياسة عامة لتنمية الجزائر، والمشروع ذو أهداف كامنة في إدماج اقتصادي وسياسي وثقافي للشعب الجزائري في إطار المؤسسة الفرنسية المحتلة التي عجزت عن ذلك طول المدة السابقة، كما يهدف المشروع أيضا إلى تصحيح مظاهر سلبية ومأساوية لحقبة استعمارية جاوزت القرن من الزمن سعيا لكسب

تعاطف الشعب الجزائري وإبعاده ولو قليلا عن الثورة التحريرية الكبرى التي أصبحت توجه ضربات موجعة للمستعمر آنذاك، ولقد سُطر في هذا الإطار إعادة إسكان مليون نسمة من سكان المدن والقرى في ظرف خمس (05) سنوات ويعني ذلك تحويل وإنجاز الهياكل المجالية التي تضمن ذلك مما يحقق أنجع الطرق للإدماج الاجتماعي والثقافي هذا من جهة، ومن جهة أخرى مشروع الألف (1000) مجمع ريفي لتحديد تصور جديد للعلاقة بين الريف والمدينة من منظور استعماري في محاولة لتوقيف النزوح الريفي نحو المراكز الحضرية.

ولقد سعى المستعمر الفرنسي إلى تكريس شبكة عمرانية ذات معايير هدفها الأول خدمة وترقية المصالح السياسية والاقتصادية والإدارية والعسكرية للفرنسيين وذلك بتقسيمها على مجموعة من المدن ذات تخصص محدد يساهم في تفعيل هذه الشبكة، ولقد قام(RAHMANI ;C ;1982) بتعداد هذه المجموعات من المدن كما يلي:

- المدن الحواضر التي تمثلها قسنطينة والجزائر ووهران.
- المدن المتوسطة كمليانة وباتنة وبلعباس والبليدة.
- مدن الشمال الصغيرة الزراعية والساحلية كجيجل وسكيكدة.
- مدن الحماية والإدارة كمشرية وتبسة والجلفة.
- مدن الجنوب الكبير وهي الواحات كبسكرة وتقرت.

ولقد طبعت هذه المدن كما جاء عند (الديب، ب، 2001) بنمط عمراني أوربي في أغلبها، تنظمها شبكة هندسية شطرنجية حيث تقع البلدية وقصر العدالة والكنيسة في مركز المدينة في حين تبقى الثكنة العسكرية والمقبرة والمحطة الجوية على المحيط، ويكون هذا المربع الهندسي مركز المدينة الإداري والتجاري، أما السكنات الفرنسية فتتوسع تدريجيا على ارتفاعات لا تتجاوز الطابقين، ولقد أنشأت بعض هذه المدن على مواضع عسكرية أو معسكرات رومانية أو قريبة منها بنفس الخطة الرومانية مع تعديلات تناسب الظروف الجديدة المتعلقة بمستجدات وسائل النقل وإمكانية المراقبة.

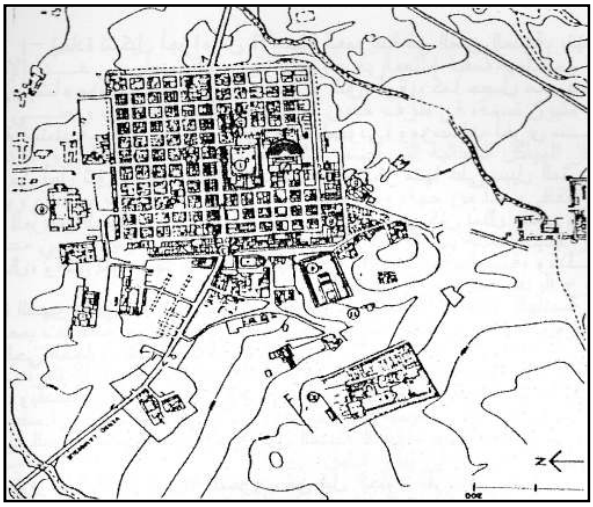

الشكل (III-3): مدينة تيمقاد بباتنة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

الشكل (III-4): مخطط مدينة باتنة.

أنشأها المستعمرون بنفس الخطة وبتعديل في أبعاد الطرق لتتوافق مع وسائل النقل الجديدة بعد 16 قرنا.

المصدر: الديب، ب، 2001.

3)- موقف الاحتلال الفرنسي من المدن العتيقة:

كانت المدن العتيقة الهدف الأساسي للاستعمار لتطبيق سياسته الاستعمارية وفق قانون توسيع المدن وتطهيرها، وقد كان هذا وفق صورتين أساسيتين:

* **الأولى:** وكما جاء عند (قاسي محرور، 1984) إعادة تشكيل أجزاء من الأنسجة العمرانية في المدن العتيقة بتهديم أجزاء أخرى وإنشاء مؤسسات مدنية أو عسكرية أو شق طرق كما حصل مع مدينة الجزائر ومدينة قسنطينة، ففي مدينة الجزائر هُدِم الجزء الجنوبي ومؤسسات أخرى لا سيما الدينية منها من أجل شق طرق وإقامة ساحات عامة نذكر منها على سبيل المثال إقامة ساحة للعرض العسكري في وسط الجزائر القديمة التي كانت تمثل ملتقى جميع محاور الاتصال والتي تقوم فيها الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية بالمدينة، وكذلك مسجد السيدة الشهير الذي دمر نهائيا، ولإنشاء شارع " لافكتوار " وميدان الهندسة العسكرية دُمِّر الحي المجاور للقلعة بأكمله.

وبقسنطينة تم شق شوارع في وسط المدينة العتيقة للربط بين طرفي المدينة وسهولة المراقبة على حساب أجزاء من المدينة القديمة، بينما تعرض جزء كبير من مدينة تقرت الدائرية العتيقة للتخريب من قِبل الجنود الفرنسيين.

* **الثانية:** وكما جاء عند (محمد السويدي، 1990) تهميش المدن العتيقة لأغراض اقتصادية وعسكرية عن طريق إنشاء مدن جديدة مستقلة أو ضواحي جديدة بجانبها تمتاز بالخصائص العمرانية والمعمارية الأوربية بنمطها الشطرنجي للشبكة العمرانية ومؤسساتها الإدارية والدينية والعسكرية بغية الفصل بين الشريحتين الأوربية والجزائرية نظرا لتعارض خطيهما الحضاري.

إن الفترة الاستعمارية بطول أمدها تركت بصمات واضحة على الأنسجة العمرانية المحلية وخاصة إن علمنا أن الطراز الاستعماري كان مخالفا للطراز المحلي وأنه كان يحظى بالاهتمام الأكبر من طرف المستعمر نفسه كونها مأوى المعمرين الفرنسيين ولذا نجدها قد حظيت بتمركز الخدمات الحضرية (إدارية وتعليمية وصحية وتجارية ودينية و...)، لكن المشكل الأكبر أن آثار هذا الطراز بقيت مغروسة في ذهنيات الشعوب حتى بعد نيلها لحريتها، فقد لوحظ ازدياد البعد عن البيئة القديمة الأصلية والسير نحو عمران دخيل لا يمت لهذه الشعوب بأية صلة إلى درجة التأثير على التركيبة العمرانية للمدينة اليوم التي تبدو مجردة من ملامحها العربية ومضمونها الإسلامي مقارنة بما كانت عليه أيام الفترة الزاهرة في الدولة الإسلامية التي أفل نجمها مع سقوط الدولة العثمانية آخر مراحل الحضارة الإسلامية المتنوعة بتنوع أقاليمها.

ولقد تسبب التدخل الأجنبي في العالم العربي الإسلامي إلى إحداث نوع من التطورات على الصعيدين العمراني والمعماري على حد سواء أدت كما قال (الديب، ب، 2001) إلى تغيير معالم التراث والفن المعماري والتوزيع السكاني والتنظيم الاجتماعي والاقتصادي لهذه المدن والعواصم مما ساعد على إحداث تغييرات رئيسية في البنى الهيكلية والحدود السياسية بل وطمس المعالم الحضارية الإسلامية ومن ثم تقلصت مكانة المدن فيها.

وعموما تتمثل هذه التغيرات في:

* بروز هوة عمرانية بين النموذج المحلي (الإسلامي) والنمط الاستعماري المبني على التصنيع والنمو الاقتصادي جعل المدن الإسلامية يقول (الديب، ب، 2001) تواجه عمرانا حضريا بدون تصنيع أو نمو اقتصادي والهيمنة الكاملة على الاقتصاد والموارد وفرض نموذج ثقافي دخيل أدى إلى انحلال الروابط التقليدية وتسخير الأيدي العاملة المحلية مما أفضى إلى تحول المدن المحلية إلى مجرد أنسجة عمرانية مهمشة ومفرغة من كل نشاط اقتصادي ومن ثم تقهقر هياكلها الاقتصادية وخاصة الصناعات التقليدية.

وما زاد في تهميش هذه الأنوية وانهيار هياكلها هو هجران أهلها ونزوحهم نحو الأنسجة العمرانية الاستعمارية لاستغلالها وامتلاكها عقب الاستقلال ومغادرة المعمرين الأوربيين إلى أراضيهم مما جعل السلطات تهتم أكبر ما يكون بهذه الأنسجة الاستعمارية وتركز مختلف الخدمات الحضرية والترفيهية كونها أصبحت تضم العدد الأكبر من السكان المحليين.

* إن عملية إنشاء المدن الاستعمارية والمستوطنات الخاصة بالجاليات الأجنبية في البلاد الإسلامية يقول (إسحاق يعقوب القطب، 1990) أدى إلى حقائق اجتماعية ثقافية غريبة عن النسيج المترابط في العلاقات والتعايش والتسامح الذي ساد طوال عصور الازدهار الحضاري الإسلامي، والأوضاع التي فرضها الاستعمار كرست التفرقة العنصرية والعرقية وأعادت النظام الإقطاعي الذي ساد المجتمعات الأوربية علاوة على التقهقر الفكري والفني والعقائدي الذي لحق بالمجتمعات الإسلامية (نذكر منها على الخصوص المجتمع الجزائري)مما أدى إلى تراجع المكانة الحضارية للمدن وأهميتها ودورها المحلي والإقليمي وحتى العالمي.

* وعلى المستوى الفيزيائي ورد عند (الديب، ب، 2001) أن النموذج العمراني الأوربي المستوحى من النمط الشطرنجي بكل مؤسساته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية شكل صورة عمرانية مقابلة للنموذج المحلي زادت في التشوه العمراني للمدينة، وبالرغم من ظروف الاحتلال التي خيمت على البلاد العربية الإسلامية إلا أن المدن أخذت تشهد توسعا عمرانيا في الضواحي وأخذ نظام البناء الطابقي يلح في الظهور في أحياء جديدة من المدينة العربية وبدأت نماذج الطراز الأوربي تجد طريقها لتحل تدريجيا محل الأنسجة العمرانية المحلية، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية ظهرت معطيات جديدة كان لها تأثير كبير على النشاط الاجتماعي والتوسع العمراني إذ أصبح من الصعب على المدينة في هذه المرحلة أن تستوعب التزايد السكاني مما أفضى إلى التوسع في الأحياء الجانبية وإنشاء خطط جديدة في ضواحي المدينة وإلى تغيير نظام الحياة في الأسرة حيث أصبح الفرد يميل إلى الاستقلالية وتكوين خلية عائلية منفصلة بدلا من نظام العائلة الممتدة الذي ساد لفترة غير وجيزة.

* زد على ذلك فقد ورد عند (محمود فيصل الرفاعي، 1994) أن هذه الأحياء الجديدة توفرت على كل الخدمات الحضرية الضرورية مما وفر لها إمكانية التوسع المستمر، في حين بقيت الأنسجة العمرانية التقليدية عرضة للتغيير والتمزيق تحت وطأة الإغراء المادي فصارت الدُور التقليدية تُهدم لتحل محلها المساكن الطابقية، واختفت أقسام واسعة من أحياء سكنية وأحياء بكاملها من نسيج المدن القديمة لشق شوارع رئيسية عريضة وتنفيذ مشاريع عمرانية جديدة ومن ثم بدأت المدن العربية تفقد طابعها وتألقها متراجعة في مساحاتها فأضحت لا تشكل إلا أجزاءً أو نقاطا من المدن بكاملها.

ولقد أدى هذا الاضمحلال للمدن العربية إلى اضمحلالٍ حتى في الوظائف الاجتماعية التي كانت تمتاز بها الأنسجة القديمة واختفاء أنظمتها الاقتصادية والثقافية لتحل محلها أخرى دخيلة مصاحبة للأنسجة الحديثة الأوربية، ولقد تعدى هذا التأثير إلى أن وصل لحد كسر الروابط الاجتماعية بين سكان الحي الواحد والتي من بينها حق الجوار، كما أدى هذا التحول في الأنسجة العمرانية كما ورد عند (الديب، ب، 2001) إلى اضمحلال نظام الحارات وتقلص دور " المحتسب " في الضبط الاجتماعي ومراقبة الأسواق وحل محله نظام الإدارة العسكرية والتنظيمات الإدارية التي تتسم بدرجة عالية من المركزية بغية إحكام السلطة على السكان والموارد وممارسة القهر والحرمان على السكان المحليين.

* وأكد الباحث (Thiery; Paquot; 1990) أن المدينة الحديثة التي أنشأها المستعمرون ما هي إلا فصل صريح بين المدن الأصلية لأنها أنشأت خصيصا لاستيطان الشرائح الأوربية وتطبيقا لمبادئ عمران أوربي صرف، في حين تُهْمَل هذه المدن الأصلية تحت غطاء حفظ التراث الثقافي لتنتقل حيويتها إلى المدن الجديدة وتترك عرضة للتلف مع مرور الزمن.
ولم يكتف المستعمر بهذا فقط وإنما تعدى إلى إحداث نظام طبقي بين فئات المجتمع المختلفة وقام بتجسيد هذا فيزيائيا ومجاليا على أرض الواقع من خلال إيجاد طبقات اجتماعية ينتمي إليها

أصحاب الجالية الأجنبية الوافدين من الغرب والموظفون وكبار التجار ثم طبقة أخرى أدنى من الأولى ينتمي إليها الأهالي البسطاء من السكان الأصليين بالمدينة، وقد قام المستعمر بنفس الفعل في كل المدن العربية في البلاد المحتلة بغية زرع بذرة يكون مداها انقسام البناء الاجتماعي في هذه المدن مستقبلا انطلاقا من الثقافة ومجموعة الممارسات الاجتماعية التي تبدو من هذه الطبقة التي شكلت ذهنيات غريبة في أغلب الأقطار العربية مقارنة بالذهنية المحلية وانعكس ذلك بالضرورة على المجال الفيزيائي للمدينة في صورته العمرانية والمعمارية كما هو الحال في الجزائر في بعض الأحياء السكنية المعدة خصيصا للموظفين في الإدارة الفرنسية إبان الاحتلال وتلك المعدة لعامة المستغلين من بقية الشعب (أحياء السود ببسكرة وباتنة).

* ومن التغييرات أيضا ما جاء عند (الديب، ب، 2001) وهي المركزية السياسية التي تعتبر من ضمن الأنظمة الإدارية التي نقلت إلى الدولة العثمانية من القارة الأوربية في القرن التاسع عشر(19) وخاصة من فرنسا وألمانيا حيث نُقِل منهما مظاهر الإدارة (في المغرب العربي نقلت أساليب الإدارة الفرنسية وخاصة إلى الجزائر، وفي المشرق نقلت مظاهر الإدارة الألمانية لإيران على سبيل المثال لا الحصر)، فظهرت المركزية في الوظائف الإدارية في الوقت الذي كانت تحتاج فيه كل دولة لشبكة من مراكز التنظيم الإداري الإقليمي حيث إن كثيرا من المدن سميت مدنا لأهميتها أو لدورها الاقتصادي أو لحجمها بل بناءً على الوظائف الإدارية التي كانت تقوم بها، وكان لتأثير سياسة الاستقلال في الكثير من المدن العربية (العراق، لبنان، سوريا، ...) دورا هاما في تركيز السلطات السياسية والإدارية في العاصمة وبعض المدن الأخرى (الحواضر كما حدث في الجزائر.)

* وقد أدت المركزية السياسية إلى إحداث حالة من عدم التوازن في التنمية بين المدينة والريف فأخذت المدن والعواصم والحواضر الكبرى في النمو الاقتصادي والسياسي قياسا بالريف، كما أدى ذلك كما وصف (ف، ف، كوستللو، 1982) إلى << تقلص نفوذ النظام الاجتماعي المرتكز أساسا على نظام القبيلة خصوصا في مصر والخليج وحل محله نظام الإقطاع الذي أبقى الفلاح في حالة سيئة فكثرت حينذاك الهجرة إلى المراكز الحضرية رغم تأخر النمو الصناعي فيها، كما لعبت السياسة الداخلية وعدم الاستقرار في هذه الآونة دورا كبيرا في تشجيع النمو الحضري والهجرة الداخلية بين المدن، يضاف إلى ذلك الموقع الهائل والاستراتيجي للشرق الأوسط والمغرب العربي حيث يشكلان حلقة وصل بين أوربا وإفريقيا وبين آسيا وأوربا كقناة السويس، والمدن والموانئ المنتشرة هنا وهناك على طول الساحل المتوسطي التي ساهمت في التبادل التجاري والتي كانت تحت سيطرة الأجانب ثم عادت إلى السكان الأصليين (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب).>>

ومعنى الكلام الأخير أن سياسات المستعمر ساهمت في تسريع نسبة التحضر في مدن العالم العربي الإسلامي، إذ يشير أحد الباحثين انه في بدايات المرحلة الاستعمارية منذ سنة 1900م لم

تكن المدن التي يفوق عدد سكانها 100000 نسمة يفوق التسعة (09) مدن، إلا أنه وفي حدود سنة 1950م وصل عدد هذه المدن إلى 25 مدينة.

وقد أدى ارتفاع نسبة التحضر في مدن العالم العربي والإسلامي إلى اختلال التوازن الحضري بسبب عمليات الإزاحة والإحلال واستقرار الأوربيين في العواصم والمدن الكبرى مما أفضى إلى تضخم كبير في عدد السكان كما أسلفنا في بعض المدن مقارنة بالمدن الأخرى والأرياف وبالتالي نمو بعضها بشكل جد متسارع مقارنة بالبقية الباقية من المدن فعلى سبيل المثال << بلغت الزيادة السكانية في القاهرة في الفترة ما بين سنتي 1882م و1898م حوالي 52% قياسا بالمدن الأخرى التي وصلت فيها إلى 38% خلال الفترة ذاتها إبان مرحلة الاحتلال البريطاني للجمهورية العربية المصرية ...). (إسحاق يعقوب القطب، 1990).

4)- المقاربة التحليلية المتبعة في الدراسة:

إن الهدف الأسمى للعمارة هو الإدراك والإحاطة بالإطار العام للحياة اليومية أي السكن بمعنى آخر، وانطلاقا من إرادتنا في دراسة الأنسجة العمرانية الاستعمارية وفك التعقيد الذي يعتريها فإننا نجد أنفسنا ملزمين على تبني مقاربة تحليلية يمكن اعتمادها لفك هذا التعقيد سواء من حيث عناصر الأنسجة العمرانية أو من حيث العلاقات القائمة بينها، هذا كله يهدف إلى الوصول إلى الفهم الحقيقي والجيد للمركبات المدروسة والتحقق من مدى تواجد استمرارية أثناء التطورات المرحلية للأنسجة العمرانية، ومنه فقد تضمن هذا الجزء من الفصل طرحا لأهم المقاربات التي تهتم بدراسة النسيج العمراني واهم الغايات والأهداف المسطرة لها ثم تحديد المقاربة الأمثل التي تخدم أهداف الدراسة المسطرة ضمن هذا البحث.

4)-1- أهم المقاربات المورفولوجية:

وهي من أكثر المقاربات رواجا بين الباحثين والنقاد، وقد اختلفت أفكارهم ووجهات نظرهم حولها وحول مضامينها التحليلية، وقد توصل(Kimbau Koka ,1997) إلى تمييزها كالآتي:

4)-1-1- المقاربة المنظورية للمورفولوجيا العمرانية:

ومن أشهر روادها(Kevin Lynch) وذلك من خلال الدراسات التي أجراها في سنوات 1960م، 1976م، 1981م، وذلك بإعطائه منحى جديدا لفهم سلوكيات الإنسان من خلال سياق الصور الذهنية التي قام بتطويرها عبر نظرية المقاربة المجالية حول الديناميكية الوظيفية للسكان التي تعتمد على النسق التحليلي للشكل العمراني والذي يبنى على أساس التمثيل الذهني وفقا لخمسة عناصر منظمة للإدراك المجالي العمراني (طرق الحركات، الحدود، الأحياء، العقد، نقاط المعالم) وهذا على مستوى كل من الشارع، الأحياء الجوارية، المدينة، المجال الميتروبولي.

4)-1-2- المقاربة المعمارية:

ومن أهم روادها(Jean-Charles Depaule); (Philippe Panerai); (Catex) حيث اعتبروا أن المدينة كعمارة ومظهر مجالي يمكن تجزئته إلى عناصر أصغر بهدف إبراز الاختلافات الخاصة بالعلاقة بين التنظيم المجالي والممارسات الاجتماعية، وقام الباحثون بتحديد مجموعتين كبيرتين للأشكال العمرانية: الشبكات (شبكة ورسومات)/(جزيرة/تجمع المباني)، حيث اعتبروا الشكل العمراني مجالا فيزيائيا مرتبطا بعلاقة مباشرة مع التاريخ والظواهر الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وعليه فقد تم اعتبار المدينة كتجمع يمكن أن نميز فيه وحدات مورفولوجية كثيرة.

كما قام الباحثون بتحديد مستويات ثلاثة لدراسة المدينة باعتبارها شكلا عمرانيا:

- المستوى العام: أين تقتصر دراسة المدينة على الساحات والمجالات العامة والمعالم.
- المستوى المتوسط: وتتعمق الدراسة لتصل إلى مستوى الوحدة العنصرية المتمثلة في الحي.
- المستوى المحلي: حيث تتم الدراسة على مستوى التحصيصة.

وقد ركز الباحث(Philippe Panerai) اهتمامه على العناصر المتعلقة بالنمو والتطور المستمر وغير المستمر وهذا وفقا لميزة (النمو المستمر وغير المستمر، النمو العشوائي والمنظم، قطب النمو، خط النمو، الحاجز، ...) أي أن اهتمام الباحث كان منصبا على معرفة حركية المدن والأنسجة العمرانية، وقد توصلوا إلى أن الشكل العمراني هو سياق مستمر إذا أمكن تحديد الخصائص المميزة لكل حقبة زمنية معينة لا يمكن تجاهلها وهذا لتسهيل عملية فهم التطور على مستوى اختلاف العناصر المميزة للشكل العمراني:

- التحصيصة: هي المكان النظري للمشروع، حيث يتم قراءتها بمنطق تجمع التحصيصات وتوزع المباني المشكلة للنسيج، كما يمكن تمييزها بعلاقة مع المجالات العمرانية كالشوارع والساحات.
- الجزيرة: وتقرأ بمنطق الشكل وصيغتها التدرجية بالمدينة.
- الحي: وهو جزء من المجال الاجتماعي يعبر عن الهوية المجالية والاجتماعية.

4)-1-3- المقاربة النمطية الوظيفية:

حيث تعتبر هذه المقاربة الشكل أنه استجابة لوظيفة معينة وانعكاس لها، فالأفراد يقومون بنشاطات واحتياجات متعددة ومختلفة كالحاجة للسكن والتجارة والصناعة والحركة وغيرها، وتلبية لهذه المطالب والاحتياجات يتوجب علينا شغل الأراضي وبناء المرافق وهذا بتنسيق هذه النشاطات ضمن مخطط شغل الأراضي(POS)، وهنا تتجلى ضرورة اعتماد نمطية وظيفية مترجمة إلى مبان من نمط تجاري أو سكني أو صناعي أو للنقل والمواصلات أو المرافق العمومية أو المرافق المؤسساتية.

ومن أبرز رواد هذه المقاربة(Ritchote ;L ;1991); (Kaiser ;E ;1979); (Chaping 1965) وترتكز هذه المقاربة على تمييز المناطق ضمن حيز المدينة، فعلى سبيل المثال قام(Ritchote)

بإظهار ستة مناطق للمدينة: المناطق السكنية، المناطق التجارية، مناطق النشاطات المتداخلة، المناطق الصناعية، المناطق المؤسساتية، منطقة المرافق العامة كالحدائق.

4)-1-4- المقاربة الكمـــية:

وتركز هذه المقاربة على دراسة المظهر الشكلي للمجال المعمر حيث تقوم بتحديد تنوع الأشكال ثم تقوم بشرح هذا التنوع من خلال ربطه بالظواهر السابقة والعوامل المؤثرة على الإنشاء العمراني، ومن أهم روادها(Moglia ;1989); (Bauer ;G ;1977) اللذين ركزا دراستهما على المدن السويسرية، ووفق هذه المقاربة يمكن التدخل على المدينة وفق مستويين مختلفين:

- التخطيط العمراني: الذي يثبت القواعد العامة لتطور المدينة، أي أن الدراسة تكون على المستوى العمراني العام ولا يولى اهتمام كبير للجانب المبني.
- المشروع المعماري: الذي يعرف بالمركبات الخارجية والداخلية للمبنى، وهذا المستوى هو أكثر دقة وهو مستوى معماري أين تولى الاهتمامات الكبرى للجانب المبني.

وهنا يتم اعتماد مصطلح المورفومتري حيث يتم قياس الخصائص والمؤثرات المميزة للشكل العمراني (طرق، مباني، مجالات حرة) وفقا لقياسات مساحية وحجمية ونسب مئوية وكثافات محددة.

4)-1-5- المقاربة النمطية الهندسية المتكررة:

وهي مقاربة ذات نهج رياضي للمورفولوجيا العمرانية، والعمل فيها يتم ضمن ثلاثة أبعاد محددة: البعد الشعاعي(Dr)، والبعد الشبكي(Dq)، والبعد الرابط(Dc).

ويمكن أيضا إعطاء ترجمة اجتماعية وجغرافية لهذه النتائج بغرض الوصول إلى تمييز بين مستوى الضواحي والهوامش والأحياء الخاصة بالمدينة ومستوى المبني والتحصيصة.

4)-2- أهم الطرق المطبقة في المقاربة المورفولوجية:

لقد قام (Allain ;R ;2004) بتحديد نقاط جوهرية يمكننا من خلالها بلورة الأعمال المتعلقة بالجانب المورفولوجي، وهذه النقاط تكمن في طبيعة الدراسة، مقياس العناصر المدروسة، الغاية المرجوة منها، مع التذكير أن ضبط هذه النقاط يحدد وبدقة الحيز الأمثل الذي تبنى عليه طريقة الدراسة المورفولوجية ونذكر منها:

4)-2-1- المورفولوجيا التاريخية:

وتعتبر كعلم الآثار الحضري، تقوم بدراسة مكونات كل حقبة زمنية وما خلفته من ترسبات في المدينة ودراسة التغيرات المتعاقبة وتربطها بالعلاقة مع المؤسسات البشرية وهذا من أجل الفهم الواضح والجلي للوضعية الحالية للأشكال العمرانية.

4)-2-2- المورفولوجيا الوظيفية:

وتستعمل من أجل فهم العوائق التقويمية المحيطة بالأشكال العمرانية ومدى فعاليتها مقارنة بالوظائف.

4)-2-3- المورفولوجيا المعيارية:

وتكون دراستها جد معمقة وهذا لتعمقها في دراسة العلاقة بين القيم الإنسانية ونوعية الحياة اليومية للسكان ومدى تأثيرهما على الأشكال العمرانية، هذا كله من أجل الوصول إلى أنسب شكل عمراني متوافق مع الاحتياجات المتجددة.

وعلى اختلاف الطرق المورفولوجية واتساعها يجب وضع ومعرفة الحدود الخاصة بالدراسات المورفولوجية بغرض ضبط المقاربة المناسبة التي سنعتمدها في دراستنا هذه.

4)-3- حدود الدراسة المورفولوجية:

إن جل العناصر المتطرق إليها سابقا تصب في مجال المعارف التي تمس المدينة وخصائصها المرتبطة بالزمن، ودوافع التشكل العمراني والتغيرات الحاصلة بمرور الزمن، وعلى هذا الأساس نحاول تحديد المجال المقرر انتهاجه في هذا البحث من خلال ربطه بما يتعلق بالإشكالية وما ينبغي أن نصل من أهداف إذ إنه من الضروري الكشف عن خصائص العناصر العمرانية والعلاقات القائمة بينها ضمن النسيج العمراني محل الدراسة (وهو الحي الاستعماري ببسكرة) ومدى استمراريتها في التوسعات المستقبلية أي الكشف عن ماهية العناصر والعلاقات الخاصة بالأشكال العمرانية للنسيج المدروس ومدى تواجدها واستمرارها ضمن الأنسجة الممتدة منه.

وفي الجدول التالي نحاول من خلاله إظهار أهم اتجاهات البحث المقامة على دراسات تخص الأنسجة العمرانية للمدينة:

من خلال ملاحظة الجدول يتضح أن المقاربة التيبومورفولوجية هي الطريقة الأمثل لفهم كيفيات التغيرات التي تمر بها المدن والأنسجة العمرانية وهذا ما أكده(Racine ;F ;1999) فقال << الخطوات المورفونمطية توفر الوسائل والطرق التحليلية العمرانية التي تسمح بفهم كيفية التغير للمدن على المستوى النمطي والمورفولوجي.>>، وبالتأمل الجيد في هذا الكلام نجد أن المقاربة المورفونمطية تسمح لنا بتحديد ماهية عناصر الشكل العمراني وما ينجم عنها من تغيرات عبر الزمن في خطوة مقارنة بين العناصر في كل حقبة مختلفة.

أما (Noppen ;L ;2006) فاعتبر المقاربة المورفونمطية طريقة أصلية تتسم بخصائص مميزة:

- تسمح بتحليل الإطار المبني على مختلف المستويات (الموقع العمراني، الشبكاتية، التحصيص، المجال الحر).
- تعتبر المقاربة المورفونمطية الشكل العمراني ككيان ديناميكي يتغير مع مرور الزمن.
- تظهر المقاربة المورفونمطية العلاقة الجدلية بين الإطار المبني والسكان.
- تعتبر المقاربة المورفونمطية الشكل العمراني أنه نتاج يكتسب خصائصه المميزة بمرور الوقت.
- المورفونمطية عبارة عن تاريخ نمطي تكشف عن الأرشيف الخاص بالإطار المبني.
- توفر المقاربة المورفونمطية الشروط المسبقة للتصميم المعماري والعمراني.

وبالملاحظة المتفحصة لهذه الخصائص نجد أن المقاربة المورفونمطية تخدم الدراسة بشكل جيد وهذا من عدة وجوه يمكن حصرها فيما يلي:

- تساعد على تحليل الإطار المبني بشكل متكامل على جميع الأصعدة وبصفة شاملة من الموقع إلى الشبكاتية والتحصيص والمجال الحر.
- تساهم في الكشف عن التغيرات الحاصلة على مستوى الأنسجة العمرانية على اختلاف الحقب الزمنية، وتحدد بدقة العناصر التي تمتاز بالاستمرارية كون هذه المقاربة تعتبر الشكل العمراني كيانا ديناميكيا.
- تكشف هذه المقاربة عن المعارف المستخرجة من كل حقبة زمنية بمعزل عن الأخرى التي تليها.

4)-4- ظهور المقاربة المورفونمطية:

لقد سبقت الإشارة إلى تيار الحداثة وما تمخض عنها من قرارات وما واجهها من تسخط واعتراضات من طرف العديد من الباحثين والفلاسفة والنقاد، وأبرز تلك القرارات ما جاء في قرارات المؤتمرات الدولية للعمارة الحديثة(CIAM) والتي دعت إلى التغيير الكلي للمدينة القديمة مما أدى إلى تهميش المراكز التاريخية وخلق نوعا من القطيعة بين ما هو قديم وتطلعات العمارة الحديثة.

تلك القرارات لاقت معارضة شديدة ومن أبرز من عارضها(Saverio Muratori) الأب الروحي للمقاربة المورفونمطية، والذي انتقد وبشدة الحركة الحديثة لوجود العديد من النقائص والتي على رأسها تجاهلها للمراكز التاريخية الغنية بالعديد من المعاني المفقودة في المدن

المعاصرة كالتجذر والذاكرة الاجتماعية وحسن اختيار الموقع، ولاقتناعه بضرورة التواصل والانسجام بين المجتمعين القديم والحديث فقد عادىMuratori الحركة الحديثة واعتبر القديم عنصرا ضروريا لا بد منه كهيكلة قاعدية للنسيج الجديد لكي يظهر ويتطور بصفة منسجمة ومتكاملة.

وأولى بوادر ظهور المقاربة المورفونمطية كانت بفضل العمل الذي قام به Muratori حول مدينة البندقية والذي أعطى من خلاله أولى التعاريف لأدوات التحليل الخاصة بالمدينة مع مفاهيم كل من النمو، النمطية، المورفولوجيا، وهذا ضمن التيار الإيطالي الذي يضم كما عند (سعيدوني، م، 2000) كل من:

- Gorgio Crassi ;Aldo Rossi ;Carlo Aymonino: الذين اهتموا بتحليل المدينة القديمة وأعادوا صياغة قرارات الحركة الحديثة.
- Grgotti: الذي اهتم بالمقياس الإنساني.
- Maffei ; Gianfranco Caniggia ; Maretto الذين انشغلوا بالبعد التحصيصي.
- Polosica ; Marco Massa ; Dipietro ; Fanelli ;Eduardo Detti: الذين قاموا بدراسة المدن المتوسطة.

4)-5- المقاربة المورفونمطية وملائمتها لقراءة الشكل العمراني:

لقد اعتبر العديد من الباحثين أن المقاربة المورفونمطية تعد من أنسب المقاربات لدراسة الشكل العمراني، فيرى (Luc ;Noppen ;2006) أن المقاربة المورفونمطية تظهر الهيكلة الفيزيائية والمجالية للمدينة وأكد أنها عبارة عن نمطية ومورفولوجية لأنها تقرأ الشكل الحضري على أساس تصنيف المباني والمجالات المفتوحة أيضا.

أما(Daniel ;Pinson ;1998) فعرف المورفونمطية على أنها<< التزاوج بين المورفولوجيا العمرانية والنمطية المعمارية >> أي أن المورفونمطية تهتم بالجانب العمراني والمعماري اللذين هما في الحقيقة الأجزاء التي تتكون منها كل مدينة.

واعتبرت(Vernez ;Moudour ;1994) المورفونمطية أنها دراسة لمجموعة من السياقات التشكيلية والتغيرية لهياكل الوسط المبني، واعتبرت الباحثة المقاربة المورفونمطية علما يستجيب للمتطلبات المتمثلة في الخصائص الأساسية كالقابلية للتجريب والتطبيق في الواقع مع إمكانية التصحيح، ومنه أكدت الباحثة على أن المقاربة المورفونمطية لا تستعمل لتحليل الشكل العمراني فقط بل هي أبعد من ذلك بحيث:

- تميز الشكل الحضري وتعتبره كيانا حركيا ومستمر التقلب ويدخل في علاقات منطقية مع المنتجين والمستعملين.
- تعتبر بكل المقاييس المتعلقة بالإطار المبني سواء أكانت صغيرة أو كبيرة.
- التأكيد أن شكل المدينة لا يشتمل إلا على جزء من سياق تنشأ منه المدينة على مر الزمن.

أما بالنسبة للباحثة(Asselin ;V ;2001) فاعتبرت المقاربة المورفونمطية أنها تقوم بقراءة الأشكال المبنية ابتداء من خصائصها الدائمة وتطوراتها عبر الزمن من خلال هويتها الثقافية.

أما(Caniggia ;G ;1994) فإنه عرف المورفونمطية أنها الطريقة الأصلية والمميزة للتحليل المورفولوجي في خضم الحفاظ على استمرارية النسيج العمراني والعلاقات المتبادلة التي تسمح بتجدد المدينة وفق طرق مهيكلة.

وأضاف(Neppon ;L ;2006) إمكانية تمييز المورفونمطية عن باقي التخصصات وفقا لثلاثة طرق هي:

- أن النمط يركب الخصائص الحجمية للمبنى مع ما يتعلق به من مجالات.
- إدخال التحصيص والشبكة العمرانية أي بمعنى الربط بين مقياس المبنى ومقياس المدينة.
- التصنيف النمطي للإطار المبني يكون خلاصة مورفوجينية(Morphoginitique) أكثر منها مورفولوجية أي تتضمن أربعة أوقات: تصميم، إنتاج، استعمال، تغير.

هذا وقد اتفق العديد من الباحثين والمقررين أن أبسط مستوى للتحليل المورفولوجي يقوم على ثلاثة مبادئ أساسية:

- الشكل العمراني يحدد العناصر المادية الثلاثة (المبنى وما يتصل به من مجالات مفتوحة، الشوارع، التجزئات).
- الشكل العمراني يفهم من مختلف المستويات الموضحة وفقا لتناسب تدريجي: (المبنى/تحصيصة)، (الشارع/الكتل المبنية)، (المدينة/المنطقة).
- الشكل العمراني لا يمكن فهمه إلا من الناحية التاريخية حيث إن العناصر في تغير وتبدل مستمرين عبر الزمن.

4)-6- المدارس المورفونمطية:

بالنظر إلى التنوع المعرفي النابع أصلا من الاختلاف الزمني والمكاني وللاختلاف في التخصصات التي تهيكل الجوانب الدراسية للأبحاث المقامة على المدن كالتخصصات المعمارية أو العمرانية أو الجغرافية فقد نتجت لنا أربعة مدارس مورفولوجية رئيسية (الإيطالية، الفرنسية، الانجليزية والأمريكية)، وقد أكدت(Vernez Moudon ;A ;1997) على وجود صيغة تكاملية لهذه المدارس بمنظور يشمل تغطية كاملة ومستفيضة للتحاليل المقامة على المدن، فكل مدرسة تهتم بدراسة المدينة حسب تخصص معين إذا ما جمعت تحصلنا على تحاليل تحمل أدق التفاصيل الخاصة بالمبنى المدروس ضمن النسيج العمراني، وعموما هذه المدارس هي:

* المدرسة الإيطالية:

اقترحت قواعد نظرية جديدة تثبت فيها أن للمباني علاقة بالمدينة أي أنه هناك علاقة بين الجانب التصميمي المعماري والجانب العمراني العام، وقد سيطر على هذه المدرسة كما ورد عند (Racine ;F ;1999) تياران أساسيان هما:

- التيار الأول: مكون من Saverio Muratori والمكملين من الجيل الأول Maretto والجيل الثاني Ginfranco Caniggia والجيل الثالث Cataldi ; Maffri.

- التيار الثاني: مكون أساسا منCarlo Aymonino; Aldo Rossi وقد بلغ أوجه في سنوات الثمانينات.

وجوهر الاختلاف بين هذين التيارين كما أورده (Caniggia ;G ;1994) هو اهتمام الأول وتركيزه على الجانب التطبيقي والتعمق في الدراسة الميراتورية وهذا للوصول إلى استخراج وتحديد أدوات التدخل، بينا اكتفى التيار الثاني بتحديد معالم الجانب النظري.

*** المدرسة الفرنسية:**

وجمعت مبادئها بين التحليل المورفولوجي والقراءة النقدية للنظريات التصميمية، وقد ظهرت في بدايات الستينات مع النشر الأول للكتاب الذي ألفه كل من ; Boudon Fraçoise Couzy Helene ; Chastel Andre بعنوان Systéme de l'architecture urbaine هذا الكتاب الذي اعتمد اعتمادا كبيرا على الكتاب الذي ألفه Le quartier des halles à Paris Aldo Rossi والذي عنوانه L'architecture de la ville.

أما بالنسبة للخصوصيات المظهرية لهذه المدرسة فإنها ساهمت وبشكل كبير في توضيح مفهوم النمطية من خلال عديد الأعمال التي قام بها كل من: Rouleau; Castex; Ceteste; Panerai Micheloni ; Pinon ; Borie ; Grumbach ; Huet ; Fortier ; Devillers ; Zunz.

*** المدرسة الإنجليزية:**

أتت بمقاربة الامتياز المعرفي حيث يتم التحليل على أساس كيفية هيكلة الشكل العمراني. وتمتاز هذه المدرسة بإسهام الجغرافيين بشكل كبير حيث إنهم قاموا بتطوير هذا الاختصاص بالتوازي مع الأبحاث الإيطالية، ومن أبرز روادها M.R.G.Gonzen الذي قام بدراسة حول مدينة Alnwick بإنجلترا، وتم إبراز المنهجية المعتمدة للمدرسة من خلال ثلاثة نسق رئيسية متراكبة (مخطط المدينة، النسيج المبني، هيكلة شغل الأراضي). (Racine ; F ; 1999)

*** المدرسة الأمريكية:**

وكان أصحابها متأثرين تأثرا شديدا بأعمال المورفولوجيين الأوربيين، وأبرز روادها Anne-Vernez Moudon; Pierre Larochelle هذا الأخير ساهم في إعطاء دفع جديد للبحوث المورفونمطية من خلال مؤلفه Lexique de typo-morphologie du milieu bâti.

4)-7- أهم المصطلحات المستعملة في المقاربة المورفونمطية:

تم اعتماد ما ورد عند كل من Gianfranco Caniggia ; Maffroy Sylvain ; Pierre Larochelle; Bernard Gauthier لتفسير هذه المصطلحات مع العلم أن الكثير من الباحثين قام بتطوير هذه المصطلحات وفق منظوره الخاص الذي يخدم أهدافه وتطلعاته في مجال الدراسات والأبحاث المورفونمطية وسنوردها كما جاءت عند (Caniggia ;G ;1994):

4)-7-1- مفهوم القراءة:

وهي كلمة تعني البحث عن فهم هيكلة الشيء من طرف القارئ للوسط الإنشائي، وعليه فإن القراءة التحليلية والنظرية والنقدية تستوجب أدوات منطقية ونماذج تحليلية تهدف إلى:

- تجميع وتعريف المركبات المتفرقة واستخراج الخاصيات النوعية للعناصر والعلاقات المدروسة الخاصة بالشكل العمراني.

- إظهار مستوى التنظيم وتحديد المستوى التدرجي للعلاقة المنظمة والتي تربط مركبات الخاصيات المدروسة للشكل العمراني.

- إظهار العلاقات البينية بين المركبات واستخراج المنطق التنظيمي بين كل من نوعية العلاقة والمستوى التدرجي لتنظيمها.

4)-7-2- مفهوم نمطية المبنى:

وهي دراسة وسط عمراني معين مكون من مجموعة من الأنماط تسمح بتمييز النسيج المبني عن الآخر، أما النمط فهو شيء مجرد وأداة معرفية ينتج بالتحليل الدوري الذي يعيد الخصائص الأساسية المشتركة لفئة الأشياء الحقيقية وكذا السماح بسهولة التعرف عليها.

وينبغي الإشارة أن (Pinson ;D ;1998)قام بالتفريق بين النمط والنموذج فقال: إن النمط يمثل كهيكلة تقبل العديد من المتغيرات وهي النماذج، أما النموذج لا ينحدر إلا من خلال التكرار.

4)-7-3- مفهوم النظام:

اعتمد (Caniggia ; G ; 1994) في الدراسة المورفونمطية على تشبيه المدينة بالنظام لأنه المصطلح الأكثر موائمة حيث إن المركبات القاعدية متجانسة مع بعضها البعض، وعلى الرغم من وجود البناء المخطط أو العشوائي إلا أن المدينة لا تتحول مصادفة ولكن هناك تطور ثابت يخضع لنسق وحدوي يمثل قانون التشكل والتغير.

4)-7-4- مفهوم الانبثاق:

وهو التمايز والاختلاف بين الخصائص المستمرة والشائعة وكذا الخصائص المتفردة كالمباني الكبرى التي تظهر بتميز عن النسيج العادي.

4)-7-5- مفهوم الهيكلة:

وتضم مظهرين أساسيين للتنظيم:

* الدراسة السانكرونية: وهي العلاقة اللحظية المتبادلة للأشكال والعناصر في المجال وتكون خلال مرحلة زمنية معينة.

* الدراسة الدياكرونية: أين تكون كل مرحلة هي محصلة المرحلة التي قبلها وتكون على مراحل زمنية.

4)-7-6- مفهوم التغيرات الرفيعة:

هي التغيرات الصغيرة جدا التي تمتاز بالعفوية والديمومة وتصدر من السكان على المحيط المبني لتلبية حاجاتهم الدائمة.

4)-7-7- مفهوم السياق النمطي:

نابعة من ملاحظة الشكل النمطي الذي لا يأتي إلا بعد القيام بعدد معين من التجارب والتصحيحات المعدلة والتطورية للمركبات، أي إنتاج سياق مولد.

4)-7-8- مفهوم نسق التشكل والتغير:

يستعمل (Caniggia ; G ; 1994) هذا المصطلح لمجموعة العناصر التي تربطها علاقات ومختلف التفاعلات الديناميكية فيما بينها، ومن جهته قام ذات الباحث بإسقاط مفهوم النسق بغرض تعريف النسق العمراني وتسهيل فهم وتطبيق المقاربة النسقية في التحليل، لكن المقاربة النسقية لا تتعامل مع الجانب التقني فاقترح Caniggia والمدرسة الميراتورية إيجاد ما يسمى بالمقاربة المورفولوجية التي تهتم بالشكل الملموس والهياكل المادية للإقليم.

4)-7-9- مفهوم الديمومة:

ونعني بها تواجد بعض العناصر المورفولوجية المحفوظة في النسيج العمراني هذا بالرغم من التبدل الحاصل، ونتج عن كل هذا أن العناصر العريقة تولد وتنظم العناصر الجديدة، وقال الباحث Caniggia إن الديمومة متعلقة بالسلم الموافق للدراسة حيث لا يمكن تحديد الديمومة في مجموعة العناصر الهيكلية الكبيرة إذا ما اعتمدنا دراسة العناصر الصغيرة المركبة للنسيج العمراني.

4)-7-10- مفهوم المرحلية:

وهو تطور النسق العمراني وفق درجات مرحلية بمعنى تتابع الحالات المعرفة بخصائصها النمطية وفق صيغتي التشابه أو الاختلاف، حيث حدد Caniggia سياق تطور النسق العمراني وفق ميزتين:

- سياق خطي أو دوري: والخطي يكون في تبدل تام مع الزمن، أما الدوري فهناك عامل للتكرار يتراوح بين النهوض والانحطاط للنسق العمراني على مر الزمن.
- سياق الاستمرارية أو التغير للنسق العمراني.

4)-7-11- مفهوم المتغيرة اللحظية:

وهو بناء معدل مقارنة بالمباني المحيطة حيث تم تشييده وفق معايير أو ضمن ظروف خاصة (التضاريس والطوبوغرافيا، موقع الأرض، ...) ويظهر بالتكيف مع النمط الحامل، كما يوجد صنفان من المتغيرة اللحظية:

- الأولى: تتعلق بإعادة الهيكلة الخاصة الناجمة عن إحداث تغير جزئي في المبنى.
- الثانية: تتعلق بإعادة بناء كلي للمبنى لكنه مرتبط بالخصائص المورفولوجية للنسيج العمراني.

4)-7-12- مفهوم النمط الحامل:

هو بناء يعكس بمهارة حالة متطلبات الاستعمال المعمول بها لحقبة زمنية معينة ومن فضاء ثقافي معين، وكذلك هو حوصلة لملامح مبتكرة نجحت في فرضها كقيم جماعية، كما أضاف

Caniggia أن النمط الحامل هو النمط الأكثر شيوعا في نسيج ما وحقبة زمنية معينة وضمن ثقافة مميزة.

4)-7-13- مفهوم التحولات الدياكرونية:

وهو التحول لنفس النمط على مر الزمن وبنفس المنطقة، وهو ما يسمى كذلك بالتنوعات الدياكرونية.

4)-8- ضبط منهجية البحث: إن معرفة مدى تأثير النسيج الاستعماري على واقع الأسرة الجزائرية ونسيجها العمراني ومعرفة أسباب هذا التأثير يستلزم منا وضع مسار منهجي يمكن اعتماده كقاعدة مرجعية تثبت أو تبطل صحة ما افترضناه.

4)-8-1- تحديد الفترات الزمنية:

إن تحديد وضبط الفترات الزمنية التي مر بها النسيج العمراني يساهم وبشكل كبير في الكشف عن عنصرين هامين هما:

- الخصائص المميزة لعناصر النسيج العمراني ضمن كل فترة زمنية.
- الصيغة التطورية لهاته الخصائص عبر الزمن ومنحى هذا التطور وأسبابه وتحديد ردود الفعل نحوه، وإذا ما دققنا النظر فإن هذا هو الهدف المباشر من إقامة بحثنا هذا.

ولأهمية هذا العنصر فقد حاول (Tomas ;F ;2003) ضبط المراحل الزمنية المميزة للتطورات التي مرت بها المدينة، وسعى في كتابهLes temporalités des villes إلى توضيح أهمية التقسيمات المرحلية من خلال إظهار القطيعة المفصلية التي تميز مرحلة عن أخرى وقال إن مفتاح فهم المدينة يوجد في تاريخها.

وقد اشترط الباحث نفسه لتحديد تلك المراحل والتقسيمات والتفريق بينها اعتماد مبدأين أساسيين ممنهجيْن وفق أسس علمية دقيقة:

- الأول: إن التقسيم لا يخرج عن نطاق الشيء المدروس وعلى علاقة مع المراحل التي يشهد فيها النسيج العمراني تغيرا ضمن حقبة ما، وكذا دعا إلى ضرورة وجود اختلاف بين المراحل الزمنية بعضها عن بعض من خلال حدث تاريخي بارز، وأضاف إلى ضرورة التحديد الواضح لطبيعة المجال العمراني.
- الثاني: دعا إلى دمج إيقاع وشكل التطور لأنهما يتغيران كثيرا ويكسبان سمات خاصة ومميزة للنسيج العمراني ضمن تلك الفترة حيث نميز أن الإيقاع يتصف بالبطء أو السرعة، أما شكل التطور فيتصف بالتجانس، الاختلاف، التواصل، الانقطاع، ...

4)-8-2- الدراسة السانكرونية والدياكرونية:

وهي دراسة تمكننا من الكشف عن سمات عناصر النسيج العمراني خلال حقبة ما معينة أو مقارنة الحقب فيما بينها، فحسب (Racine ;F ;1999):

*** الدراسة السانكرونية:**

وهي عبارة عن تحليل وملاحظة النسيج العمراني خلال فترة زمنية محددة للتعرف على خصائص عناصره والعلاقات فيما بينها لتحديد مدى تجانسه.

⁎ الدراسة الدياكرونية:

وهي أعم من الدراسة السانكرونية كونها تقوم بتحليل وملاحظة تطور هيكلة النسيج العمراني عبر الزمن فتمكننا بذلك من تحديد الخصائص المميزة للعناصر والعلاقات ضمن كل مرحلة والتفريق بينها، والشيء الأهم أنها تمكن من فهم كيفية تشكل وتغير الأنسجة العمرانية عبر الزمن فنتعرف على ما تم استحداثه أو اندثاره أو زواله من كل مرحلة جديدة مر بها النسيج العمراني.

4)-8-3- الوجهة التحليلية المورفونمطية للأشكال العمرانية:

وتكون هذه الوجهة التحليلية مرتبة وفق مسارين رئيسيين هما:

⁎ المسار الأول:

وهو السرد التاريخي لمميزات كل حقبة زمنية تاريخية وذلك أنه إذا حدث أي تحول في هذه المميزات تبعه تغير على مستوى عناصر النسيج العمراني.

⁎ المسار الثاني:

دراسة شكل النسيج العمراني والعلاقات بين عناصره وتم هذا وفق محورين أساسيين هما:

- المحور الأول: وهي دراسة البنية التحتية وفق نطاق ثنائي البعد والذي يكون مرتبطا بجمع الوثائق الكارتوغرافية والمخططات.

- المحور الثاني: وهي دراسة البنية الفوقية وفق نطاق ثلاثي البعد والذي يكون مرتبطا أساسا على الوثائق وأخذ الصور والقياسات وإجراء المقابلات.

4)-8-3-1- منهجية دراسة البنية التحتية:

ومعنى هذا هو تبني هيكلة معينة تساعدنا على فك تعقيدات المعطيات الكارتوغرافية إلى معلومات سهلة القراءة خادمة لفرضيات البحث.

وقد اعتبر (Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991) في كتابهما Lire et composer L'espace public أن الهياكل المورفولوجية يمكن أن توصف وتقرأ من خلال ثلاثة معايير ركائزية (طوبولوجية وهندسية وبعدية)، وهذا ما أورده(Borie ; A&Denieul ; F ; 1984) في كتابهما Méthodes d'analyse morphologique des tissus urbains traditionnels وقالا إنه أفضل حل للمقاييس التحليلية، ومنه فلا بد من وضع تعريف كل من هذه المعايير قبل تطبيقها على عناصر الشكل العمراني والعلاقات المميزة فيما بينها.

4)-8-3-1-1- المعايير المعتمدة في التحليل:

* المعيار الطوبولوجي:

وهو وصف الخصائص والتوضعات الداخلية للمجالات وتوضيح الوضعيات والعلاقات فيما بينها. (Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991)

والمعيار الطوبولوجي يسمح بإعطاء خصائص العلاقات بين العناصر حسب تموضعها في الاتجاهين. (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)

أما المتغيرات ضمن المعيار الطوبولوجي فنجدها تتلخص فيما يلي:

التباعد(أ)، التقارب(ب)، التلامس(ج)، التداخل الجانبي(د)، التداخل الكلي(ه).

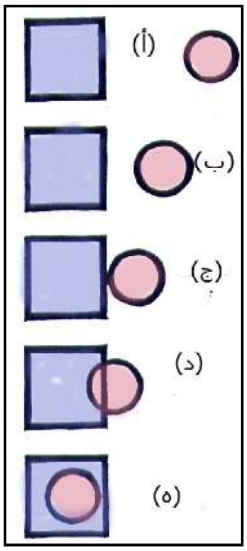

الشكل (III-5): متغيرات المعيار الطوبولوجي.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

* المعيار الهندسي:

يصف الصورة الهندسية التي ترسم المجالات وتوجيهها فيما بينها.

(Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991)

وهو إبراز للاتجاهات المتتالية ضمن مركبات النسق فيما بينها وكذا خصائص الأشكال الهندسية.

(Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)

أما عن المتغيرات ضمن المعيار الهندسي فنلخصها كما يلي:

- العلاقات التوجيهية: نجد خضوع(ه)، عدم الخضوع(و). انظر الشكل (02).
- العلاقات الشكلية: نجد هوية(أ)، تشابه(ب)، اختلاف(ج)، تكامل(د)، تداخل. (الشكل (02).
- أنماط الأشكال: نجد هندسية(أ)، مشوهة(ب)، متبقية(ج)، عضوية(د). انظر الشكل (03).

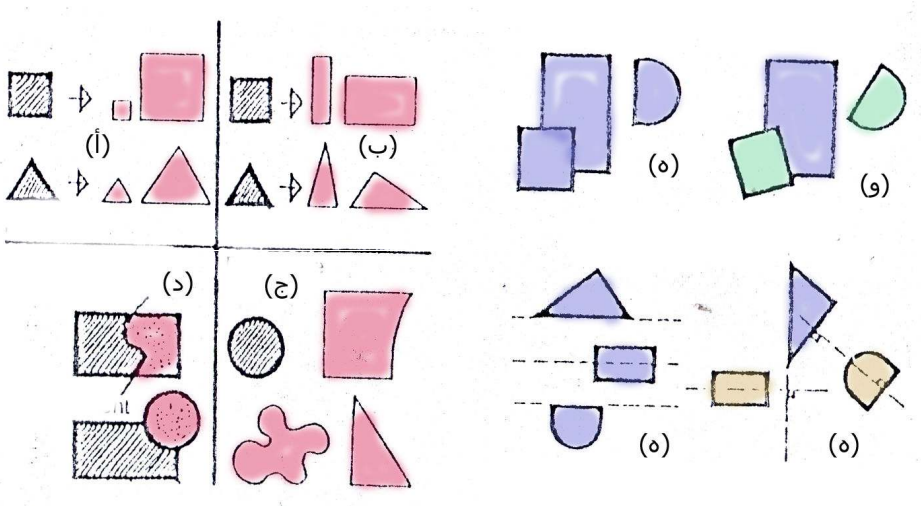

الشكل (III-6): متغيرات المعيار الهندسي.
(علاقات التوجيه + العلاقات الشكلية)
المصدر: مدوكي، م، 2010.

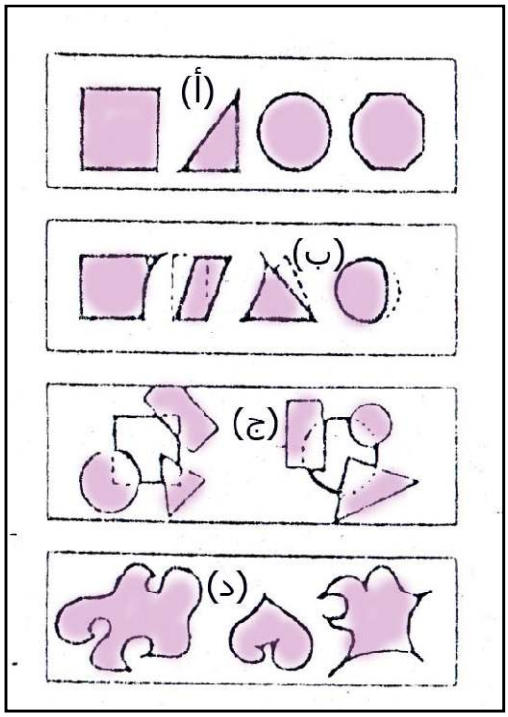

الشكل (III-7): متغيرات المعيار الهندسي.
(أنماط الأشكال).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

* المعيار البعدي:

وهو مجموع الأبعاد التي نصف من خلالها قياسات المجالات ومدى تناسبها مع بعضها البعض. (Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991)

وهو العلاقات البعدية بين المركبات ونسبها المتتالية. (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)

كما أن المتغيرات ضمن هذا المعيار تتلخص في: التناسب البعدي(أ)، التناسب المساحي(ب).

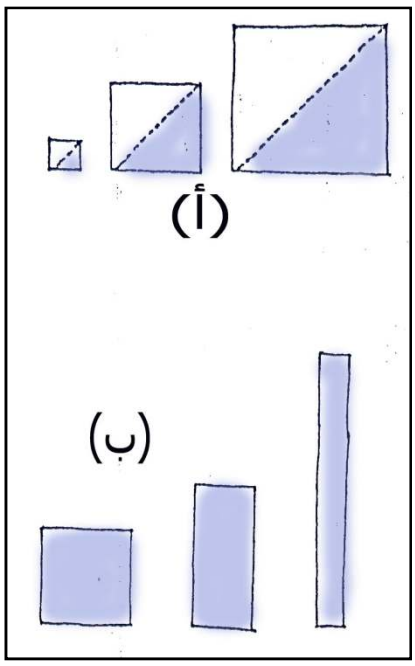

الشكل (III-8): متغيرات المعيار البعدي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-2- النسق العنصرية للشكل العمراني:

تبعا لـ (Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991) و (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984) سنقوم بتعداد عناصر الشكل العمراني وهي (الموقع العمراني، النسق الشبكاتي، النسق التحصيصي، نسق المجال الحر)، ومن ثم نقوم بتعداد المؤشرات والحالات التغييرية المصادفة لها.

4)-8-3-1-2-1- الموقع العمراني:

وهو الشيء المتواجد قبل أي تدخل للإنسان سواء على الصعيد المعماري أو العمراني، وأضافPinon أنه القاعدة الجغرافية المعتبرة ضمن الهيكلة التضاريسية والهيدروغرافية والغطاء النباتي. (Racine ; F ; 1999).

وتكمن الأهمية من دراسة هذا العنصر من خلال اختيار توضع المدينة وإيجاد حلول لمختلف العوائق الموجودة ضمنه.

4)-8-3-1-2-2- النسق الشبكاتي:

وهو النسق الرابط بين مواضع من فضاء الإقليم ويتكون أساسا من مجموعة من الحركات ذات الوظائف والاعتبارات المتغيرة، وتعتبر هذه الشبكة كالعصب للتحصيصات تربط بين أجزاء الإقليم فيما بينها. (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)

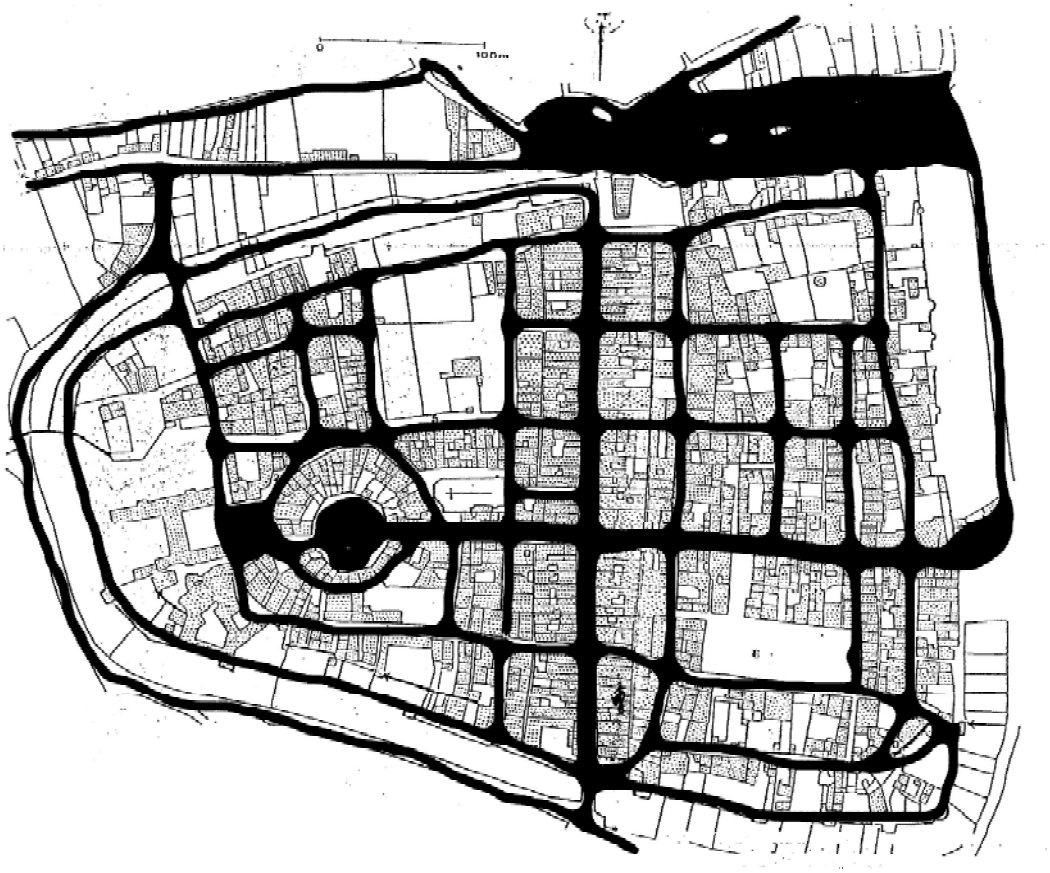

الشكل (III-9): إبراز للشبكاتية عبر نسيج Pue de dome Montefrrand - فرنسا-

المصدر: (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)

وحسبPierre Pinon هي النسق الرابط بين مختلف أجزاء المدينة ويضم مجموعة من الحركات المتفاوتة حسب الأهمية، كما أن هذه الشبكات تخصص لخدمة التحصيصات وهي مهيكلة للمجال الريفي أكثر من المجال الحضري، أما الشبكاتية من جهة الاصطلاح فهي المجال المفتوح والمحدد بخطوط الشوارع والمخصص للتجارة بكل أنواعها.

وتشتمل المعايير المعتمدة في التحليل على:

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: علاقة الطرق بالشبكات وتضم خطية، عقدية، شجيرية، إشعاعية، إطارية، شبكية.
- الثاني: التوضع النسبي لشبكة الطرق وتضم التجاور، التنضيد.

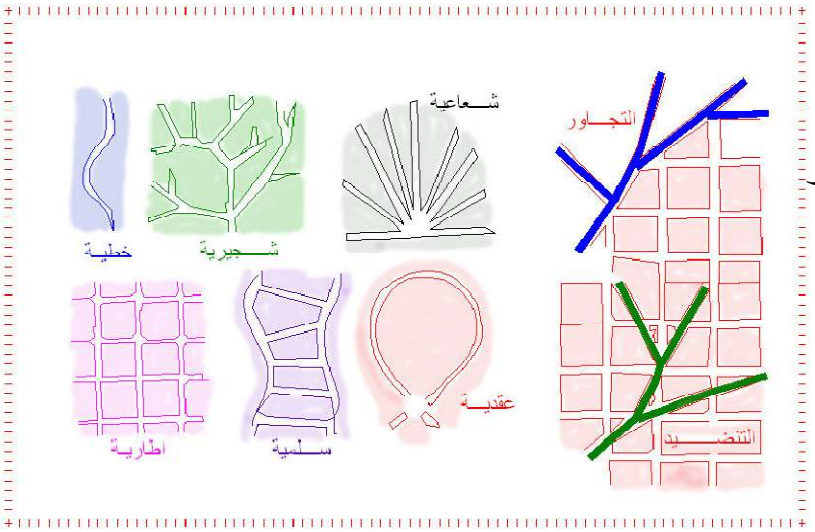

الشكل (III-10): متغيرات المعيار الطوبولوجي للنسق الشبكاتي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ب- المعيار الهندسي للنسق الشبكاتي: ونميز به ثلاثة مؤشرات أساسية هي:

- الأول: العلاقة التوجيهية للشبكة مع المحاور الرئيسية وتضم الخضوع، عدم الخضوع.
- الثاني: العلاقة التوجيهية بين الشبكات وتضم الخضوع، عدم الخضوع.
- الثالث: العلاقة الشكلية بين الشبكات وتضم التشابه، عدم التشابه.

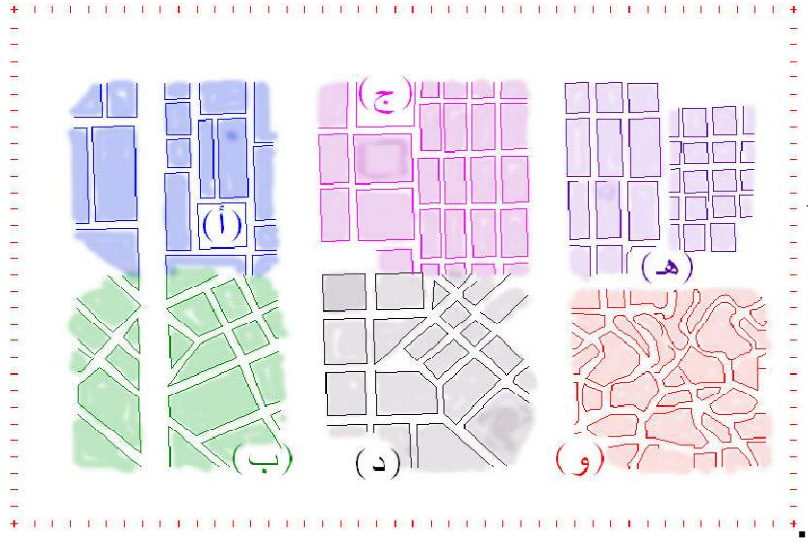

الشكل (III-11): متغيرات المعيار الهندسي للنسق الشبكاتي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-2-3- النسق التحصيصي:

وهو نسق تقسيم الفضاء والمجال الإقليمي إلى عدد من الوحدات العقارية، ولذا تعتبر التحصيصات تجزئة للإقليم.(انظر الشكل 08). (Borie ;A&Denieul ;F ;1984)

وأماPinon فاعتبر النسق التحصيصي أنه نسق تجزيئي لمجال الإقليم إلى عدة وحدات عقارية. (Racine ; F ; 1999)

واعتبر كل منFraçoise Choaeو Pierre Marlin النسق التحصيصي أنه عبارة عن مجموعة من التقسيمات الأرضية يتم التعرف عليها بواسطة حدودها المضبوطة والممثلة بخط طوبوغرافي واضح يميز التحصيصة عن ما يجاورها، أو يمكن أن نميز بين التحصيصات بواسطة شكلها وأبعادها. (Marlin ;P&Choae ;F ;2000)

أما ما ورد في كتابEspace urbain فإن التحصيصة عبارة عن تقسيم للأرضية أو تقسيم حجم إلى عدة تحصيصات. (Gauthier ; B ; 2003)

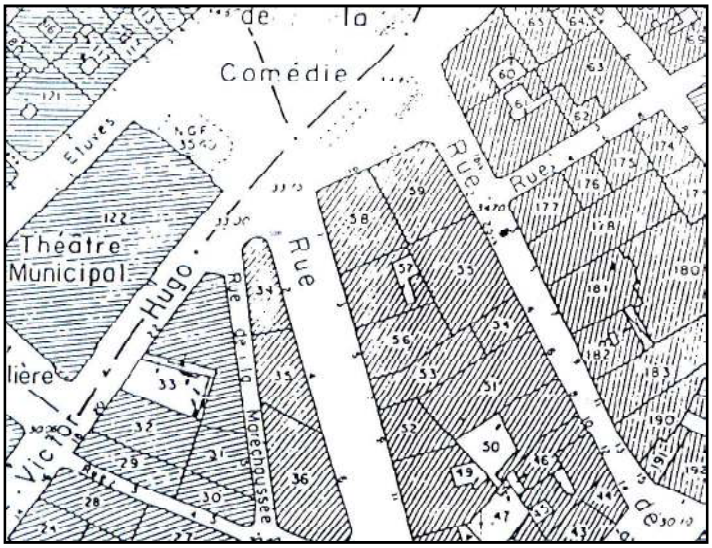

الشكل (III-12): نموذج تحصيصات لمدينةMontpellier
المصدر:Panerai. Ph & Al, 2002

ويشتمل على المعايير التحليلية الآتية:

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به ثلاثة مؤشرات أساسية هي:

- الأول: التوضع النسبي للتحصيصات ويضم احتواء(أ)، تلاصق(ب).
- الثاني: التحصيصات فيما بينها ويضم مستمرة(ج)، ليست مستمرة.
- الثالث: التوضع النسبي بين الشبكات التحصيصية ويضم تجاورية(دهـ)، محتواة(دو).

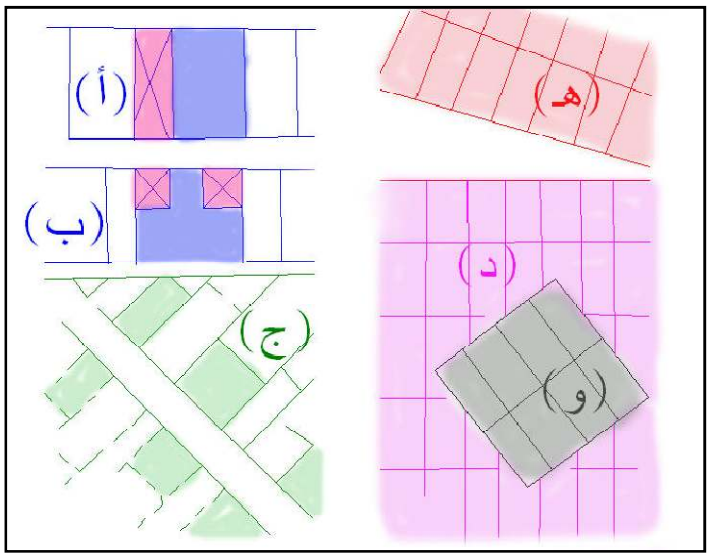

الشكل (III-13): متغيرات المعيار الطوبولوجي للنسق التحصيصي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ب- المعيار الهندسي للنسق التحصيصي: ونميز به ثلاثة مؤشرات أساسية أيضا هي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات ويضم (خضوع، عدم الخضوع)(أ).
- الثاني: الأشكال ويضم هندسية منتظمة(ب)، مشوهة غير منتظمة(ج).
- الثالث: العلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية ويضم (خضوع، عدم الخضوع)(د).

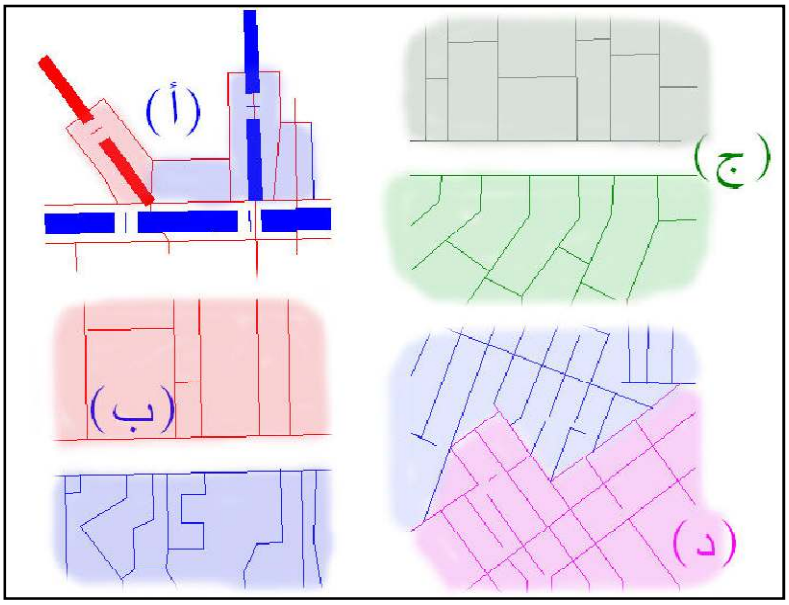

الشكل (III-14): متغيرات المعيار الهندسي للنسق التحصيصي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ج- المعيار البعدي للنسق التحصيصي: ونميز به مؤشرين هما:
- الأول: التدرج البعدي للتحصيصات ويضم (موجود، غير موجود)(أ).
- الثاني: أبعاد التحصيصات في الشبكة ويضم (ثابت، غير ثابت)(ب).

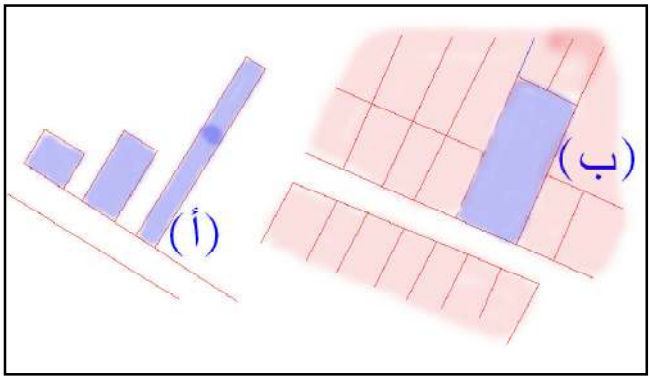

الشكل (III-15): متغيرات المعيار البعدي للنسق التحصيصي.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-2-4- نسق المجال الحر:

وهي مجموعة من الأجزاء الغير مبنية ضمن الشكل العمراني، وهي قد تكون عامة (ساحة أو طريق)، أو خاصة (فناء، حديقة). (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984)
وحسب كتابEspace urbain فإن المجال الحر هو مساحة فوق الأرض ليست مشغولة بالمباني ولا أي منشآت الهندسة المدنية أو الحضرية، وهو المجال المغلق بالمحيط من خلال جدران المنازل وفي نفس الوقت هو المجال المفتوح مقارنة بداخل المنزل. (Gauthier ;B ;2003)

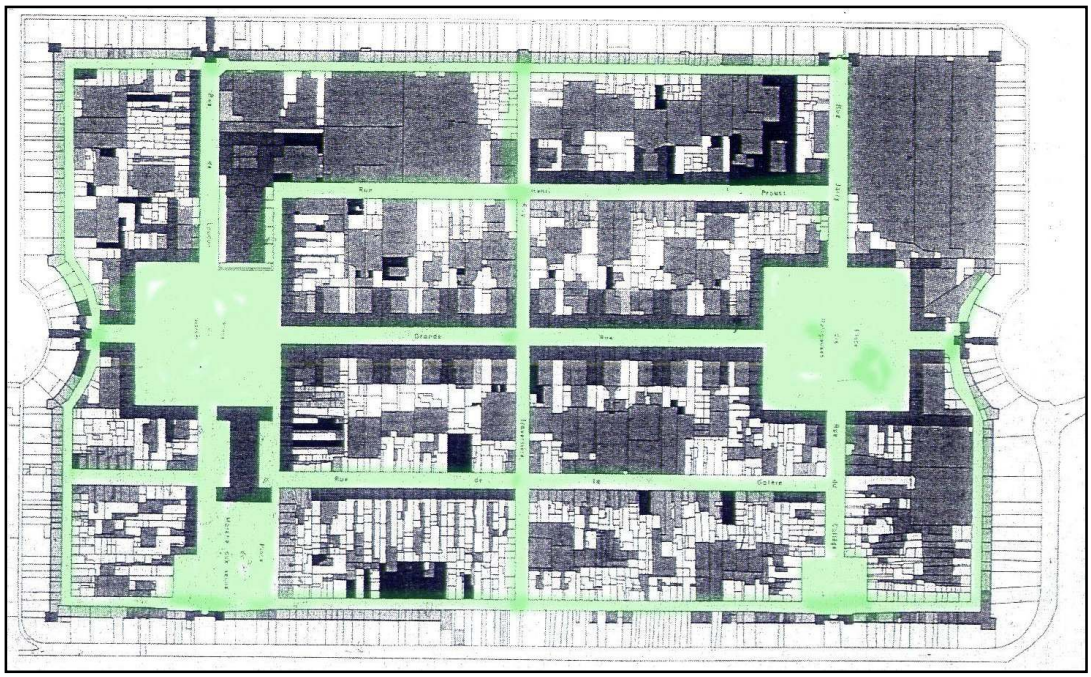

الشكل (III-16): تمثيل للمجال الحر بمدينةRichelieu بفرنسا.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

ويشتمل على المعايير التحليلية الآتية:

أ- المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر: ونميز به ثلاثة مؤشرات أساسية هي:

- الأول: التوضع النسبي للساحات العامة ويضم متجاورة(أ)، غير متجاورة(ب).
- الثاني: الترابط بين الساحات العامة ويضم تواصل(ج)، عدم التواصل(د).
- الثالث: الساحات فيما بينها ويضم مستمرة(ه)، غير مستمرة(و).

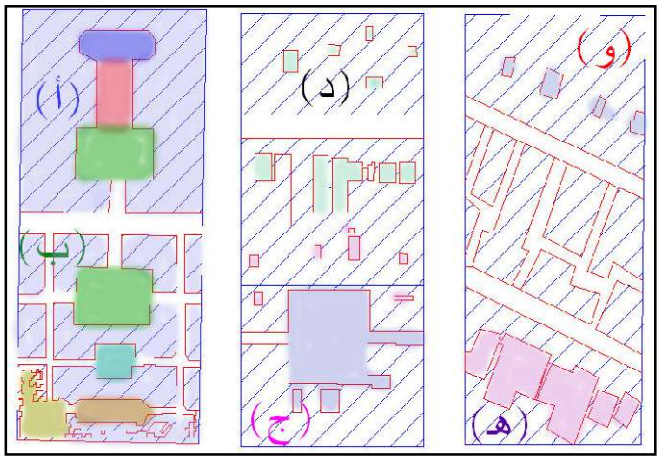

الشكل(III-17): متغيرات المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

ب- المعيار الهندسي لنسق المجال الحر: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة ويضم خضوع(أ)، عدم الخضوع(ب).
- الثاني: العلاقة الشكلية ويضم تماثل(ج)، تشابه(د)، اختلاف(هـ)، تكامل(و).

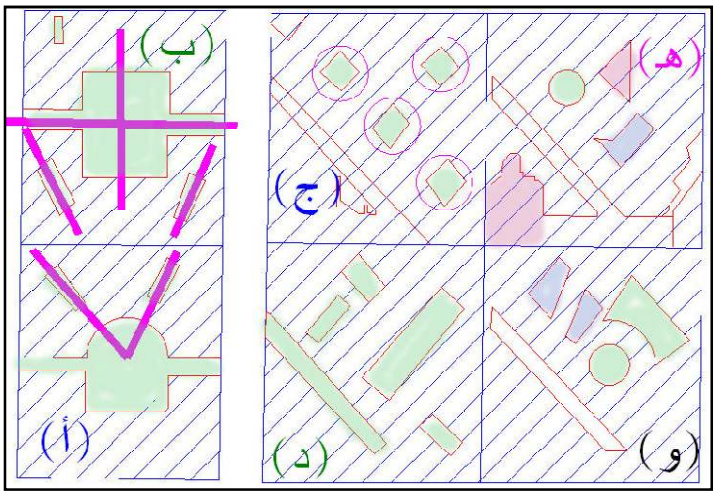

الشكل(III-18): متغيرات المعيار الهندسي لنسق المجال الحر.
المصدر: مدوكي، م، 2010.

إن النسق المذكورة سابقا وبتدقيق النظر يتضح أنه ثمة علاقات قائمة بينها تدور بين التزاوج أو التوضع وهذا على خلفية النسيج العمراني الذي تنتمي إليه.

فالنسيج المبني ونسيج المجالات الحرة كلاهما ضدان (علاقة إقصاء) ويتكاملان ليشكلا الفضاء العمراني وهذا هو التزاوج وهو أن تقوم بين النسق المختلفة علاقة إقصاء وتكامل، نفس هذا الأمر نجده منطبقا على النسق التحصيصي والنسق الشبكاتي فقد قامت بينهما علاقة إقصاء وتكامل، فالإقصاء إذا ما نظرنا أنه كل تحصيص ليس بطريق والعكس بالعكس، أما التكامل فالنسق التحصيصي يفصل مختلف المجالات والنسق الشبكاتي يربط بينها.

أما علاقة التوضع فهي العلاقة الموضعية الموجودة بين توزيع الإقليم العمراني وشغل الإقليم العمراني أي هي توضعات النسق مقارنة ببعضها البعض، فالبنايات تتموضع فوق التحصيصات أي أن النسق المبني هو ضمن النسق التحصيصي، لكن قد نجد بعض البنايات تمتد لتغطي الطرق أي أن النسق المبني امتد وتموضع فوق النسق الشبكاتي، وهكذا المجالات الحرة كالشوارع والطرق هي ضمن النسق الشبكاتي وهي أيضا ضمن النسق التحصيصي مثل أفنية الدور والمنازل.

4)-8-1-3-3- النسق العلاقاتي للشكل العمراني:

بعد أن أثبتنا في الكلام الأخير أنه توجد علاقات بين عناصر الشكل العمراني فيما بينها، نقوم الآن بضبط المؤشرات والحالات التحليلية وهذا اعتمادا لما ورد عند كل من:

(Pinon ; P&Dupre-Henry ; D ; 1991) و (Borie ; A&Denieul ; F ; 1984):

4)-8-1-3-1-3- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي):

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: الوضعية النسبية للشبكاتية مقارنة بخطوط التسوية ويضم المسايرة(أ، ب، ج)، عدم المسايرة.

- الثاني: الرابط بين الطرقات والموقع ويضم ترابط(د)، استقلالية(هـ).

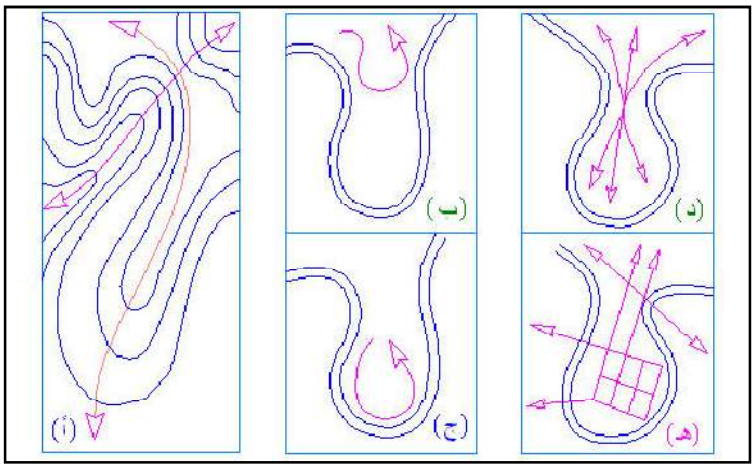

الشكل(III-19): متغيرات المعيار الطوبولوجي
للعلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ب- المعيار الهندسي: ونميز به مؤشرا وحيدا هو:
- العلاقة التوجيهية بين الطرق وخطوط التسوية ويضم خضوع(و)، عدم الخضوع(ي، ك).

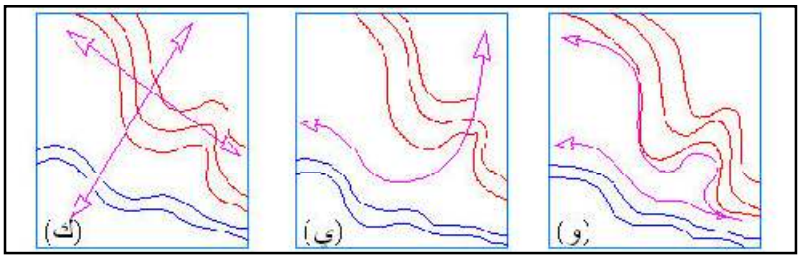

الشكل(III-20): متغيرات المعيار الهندسي
للعلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-3-2- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به مؤشرا وحيدا هو:
- الوضعية النسبية للمجال الحر مقارنة بخطوط التسوية ويضم متجاورة(أ)، غير متجاورة(ب)

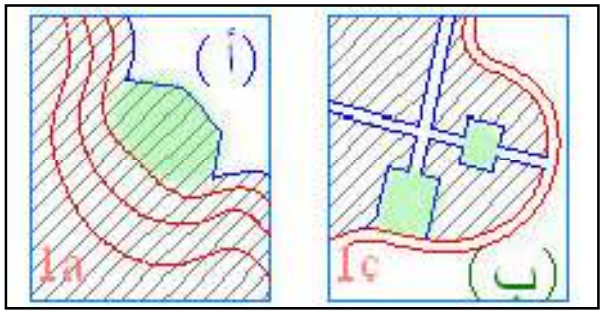

الشكل(III-21): متغيرات المعيار الطوبولوجي
للعلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ب- المعيار الهندسي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين خطوط التسوية ومحاور الساحات العامة ويضم الخضوع(ج)، عدم الخضوع(د).

- الثاني: العلاقة الشكلية بين خطوط التسوية وأشكال الساحات العامة ويضم الاختلاف(هـ)، التشابه(و)، التكامل(ي)، التضاد(ك).

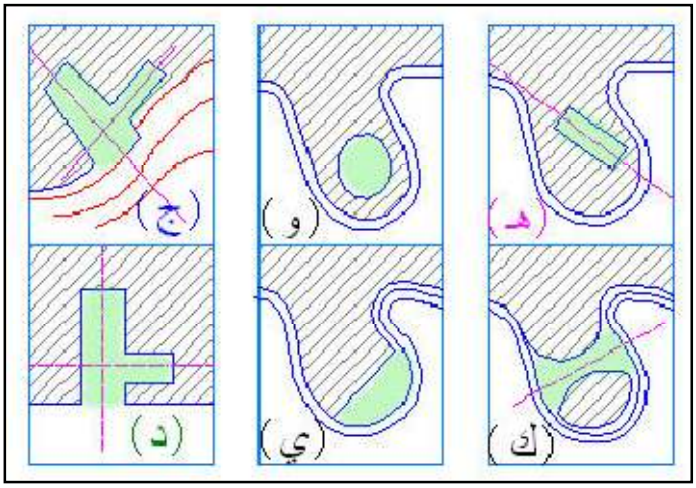

الشكل(III-22): متغيرات المعيار الهندسي للعلاقة النسقية (الموقع العمراني//المجال الحر)
المصدر: مدوكي، م، 2010.

ج- المعيار البعدي: ونميز به مؤشرا وحيدا هو:

- مقياس الساحة العامة مقارنة بمقياس خطوط التسوية ويضم مهمل العلاقة البعدية(م)، على مقياس متناسب(ل).

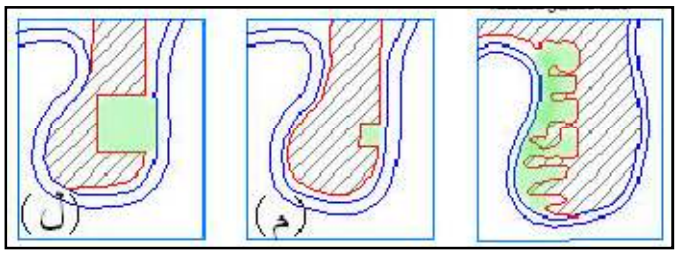

الشكل(III-23): متغيرات المعيار البعدي للعلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-3-3- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي):

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: وضعية التحصيصة بالنسبة للطريق المارة ويضم تلاصق(أ)، تباعد(ب)، توضع(ج).

- الثاني: الترابط بين التحصيصة والطريق المارة ويضم مباشر(د)، غير مباشر(هـ، و).

ب- المعيار الهندسي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين شبكة التحصيصات ومحور الشارع ويضم (الخضوع، عدم الخضوع)(ي، ك).

- الثاني: العلاقة الشكلية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية ويضم تشابه(ل)، اختلاف(م).

ج- المعيار البعدي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: العلاقة البعدية بين الشبكة التحصيصية والشبكاتية ويضم ثبات(ع)، تغير(ن).

- الثاني: أبعاد واجهات التحصيصات على الطريق ويضم ثبات(ع)، تغير(ق).

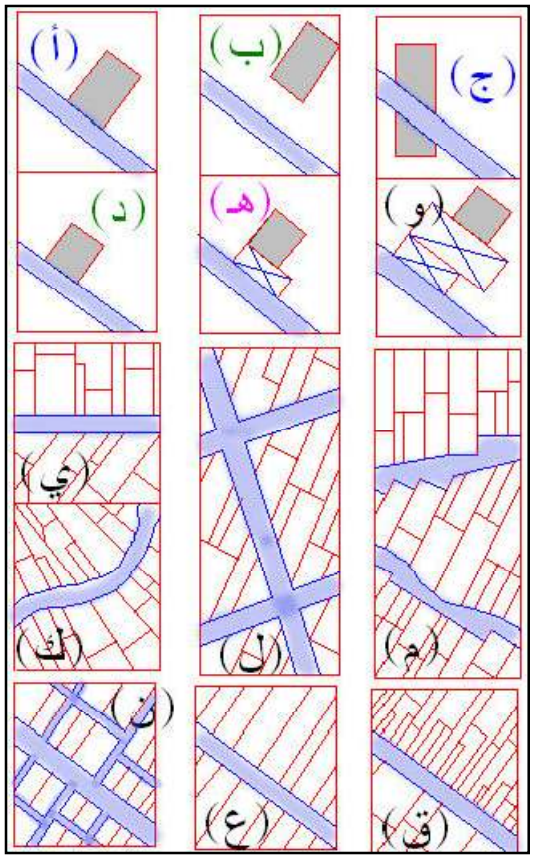

الشكل(III-24): متغيرات المعيار الطوبولوجي والهندسي والبعدي للعلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي)
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-3-4- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به مؤشرين هما:

- الأول: الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية ويضم تمثل نقطة خاصة(أ)، لا تمثل نقطة خاصة(ب).

- الثاني: وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق ويضم تباعد(ج)، تجاور(د)، اختراق(هـ).

ب- المعيار الهندسي: ونميز به ثلاثة مؤشرات أساسية هي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة والشبكاتية ويضم الخضوع(و)، عدم الخضوع(ي).

- الثاني: العلاقة الشكلية ويضم موجهة(ك)، مكملة(ل).

- الثالث: العلاقة الرابطة ويضم الطريق يقطع الساحة(م)، الساحة تشوه الطريق(ن).

ج- المعيار البعدي: ونميز به مؤشرا واحدا هو:

- مقياس الساحات العامة ويضم مميزة عما يحيط بها(م)، لا وجود للتميز(ن).

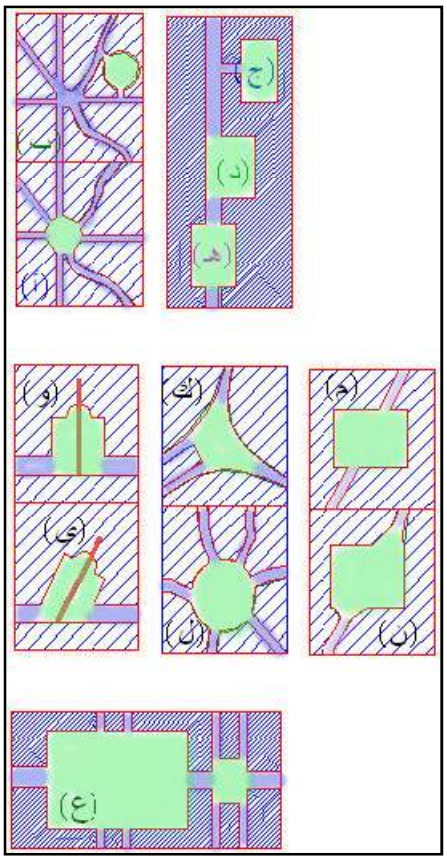

الشكل(III-25): متغيرات المعيار الطوبولوجي والهندسي والبعدي للعلاقة النسقية (النسق الشبكاتي//نسق المجال الحر).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-1-3-5- العلاقة النسقية (نسق تحصيصي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي: ونميز به مؤشرا وحيدا هو:

- وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات ويضم مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية(أ)، متمفصلة من عدة شبكات تحصيصية(ب).

ب- المعيار الهندسي: ونميز به مؤشرين أساسيين هما:

- الأول: العلاقة التوجيهية لمحاور الساحات العامة ومحاور الشبكة التحصيصية ويضم الخضوع(ج)، عدم الخضوع(د).

- الثاني: العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية ويضم متماثلة(هـ)، متشابهة(و)، متكاملة(ي).

ج- المعيار البعدي: ونميز به مؤشرا واحدا هو:

- مقياس الساحات العامة مقارنة بالتحصيصات ويضم الاختلاف(ك)، التشابه(ل).

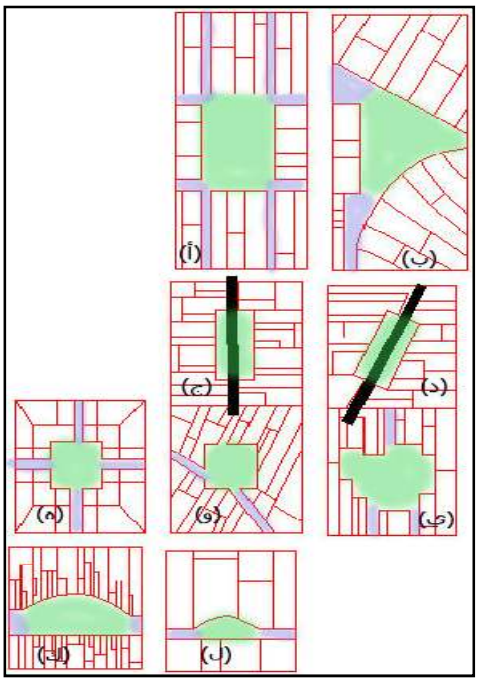

الشكل(III-26): متغيرات المعيار الطوبولوجي والهندسي والبعدي للعلاقة النسقية (نسق تحصيصي/نسق المجال الحر).
المصدر: مدوكي، م، 2010.

4)-8-3-2- منهجية دراسة البنية الفوقية:

إن الدراسة وفق بعدين أي دراسة البنية التحتية يعتريها نوع من السطحية كونها تبقى دائما في حدود الأوراق والرسومات والمخططات ولذا كان لزاما التعرض للدراسة الواقعية وهي دراسة البنية الفوقية وفق ثلاثة أبعاد وهي ترتكز أساسا على:

- دراسة النسيج العمراني وإطاره الفيزيائي.
- اعتماد تقنية الاستبيان والملاحظة كأداتين لجمع المعلومات كونهما الأنسب ضمن هذا الشطر من الدراسة التحليلية.

خـــلاصـــــة:

تعد المدينة الاستعمارية نتاجا وامتدادا للمدينتين اليونانية والرومانية على حد سواء، هاتان الحضارتان تمكنتا من ترك بصمات واضحة المعالم على صفحات التاريخ المديني من خلال تأسيس عمران يقوم أساسا على البعدين الديني والعسكري، هذا العمران الذي اكتوت بناره مدن العالم العربي والإسلامي إثر تعرضهما للاحتلال من طرف الدول الأوربية وفرضها لهذا النوع من التعمير الذي تفاقمت مشاكله وعظمت بعد انطلاق الثورة الصناعية التقنية في القرن الثامن عشر وما نتج عنها من تحولات على كافة المستويات لعل من أهمها إبعاد الإنسان عن إبداعاته الثقافية وعلاقاته الاجتماعية كون الاهتمام كان منصبا على السيطرة على إنسان المدينة وجعله مستهلكا فقط وهذا لما له من تأثير على الجانب الإنتاجي، وقد اتضح جليا أن المدينة الأوربية قد نحت بمنحى جديد عقب ظهور الثورة الصناعية وبروز التطور الاقتصادي والتكنولوجي، هذا التطور العلمي أدى إلى ظهور التقنيات الجديدة التي زعزعت البنيات القديمة القائمة بين الإنسان والمدينة لتحل محلها العلاقات السوسيواقتصادية التي دفعت إلى إحداث تنظيمات اجتماعية واقتصادية جديدة داخل المدن تطلبت صياغة جديدة ومناسبة لشكل المدينة ومجالها، وأولى تلك الأفكار هو التخلي عن المدن القائمة يومئذ إذ لم تعد قادرة على مواكبة التطور التكنولوجي المحقق، ومن ثم فقد جاء التفكير في إحداث تخطيط عمراني جديد لمدن جديدة تختلف عن سابقتها تكون قادرة على استيعاب واقع المجتمع التكنولوجي والاقتصادي الجديد حيث تتحقق الديمقراطية وقيم العالم الصناعي وتقنياته حيث لم تكن النظريات العمرانية الحديثة إلا بواعث هذا الفكر وأساس العمران المعاصر الذي تكتوي بناره مدن اليوم.

وكان من الطبيعي أن تحدث هذه الهوة بين العمرانين التقليدي والحديث على مستوى جد واسع لما ذكرناه من قبل، ومنه وسعيا منا لفهم هذا العمران الجديد فقد قمنا بتبني المقاربة المورفونمطية كخطوة مقاربة لفهم هذا النوع من التعمير الأجنبي.

حقول البحث	التاريخ	الإستراتيجية	الطريقة	الاهتمامات	الروح	القائمة الجزئية للمساهمة الرئيسية	التأثير على التطبيق
دراسات التاريخ العمراني	1920	- أدبية. - علم الظواهر.	- تاريخية وصفية.	- الشيء أو الموضوع.	- سلوكيات وتفاعلات.	Artibise & Linteau (1984) Bacon (1976)Banham (1971) Barnett (1986) Bernvolo (1980) Blumenfeld (1979) Braodbernet (1990) Dickinson (1961) Dyoz (1968) Evenson (1973- 1979) Fishman (1987) Friedman (1988) Garreau (1991) Girouard (1985) Hayden (1981-1984) Hiorens (1956) Huxlabel (1970) J.B.Jackson (1980-1984) K.Jackson (1985) Jackson & Schultz (1972) J.Jacobs (1961) Johonson (1983) Konvitz (1985) Kostof (1991) Lavedan (1941) Lowenthal & Binney (1981) Lubove (1967) Lyndon (1982) Morris (1972) Mumford (1961) Poete (1967) Rasmuseen (1967) Relph (1987) Reos (1965) Rowe (1991) Rudofsky (1969) Sennet (1969) Stilgoe (1982) Suteliffe (1984) Vance (1977, 1990) Warner (1962, 1968) Weiss (1987) Wright (1981) Wurman (1971, 1972)	- تحليل نقدي لتطور المدن والقوى المركبة للمحيط المبني.
دراسات الصورية	1960/1950	- أدبية. - علم الظواهر.	- تجريبية استقرائية. - تاريخية وصفية.	- الشيء.	- سلوكيات.	Ashihara (1983) Bacon (1976) Cullen (1961) Halprin (1966, 1972) Higuchi (1983) Charp (1946) Sitte (1889) Sprergen (1965) Unwin (1909)	- العناصر المرئية للمدن.
دراسة الصورة	1950 إلى اليوم	- الوضعية.	- تجريبية استقرائية.	- الموضوع.	- سلوكيات.	Appelyard & Al (1964) Arnhiem (1954, 1966) Ashirara (1983) Higuchi (1983) Kepes (1944, 1965, 1966) Lynch (1960	- كيف للأفراد التعامل وفهم المدينة.
الدراسات البيئية	1970 إلى اليوم	- الوضعية.	- تجريبية استقرائية.	- الشيء أو الموضوع.	- سلوكيات وتفاعلات.	Altman (1986) Altman & wohlwill (1976, 1981)Aplyard (1976, 1981) Canter (1977) Festinger (1989) Francia & Al (1984) Franck & Ahrentzen (1989) Cehl (1987) Gutman (1972) Hall (1959, 1966) Kaplan & Kalan (1978) Lang (1987) Lawrence (1987) Marcus (1975) Marcus & Sarkissian (1986) Michelson (1970, 1977) G.Moor & Al (1985) R.Moore (1986) Nasar (1988) Newman ((1972, 1980) Rapoport (1977, 1982, 1990) Summer (1969) Stokols & Altman (1987) Whyte (1980) Woholwill (1981, 1985) Zube & Moore (1987)	- كيف للأفراد إدراك التعامل مع المحيط الطبيعي ضمن المدن وتحديدا مع المحيط المبني.
دراسة المكان	1970 إلى اليوم	- أدبية. - علم الظواهر. - الوضعية.	- تجريبية استقرائية. - تاريخية وصفية.	- الشيء أو الموضوع.	- سلوكيات.	Appeltun (1975, 1980) Ashirara ((1983) Clay (1973) Francis & haster (1990) Goudiener (1985) Greenbie (1981) Hester (1975, 1984) Higuchi (1983) Hiss (1990) Hiler & Hantson (1984) A.Jacobs (1985) Jakle (1987) Lerup (1977) Lynch (1972, 1981) C.Moore et Al (1988) Nerberg.Schultz (1980, 1985) L'erin (1970, 1977) Relph (1976) Seamon & Muerauer (1989) Sime (1986) Theil (1986) Tuan (1974, 1977) Walter (1988) Whyth (1988)	- كيف يتصور الأشخاص استعمال المدن ويدخلون في علاقة مع من حولهم.
دراسة الثقافية المادية	1920 إلى اليوم	- أدبية. - علم الظواهر. - الوضعية.	- تجريبية استقرائية. - تاريخية وصفية.	- الشيء.	- سلوكيات.	Brunskill et Al (1981, 1982) Classie (1968, 1975, 1982) Croth (1990) J.B.Jackson (1980, 1984) Lewis (1975) Schlereth (1982, 1985) Apton & vlach (1986) Venri et Al (1977) Wolf (1965)	- نوعيات المحيط الثقافي.
الدراسات المورفونمطية	1950 إلى اليوم	- أدبية. - الوضعية.	- تجريبية استقرائية. - تاريخية وصفية.	- الشيء.	- سلوكيات.	Aymonino et Al (1966) Caniggia (1983) Caniggia & Maffei (1979) Castel et Al (1980) Consen (1960, 1980) Maretto (1986) Moudon (1986) Muratori (1959) Muratori et Al (1963) Myars & Baird (1978) Panerai et Al (1980) Rossi (1982) Slater (1990) Withehand (1981)	- بناء المدينة إنتاج وسياق.
دراسات مورفولوجية المكان	1950 إلى اليوم	- الوضعية.	- تجريبية استقرائية. - تاريخية وصفية.	- الشيء.	- سلوكيات.	Anderson (1977) Boudon (1971, 1991) Bourne (1971) Gottdiner (1986) Hiller & Harson (1984) Lynch & Rodwin (1958) Mitchell (1990) March (1977) Martin & March (1972) Passoneau & Wurman (1966) Sreadman (1983) Unwin (1909) Weber (1964) Wurman (1974)	- الشكل الحضري وهندسته.
الدراسات الايكولوجية	1980 إلى اليوم	- الوضعية.	- تجريبية استقرائية.	- الشيء أو الموضوع.	- سلوكيات.	Detwyker & Marcus (1972) Douglas (1983) George & Mackinley (1974) Gordon (1990) Goudie (1990) Havlick (1974) Hough (1984)Huges (1975) Lyle (1985) McHarg (1971) Moll & Ebenreck (1989) Odum (1971) Schneider (1997) Spirn (1984) Todd & Todd (1984) Van Der Ryn & Calthorge (1986) Yaro et Al (1988)	- القوى الطبيعية والبيئة المبنية.

الجدول (III-1): مكانة الدراسات المورفونمطية من بين التخصصات المعالجة للبعد النفسي والمجالي للمدينة.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الفصل الخامس:

النمو العمراني لمدينة بسكرة:

فورة سريعة ومتباينة.

مقدمـــة:

بالنظر إلى التاريخ المديد الذي تمتاز به مدينة بسكرة وإلى قِدم وجودها والموقع الهام الذي في الشبكة الحضرية للمنطقة حيث تشير(Agli ;N ;1988) احتلته أن بسكرة قد عُمِّرت من طرف شعوب كثيرة يعود تاريخها إلى 8000 سنة قبل الميلاد، كما قال (محمد بن الحسن الوزان الفاسي، 1983) أن بسكرة << مدينة عريقة في القدم أسست أيام أن كان الرومان يحكمون بلاد البربر، وقد خربت بعد ذلك ثم أعيد بناؤها لما دخلت الجيوش الإسلامية إلى إفريقيا وهي الآن عامرة كما ينبغي وسورها من الآجر النيء>>، ويقول ذات الباحث أنها كانت ضمن إقليم الزاب الذي كان يحوي عددا كبيرا من حدائق النخيل وعددا كثيرا من القرى وخمسة مدن كبرى، ويعتقد الباحث(Baroch; P) أن بسكرة لم تعرف تعميرا حقيقيا إلا مع بدايات الفتح الإسلامي وانتشار الدعوة عام 680م.

كما أشار (رشيد بورويبة، 1977) أنه كانت للمدينة في عهد الحماديين سور من الطين مطوق بخندق وأرباض خارجه ولها ثلاثة أبواب يُعرف منهما اثنان فقط هما باب المقبرة وباب الحمام، وبها جامع وعدة مساجد وحمامات وآبار كثيرة وعذبة منها بئر في الجامع، وكان بناؤها من الطين.

وعليه فإننا سنعتمد دراسة التوسع العمراني للمدينة من خلال استعراضنا لثلاثة مراحل هامة شهدتها عبر تاريخها وأثرت في تحديد ملامحها ومعالمها من خلال استخراج خصائص ومميزات كل حقبة ووسائل التعمير حينها وهذا من أجل تحديد مضامينها ومدى موائمتها للظروف الاجتماعية والاقتصادية والبيئية للمجتمع وقتئذ.

1)- مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

لا تتوفر مراجع مفصلة بشكل كاف عن وضعية المدينة في تلك الفترة، غير أن العقيد (سيروكا) يصفها بأنها كانت مجمعة حول القلعة التركية من جهة الجنوب، وكانت محاطة بخندق خال من المياه مما أدى إلى انتشار الوباء بها والذي كان سببا في هلاك العديد من السكان، ثم لم تلبث هذه القلعة أن تحولت إلى مجمعات سكانية صغيرة تتوسط النخيل بمجموع سكاني يقدر بـ 4000 نسمة. انظر الشكلين (1) و(2).

أما العياشي فقد أشار إلى أن المدينة كانت تعج بالسكان الذي بلغ عددهم 10000 نسمة قبل أن يفتك بها ذلك الداء الذي قضى على 7000 نسمة منهم مما دفع بالبقية الباقية منهم إلى مغادرتها نحو الجهة الجنوبية والاستقرار داخل بساتين النخيل حيث يتوفر بها ظروف مناخية واقتصادية وصحية أفضل.

أما (الديب، ب، 2001) فقد رجح أن هذه الكتلة البشرية كانت مستقرة شمال المدينة لأن الحصن الجنوبي بمساحته وإمكانياته لا يمكنه استيعاب هذا العدد يومها، كما أشار أيضا إلى أنه << لو تفحصنا جيدا المخططات المتوفرة لدينا حول المستوطنة الفرنسية في بداية تموضعها ولحد الآن لوجدنا بصمات واضحة لمجال عمراني مديني لا يعتمده الفرنسيون في مدنهم، بل يدل

على وجود تجمع إنساني في هذا المكان قبل وصولهم...>>، وما زاد الباحث تأكدا من صحة فرضياته هي ساحة السوق والمسجد المقابل لها اللذان يبدوان كطفرة في الشبكة الهندسية للمخطط الشطرنجي الذي يعد القاعدة الأساسية للمدينة الفرنسية، كما أن مساحة القلعة التركية بالجنوب لا يؤهلها لاحتواء هذا العدد الكبير الذي ذكره العياشي، كما أن التقنيات المتعلقة بالجانب المعماري آنذاك لم تكن تسمح بالامتداد بشكل رأسي.

ويختتم الباحث قولته بأنه << ثمة اعتقاد بأن هذه المستوطنة الفرنسية بُنيت على أنقاض مدينة أخرى كان يحكمها ويسيرها نظام اجتماعي يخالف نظام المحتلين على الأقل.>>

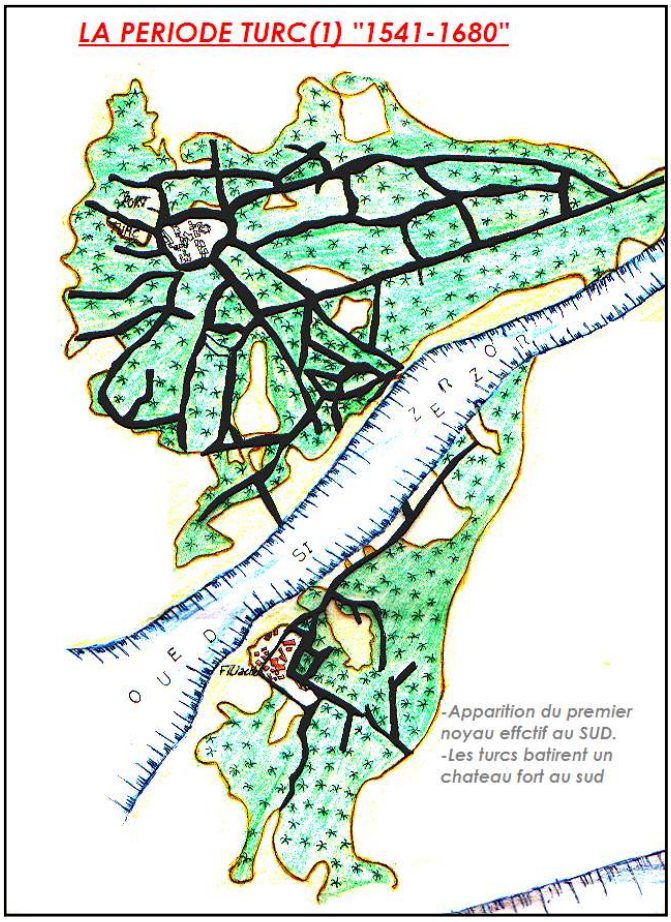

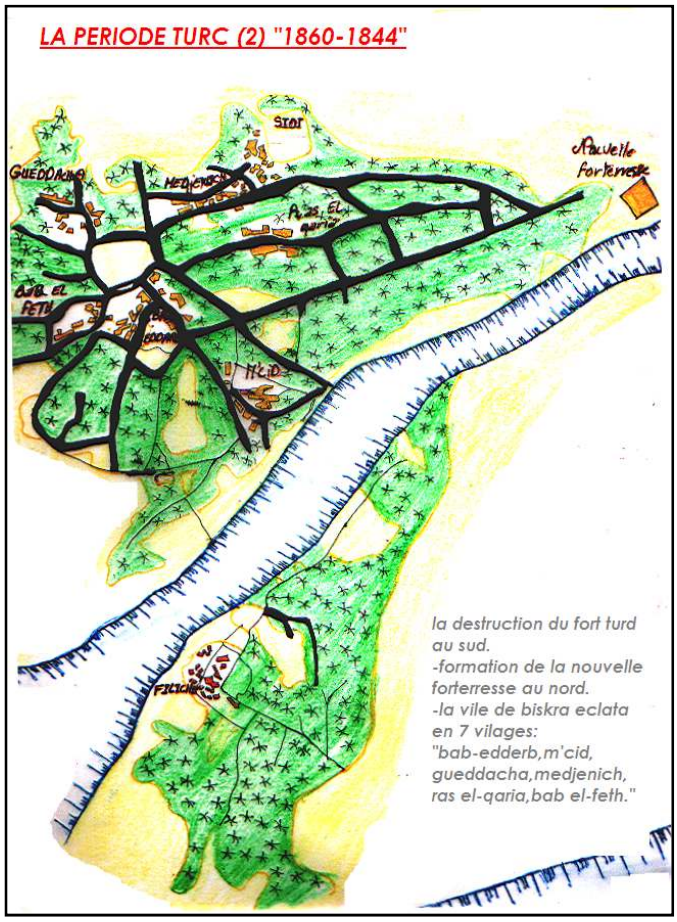

الشكل (V-1): الحقبة الأولى: 1680/1541م.

الشكل (V-2): الحقبة الثانية: 1844/1680م.

المصدر: مكتب الدراساتURBA/Batna

1)-1- المجمعات الأولى لمدينة بسكرة:

وتشكلت هذه التجمعات الأولى أساسا بسبب الماء المتواجد والمنحدر عبر السواقي من شمال المدينة نحو البساتين المتواجدة يومها بالمدينة، ثم أخذت هذه التجمعات بالتوسع والنمو بشكل شريطي ممتد على طول هذه السواقي التي تحولت في وقت لاحق إلى شوارع رئيسية تخترقها وتتفرع منها شوارع أخرى ثانوية.

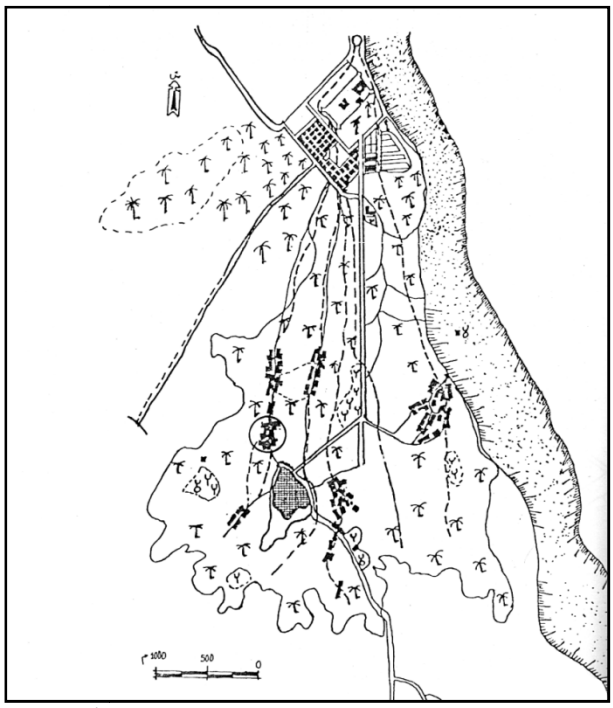

الشكل (V-3): مجمعات بسكرة الأولى.
المصدر: الديب، ب، 2001.

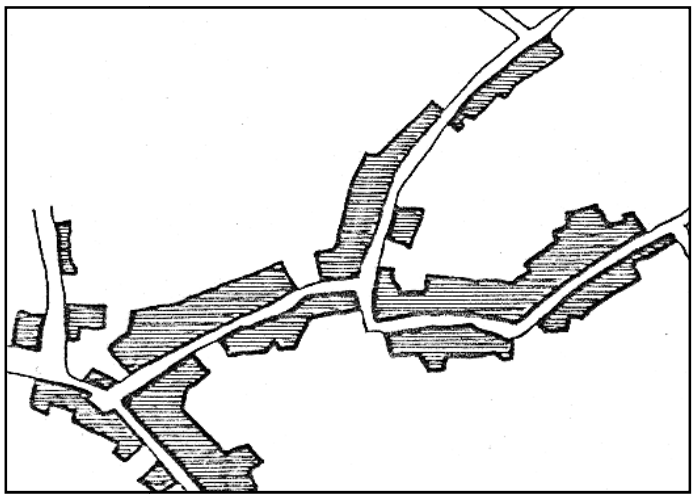

الشكل (V-4): تشكل المجال المبني لمجمعات بسكرة الأولى.
- مجمع حي باب الدرب -
المصدر: خريطة بسكرة 1958م.

وما يلاحظ على هذه المخططات هو عدم خضوع التحصيصات بها لأي نظام هندسي، بل إن الاعتناء بضمان التموين بالماء جعل من السواقي تلعب الدور المهيكل بها بحيث تأتي السكنات متراصة على طول المجرى المائي وتبقى البساتين في الخلف، كما أن هذه السكنات تكسوها سمة الوحدوية حيث نجد أغلبها ذات ارتفاع واحد بطابق وحيد ومداخل على الشارع مباشرة وأخرى على ممرات عمودية ملتوية، والواجهات ذات فتحات صغيرة ومرتفعة، ومادة البناء المحلية من الطوب النيء والخشب وسعف النخيل وجذوعها وهذا ما يجعلها تبدو مدمجة مع الواحة ومنسجمة معها إلى حد بعيد.

1)-2- المدينة القديمة (بسكرة القديمة):

أ- معطيات عامة:

وهي مجموعة من الأحياء ذات البعد التاريخي الذي يرجع إلى العهد التركي، وتتربع هذه الأحياء على مساحة تقدر بـ 531,87 هكتارا في الناحية الجنوبية من المدينة الحالية التي ترتبط معها عبر شريان حيوي هو شارع الحكيم سعدان الذي يعود تاريخ شقه إلى ما قبل المرحلة الاستعمارية، حيث يشهد هذا الشارع حركة تجارية مكثفة وتتوزع على أطرافه نقاط النقل الحضري وبعض المرافق العمومية.

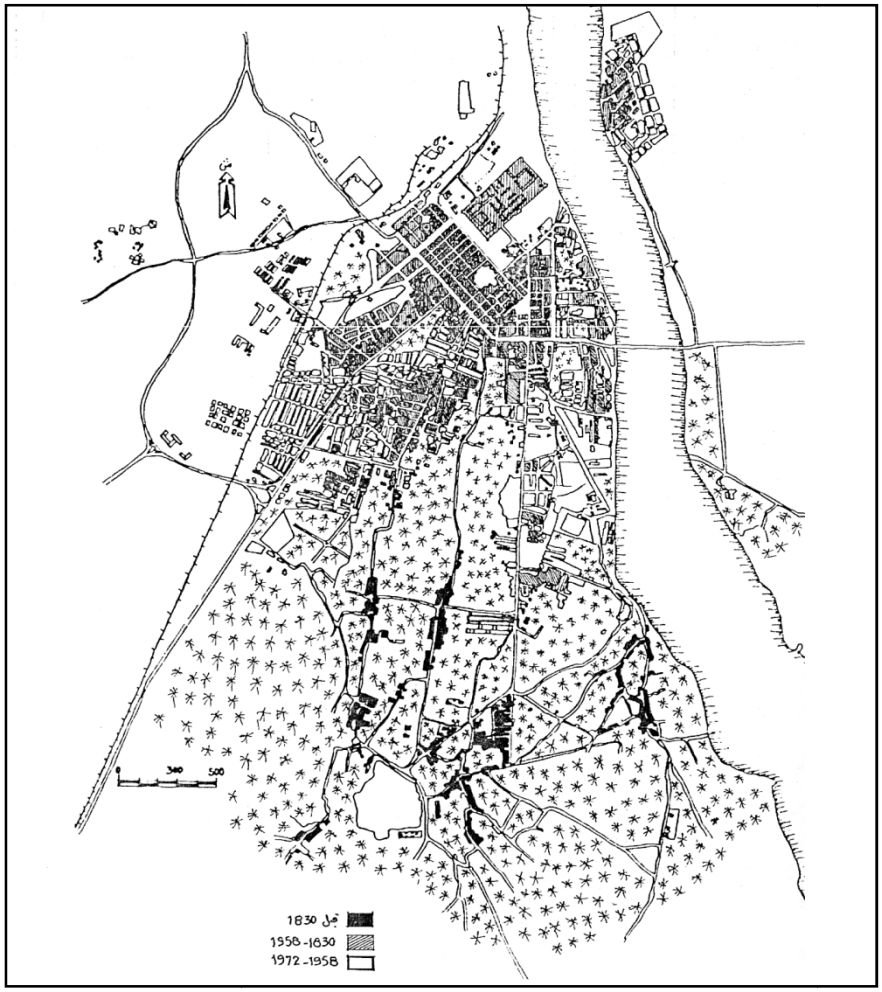

الشكل (V-5): خريطة بسكرة لسنة 1972م وظهور الأحياء العتيقة.
المصدر: الديب، ب، 2001.

ويُسجَل على مستوى هذه الأحياء تدني الظروف المعيشية التي يحظى بها السكان الذين يقدر عددهم حسب المصالح التقنية لولاية بسكرة بـ 23300 نسمة، ويُرجِع المختصون السبب في تدني أحوالهم المعيشية إلى قدم المجال المبني وضعف مستويات الدخل وكذلك البعد عن مركز المدينة أين تتركز معظم الخدمات والمرافق الضرورية، والجدول الآتي يتضمن بعض المعطيات الهامة بالنسبة للسكان موزعين على الأحياء السبعة:

معطيات / مجمعات	المساحة (هـ)	عدد السكان	عدد السكنات	الكثافة		حجم الأسرة	الازدحام
				ن/هـ	س/هـ		
قداشة	36,53	1415	328	38,73	9,98	5,44	1,79
مجنيش	19,75	1974	320	100	20,83	7,48	2,32
رأس القرية	42	4835	817	115,12	19,14	7,89	2,44
سيدي بركات	38,17	4065	738	106,5	19,33	7,20	2,30
باب الدرب	166,5	2956	607	17,75	3,46	/	/
مسيد	75,5	4916	954	65,11	12,63	/	/
باب الفتح	153,45	3139	511	20,46	3,33	/	/

الجدول (V-1): معطيات عامة حول أحياء المدينة القديمة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

ب - البيئة الداخلية للمسكن التقليدي:

ونعني به المجالات الداخلية التي يتشكل منها المسكن التقليدي، وما يلاحظ على هذه المجالات أنها تنظم إلى حد بعيد وفق المعطيات الاجتماعية والثقافية والمناخية، وهذه المجالات وفق ما جاء عند (الديب، ب، 2001) هي كالأتي:

* وسط الدار:

وهو المجال الأكثر أهمية ويلعب دورا مهما وحيويا في الحياة اليومية لسكان المسكن التقليدي بحيث يضمن إلى حد بعيد التواصل الاجتماعي بين كل أفراد العائلة، وما زاده أهمية هو احتلاله قلب المسكن حيث يكون مدعما بعنصر معماري ذي طابع محلي وبهدف مناخي هو الروزنة الذي يكون عاليا لضمان الإضاءة والتهوية وحجب أشعة الشمس خصوصا في الفصول الحارة، وقد صنف الدكتور الديب هذا المجال ضمن المجالات المعيشية الناجحة إلى أبعد المستويات وخاصة في تكيفه مع المعطيات المناخية ونمط معيشة الأسرة في هذه المدينة.

وقد أرجع الباحث سبب وجود هذا العنصر المعماري إلى نمط الأسرة السائدة هي مثل هذا النوع من المدن فقال << إن نمط الأسرة الكبيرة أو الممتدة التي مازالت تحظى في هذه المدينة بنسبة لا بأس بها كان له الأثر الواضح في التشكيل المعماري الذي انعكس على الجانب العمراني بواسطة المسكن الممتد الذي يضم في غالب الأحيان مجموعة مجالات متداخلة تشكل في عمومها مسكنا جامعا يحوي المجالات الوظيفية الأساسية التي تتجمع حول وسط الدار.>>

وبسبب غياب اللمسة الفنية التقليدية وكذا تغير نمط الأسرة فإن هذا المجال لم يعد يحمل نفس المدلولات الاجتماعية والثقافية التي كان يحظى بها وسط المساكن القديمة في البيئة التقليدية.

* السـقيفة:

وهو مجال أولي يأتي في مقدمة المسكن هدفه كسر الرؤية وحجبها من الخارج نحو الداخل، وهذا المجال هو نتاج فعلي وتعبير حقيقي لمبدأ الحشمة وتقديس الحرمة، وهو مجال بسيط الشكل وعملي إلى حد كبير يتم فيه إزاحة للمدخل الرئيسي عن مدخل المسكن وهذا وإن دل فإنما يدل على << مدى أهمية هذا المجال بالنسبة لهذا المجتمع المحلي الذي يحظى بقيم هامة شكلتها الرؤية الاجتماعية الثقافية وتحكم فيها إلى حد بعيد النظام العرفي السائد آنذاك.>>

* السـطـح:

ويعد المتنفس الحقيقي للعائلة التقليدية عند ارتفاع درجات الحرارة، فهو المجال الأمثل للنوم ليلا والتجمع العائلي ناهيك عن الوظائف الأخرى كتربية الحيوانات أو تجفيف التمور.

وفي حقيقة الأمر وإذا ما دققنا النظر فإن هذه المجالات المذكورة سابقا هي أهم العناصر المشكلة للمسكن التقليدي والتي لا يشاركها فيها المسكن الحديث بغض النظر عن المجالات الأخرى كبيت الضياف وغرف النوم التي قد يماثلها فيها المسكن المعاصر، كما أن التركيبة المعمارية نمت وتطورت حتى أثرت على التركيبة العمرانية العامة للبيئة التقليدية وهذا ما يؤكده قول (الديب، ب، 2001) << إن هذه التشكيلة المعمارية للبيئة الداخلية كان لها الأثر الواضح على البيئة الخارجية شكلا ومضمونا.>>

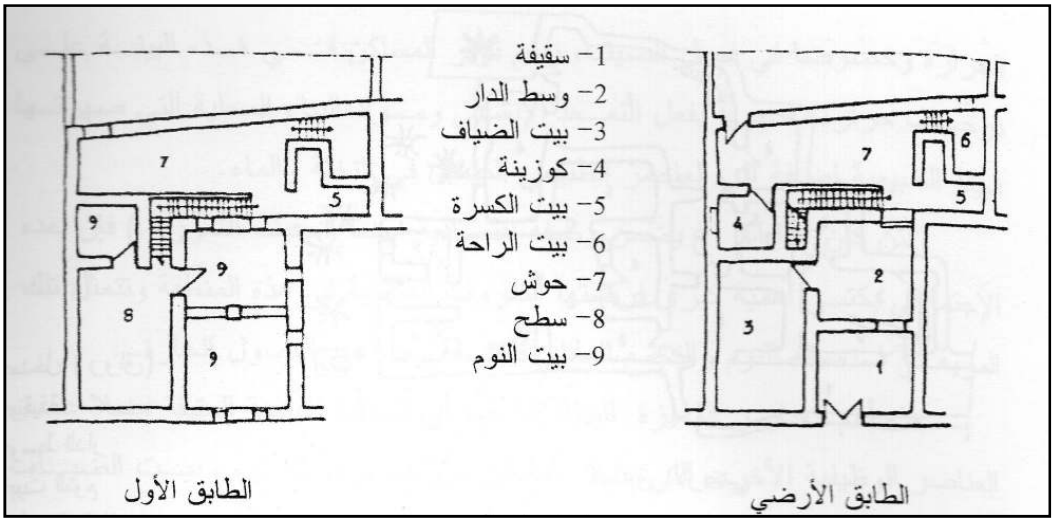

الشكل (V-6): أنماط لخلايا سكنية ببسكرة القديمة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

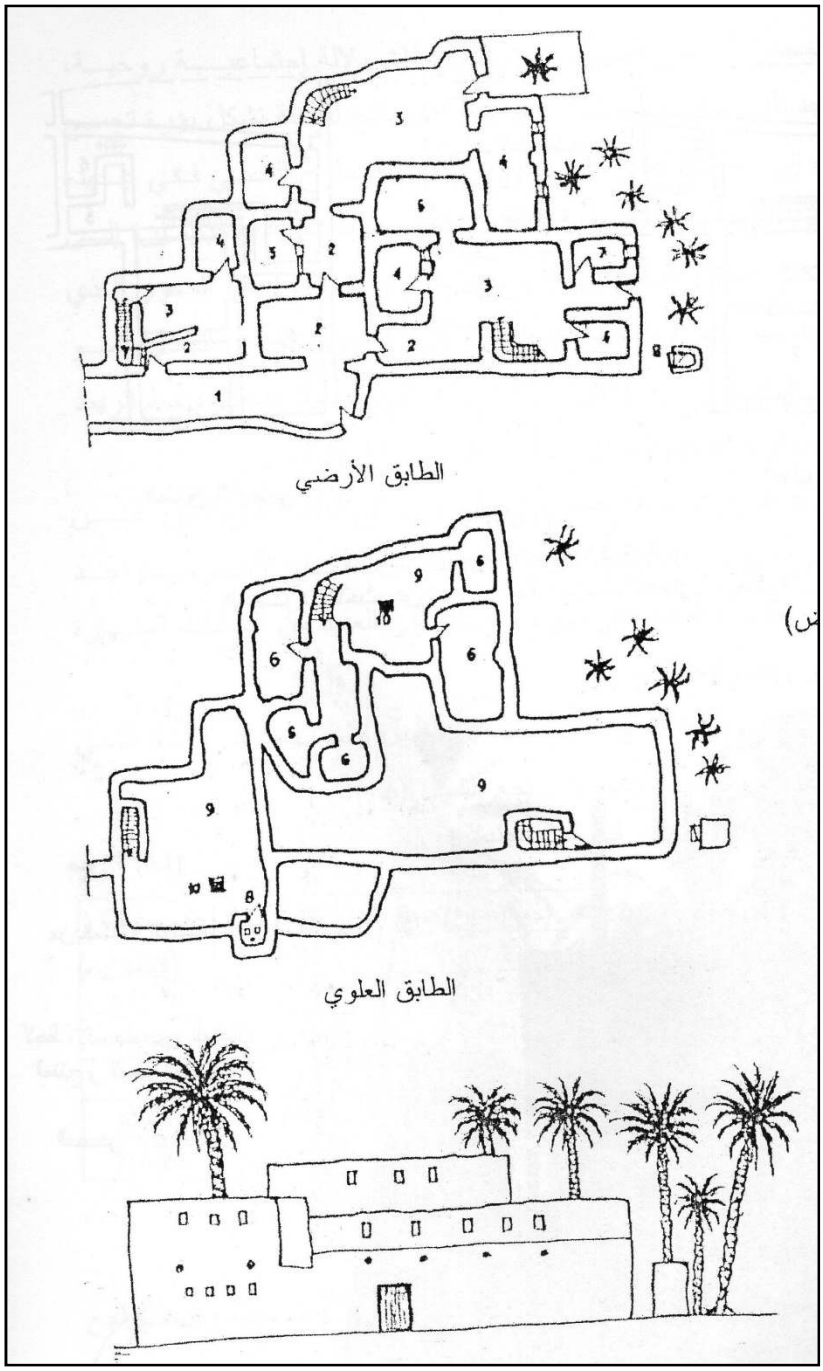

1- مدخل.
2- سقيفة.
3- وسط الدار.
4- بيت النوم.
5- بيت الضياف.
6- بيت الخزين.
7- مطبخ.
8- مرحاض.
9- سطح.
10- مطبخ.

الشكل (V-7): نمط لتجمع الخلايا السكنية بحي المسيد ببسكرة.
المصدر: الديب، ب، 2001.

ج - القيم الاجتماعية المحققة في البيئة الخارجية للمدينة العتيقة:

ونعني بها التركيبة العمرانية للنسيج العمراني أو مجموعة العناصر العمرانية للمدينة القديمة والتي رغم بساطة وسائلها وإمكاناتها إلا أنها تعد ذات مدلول اجتماعي وثقافي كبير واستطاعت أن تستوعب كل الأبعاد الإنسانية ضمن أنسجتها العمرانية، ويرجع ذلك إلى قيمة الانتماء المجالي العالية عند سكان هذه المنطقة، هذه العناصر وإن سبقت الإشارة إلى البعض منها ضمن الفصل الثاني المخصص للمدينة القديمة ككل إلا أنها هنا ضمن هذا الفصل مستقاة من البيئة العتيقة لمدينة بسكرة وسنوردها حسب ما أورده (الديب، ب، 2001) عند دراسته لأحد أحياء مدينة بسكرة القديمة:

* الخصوصية:

وهي جعل المستعمل للمسكن القديم في معزل عن أنظار وأسماع الآخرين وخاصة الغرباء منهم من خارج المسكن، وهذه التشكيلة المعمارية والعمرانية في الحقيقة هي انعكاس لقيم مجتمعية يقدسها نظام اجتماعي منبثق أساسا عن المنظومة الإسلامية التي تشدد على خصوصية الحياة العائلية، فبسكرة وبحكم انتمائها الحضاري العربي المسلم فقد تبنت مجموعة من المجالات التي تحقق مبدأ الخصوصية سواء على الصعيد المعماري من خلال السقيفة مثلا أو على الصعيد العمراني من خلال الدروب والأزقة.

* المقياس الإنساني:

ويبدو هذا جليا في شكل الفتحات وأبعادها وتموضعها على مستوى الواجهة التي نجدها شبه صماء أو مصمتة بحيث نجد أن أغلب الفتحات تكون عالية وضيقة وهذا لأن المنازل تحقق مبدأ الانفتاح الداخلي ما جعل الواجهات تبدوا في انسجام تام مع المقياس الإنساني من جهة ومع البيئة المحيطة من جهة أخرى من خلال مادة البناء المستعملة المتمثلة في الطين والنخيل اللذين يأخذان نفس لون البيئة المحلية.

الصورة (V-1): صورة لواجهة أحد المنازل بباب الدرب- بسكرة القديمة-

المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

وقد يلجأ السكان في المدينة القديمة إلى استعمال أبواب مداخل ذات ارتفاعات أدنى من الطول الإنساني وهذا في حقيقة الأمر جاء مدروسا لكسر الشعاع البصري فلا يتمكن الناظر من إلقاء نظرة مباشرة داخل المسكن، إضافة إلى لجوءهم إلى تبني بعض المجالات الملتوية داخل المسكن من جهة المقدمة لسكر زاوية النظر ومن هذه المجالات السقيفة كما أسلفنا، فالملاحظ يرى أن السكان القدامى قاموا بكسر النظر على المستويين الأفقي من خلال المجالات الملتوية والرأسي من خلال انخفاض المداخل والأبواب.

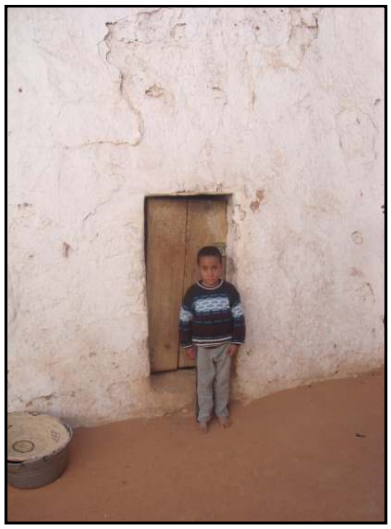

الصورة (V-2): صورة لباب بمقياس إنساني في البيئة العتيقة.
المصدر: الباحث 2010.

د - المركبات العمرانية للمدينة القديمة:

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المركبات العمرانية تتجسد فيها كل المبادئ والقيم الاجتماعية المذكورة سابقا مما جعل هذه المركبات جزءا مكملا للبيئة الداخلية ومتمما لها بتناسق وانسجام كبير بينهما حيث تشهد تكاملا مجاليا بين البيئة الداخلية والخارجية من خلال التدرج المجالي من العام إلى الخاص أو العكس مما يضمن التواصل الاجتماعي الذي تحتضنه المركبات المختلفة لأنسجة هذه البيئة القديمة.

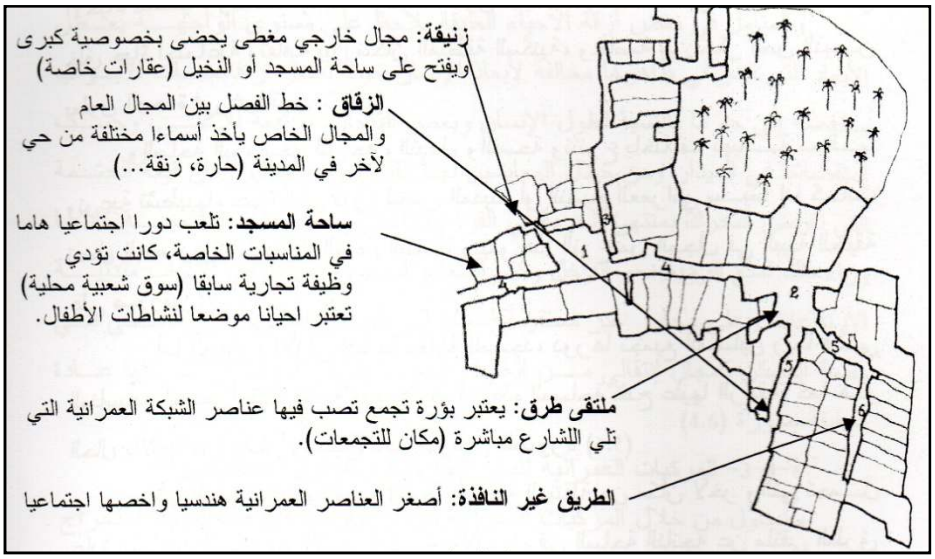

الشكل (V-8): عناصر الشبكة العمرانية.
المصدر: الديب، ب، 2001.

* السـاحـة:

وهي محل الراحة والتبادل والفسحة، ولها دور فعال في تهوية الطريق وتوسيعه وتنويع المناظر وكسر الملل عنه، والساحات تختلف باختلاف تهيئة مجالها وتعد متنفسا للمدينة وللنسيج العمراني، وتعتبر الساحة مركبا عمرانيا اجتماعيا واقتصاديا ومحلا للاتصال الاجتماعي التقليدي وتلبية الحاجات الأساسية للإنسان لما يتوفر عليه من كفاءة من شأنها الجمع بين شرائح السكان المختلفة، و تضيف (أسمهان صوفان، 1981) أن الأمان الذي توفره الساحات الصغيرة الموزعة بين الأحياء السكنية وخاصة إذا ما عولجت لتكون أشبه بمنتزهات صغيرة لها الأثر في خلق حياة اجتماعية وثقافية بين سكان المنطقة السكنية وخاصة بين كبار السن الذين يملون الوحدة في غرفاتهم ...

وقد أشار (الديب، ب، 2001) أن هذا المرفق يكون في الأحياء القديمة لبسكرة على صورتين:

- الصورة الأولى:

عبارة عن فسحة تقع في مواجهة المسجد يجتمع فيها المصلون بعد الصلوات وتكون الزنيقات مفتوحة عليها.

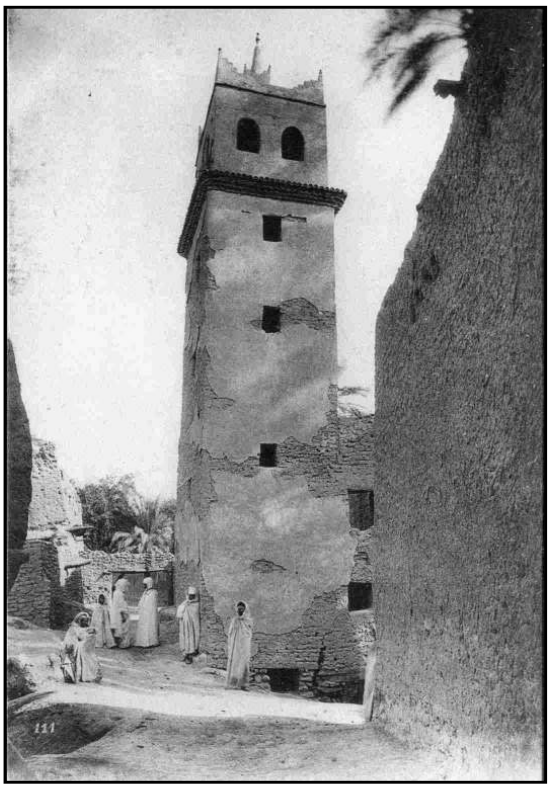

الصورة (V-3): الساحة المقابلة لمسجد سيدي مالك - بسكرة القديمة -

المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

- الصورة الثانية:

وهي الساحات التي تقام بها الأسواق الشعبية المتنقلة من مكان لأخر، وقد تحمل هذه الأسواق أسماء بعض الأيام كسوق الأربعاء في الساحة الناتجة عن ملتقى الطرق المتفرعة عن شارع الحكيم سعدان بمحاذاة باب الدرب والمسيد. (انظر الصورة - 04-)

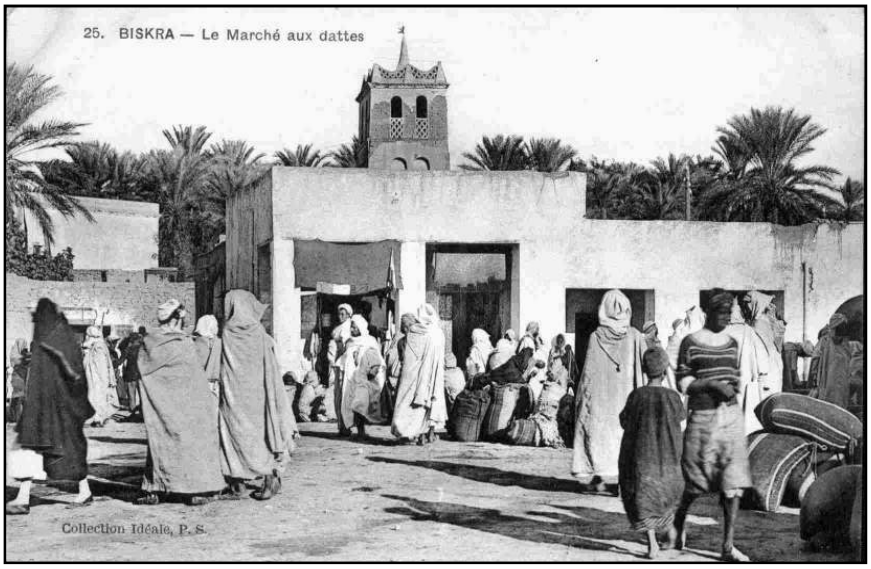

الصورة (V-4): ساحة سوق التمور- بسكرة القديمة -
المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

* الطـريـــــــق:

ويتجلى دور الطريق في السماح بالحركة والربط بين العناصر العمرانية والمعمارية المشكلة للمحيط العمراني، وتعد الطريق أيضا المجال الذي تنفتح عليه الواجهات وهي الأكثر مقارنة بالساحات.

<< ولقد اتخذت الطريق أشكالا عديدة وصورا مختلفة عبر التاريخ وفي ثقافات الأمم ورؤيتها للحياة فحققت وظيفة الحركة والتنقل وضمنت حركة الراجلين الخالصة واستجابت للمضمون الاجتماعي ولبت طلب الإنسان النفسي والبيولوجي والفيزيائي عبر أبعادها وديكورها المعماري وما احتوته من عناصر طبيعية. >> (Fredéric ; H ; 1972).

والطرق في المدينة القديمة ببسكرة تتكامل مع العناصر الأخرى لتشكل معا الشبكة العمرانية التي يتحرك من خلالها الإنسان، وعلى العموم فالطريق في بسكرة القديمة تأخذ الصور التالية:

*- 1- الطريق النافذة: وتنقسم إلى:

- الشارع أو الزقاق: (La Rue)

ويعد هذا العنصر العمراني ذو أبعاد كبيرة نسبيا مقارنة بغيره من الطرق حيث تتركز على جانبيه مختلف الوظائف العمومية وخاصة التجارية منها، كما يعد حلقة الربط الأساسية بين الأحياء المتجاورة، والشارع ضمن المدينة القديمة يحظى بميزة تتمثل في تجمع الناس في المساء عقب الانتهاء من العمل لقضاء الأمسيات وخصوصا في الفصول الحارة.

ومما يلاحظ في الشوارع بالمدن القديمة في بسكرة بشكل خاص هو نسبتها إلى بعض الأشخاص مثل زقاق بن رمضان ذي الشهرة الكبيرة ببسكرة كونه يضم سوقا يقصدها العام والخاص.

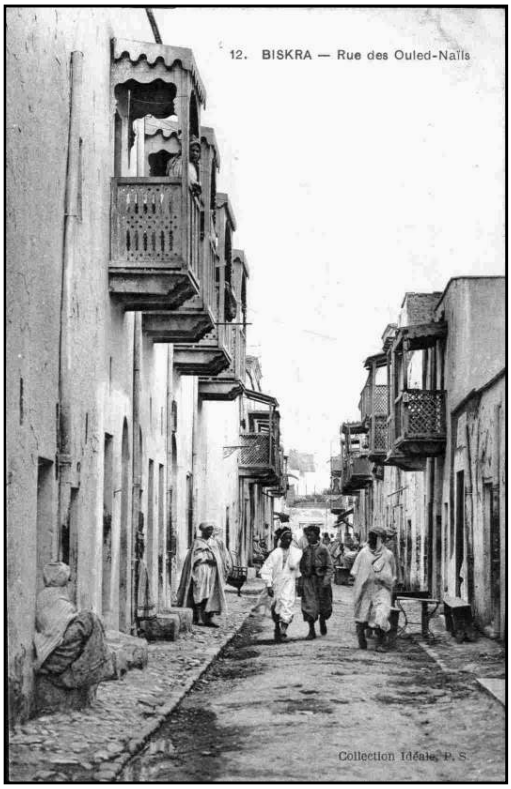

الصورة (V-5): زقاق أولاد نايل - بسكرة القديمة -
المصدر: مكتب الدراسات URBA/Batna

- الزنيقة:(La Ruelle)

وتمتاز بأبعاد أقل من أبعاد الشوارع، كما أنها تأخذ الشكل الملتوي وهي أشبه ما تكون بالطريق الغير نافذة، ويكمن دورها في الربط بين الشوارع والساحات بالطرق المغلقة أو الساباطات.

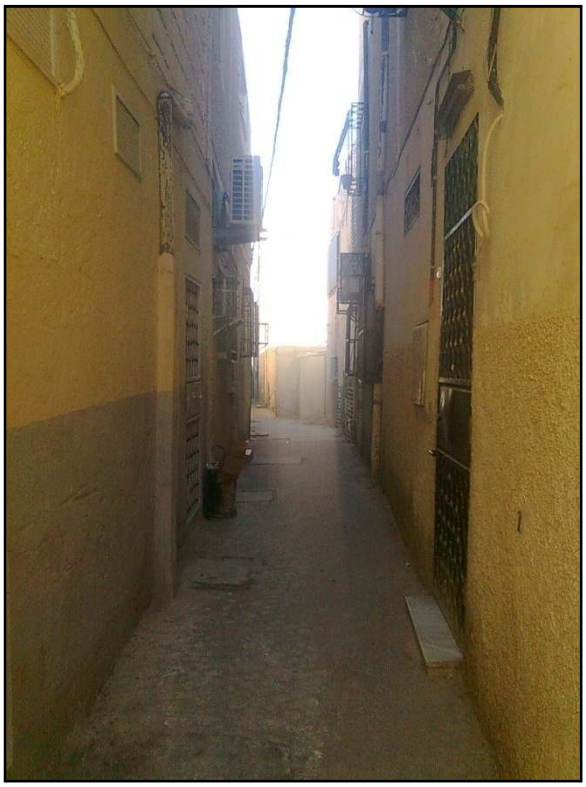

الصورة (V-6): الزنيقة بالبيئة العتيقة - تقرت -
المصدر: الباحث، 2011.

*- 2- الطريق الغير نافذة:(Impasse)

ويعد أصغر الوحدات والمكونات العمرانية ويقتصر استعماله على أصحاب المساكن المحيطة به إذ يعد مجالا خاصا بهم، ويتميز بسكونه وصغر عرضه إذ لا يتجاوز عرضه المترين (02م).

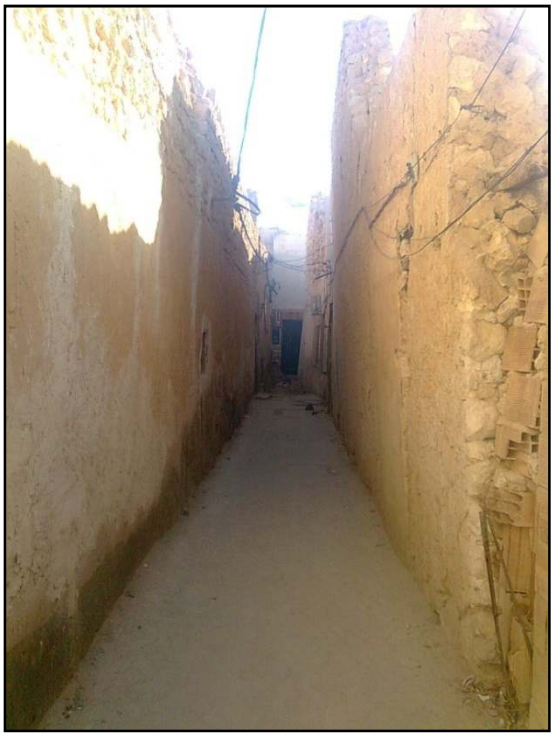

الصورة (V-7): الطريق الغير نافذة بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.

*- 3- الـــحـــــارة:

وهي المجال المغطى الذي يفصل بين المجالين العام والخاص، وتكون الحارة مفتوحة على الزنيقة ذات الشكل الملتوي والأبعاد الصغيرة، وتلعب الحارات دورا هاما في التواصل الاجتماعي من خلال جمعها لشرائح عديدة من السكان وخاصة الأطفال منهم أين يجدون ضالتهم من أجل اللعب، وللتفاعل الاجتماعي الكبير الذي يتم على مستوى هذه المجالات فقد وصفها (جميل عبد القادر، أ، 1995) << بأن هذه الساباطات غرفة لسكان الحي.>>
<< وما يلاحظ على هذا المجال بأنه هو الأخر يحقق مبدأ الخصوصية كونه مستعمل من قبل سكان البيوت التي تنفتح عليه، كما يساهم في إحداث التواصل الاجتماعي سيما بين النساء وهذا ما يلاحظ في حي مسيد مثلا.>> (الديب، ب، 2001).

الصورة (V-8): الحارات بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (V-9): الحارات بالبيئة العتيقة - تقرت-
المصدر: الباحث، 2011.

وما يلاحظ كحوصلة لهذه المجالات والمركبات العمرانية هو تركيزها الشديد والبالغ على مبدأ الخصوصية والحرمة التي تزيد كلما توغلنا داخل النسيج العمراني، وهي كما وصفها (الديب، ب، 2001) نظام يشبه مصفاة متعددة الشبكات تضيق دوائرها كلما اتجهنا من مركز الحي إلى قلبه وتستجيب للمضمون الاجتماعي للمجال حسب التالي:

- الدائرة الأولى:

وتغطيها الزنيقة وتحظى بخصوصية هامة وتجمع عادة أفرادا ذوي علاقة عائلية قوية (قرابة دموية في أغلب الأحيان) وتتسع عندها قيمة الحشمة التي تسع كل أفرادها ويبدو ذلك جليا وراء الإحساس الذي ينتاب أي شخص أجنبي عند دخوله هذا المجال دون اصطحاب أحد الأفراد القاطنين به.

- الدائرة الثانية:

وموضعها الطريق غير النافذة، ويتسع فيها إلى حد نطاق المجال العام بالنسبة للخاص نظرا لانفتاح هذه الطريق على المجال العام الذي تمثله الساحة أو الزقاق، وتتنوع العائلات التي ترتبط فيما بينها غالبا بأصل جغرافي موحد تضبطها قوانين عرفية يَحتكِم إليها الكل كاحترام المرأة وتحمل مسؤولية الأولاد والاهتمام بنظافة المجال الخارجي وتوجيه الأجنبي، وهنا يتقلص نفوذ قيمة الحشمة إلى حد أضيق مما كان عليه في الدائرة الأولى.

- الدائرة الثالثة:

يمثلها الشارع أو الساحة، وفيه تضمحل هذه القيمة وتتراجع إلى أدنى حدودها حيث تصبح العلاقات والمعاملات سارية بين أفراد كل الحي ومختلف شرائحه وحتى غير الساكنين به باختلاف أصولهم وعائلاتهم ومستوياتهم الاجتماعية والثقافية.

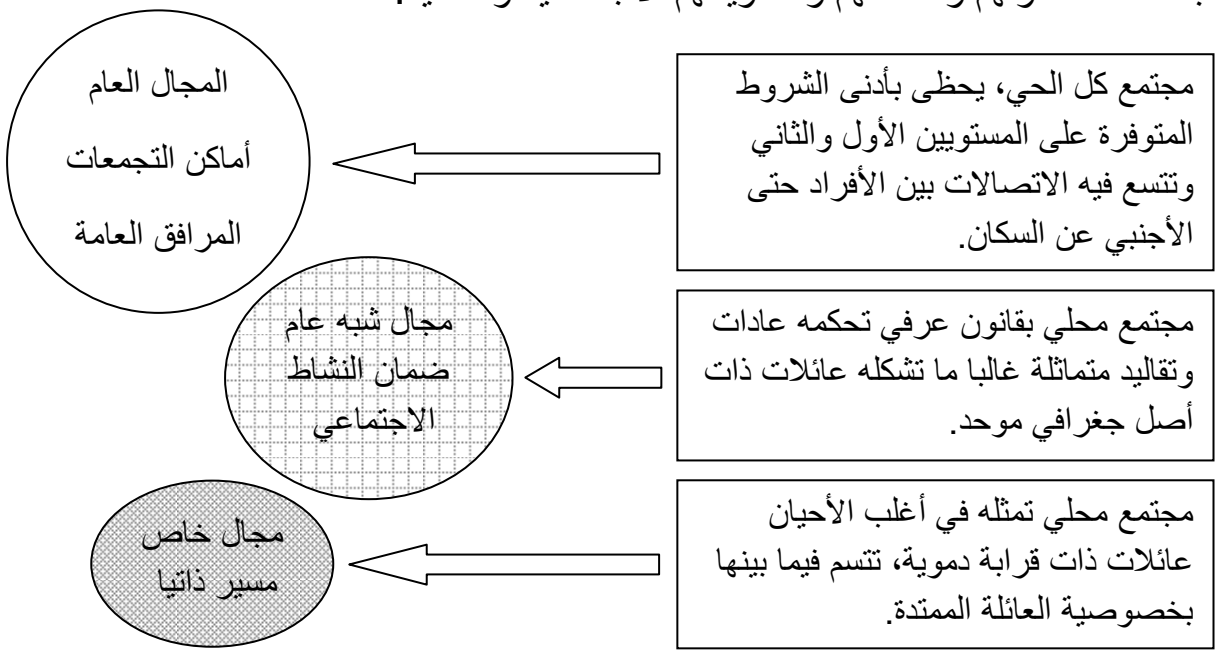

الشكل (V-9): المجال الخارجي وقيمة الحشمة في البيئة العتيقة.

المصدر: الديب، ب، 2001.

2)- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

وبدأت هذه المرحلة مع دخول الفرنسيين إلى المنطقة سنة 1844م واستقرارهم في القلعة التركية الشمالية خارج الواحة، وهي عادة المستعمر دائما الاستقرار خارج المدينة القديمة بغية السيطرة والمراقبة التامة للسكان وتتجلى في مدينة بسكرة في محاولة المستعمر السيطرة على منابع المياه المخصصة لسقي واحات النخيل، كما يهدف إلى التحصن داخل أسوار القلعة العسكرية، ثم بدأت عمليات التوسع والاستيطان الفرنسية من خلال زرع مستوطنة فرنسية على تخوم القلعة وفق مخطط شطرنجي بشوارع متعامدة ومتجانسة بمحلات سكنية موحدة في غالبيتها من ناحية الحجم والشكل والمساحة مع مراعاة الاستغلال العقلاني للأرض وسرعة الانجاز.

ومن هنا أصبحت المدينة تعرف نمطا جديدا من التخطيط بتقنيات حديثة ومعطيات صحية وعمرانية من أجل ضمان الحياة المثلى للمعمر الفرنسي، هذا النمط أصبح يزاحم النمط القديم المتمثل في المجمعات السبعة المتواجدة ضمن واحات النخيل ذات التخطيط النابع من شكل السواقي وبمواد البناء المحلية وتقنيات بسيطة لا ترمز إلا لمجتمع تكيف بوسائله البسيطة مع معطيات محيطه المناخية والطبيعية.

وقد صاحب هذا الانقسام العمراني انقسام اجتماعي بظهور طبقتين من الناس في هذه المدينة الأولى منهما محلية أصلية والثانية دخيلة أجنبية، وقد امتاز كل نسيج عمراني بنوعية من الخدمات ذات طبيعة خاصة يوفرها لساكنيه.

وقد قام الدكتور (الديب، ب، 2001) بتعداد المراحل التي نمت فيها المدينة وتطورت كما يلي:

2)-1- توسع القلعة العسكرية:

و هي المرحلـة التي بدأ فيها تشكيل أول نواة استعمارية للمدينة إذ أقيمت أول مستعمرة بالشمال قرب الحصن التركي خارج غابات النخيل من أجل التحكم في كل القرى عرفت خلالها المدينة تطورات وظيفية أعطت نهضة عمرانية، أما التمركز الاستعماري فقد وضع بشكل شطرنجي لظروف أمنية، كما تميزت هذه الفترة بـ:

- أول ما بني بالمدينة الجديدة هو برج " سان جرمان " عام 1850م حيث استعمل كمعسكر للجيوش (ثكنـة)، كما أقيمت أبواب الحراسـة الأربعة في الأماكن التاليـة:
- مدرسة بن مالك لحسن (الطيانة سابقا)
- جبل الضلعة
- خزان الماء قرب مقبرة النصارى
- خزان الماء بحي العاليـة

و توالت البناءات ،ففي سنة 1856 ،تم إنجاز أول مدرسة بالمدينة بالمقر الحالي لمدرسة عبد الله دبابش (قرب مقبرة لعزيلات). انظر الشكل (10). (مديرية البناء والتعمير، 2008).

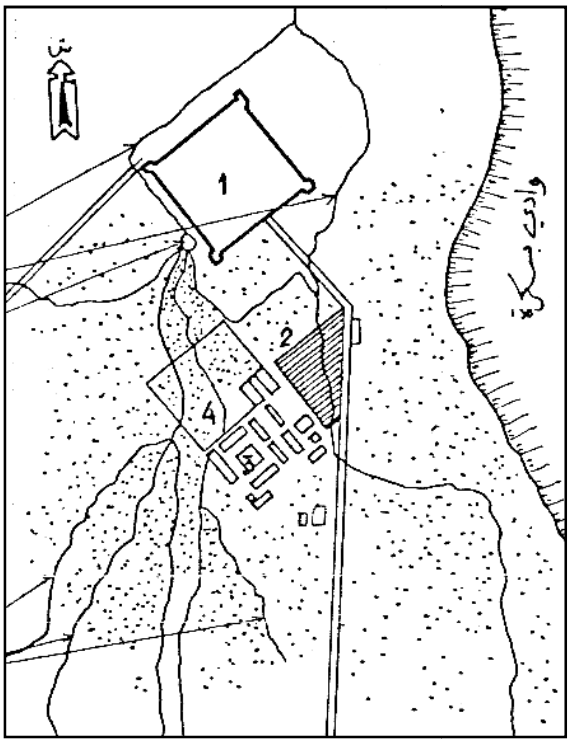

- (1): قلعة سان جرمان.
- (2): قرية رأس الماء.
- (3): ساحة السوق.
- (4): ساحة المسجد.

الشكل (V-10): بداية الاستيطان الفرنسي.
المصدر: الديب، ب، 2001.

2)-2- ظهور المنشآت الأولى:

وبدأ الاستيطان الفرنسي بالظهور بعد العقدين الأولين من وصوله إلى المنطقة حيث لاحت بواعث هذا الاستيطان بظهور المنشآت الأولى جنوب ساحة السوق على طول خطين ينتهيان عند حدود النادي العسكري الموجود عند ساحة المسجد، وتتمثل هذه المنشآت في محلات مربعة الشكل وموحدة الأبعاد (40م×40م) تشكل فيما بينها شوارع متقاطعة وشطرنجية، ويلاحظ في ذلك عدم معالجة المنطقة المحصورة بين المحور المؤدي لواحات النخيل والمحور المحدد للمستوطنة الجديدة حيث تظهر غير متناسقة في شكلها الهندسي مع كل النسيج.

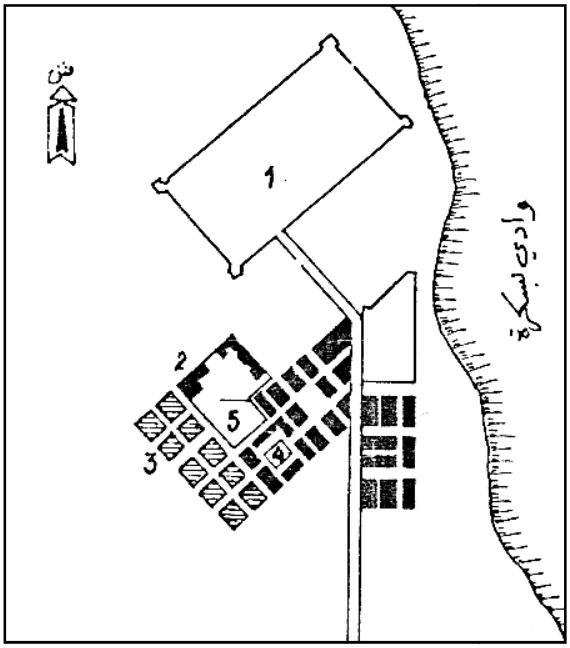

- (1): قلعة سان جرمان بعد توسيعها.
- (2): النادي العسكري.
- (3): المنشآت المدنية الأولى.
- (4): ساحة السوق.
- (5): ساحة المسجد.

الشكل (V-11): توسع القلعة وظهور المنشآت المدنية.
المصدر: الديب، ب، 2001.

2)-3- التوسع الأول:

وكان هذا التوسع إلى الجهة الشمالية وبنفس الوضعية الهندسية للنسيج الجنوبي الأول في خطوة تكميلية للنسيج العمراني الذي انتهت حدوده مع حدود القلعة حيث تشكلت المحاور الرئيسية النهائية للمستوطنة الفرنسية بعد إنشاء حديقة عامة تتوسط القلعة والمنشآت المدنية ليبرز الشارع الحيوي المؤسساتي للنسيج ككل المدعم بالواجهات ذوات الأقواس والشرفات والمؤسسات السياحية والتجارية، ومن الجهة المقابلة توجد الحديقة العامة.

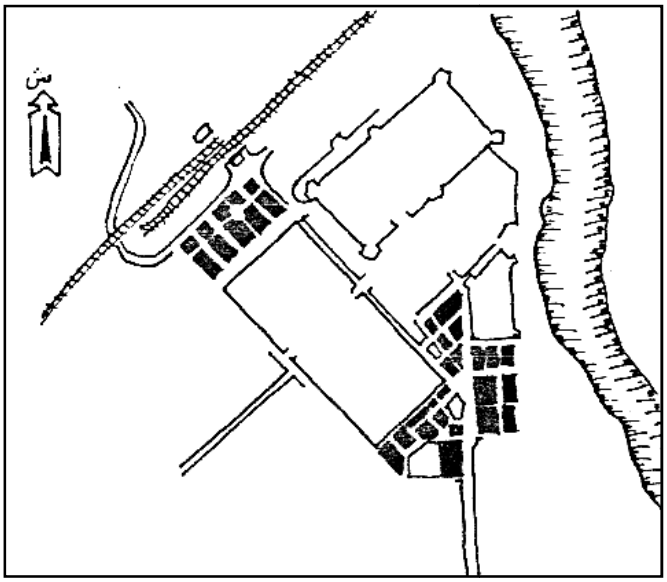

الشكل (V-12): التوسع الأول للمدينة الفرنسية. التوسع نحو الشمال بتحوير طفيف في مساحات المحلات السكنية وظهور الحديقة العامة التي تحدد الملامح النهائية للشارع المؤسساتي.
المصدر: الديب، ب، 2001.

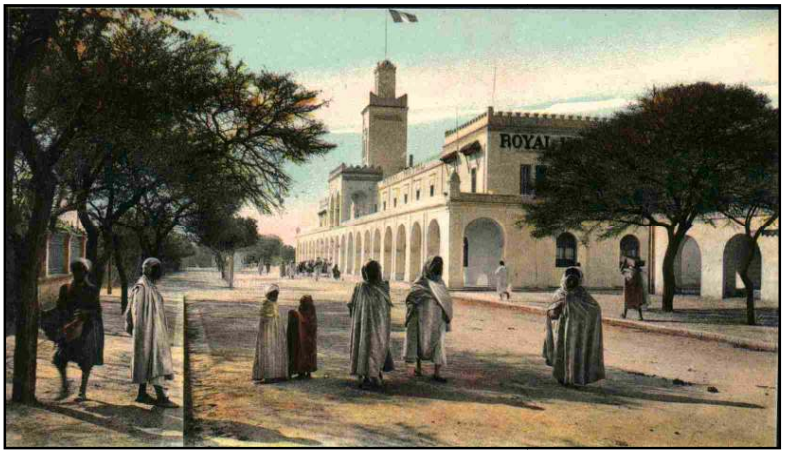

الصورة (V-10): النزل الملكي بالشارع المؤسساتي سنة 1929م.
المصدر: مديرية مسح الأراضي.

الصورة (V-11): نزل الصحراء بالشارع المؤسساتي سنة 1929م.
المصدر: مديرية مسح الأراضي.

2)-4- التوسع الثاني:

وكان هذا التوسع نحو شمال المدينة بنفس التخطيط الهندسي السابق ويطلق عليه اسم التوسع الريفي حيث تضاعف بُعْدُ الشارع الفاصل بين الجزأين وحوفظ على الوحدة السكنية من ناحية المساحة لكنها كانت ذات طابق وحيد أرضي وبأسقف مائلة، كما أن هذا النسيج الجديد كان خاليا من المؤسسات التجارية والمرافق العامة إلا من حديقة أنشأت وسطه، كما تم في هذا التوسع إعادة هيكلة قرية رأس الماء وتم إدماجها في الشبكة الحضرية عن طريق شق بعض الشوارع وربطها بالمحور الرئيسي ذي الاتجاه شمال-جنوب، واستحدثت محلات جديدة مخالفة لتلك الأولى، كما تم أيضا القضاء على بعض المجالات بواسطة زرع حدائق وممرات عمومية مكانها.

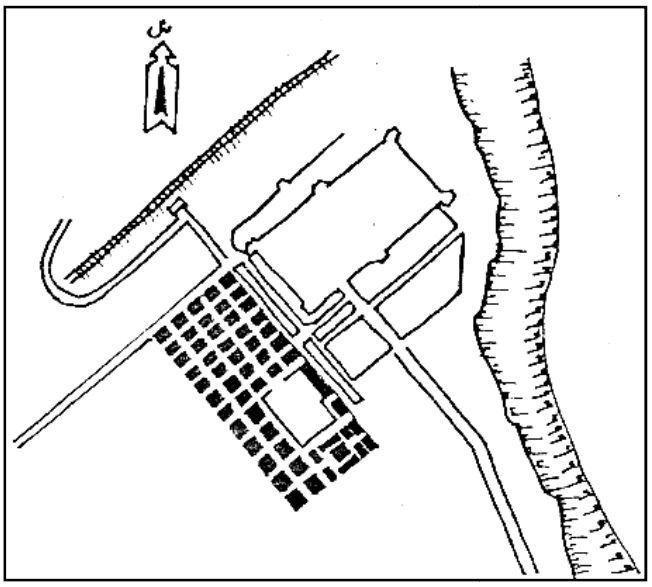

الشكل (V-13): التوسع الثاني للمدينة الفرنسية.
امتداد نحو السكة الحديدية بنفس الخطة
وامتصاص الأجزاء الأخرى المتواجدة إلى
الشمال الشرقي بتحوير أشكال المحلات وإعادة
هيكلة قرية رأس الماء مع إدماج بعض الحدائق
والمساحات الحرة.
المصدر: الديب، ب، 2001.

الصورة (V-12): ظهور المباني ذات السقف المائل.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-5- مخطط درفو(Dervaux) 1924م:

وهو مشروع من هذا المعماري (Adolph Dervaux) يهدف بموجبه إلى تحويل بسكرة إلى جنة سياحية وهذا اعتمادا على ثرواتها المناخية والمعدنية والطبيعية، ومحاولة تنظيم الحركة والتنقل والصحة وتحقيق الجانب الجمالي وذلك عن طريق تركيبة هندسية حول محطة معدنية منتظمة حول بعض نقاط النسيج الفرنسي وبمعنى آخر إيجاد مخطط وظيفي للواحة من ناحية الإنتاج والسكن والمؤسسات المعدنية والسياحية لمراقبة أحسن لما تدر به المساحات الشاسعة من النخيل، وأخيرا التفاتة لتحسين السكن الاندماجي والتخلي عن الإستراتيجية العسكرية التي ترتكز أكثر ما يكون على نمو المستوطنة الفرنسية بمعزل عن الواحة وعلى حساب كل المدينة، وقد اعتمد هذا المعماري على القانون الصادر في 1919/03/14م والقانون الموالي له في 1924/07/24م المتضمن لقوانين التعمير فهو إذا مخطط يمثل نسيجا عمرانيا متجانسا أخذ بنظرية الدوائر المركزيـة:

- الدائرة الأولى تشكل السوق والنواة المركزية.
- الدائرة الثانية هي المنطقة المباشرة لهذا الأخير.
- الدائرة الثالثة تضم حي الزمالة وسطر الملوك.

أما الدائرتان الرابعة والخامسة فهما تخصان المنطقة الشمالية من المدينة آنذاك وهو ما يعرف بحي (La Gare) والجهة الكائنة غرب شارع (BVD Carnot) الأمير عبد القادر حاليا والمسمى بحي الروداري، وفي الجنوب أين توجد أرض السيدة لوران وهو حي شاطوني حاليا، كما خصص للتعمير أيضا أراضي الضفة الغربية للوادي.

الصورة (V-13): دار الثقافة ببسكرة.
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (V-14): سينما الأطلس ببسكرة.
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (V-15): المتحف البلدي ببسكرة.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-6- المدينة في الخمسينات 1950م/1960م:

وقد توسعت المدينة ونمت في هذه الفترة معتمدة على المحاور الرئيسية المهيكلة للمستوطنة الفرنسية وبعض مداخلها وكذلك الخطوط التي شكلتها الاتجاهات الطبيعية للمجاري المائية حيث كانت هذه العناصر الأساس في تنامي الحركة التجارية والبؤر الفاعلة في المدينة كلها.
كما أن المدينة وحسب مخططها في أواخر هذه العشرية وتحديدا سنة 1958م يشير إلى أن المجال المبني امتد نحو الجنوب على الضفة الغربية للوادي وعلى جانبي محور الزعاطشة والحكيم سعدان وصالح باي من جهة، كما أن توسع المدينة امتد إلى الاتجاه الجنوبي الغربي بمحاذاة الجهة الاصطناعية المتمثلة في خط السكة الحديدية، في حين تمتد الأحياء العتيقة نحو الشمال على طول السواقي، ويبرز قطب آخر إلى الشمال الشرقي على حافة الوادي وحي العالية.

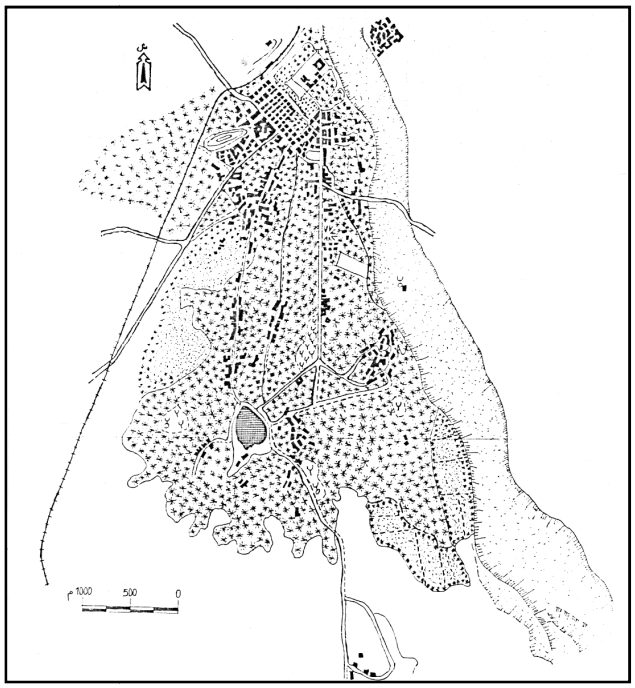

الشكل (V-14): مدينة بسكرة سنة 1958م.
ظهور القطب الجديد في الجهة الشرقية واجتياح المجال الأخضر (النخيل) إلى الجهة الجنوبية.
المصدر: الديب، ب، 2001.

واعتبر الدكتور الديب هذه التوسعات << أساسا لأشكال عمرانية لا تخضع لمنطق ولا نظام هندسي سوى اكتساح مساحات من الأراضي وتحطيم مساحات من النخيل على عقارات خاصة رغم أنها تحمل بعض المميزات المحلية التي نراها مجرد استجابة لحاجة المواطن الماسة وقدراته الزهيدة في إبراز نمط محلي للمعيشة يتطور حسب الزمان ويقوم على قدرات كامنة تبرز كلما توسع الفرد في مسكنه أو على مستوى حيه.>>

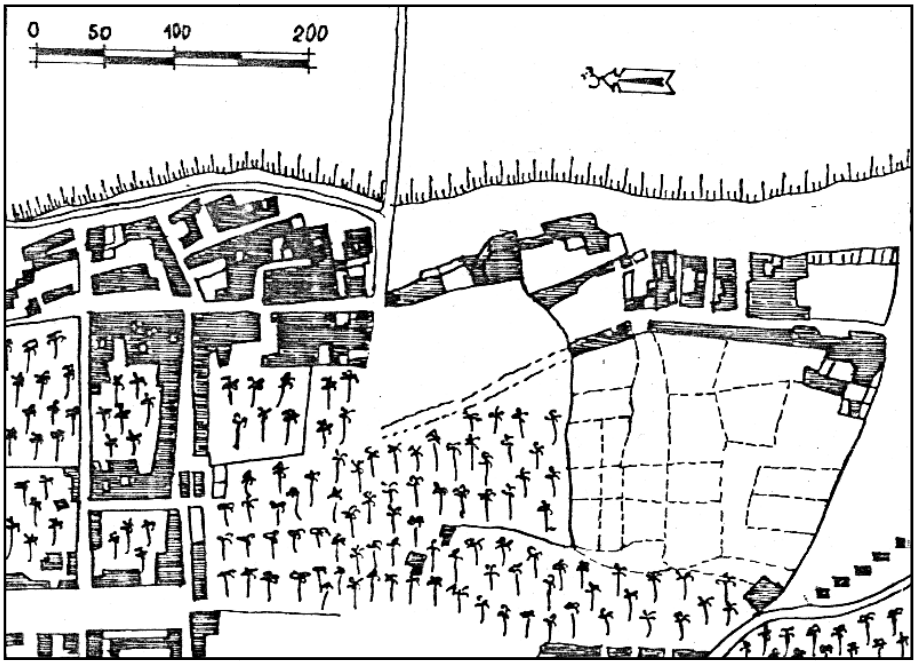

الشكل (V-15): حي حارة الوادي سنة 1958م.
التوسعات العشوائية في العقارات الخاصة على حساب النخيل.
المصدر: الديب، ب، 2001.

3)- مرحلة ما بعد الاستقلال:

شهدت المدينة في هذه الفترة ركودا كليا في الحركة العمرانية والبرامج التنموية المسطرة من قبل السلطات المعنية محليا أو على الصعيد الوطني، لكن على الصعيد الذاتي فكانت الحركة العمرانية نشيطة على مستوى المواطنين المحليين الذين قاموا بمغادرة مساكنهم القديمة المتواجدة داخل واحات النخيل وتعمير مساكن الفرنسيين الذين غادروها عقب الاستقلال، كما تجدر الإشارة أن المساكن الخاصة بالمعمرين لم تعمر من طرف السكان المحليين فقط بل حتى من طرف أولئك الوافدين من الضواحي، وفي هذا الوقت وللسبب الأخير سجلت بسكرة واحدا من أعلى نسب النزوح في الجزائر ككل.

وقد ارتفعت نسبة النشاط الإنشائي على العقارات الخاصة والأراضي العمومية أو الخاضعة للمضاربات العقارية مما أدى إلى تكثف وانتشار البناء الغير مراقب عبر كامل تراب المدينة، وما زاد من حدة أزمة السكن إضافة إلى ارتفاع نسبة النازحين هو انهيار المساكن المحاذية للوادي جراء الأمطار الطوفانية التي تسببت في إحداث الفيضان سنة 1969م، حيث انهارت المساكن المبنية بالمواد المحلية المتواجدة في الضفة الغربية لواد بسكرة وخاصة منها في حي المسيد

المتواجد جنوب المدينة، فقد كان لهذه الأزمة الأثر البالغ على هياكل المدينة الرسمية وانتشار البناء العشوائي الذي كان العنصر الطبيعي المتمثل في واحات النخيل مسرحا له في الجهة الجنوبية الشرقية من المدينة وامتد ليصل إلى خط السكة الحديدية في الجهة الغربية.

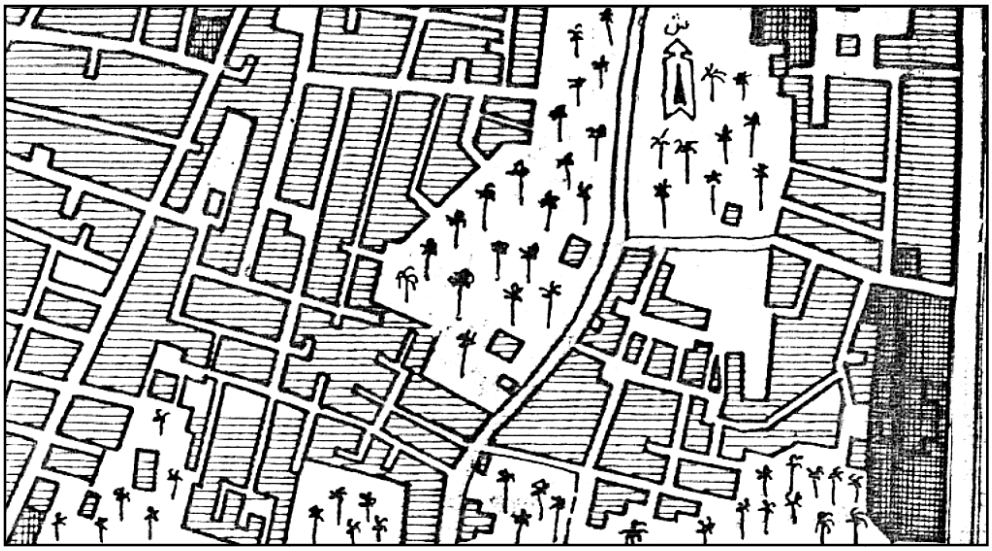

الشكل (V-16): حي ستار الملوك.
المصدر: الديب، ب، 2001.

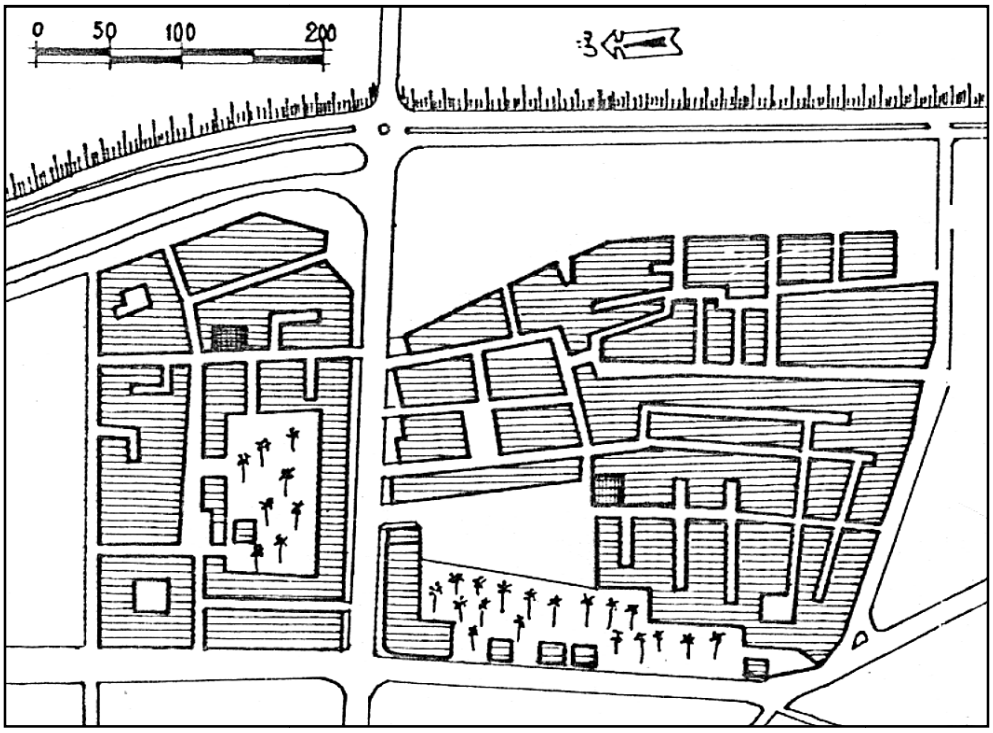

الشكل (V-17): حي حارة الوادي.
توسعات المجال المبني في الفترة 1958م/1984م عشوائيا.
المصدر: الديب، ب، 2001.

ومن نتائج هذه المرحلة تخلي السكان في المنطقة وفي بسكرة تحديدا على المساكن المنجزة بالمواد المحلية كالطين والجريد والتي رغم ضعفها عن مقاومة تقلبات الزمان إلا أنها استمرت لفترة زمنية طويلة فأصبحت في نهاية المطاف تشكل علامة للفقر والتخلف، وأصبحت هذه المواد المحلية تشهد مزاحمة من طرف مواد أخرى صناعية ذات استعمال واسع في شمال البلاد تعتمد أساسا على مادة الخرسانة، وسبب انتشارها هو جعلها كسلعة للبيع من طرف الدولة وبأثمان بخسة في تلك الأوقات، هذا كله جعل البناء التلقائي يأخذ في الانتشار والاتساع في المدينة على حساب ثروة النخيل كما أسلفنا بل حتى على حساب الأراضي المجاورة مثلما هو الحال في العالية وسيدي غزال وامتد ليصل إلى المناطق الغير مؤهلة عمرانيا أدى هذا إلى بروز أشكال عمرانية جديدة لا تخضع لأي قواعد عمرانية أو تقنيات للبناء حتى باتت هذه السكنات تشكل ظاهرة مَرَضِية في مدينة بسكرة وخاصة بغياب المرافق والبنية التحتية.

وفي الحقيقة أن غالبية المدن الجزائرية كانت تعاني من هذه الظاهرة المرضية العمرانية، لكنها في مدينة بسكرة أتت هذه الظاهرة على حساب ثروة النخيل التي عرفت حالة من الاندثار التدريجي بسبب الانتشار الواسع للمساكن العشوائية التي تمثل في نظرة ساكنيها علامة للتقدم والرقي ولكنها في الحقيقة لا تخضع لأي من القواعد العمرانية والجمالية هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب تدخلات السلطات التي لا تولي أي احترام لقيمة هذا الموقع.

وعلى العموم فإن تطور مدينة بسكرة عبر الزمن كان وفق شكلين أساسيين هما:

- الشكل الأول (النمو الحلقي):

والذي يميز المراحل الأولى من التطور البدء من النواة المركزية (وسط المدينة) ثم انتشر في كل الجهات بشكل حلقات حول النواة وذلك لسهولة التعمير وتوفر الأراضي ذات الملكية الخاصة وانخفاض أسعارها على الضواحي مقارنة بالمركز في ظل معدلات النمو الديموغرافي المتزايد والسريع.

- الشكل الثاني (النمو الخطي):

والذي كان نتيجة الاستهلاك السريع للأراضي السهلة التعمير واصطدام تطورها المجالي بعوامل منها ما هو طبيعي (تضاريس) واصطناعي (المنطقة الصناعية و العسكرية) موجها بذلك نموها على طول محاور الطرق ذات الحركة الكثيفة. (مديرية التعمير والبناء. بسكرة).

ولقد أشار (الديب، ب، 2001) أن التعمير الذي عرفته المدينة منذ ذلك الحين هو على ثلاثة صور أساسية هي:

3)-1- التعمير غير القانوني (Urbanisation illégale):

يمكننا أن نسجله كنمط عمراني فرض وجوده على مسرح المدينة مستجيبا لأربعة معايير هي:

* المعيار التاريخي:

أنتج في إطار غير متكامل وفي غياب أي نشاط عمراني رسمي إبان مرحلة الاحتلال وبعدها مباشرة، ونما خلال الفترة بين الستينات والثمانينات ولا يزال يظهر هنا وهناك وفي ظروف ضربت فيها أزمة السكن حدتها وتكثفت فيها الهجرات نحو المدينة.

* المعيار الاجتماعي الاقتصادي:

يعتبر نتاجا لشريحة من السكان ذوي مداخيل زهيدة ومستوى اجتماعي وأصل جغرافي موحد في غالبيته (عمال وتجار صغار وحرفيون).

* المعيار القانوني:

يستجيب لظروف قانونية حقيقية تتمثل في الملكية الخاصة للعقار التي تدفع المالك لإنفاق كل ما يملكه من قدرات مادية ومداخيل لتحقيق هدف يعتبره مستقبل عائلته، أو المتعلقة بمورد اقتصادي هام (النخيل) للمحافظة على ترابط العائلة بالتوسع الأفقي داخل الملكية.

* المعيار الثقافي:

يتمثل في استجابته للمضامين الثقافية العمرانية التقليدية بعادات محلية وإدماج عناصرٍ للحياة العصرية أو مطبوعة بالنمط الغربي أو الاقتصار على العناصر البدائية عند الضرورة ريثما يستتب المستوى الاقتصادي الاجتماعي للفرد أو العائلة.

وأما عن الخصائص العمرانية والمعمارية لهذه الصورة من التعمير فإن مبانيه تنمو تبعا لتجزئة بسيطة من الأرض على طول المحاور الكبرى وخاصة منها محور الزعاطشة والأمير عبد القادر المتجهان نحو الجهة الجنوبية والشرقية من المدينة بوحدات أساسية بسيطة تحوي أفنية داخلية، ثم تتكثف اعتبارا من هذه الأفنية لتستمر في التوسع رأسيا بعد ذلك، وفي غياب المرافق العامة تنشط الحركة التجارية التقليدية على مستوى الشوارع الصغيرة التي تشكلها المحلات السكنية التي تبنى وتتوسع بمراحل تخضع للظروف الاجتماعية والاقتصادية للسكان ووفرة مواد البناء.

ويبدو أن نمطا عمرانيا محليا يمكن اعتباره حاملا لملامح نمط محلي يظهر على طول شارع الزعاطشة يتمثل في إدراج المجال المغطى في أشكال متعددة يغلب عليها القوس كمجال معماري يتقدم المحلات التجارية ثم يتبعه الرصيف وبأشكال مختلفة على جانبي الشارع، ثم تأتي الوظائف السكنية في الطوابق العليا التي لا يتعدى ارتفاعها الطابق الثالث غالبا حيث تفتح على الخارج بواسطة شرفات وواجهات مطبوعة بطابع أوربي (فتحات واسعة إلى حد ما) وتطل على الشوارع الخلفية.

إن الطابع الفردي للبناء في هذا الحي يكاد يذوب في وسط عمراني وحركة مزدحمة داخل الأروقة المحمية من حر الشمس طوال النهار، ويصل عرض الشارع إلى حوالي 30 مترا ويخلو تقريبا من العناصر الطبيعية التي يمكن أن تساهم في امتصاص هذا البعد الممتد بين الجانبين والذي تطبعه مادة صامتة صلبة أفقيا ورأسيا.

وتتوسع الأحياء الأخرى انطلاقا من نواة أولى أو تبعا لبعض مجاري المياه لتكتسح أراض جرداء كما كان الحال في العالية، أو تأتي على النخيل والغطاء النباتي تحت ستار العقار الخاص بالنسبة للأنسجة العمرانية الموجودة داخل الواحة ثم تتكثف في مرحلة لاحقة نحو الداخل لتشكل كتلة متراصة قابلة للتوسع مستقبلا.

وتبدو هذه الأحياء خليطا ومزيجا بين شكلين متفاوتين أحدهما منجز بمواد محلية تقليدية كالطوب النيء وجريد النخيل وجذوعها وأخر منجز بمواد حديثة أساسها الحديد والخرسانة كمواد ذات مقاومة عالية، لكن ما يميز هذه الأحياء هو محافظتها على قيمة المجال الداخلي ذي الطابع الاجتماعي بواسطة الواجهات الشبه صماء والأزقة والدروب التي تعطي نوعا من الخصوصية للمجال الخارجي وتحقق مبدأ التملك من قِبل أهل الحي الواحد، ويلاحظ هذا الأمر جليا في الأنسجة التي شيدت إبان فترة الاحتلال وتلك التي شيدت عقب الاستقلال مباشرة.

3)-2- المنطقة الحديثة للسكن (Z.H.U.N):

استفادت مدينة بسكرة في نهاية فترة السبعينات وفي إطار الاستجابة لمطلب اجتماعي لحل أزمة السكن من برنامج هائل للسكن يتمثل في منطقتين حديثتين:

* إحداهما غرب المدينة تمتد على مساحة تقدر بـ 99,40 هكتارا طاقتها 8500 مسكن.
* والأخرى تقع شرق المدينة تمتد على مساحة تقدر بـ 250 هكتارا طاقة استيعابها 11000 مسكن.

وتتمثل هذه المناطق في أحياء تتشكل من وحدات سكنية بسيطة الأشكال ومتعددة الطوابق تظهر بعناصر معمارية وواجهات تماثل الأحياء السكنية المتواجدة بالمدن الشمالية باستثناء بعض المعالجات البسيطة كاستعمال بعض الأقواس والمشربيات في بعض الواجهات، وكذا الواجهات المعروضة على شوارع مهمة في المدينة تحظى بمعالجة لا تتعدى إيجاد أروقة على طول الممرات بإدخال أشكال مختلفة للأقواس (كما هو الحال في بعض الطرق التي تطل عليها بعض الواجهات في الأحياء: 627 مسكن، 1000 مسكن، 500 مسكن، ...)، أما المجالات الخارجية فمهجورة طوال النهار رغم احتوائها على وظائف عديدة مثل مواقف السيارات وأماكن للعب الأطفال، وتكتسي نفس الطابع والموقع بين عمارتين أو أكثر في جل الأحياء، وتظهر مرافق عمومية في بعضها كالإدارات وبعض المؤسسات الهامة ورغم أهميتها تبقى معزولة عن كل الحي.

وتبدو هذه المناطق الحديثة في أشكال عمرانية لا تمت بصلة إلى الأشكال العمرانية الأخرى في المدينة كلها حيث تشكل طفرة أخرى إضافة إلى تلك التي شكلتها المدينة الفرنسية من قبل فضلا عن الصورة التي تبديها الأحياء الغير مراقبة والتجزئات الموجودة بجانب هذه المناطق الحديثة التي أضحت اليوم مجرد أحياء للنوم فقط بعزلتها الملحوظة طوال النهار خاصة أوقات العمل رغم أنها بُرمجت في إطار توسع المدينة لتشكل وحدة متكاملة وتخفف من حدة أزمة السكن المفروضة على المدينة بحكم نموها السريع في مختلف الميادين، غير أنها جانبت الأهداف المرسومة لها من قبل المختصين والمقررين وزادت في معاناة المواطن اجتماعيا وترفيهيا وصحيا.

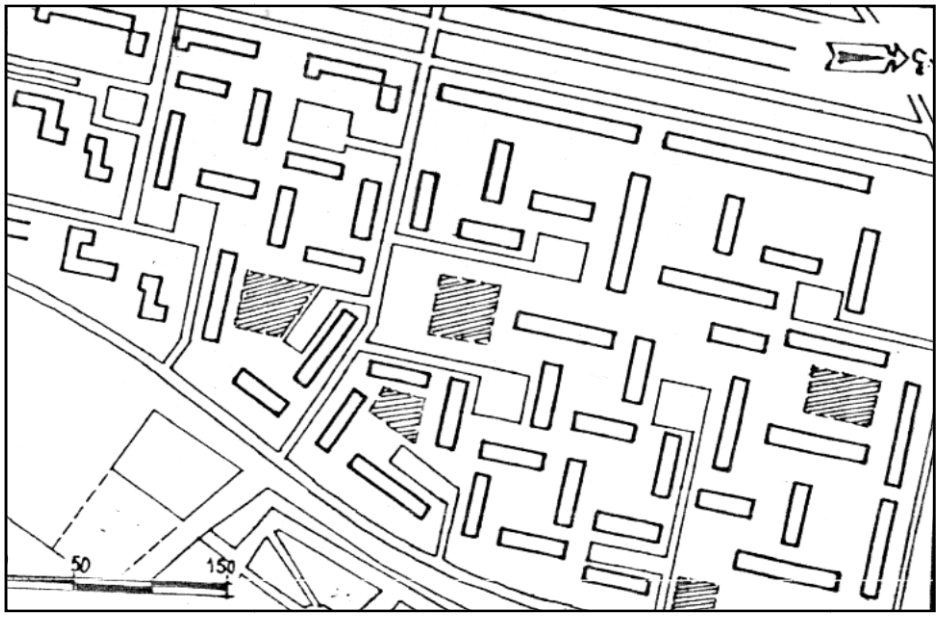

الشكل (V-18): المنطقة السكنية الحديثة الغربية.
- حي 726 مسكن-
المصدر: الديب، ب، 2001.

الصورة (V-16): سكنات جماعية بالعالية.
المصدر: الباحث 2011.

الصورة (V-17): سكنات بحارة الوادي.
المصدر: الباحث 2011.

3)-3- التـــجزئـــة (Le Lotissement):

تأخذ هذه الصورة نفس الطابع وتتوسع بنفس خصائص المدن الجزائرية كلها، علاوة على أنها تزيد في طبع البيئة العمرانية للمدينة بشكل يخالف الطابع العمراني والمعماري المحلي للمجمعات السكانية جنوب المدينة سيما في غلافها الخارجي الذي يحمل بعض السمات الأوربية كالنافذة الكبيرة المفتوحة والتصميم الداخلي الذي يبدو أنه تنصل من العناصر المعمارية المحلية كوسط الدار والروزنة والحوش و...، غير أنها أخذت صورة تشبه إلى حد بعيد صورة الأنسجة العشوائية إذ لا تختلف عنها إلا في شبكة طرقها المنتظمة لا غير، ورغم حداثة إنتاجها وسبق

تخطيطها ومراقبتها من قبل الهيئات المنوطة بذلك نظرا لأسباب عديدة، كما يلاحظ أنها واقعة بمحاذاة المناطق الحضرية الحديثة للسكن حيث تظهر الهوة الكبيرة بين النسيجين على مستوى المجال الخارجي، إذ تبدو عبارة عن شبكة عمرانية تميزها الشوارع المتقاطعة لتحديد وحدات سكنية في أغلب أشكالها منتظمة، في حين يتميز النسيج الآخر (المنطقة الحضرية) بالمجالات الواسعة التي تتوسط العمارات، ومن جهة أخرى يبدو الامتداد الأفقي للأولى والرأسي للثانية إضافة للكثافات التي تختلف من حي لآخر، وتبقى تخطيطات هذه التجزئات مجرد تقسيم هكتارات من الأرض تفتح بواجهة في أغلب الأحيان على الشارع لتسهيل الأشغال والتموين بمختلف الشبكات الضرورية بعيدا عن كل المضامين التي ترتقي بها من مجرد مجال للمأوى إلى مجال للسكن المريح الذي يلبي الحاجة الإنسانية في هذه المدينة بكل أبعادها النفسية والاجتماعية.

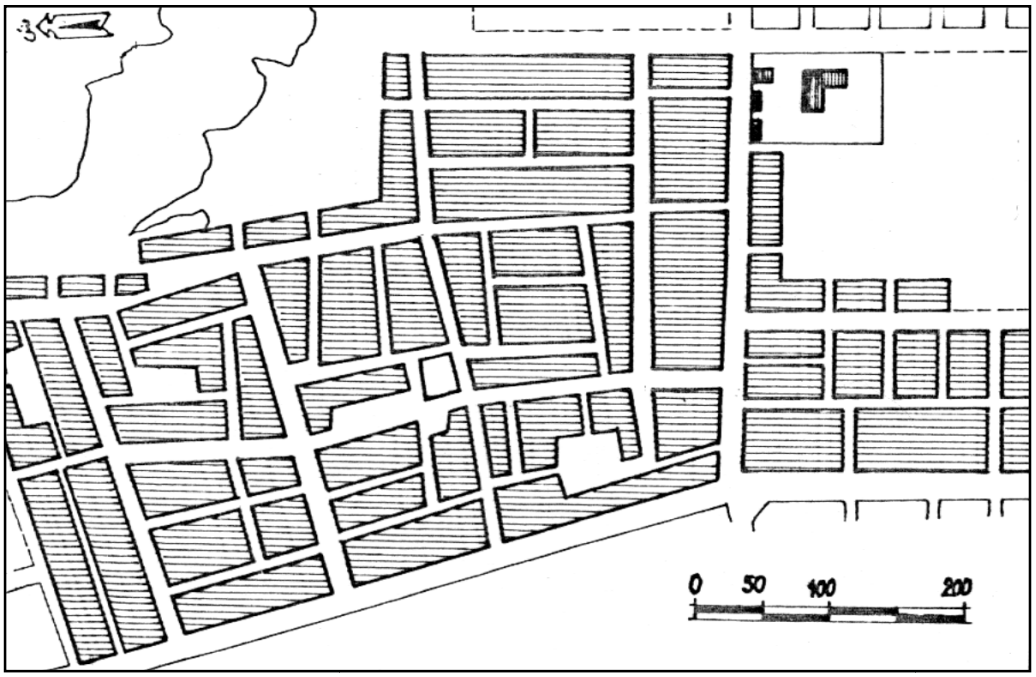

الشكل (V-19): تجزئة حي السعادة بالعالية.
- نمط تعمير فردي- محاولة لاحتواء نسيج عمراني غير مراقب.
المصدر: الديب، ب، 2001.

إن القواعد العمرانية المدرجة ضمن هذا السياق من قبل الهيئات المعنية لم تحظ بالاحترام اللازم حيث تحولت هذه التجزئات إلى أحياء طابقها الأرضي يحوي وظائف لا تتناسب حتى مع طبيعة الحي السكنية، وغابت المساحات الخضراء التي تتقدم مداخل السكنات والتي فُرضَت كقاعدة يجب احترامها على مستوى الوطن كله سيما والمدينة يكتنفها مناخ حار يتطلب مثل تلك المجالات، ونعزو ذلك إلى تدني المستوى الحضاري وعدم الإحساس بقيمة المجال المعيشي باعتباره البيئة الحقيقية للإنسان فردا وجماعة.

وقد نتج عن هذا التعمير بالمدينة نشوء هيكلة حضرية عامة يمكن تقسيمها إلى:

* مركز حضري رئيسي:

ممثلا في مركز المدينة، يضم الأنشطة والوظائف ذات المستوى العالي مشكلا بذلك القطب المهيمن في المدينة.

* مركز حضري ثانوي:

تشكله مجموعة التجهيزات الكبرى الموقعة على محور طريق سيدي عقبة (المستشفى، الجامعة، المركب الرياضي).

* قطب للخدمات:

مكونا من التجهيزات والمرافق الموقعة على الطريق الوطني رقم (03) المؤدي إلى باتنة (منطقة التجهيزات)، حيث يعد هذا المركز امتدادا للمركز الحضري الرئيسي.

* قطب تجاري:

ممثلا في حي زقاق بن رمضان وحي البخاري، يتميز بتركز النشاط التجاري بمجال نفوذ يغطي كامل أحياء المدينة مما أهله إلى احتلال مكانة وظيفية ضمن البنية الحضرية للتجمع.

الصورة (V-18): حي زقاق بن رمضان. الصورة (V-19): حي البخاري. الصورة (V-20): المركز التجاري.

المصدر: مديرية التعمير والبناء ببسكرة.

* قطب صناعي:

تشكله المنطقة الصناعية التي تلعب دورا مهما في حياة المدينة والديناميكية المجالية لها.

* مناطق السكن الكبرى:

تتمثل في الأحياء الكبرى للمدينة مميزة بسيطرة السكن الفردي اللاشرعي (سيدي غزال، العالية، ...) بالإضافة إلى المنطقتين السكنيتين الحضريتين(ZHUN est ; ZHUN ouest).

وقد أنجزت هذه التوسعات الجديدة للمدينة على طول المحاور الطرقية التالية:

- الطريق الوطني رقم (03) باتجاه باتنة.
- الطريق الوطني رقم (46) باتجاه بوسعادة.
- الطريق الوطني باتجاه أريس.
- الطريق الوطني باتجاه سيدي عقبة.

وقد أتت في شكل توسعات سكنية فوضوية وعفوية.

الصورة (V-21): توسع على طول الطريق الوطني رقم (03).

الصورة (V-22): توسع على طول الطريق المؤدي إلى شتمة.

الصورة (V-23): توسع الجهة الشمالية - العالية-

المصدر: مديرية التعمير والبناء ببسكرة.

أما النسيج الحضري للمدينة فهو يتهيكل عموما بكل من:

* نهج الأمير عبد القادر:

ويعتبر الشارع المهيكل الرئيسي للمدينة بأكملها إذ يربط بين شرق وغرب المدينة، وذو كثافة سير عالية ومتوسط عرضه 12 مترا ويوجد جسر مار فوق السكة الحديدية الذي ينشط بدوره حركة لتنقل السيارات، ويمكن تدعيمه بشارع صولي الشريف المتواجد بجانب محطة السكة الحديدية والرابط بين هذا الجسر الشارع الرئيسي طوله الإجمالي يقدر بـ 1141,10م.

الصورة (V-24): شارع الأمير عبد القادر.
المصدر: مديرية التعمير والبناء بسكرة.

* نهج أول نوفمبر:

وهو أهم الشوارع وأوسعها في المدينة، يربط بين شارع الجمهورية ونهج الأمير عبد القادر الذي يبلغ متوسط عرضه 15,00 مترا، هذا الشارع المميز ذو أرصفة عريضة والتي تحتوي على مساحات خضراء وممرات مغطاة متكونة من أقواس مميزة فطوله الإجمالي 252,20م، وشارع الإخوة مناني الذي يتميز بوجود مساحات خضراء تتوسط الطريق يبلغ عرضها الإجمالي 25,00 مترا، أما طوله فهو يقدر بـ 571,90م.

* شارع الجمهورية:

ويعتبر من الطرق الهامة بالمدينة ويربط بين نهج أول نوفمبر وشارع الدكتور سعدان، ويقدر عرضه الضيق بين 6,00م إلى 8,00م ويحاذيه شمالا حديقة 05 جويلية، وغربا منطقة مزدوجة مشتركة (سكنات + تجهيزات خدماتية)، ونظرا لموقعه وحالته الجيدة ورغم ضيقه فهو يكون حلقة وصل تدفقات السير الميكانيكية الآتية من شرق المجال باتجاه غربه أين يوجد الجسر الآنف الذكر، فطوله الإجمالي يقدر بـ 679,71م نظرا للأهمية البالغة لهذا الشارع الذي يتميز بكثافته وخدماته.

الصورة (V-25): شارع الجمهـــــــورية.
المصدر: مديرية التعمير والبناء بسكرة.

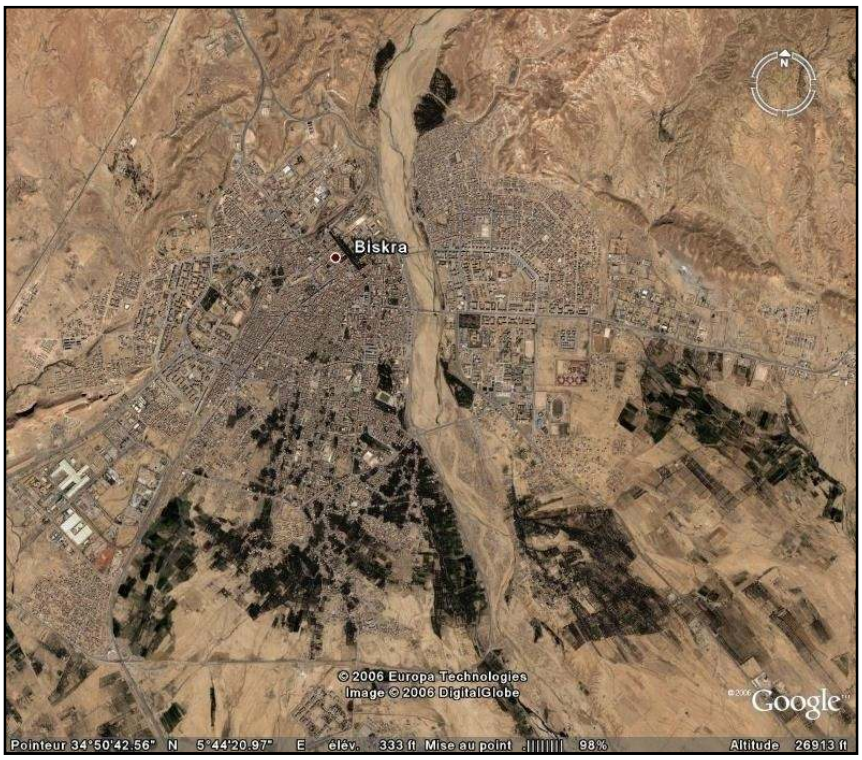

الصورة (V-26): صورة عامة للمدينة اليوم.
المصدر: Google earth/ 26/04/2011

خـــــــــــلاصـة:

إن توالي الحقب الزمنية على المجتمع يؤدي إلى إحداث تراكم للخبرات التي تتوارث عبر الأجيال ويظهر صداها على المجتمع متجليا في أنسجته العمرانية، وهذا ما نجده في مدينة بسكرة التي تطور نسيجها العمراني تطورا ملحوظا، هذا النسيج الذي كان في بداية تشكله يضم تركيبة عمرانية بسيطة في وسائلها وإمكاناتها إلا أنها ذات مدلول اجتماعي وثقافي كبير استطاعت أن تستوعب الإنسان بكل أبعاده بفضل قيمة الانتماء المجالي العالية عند سكان هذه الأنسجة التقليدية التي تشهد تكاملا مجاليا قائما بين بيئتيها الداخلية والخارجية من خلال التدرج المجالي مما يضمن التواصل الاجتماعي الذي تكون المركبات المختلفة لهذه الأنسجة مسرحا له.

ومع دخول المستعمر فقد جاء بنمط معماري وعمراني جديد نابع من ثقافة غريبة عن هذا المجتمع وبأهداف مختلفة فتغير نمط التعمير من خلال زرع مستوطنة فرنسية تقوم على مخطط شطرنجي بمحلات سكنية موحدة من ناحية الحجم والشكل والمساحة، فانقسمت المدينة إلى نمطين أحدهما جديد بتقنيات حديثة وبمعطيات صحية وعمرانية لضمان الحياة الأفضل للمعمرين، وآخر عتيق ممثل في تجمعات سبعة مدمجة داخل واحات النخيل نابع من شكل السواقي وبمواد بناء محلية بسيطة، وقد امتاز كل نمط عمراني منهما بنوعية من الخدمات ذات طبيعة خاصة يوفرها لساكنيه.

وبعد الاستقلال عرفت مدينة بسكرة إنتاجا عمرانيا ومعماريا لا يمثل سوى ثقافة المستعمر وعلى حساب السكان المحليين، والأدهى من ذلك كله أن هذه الخطة أصبحت هي المرجعية الأساسية التي تستند عليها عمليات التوسع المستقبلية للمدينة متجاهلة بذلك النواة الأولى للمدينة وهي المدينة العتيقة التي ينبغي جعلها كمنطلق للتوسع وبمراحل ثابتة تمتص من خلالها النقائص التي تواجهها المدينة من حين لآخر على مستوى الشبكة العمرانية وتقلل من الهوة الموجودة بين النمطين العمرانيين والمعماريين المتواجدين بالمدينة وهذا من خلال إحداث توازن في الأنسجة اللاحقة عمرانيا ومعماريا بما فيها التجزئات والأحياء الغير مراقبة والأحياء القديمة، هذه الأخيرة التي عانت من التهميش والاندثار منذ الفترة الاستعمارية التي يعد نتاجها المعماري والعمراني البذرة الأولى نحو تغير الأنسجة العمرانية بالمدينة.

الجزء الثانى:

الدراسة التحليلية

الفصل الرابع:

خصائص موقع الدراسة

ـ مدينة بسكرة ـ

مقدمـــــــــة:

بمجرد ذكر كلمة **" صحراء "** سرعان ما يتبادل إلى الأذهان منظر الرمال الذهبية وواحات النخيل، وإنَّ تطرقنا إلى هذا العنصر إنما هو لتبيان المفارقة العجيبة لإقليم يتسم مناخه بالقسوة ويمتاز بخصائص طاردة للاستقرار البشري، وبالرغم من هذا كله فإننا نجد حضارات عريقة ومشهورة شُيدت وسط هذا الوسط البيئي الهش.

1)- عموميات حول إقليم الصحراء:

الصحراء هي كلمة مؤنثة أصلها أصحر مثل أحمر وحمراء وأصفر وصفراء، وهي دلالة عن لون وتحديدا اللون الأسمر المصفر الضارب إلى الحمرة(Bisson ;J ;2003) ، وحسب (المنجد الأبجدي، 1986) أصحر هي غبرة في حمرة.

أما من جهة الاصطلاح فاسم صحراء يطلق على المنطقة الممتدة من النيل وصولا إلى واجهة المحيط الأطلسي بمساحة تقدر بـ 09 مليون كم^2 ويطلق عليها **الصحراء الكبرى**.

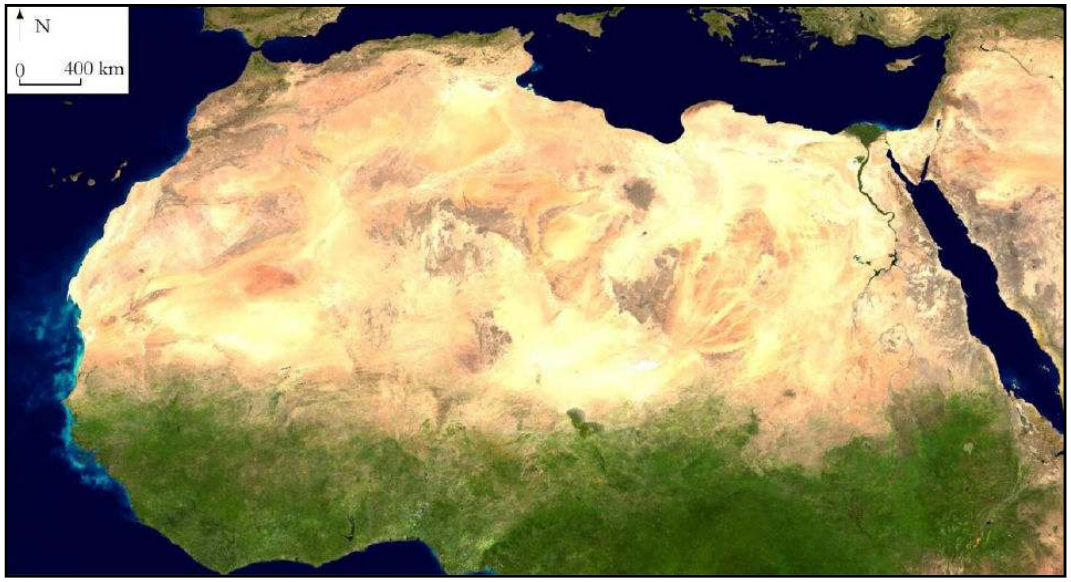

الصورة (IV-1): منظر عام للصحراء الكبرى(La NASA 2002)

المصدر:(Kouzmine ; Y ; 2007).

وقد وقع اختلاف كبير بين العلماء والباحثين في إطلاق كلمة الصحراء، فقال (عدلي، ع-أ، 2006) هي الأقاليم التي تقل كمية الأمطار بها عن 25 ملم^3 سنويا، ومنهم من ربطها بنوعية التربة، ومنهم من ربطها بأنواع النباتات الموجودة والتي تنمو بها، والصحاري هي أقاليم متوزعة في عدة بقاع من العالم فنجد مثلا " صحراء الربع الخالي " و" صحراء الدهناء " و" صحراء النفوذ الكبير " و" صحراء استراليا " و" صحراء غوبي " و" صحراء كلهاري " و" صحراء أمريكا الشمالية ".

هذا وقد أشارت مجلة العلوم أن الصحراء كانت قبل 6000 سنة أرضا معشوشبة تجري بها الوديان والأنهار والمروج الخضراء، وقد بلغت أوجها مع نهاية العصر الجليدي، ولم تصبها هذه الحالة من الإجداب والتدهور إلا قبل حوالي 2700 سنة.

وقد أكدت مضمون الكلام الأخير نتائج الدراسات الأركيولوجية المقامة على الجداريات الموجودة بأعماق صحراء الأهقار، فلا يدل غنى الرسومات التي أنشأها الإنسان يومئذ إلا على يدل على البحبوحة الحياتية التي كانوا ينعمون بها وهذا حوالي 8000 سنة من قبل حيث وجد ما عديد الأنشطة كالزراعة والحيوانات المختلفة كالفيل والزرافة ...

الصورة (IV-2): جداريات الطاسيلي - الجزائر-

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004).

1)-1- مركبات الصحراء:

لقد أكد كل من (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004) أن الصحراء هي عبارة عن تعدد لمشاهد متناقضة يمكننا إيجازها كما يلي:

1)-1-1- العرق:

وهو عبارة عن سهل مغطى بالكثبان الرملية من جراء الرياح التي تقوم بعمليات التعرية، وهي تشكل نسبة 20% من الصحراء ككل.

الصورة (IV-3): العرق بالصحراء - ليبيا-

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004).

1)-1-2- الرق:

وهو سهل مغطى بالحجارة والرمال الخشنة، ويعد المظهر الأكثر انتشارا من حيث المساحة بالصحراء.

الصورة (IV-4): الرق بالصحراء

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004).

1)-1-3- الجبال:

ويكون أغلبها ذا طابع بركاني وكانت المأوى الرئيسي للسكان الصحراويين القدامى بحيث لا يتعدى ارتفاع أغلبها 1000 متر.

الصورة (IV-5): جبال آجار بالصحراء الليبية.

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004)

1)-1-4- الحمادة:

وهي عبارة عن هضاب صخرية تكسوها صخور جيرية، وتعد الطاسيلي أكثرها ارتفاعا حيث يصل إلى 2000 متر عن مستوى سطح البحر.

1)-1-5- الأودية:

وتكون جافة في أغلب أوقات العام ولم يبق منها سوى آثار المجرى، وتكون قد تشكلت في الزمن الذي كانت فيه المنطقة غير جرداء.

الصورة (IV-6): واد بمنطقة أغادير المغربية.

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004)

1)-1-6- القلتا:

وهي آبار عميقة دائمة الطفو على سطح الأرض تضم أسماكا وضفادع ورخويات وقشريات وحتى بعض التماسيح بالطاسيلي.

الصورة (IV-7): القلتا بالصحراء.

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004).

1)-1-7- السبخة:

وهي عبارة عن رسوبات ملحية نتجت من بحيرات سابقة جفت منذ آلاف السنين.

1)-1-8- المدن (القصور):

وهي التجمعات السكانية التي نشأت بفعل استقرار السكان الذين عاشوا في كنف الواحات على طريق القوافل بالمبادلات التجارية سواء القديمة بواسطة القوافل أو الحديثة بالمواصلات المعاصرة.

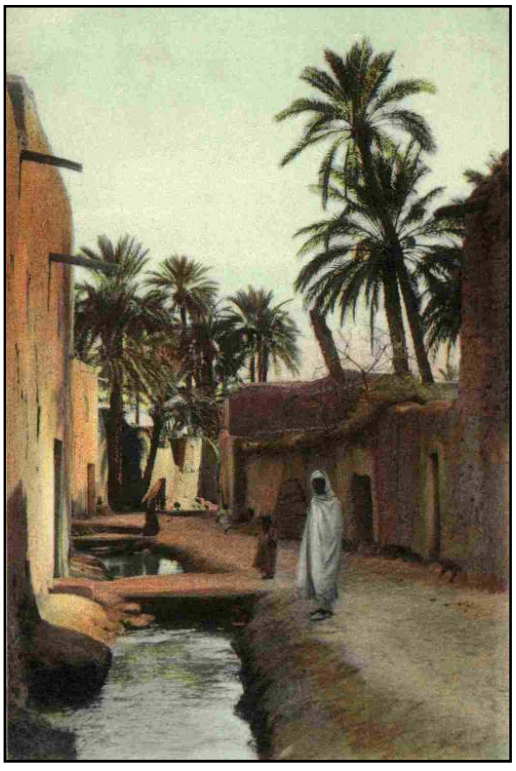

الصورة (IV-8): قصر بمدينة بسكرة - الجزائر-

المصدر: (مكتب الدراسات URBA/Batna).

1)-1-9- الواحة:

وهي الأماكن والمجالات بالصحراء والمخصصة للزراعة المحلية التي تعتمد على الخبرة العالية في استغلال المياه النادرة بالمنطقة.

الصورة (9-IV): قصر بمدينة بسكرة - الجزائر-

المصدر: (Jeadroz ; P & Chatecher ; P ; 2004)

2)- الصحراء الجزائرية:

وتمثل الصحراء بالجزائر الأغلبية الساحقة من المساحة الإجمالية للبلاد حيث تحتل مساحة 02 مليون كم^2 أي ما يعادل ما نسبته 5/4 من مجموع مساحة التراب الوطني وتشكل الصحراء الجزائرية الجزء الأكبر من الصحراء الإفريقية الكبرى، وقد قام الباحث (Kouzmine ;Y ;2007) بتعداد خصائصها فتوصل إلى:

* ظاهرة الجفاف:

ويرجع سببها إلى عدة عوامل أهمها الموقع وندرة الأمطار التي تتميز بالندرة والفجائية وعدم الانتظام، وكذلك ظاهرة التبخر الشديد التي تصل إلى 10 حتى 20 مرة ضعف كمية الأمطار المتساقطة كل هذا سببه الارتفاع الشديد في درجات الحرارة.

* العوائق الحرارية:

وتتعدى درجات الحرارة القصوى 45°م طيلة مدة الفصول الحارة التي تتراوح بين 07 إلى 08 أشهر من أشهر العام الواحد وهذا حسب وضعية دوائر العرض وكذا الارتفاع عن مستوى سطح البحر حيث نميز مثلا في أدرار 10 أشهر كلها حارة.

* التنوع الجيومورفولوجي للإقليم الصحراوي:

حيث نجده مكونا من الجبال، الحمادة، المقعرات الصحراوية المنخفضة (الشطوط)، العرق، الرق، الهضاب، ...

2)-1- الوصف الجيومورفولوجي للصحراء الجزائرية:

تمتد الصحراء الجزائرية من سفوح جبال الأطلس الصحراوي وصولا إلى الحدود السياسية للدولة وهي تمتاز عموما كما أورد (Kouzmine ;Y ;2007) بما يلي:

* من الشرق:

العرق الشرقي الكبير الذي يضم أخفض نقطة بالجزائر والمتمثلة في شط ملغيغ (40 متر تحت مستوى سطح البحر)، وهي منطقة غنية بالمياه الجوفية، كما تضم أيضا عرق " امساون " وجبال بركانية خامدة هي جبال الأهقار والطاسيلي.

* من الوسط:

وتضم العرق الغربي الكبير وهضبة " تادميت " وسهل " تيديكلت ".

* من الغرب:

وتضم حمادتي " قوير " و" الذراع " وعرقي " إيقدي " و " الشاش ".

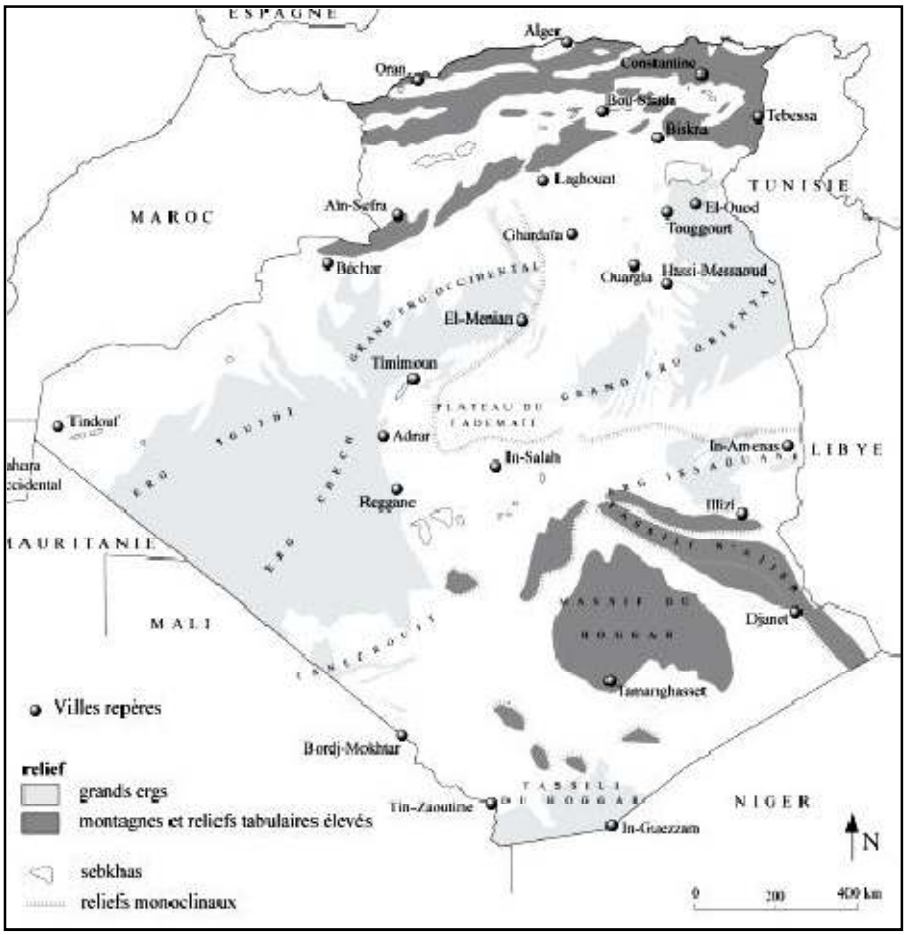

الشكل (1-IV): المجمعات الفيزيائية الكبرى للصحراء الجزائرية.

المصدر: (Kouzmine ; Y ; 2007)

2)-2- الصحراء المنخفضة الجزائرية:

حسب التقسيم الذي اعتمده مجال الهوية المرجعية (Espace de Référence Identitaire) المعروف اختصارا بـ (ERI) والذي قسم الجزائر إلى ثلاثة مستويات:

* المستوى الأول:

وهو تقسيم جهوي يضم (الجزائر، شرق، وسط، غرب، الصحراء الكبرى).

* المستوى الثاني:

وقسمت فيه الصحراء الكبرى إلى أربعة (04) قطاعات أساسية (الصحراء المنخفضة، صحراء الشمال الأوسط، صحراء الغرب، صحراء الطوارق).

* المستوى الثالث:

حيث قسمت فيه الصحراء المنخفضة إلى خمسة (05) أقاليم صغرى (**الزيبان**، العرق الشرقي الكبير، سوف، وادي ريغ، الصحراء البترولية).

الشكل (IV-2): تقسيم(ERI) للجزائر.

المصدر: (Kouzmine ; Y ; 2007).

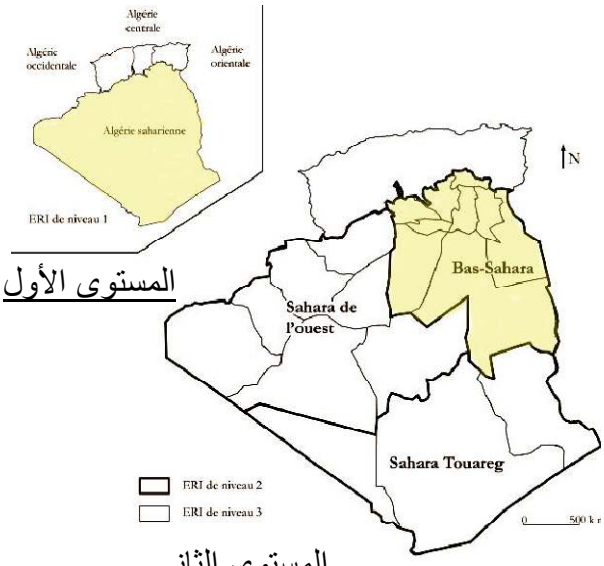

المستوى الأول

المستوى الثاني

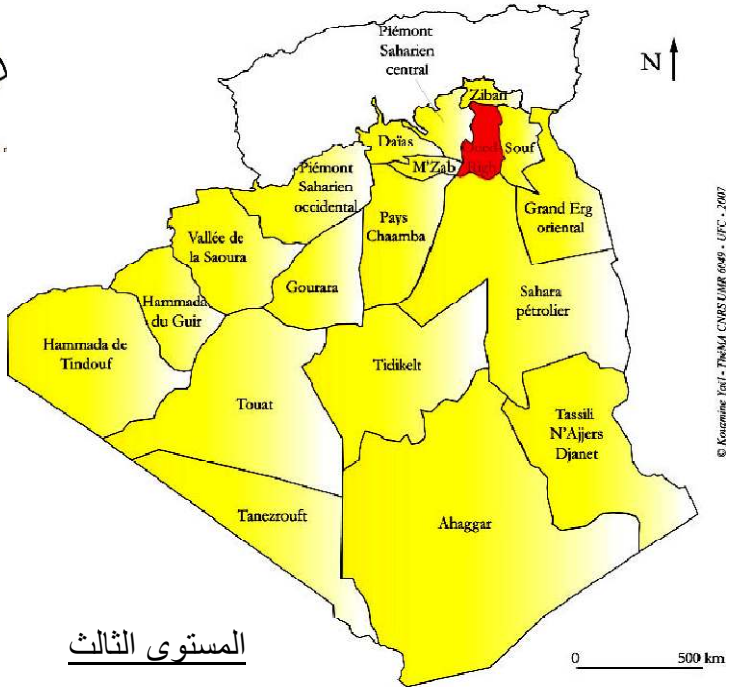

المستوى الثالث

2)-3- المميزات العمرانية لإقليم الصحراء المنخفضة:

وهذا الموضوع لفت انتباه العديد من الباحثين في هذا المجال وحتى في المجالات الأخرى، فقد تكلم (CÔTE ;M ;2005)على الصحراء المنخفضة واعتبرها عينة تمثيلية جد مناسبة ضمن الصحراء الكبرى مع تأكيده على أنها تتميز عن غيرها بالتركز السكاني المعتبر والجد نشيط ضمن الصحراء الجزائرية إذ يشكل عدد سكانها مقارنة بمجموع سكان الصحراء ما نسبته 52% أي 1,6 مليون نسمة.

أما (Farhi ;A ;2005) فكانت مجمل دراسته حول الأقطاب الثلاثة الكبرى بالصحراء المنخفضة (بسكرة، الوادي، تقرت) وخلص إلى أنها تتميز بـــ:

- النمو السريع بسبب الزيادة الطبيعية والهجرة بما فيها الهجرة من الشمال إلى الجنوب.
- التميز بالنشاطات التجارية الكبرى بنوعيها النظامية والغير نظامية.
- ازدهار النشاطات الصناعية مما نتج عنه خلق مناطق صناعية متخصصة وبنسب مرتفعة (50% من القوة العاملة مستغلة بهذا المجال)، وهو القطاع المباشر الذي ساهم في تنمية هذه الأقطاب.

وقد توصل الباحث نفسه إلى أن هذه المدن تتقاسم القطبية في منطقة الصحراء المنخفضة مثل مدن الشمال والتي تصنف من نفس الحجم إضافة إلى الهيمنة على التجمعات السكانية المجاورة سواء من ناحية التركز السكاني أو المرافق والأنشطة السائدة، وقد استطاع الباحث استخراج مخطط مجال التأثير لهاته الأقطاب الثلاثة.

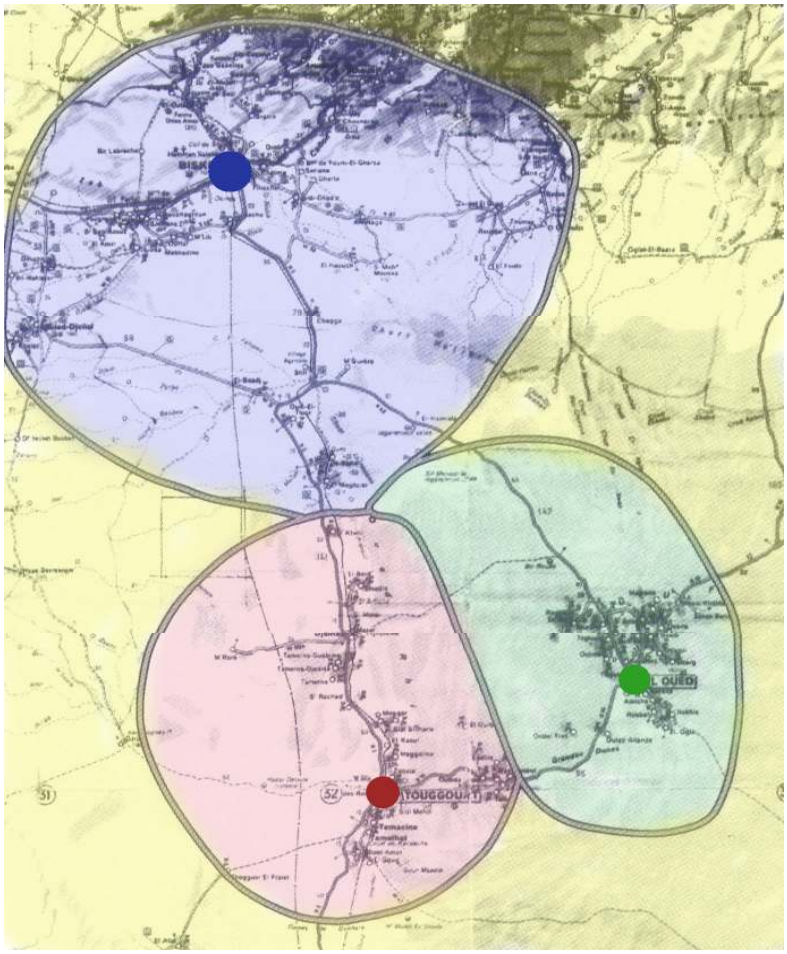

الشكل (3-IV): حيز التأثير للميتروبولات الثلاثة.

المصدر: فرحي عبد الله نقلا عن (مدوكي، م، 2010).

أما (Alkama ;Dj ;2005) فقد أبدى تخوفه على ما آل إليه النظام البيئي الواحاتي المميز لقصور الصحراء المنخفضة من جراء النسق الجديد والذي عبر عنه بأنه مخالف لما عهده التعمير بالصحراء الذي عرف بالتوازن مع البيئة الصحراوية الحساسة والهشة.

ونظرا لما شهدته مدينة بسكرة عاصمة الزيبان من تطور عمراني مستمر ونمو سريع سيما في الثلاثينية الأخيرة من القرن الفارط مما أدى إلى تضاربٍ في الأشكال العمرانية وتوسع الهوة بين الأنسجة العمرانية العتيقة والحديثة والتدهور المستمر للمجال العمراني وخاصة على مستوى المناطق الحضرية، وطغى هذا المشكل وتفاقم ليعم ثروة النخيل حيث شهدت المدينة اجتياحا للكتل الخرسانية للمساحات الزراعية أين بيعت عديد الغابات وحُوِّلت إلى عقارات بناء، لأجل هذا كله رأينا ضرورة تسليط الضوء على أصل هذا المشكل في هذه المدينة حيث يعد الحي الاستعماري هو البذرة الأولى في عالم تغيير معالم هذه المدينة وتبنيها طرازا جديدا دخيلا على أهل هذه المنطقة العريقة.

3)- لمحة تاريخية على مدينة بسكرة:

لمدينة بسكرة تاريخ عريق وموقع جغرافي متميز، فهي ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ، فقد تعاقبت على أرضها الحضارات المتعددة من العهد الروماني إلى الفتح الإسلامي ثم الغزو الفرنسي إلى الاستقلال، ثم إن موقعها الاستراتيجي كبوابة للصحراء وهمزة وصل بين الشمال والجنوب والشرق والغرب وبمناخ وتضاريس مثمرة كل هذه المعطيات جعلت منها ذات أهمية كبرى عبر كافة المراحل والحقب التاريخية التي مرت بها، وكما كانت الحواضر قديما على ضفاف الأودية والأنهار وعلى منابع المياه وفي المواقع الحصينة والمنيعة فإن الحركة العمرانية لمدينة بسكرة انطلقت من مصادر المياه بها، فكان منبع حمام الصالحين ومنابع رأس الماء هي الأصل في تكوين بسكرة.

3)-1- بسكرة وجذورها التاريخية:

إن أصل تسمية بسكرة ما يزال إلى يوم محل نزاع وخلاف بين الباحثين والمؤرخين، فمنهم من يرى أن الأصل كان اسم (Vescera) ذا الأصل الروماني والذي يدل على الموقع التجاري نظرا لتقاطع الطرق بها بين الشمال والجنوب والشرق والغرب، في حين يرى البعض الآخرون أن أصل التسمية يعود إلى كلمة (Ad Piscinаme) ذات الأصل الروماني أيضا وتعني المنبع المعدني ويقصد به منبع حمام الصالحين، ويرى زهير الزاهري أن بسكرة ترمز إلى حلاوة تمرها.

ويرتبط تاريخ المدينة مع تاريخ مناطق الجنوب الكبير الذي تشير الدراسات أنه يرجع إلى 7000 سنة قبل الميلاد، وقد قسمت مراحل تطور المدينة على حسب ما وجد من رسوم ونقوشات صخرية إلى أربعة (04) مراحل أساسية أخذت تسمية الحيوان الذي كان يعيش في تلك المرحلة:

* المرحلة الأولى: (من 7000ق.م إلى 5000ق.م):

وهي مرحلة البوبال (Bubale) وهو حيوان يشبه الثور.

* المرحلة الثانية: (من 5000ق.م إلى 1200ق.م):

وسميت مرحلة البقر (Bovidienne).

* المرحلة الثالثة: ابتداء من 1200ق.م:

وسميت مرحلة الحصان، وتجدر الإشارة إلى أنه قد لوحظ من الرسوم الموجودة أن الأسلحة المستعملة من طرف قبائل هذه المرحلة تشبه إلى حد كبير الأسلحة التي يستعملها الطوارق وهي الخناجر والدروع.

* المرحلة الرابعة:

وهي مرحلة الجمل وهذا يدل على بداية تصحر المنطقة.

وبسكرة هي إحدى واحات الزيبان، والزاب كلمة أمازيغية تعني الواحة، وقد عرفها "بن خلدون" بأنها وطن كبير يشمل قرى متعددة ومتجاورة جمعا إلى جمع وإن أولها هو " زاب الدوسن " ثم " زاب مليلي " ثم " زاب بسكرة " ثم " زاب تهودة " ثم " زاب بادس "، ويُعد زاب بسكرة هو الأهم بينها.

وقد تعرضت المنطقة لعدة احتلالات من الروماني إلى الوندالي ثم البيزنطي، وقد تم فتح المدينة خلال القرن السابع (07) الميلادي على يد الفاتح " عقبة بن نافع " سنة 663هـ وقام بطرد الحامية الرومانية منها، وكان هذا الحدث نقطة تحول بارزة في تاريخ المنطقة سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وعمرانيا، وخلال المرحلة الإسلامية تعاقبت على حكم بسكرة عدة دويلات من الزيريين إلى الهلاليين ثم الحفصيين إلى الزيانيين لتستقر بعد ذلك في قبضة العثمانيين من القرن 16م إلى القرن 19م لتظل طوال هذه الفترة تتميز بالطابع الإسلامي في شتى مناحي الحياة، وباحتلالها من طرف الاستعمار الفرنسي سنة 1844م وبالنظر لطابعه الاستيطاني والعنصري فقد تم وضع المدينة كنقطة انطلاق لعمليات التوسع في الجنوب الجزائري، ويتجلى ذلك من خلال إنشائه لحامية تكون نواة جديدة للمدينة في المكان المسمى " رأس الماء " باعتباره موقعا استراتيجيا حساسا، واهتم المستعمر بتطوير نواته الجديدة حيث يقيم المعمرون.

4)- معطيات عامة حول عاصمة الزيبان " بسكرة ":

4)-1- الموقع الجغرافي:

تقع المدينة شرق خط غرينتش بين خطي طول 5° و6° شرقا وبين دائرتي عرض 34° و35° شمالا بين منطقتين متضادتين مناخيا عند عتبة تشكل ممرا طبيعيا نحو الصحراء، ينتهي إليها انحدار الأطلس الصحراوي الذي تأخذ جباله في الضمور من الغرب نحو الشرق، ويبلغ ارتفاعها 126 مترا فوق مستوى سطح البحر، يحدها غربا سلسلة الزاب المتجهة من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي والتي تتفرع إلى فروع شمالي- شرقي الاتجاه يلتقي مع الشق الجنوبي لسلسلة الأوراس ليشكل حزاما امنيا طبيعيا للمدينة من الجهة المفتوحة شمالا.

وبسكرة عاصمة الولاية تقع في شمال الولاية وتتربع على مساحة قدرها 12755,00 كم^2، وتحيط بها بلديات:

- الحاجب غربا.
- أوماش جنوبا.
- سيدي عقبة من الجنوب الشرقي.
- شتمة من الشرق.
- البرانيس ولوطاية من الشمال. (مديرية التعمير والبناء لولاية بسكرة).

كما تقطع المدينة مجموعة من الطرق الوطنية:

- الطريق الوطني رقم (03): الذي يربط مدينة بسكرة بالشمال والجنوب إذ يصلها بسكيكدة مرورا بالتجمعات الحضرية مثل قسنطينة، باتنة، ومن الجنوب، حاسي مسعود وإليزي وجانيت.

- الطريق الوطني رقم (46): الذي يربط بسكرة ببوسعادة و الجزائر.

- الطريق الوطني رقم (83): الذي يربط بسكرة بخنشلة مرورا بخنقة سيدي ناجي.

- الطريق الوطني رقم (31): الذي يربط مدينة بسكرة بباتنة مرورا بأريس.

4)-2- الانتماء الإداري:

نشأت بلدية بسكرة عن طريق المرسوم الذي طبق في ماي 1878م والذي يخضع للسلطة الحكومية في 09 أفريل 1889م لقرار مجلس الشيوخ، ثم انتقلت إلى صف دائرة لولاية الأوراس حتى سنة 1974م.

وفي سنة 1974م أصبحت مدينة بسكرة ولاية حسب القانون رقم 74-69 بتاريخ جويلية 1974م.

وقد أعيد تنظيم المقاطعة طبقا لقانون 4-84 بتاريخ 04 فيفري 1984م والذي تم فيه وضع الحدود السابقة الذكر.

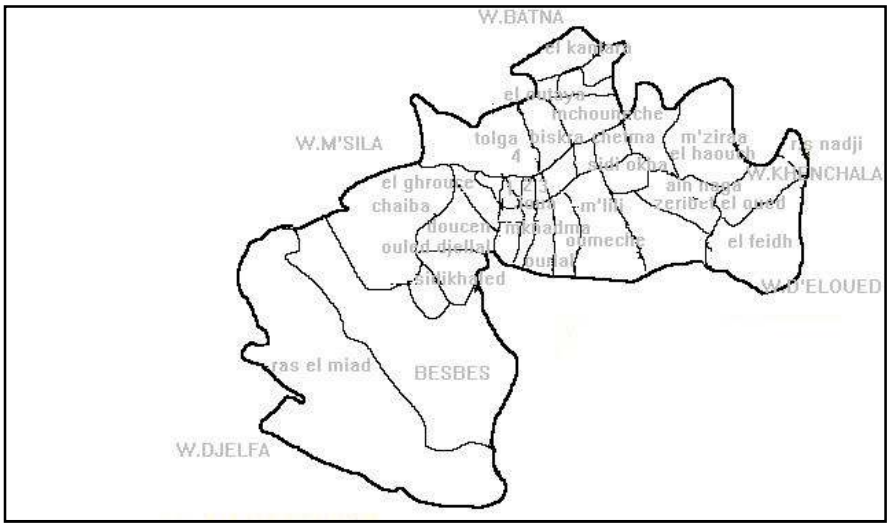

الشكل (IV-4): خريطة بسكرة.

المصدر: (URBA/Batna ; 2011)

4)-3- الطبيعـــة:

تقع المدينة بين النطاقين الصحراوي والأطلسي حيث يتمثل هذا الاتصال في التصدع الكبير (تصدع جنوب الأطلس الصحراوي)، وفي المنطقة الغربية نجد سلسلة الزاب التي تمتد من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي وتنقسم إلى فرعين:

* الفرع الشمالي: يتجه إلى الشرق وإلى شمال المدينة ليلتحم مع الجزء الجنوبي لسلسلة الأوراس.

* الفرع الاستوائي: وهو ممثل في سلسلة صغيرة.

أما جيولوجيا فمنطقة بسكرة تتمثل في مجموعة تكوينات ترسبية (Tertiaires) وكواترنار (Quaternaires)مميزة في ارض كلسية فلوفيال (Fluviales)، ونشير إلى أن المدينة تقع في منطقة معرضة للهزات الأرضية.

كما تتميز المنطقة بوجود الموارد المائية الباطنية المتمثلة في:

* الطبقة الجوفية الأولى:

وهي طبقة المياه السطحية وموجودة على عمق حوالي 30 مترا.

* الطبقة الجوفية الثانية:

وهي طبقة الترسبات الممتدة على كامل (Nappe Continentale Terminal) والمنتمية إلى التكوينات القارية الأخيرة والموجودة على عمق من 60م إلى 100م، وهي تمتد على الأراضي الليبية والتونسية والجزائرية انطلاقا من الشرق على الخط الرابط بين قفصة التونسية شمالا وغدامس الليبية جنوبا، ومن الحافة الجنوبية على الخط الرابط بين غدامس الليبية شرقا وعين صالح غربا، وعلى الخط الغربي الممتد على مستوى كل من عين صالح جنوبا ومن ثم القوليا، غرداية، الأغواط، وأخيرا الخط الشمالي الممتد من الأغواط غربا وبسكرة وصولا إلى قفصة التونسية في أقصى الشرق.

* الطبقة الجوفية الثالثة:

وهي الطبقة المائية الكلسية الموجودة على عمق ما بين 100م إلى 200م.

* الطبقة الجوفية الرابعة:

وتدعى الطبقة الألبيانية أو(Nappe Continentale Intercalaire) وهي على عمق يتراوح بين 1000م إلى 1700م.(انظر الشكل 05).

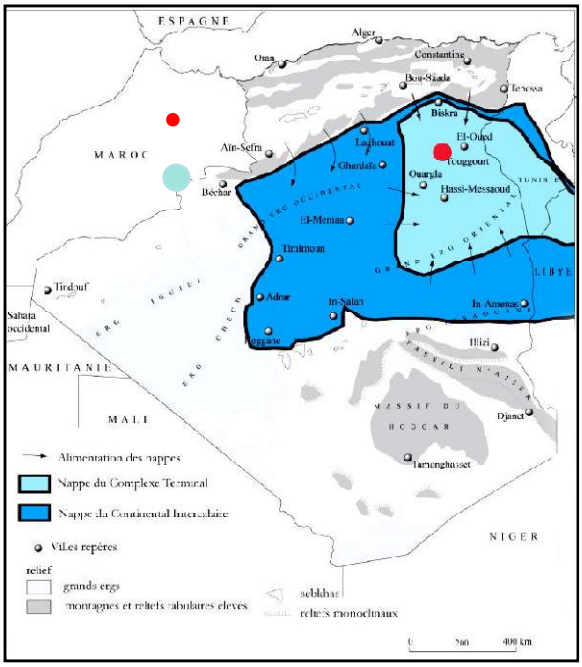

الشكل (IV-5): غنى بسكرة بالمياه الجوفية.

المصدر:(Kouzmine ; Y ; 2007).

4)-4- المنـــــــاخ:

4)-4-1- الحرارة:

يمتاز مناخها بصيف حار وشتاء جاف وتتداولها منطقتان مناخيتان أولاهما ذات مناخ قاري متوسطي يغطي الهضاب العليا والأطلس الصحراوي، والثانية مناخها صحراوي وتتميز الحرارة بالارتفاع النسبي خلال الأشهر الخمسة الممتدة من شهر ماي إلى شهر سبتمبر من السنة وتكاد الفروق بين درجتي حرارة الليل والنهار تختفي سيما في فصل الصيف، أما في فصل الشتاء فتنخفض الحرارة كثيرا في بعض الأحيان (سُجلت 02°م تحت الصفر في جانفي 1976م)، كما سُجلت درجات قصوى وصلت إلى 47°م في شهري جويلية وأوت.

الشهر درجة الحرارة	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
المتوسطة	11,2	13,3	15,4	19,1	24,6	30,3	36	32,3	27,7	20,7	15	12,4	23,2
القصوى	19,9	23,9	27,4	32,9	36,9	42,1	45,4	44,0	39,4	32,8	25,5	22,3	32,7
الدنيا	3,0	3,1	4,0	7,3	11,8	18,3	26,6	21,1	16,3	9,6	5,6	3,5	12,7

الجدول (IV-1): معدلات درجات الحرارة بإقليم بسكرة.

المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة –الحوصلة السنوية 2002.

البيان (IV-1): معدلات درجة الحـرارة

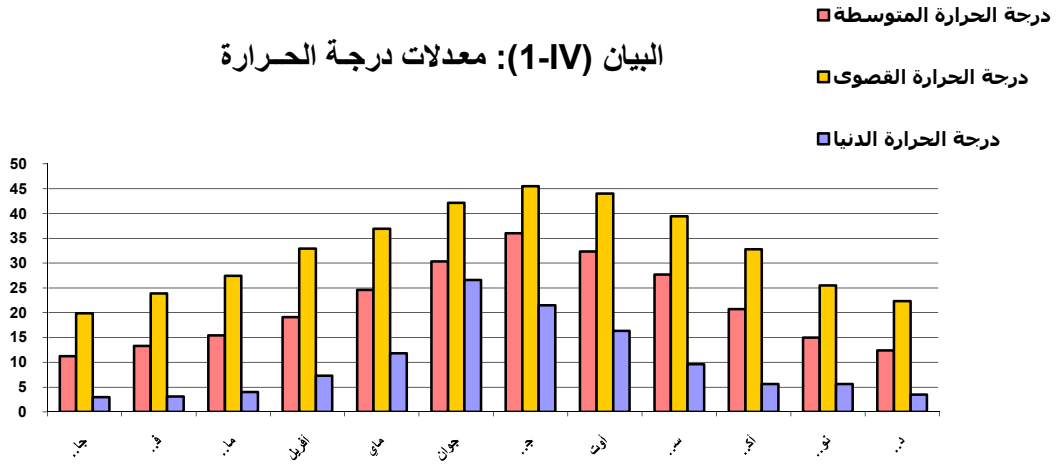

4)-4-2- الرياح: ويهيمن في المدينة نوعان من الرياح:

- الأولى: شمالية غربية تتراوح سرعتها بين 06-12م/ثا شتاء محملة بالرطوبة أحيانا، وسُجلت سرعتها القصوى في الأشهر جانفي، ماي، جوان.

- الثانية: جنوبية شرقية، وهي الأكثر هيمنة مقارنة بالأولى إلا أنها تحمل الكثير من الخطورة على النشاط الزراعي والمباني لكونها تهب وهي محملة بالأتربة، كما تهب رياح أخرى ضعيفة من الجهتين الشرقية والجنوبية الغربية.

الشهر قوة الرياح(م/ثا)	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المعدل السنوي
الرياح لقصوى	20,4	13,2	16,4	16,6	22,2	21	16,9	15,9	17,6	15	14,5	16,7	17,2
الرياح الدنيا	3,7	4,5	4,7	4,6	4,6	4,6	3,5	4,0	4,0	3,6	3,1	3,0	3,9
عـــدد الأيام	1	2	4	5	4	5	2	2	2	2	1	1	31

الجدول (IV-2): معدلات قوة الرياح بإقليم بسكرة.

المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة – الحوصلة السنوية 2002.

البيان (IV - 2): معـدل قوة الريـــاح بإقليم بسكرة

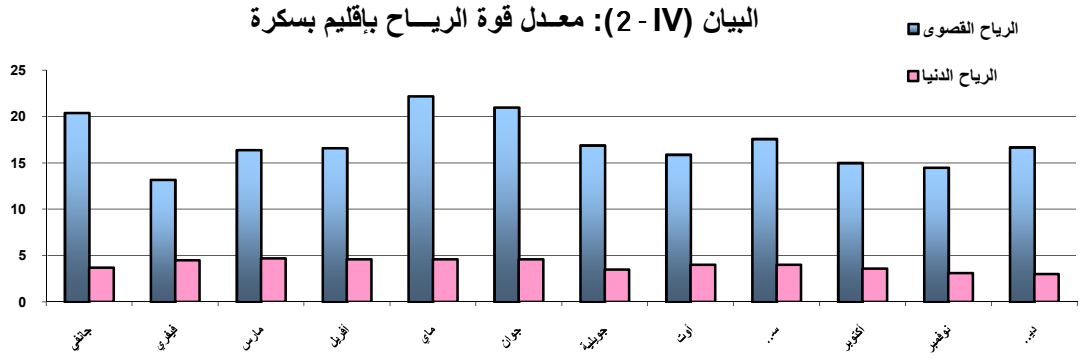

4)-4-3- التساقط: وتصنف بسكرة ضمن المناطق التي لا يتجاوز التساقط بها 200ملم/سنويا عدا بعض السنوات الاستثنائية، حيث يبقى منخفضا فقد بلغ حوالي 140ملم/سنويا في المدة الأخيرة أي ما يعادل حوالي 30 يوما ممطرة سنويا.

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
المعدل الشهري(ملم)	0,6	2,8	10,9	22,1	1,5	0,4	0,0	0,1	36,1	3,0	0,1	21,2	98,8

الجدول (IV-3): معدلات التساقط بإقليم بسكرة.

المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة – الحوصلة السنوية 2007.

السنة	88	89	90	91	92	93	94	95	96	97	98	99	2000	01	02	03	04	05	06	07
كمية الأمطار	83	82	194	133	201	103	156	90	153	155	51	190	55	88,8	39,6	159	294,1	58,8	173	98,8
أيام التساقط	38	26	51	42	45	28	33	33	41	47	23	51	16	27	32	38	44	41	30	22

الجدول (VI-4): كميات التساقط بإقليم بسكرة لمدة 20 سنة.

المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة – الحوصلة السنوية 2007.

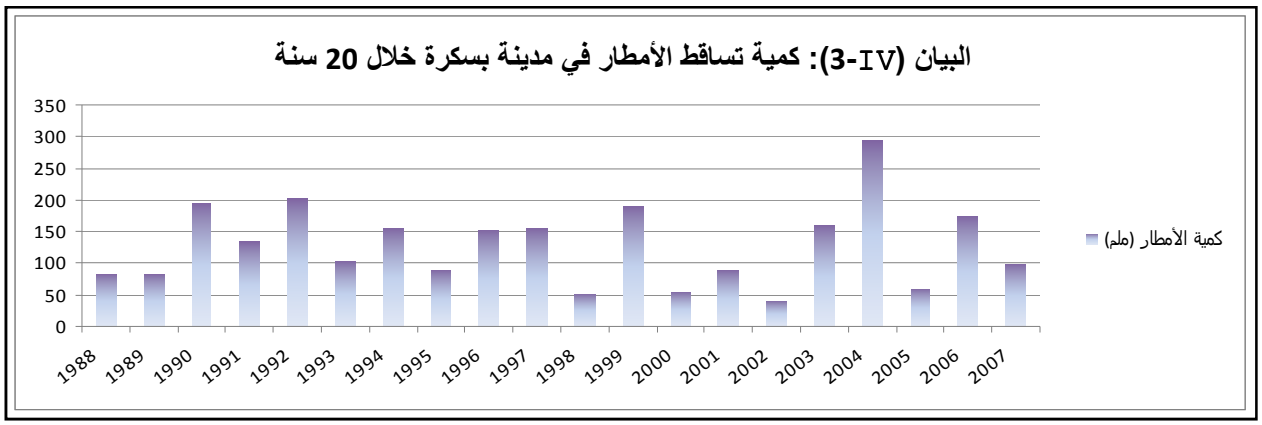

الشهر	جانفي	فيفري	مارس	أفريل	ماي	جوان	جويلية	أوت	سبتمبر	أكتوبر	نوفمبر	ديسمبر	المجموع
(% الرطوبة)	58	50	43	50	33	24	27	29	42	43	45	49	41,1

الجدول (IV-5): نسبة الرطوبة بإقليم بسكرة.

المصدر: مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة – الحوصلة السنوية 2007.

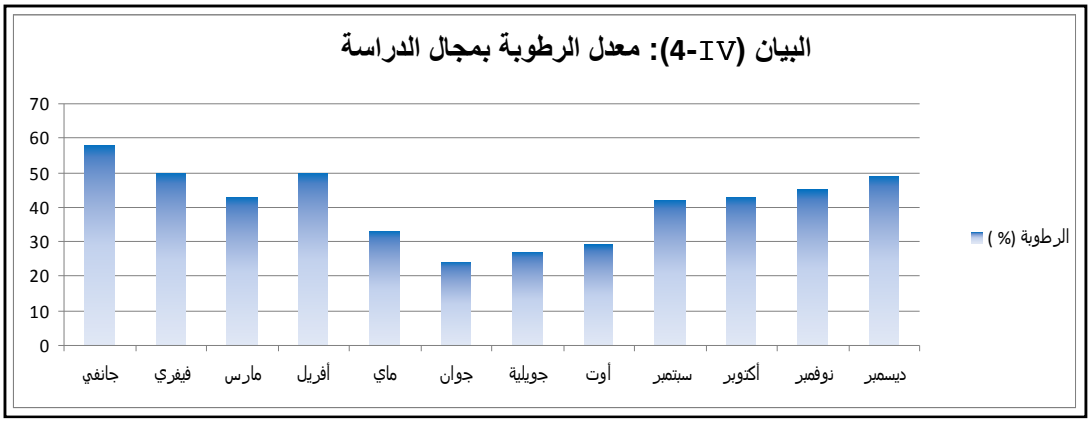

4)-5- السكـــــــان:

قدرت مديرية التخطيط لولاية بسكرة والديوان الوطني للإحصاء أن بسكرة تعرف زيادة طبيعية تقدر بنسبة 3,20%، وتشير الإحصائيات أن للتيارات النازحة نحو المدينة مساهمة كبيرة وبالغة في ارتفاع هذه النسبة وخاصة عقب الاستقلال تزامنا مع النمو والتطور السريعين اللذين تعرفهما المدينة، كما أن الإحصائيات الملخصة في الجدول (06) تشير إلى أن عدد السكان قد تضاعف أكثر من مرة خلال (40) عاما، ويدل ذلك على أن المدينة كانت تعج بالسكان دليل إعمارها ونشاطها قبل وصول الاستعمار الفرنسي ودخوله أراضيها، وهذا ما يؤكده قول العياشي أنه في القرن السابع عشر (17) أي سنة 1650م عرفت المدينة وباء الطاعون فكان عدد الضحايا 7000 ضحية، وحسب مصادر أخرى فإن عدد القتلى كان 7100 قتيل.

السنة	1845 (1)	1954 (1)	1966 (1)	1977 (1)	1987 (1)	1991 (1)	1995 (1)	1998 (1)	2008 (2)
السكان	4000	52511	53177	90471	128924	150395	172795	178064	200654

الجدول (IV-6): نمو سكان مدينة بسكرة في الفترة 1845-2008.

المصدر: الباحث عن:

(1) الديب، ب، 2001.

(2) مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية لولاية بسكرة – الحوصلة السنوية 2007.

البيان (IV-5): نمو سكان مدينة بسكرة في الفترة 1845-2008

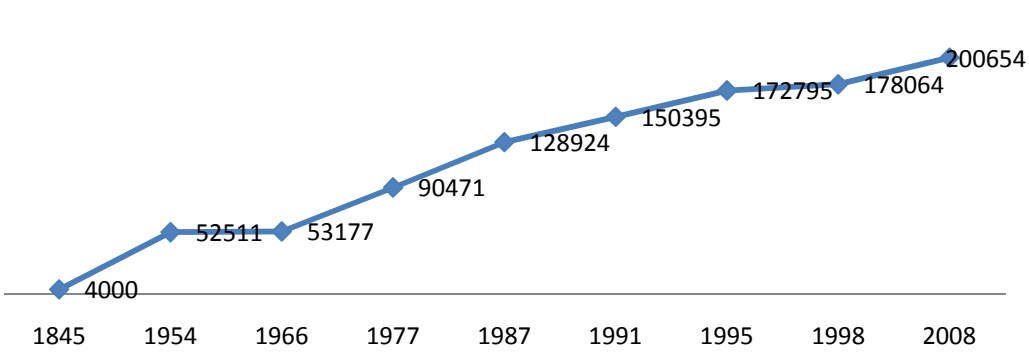

البلديـات	معـــــدلات النمـــو		
	1987-1977	1998-1987	2008-1998
بسكـرة	3,66	2,7	1,50

الجدول (IV-7) : معدل النمو للسنوات (87-1998) ،(1998 -2008)

المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانيـة 2008.

وتشير الإحصائيات أنه تغلب على المجتمع البسكري الفئة الشبابية حيث تمثل هذه الأخيرة أكثر من 50% من مجموع السكان، ويمكن تقسيم السكان كما يلي:

الفئات العمرية	ذكور	إناث	المجموع
0-5سنوات	13040	12618	25658
6-11 سنة	12671	12310	24981
12-15سنة	9209	8838	18047
16-18سنة	7074	6713	13787
19-59 سنة	52947	52485	105433
60+ سنة	6119	6631	12749
المجموع	101060	99594	200654

الجدول (IV-8): الفئات العمرية الأساسية لبلدية بسكرة لسنة 2008.

المصدر : تقديرات مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

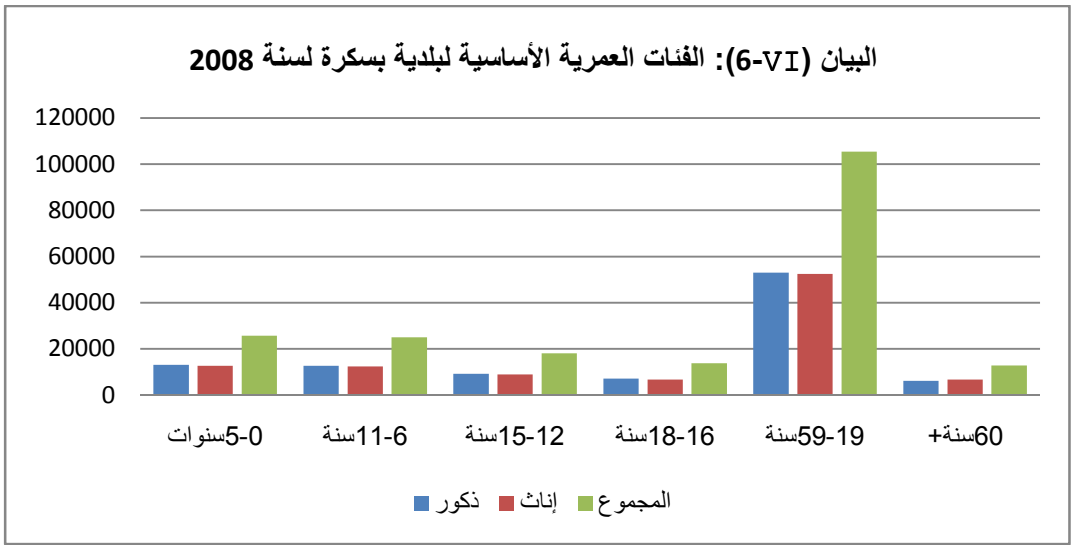

وبدراسة التركيب النوعي نلاحظ بأنه لا يوجد اختلاف كبير بين عدد الذكور وعدد الإناث بحيث تمثل نسبة الذكور 50,37 %من مجموع السكان ونسبة الإناث 49,63% كما يوضح حساب نسبة التنوع على مستوى البلدية والمقدرة بـ 0,98 أي أن كل (98) أنثى يقابلها (100) ذكر.

4)-6- المعطيات الاقتصادية:

بعد التقسيم الإداري الذي جاء سنة 1974م وصدور القانون المتضمن تقليص مساحة الولاية بغية تمكينها من التسيير الجيد والمحكم والمتماشي مع إمكانياتها أصبحت بسكرة بموجبه ولاية تتمتع بكامل الصلاحيات والتي ساهمت في جعل الولاية تستجيب لكل احتياجات سكانها وتضمن كل الخدمات والمتطلبات الضرورية لهم.

في سنوات الستينات وصل عدد السكان العاملين ببسكرة 22000 عامل يمارس ربعهم النشاط الفلاحي، لكن ومع إدراج بسكرة ضمن الولايات المسيرة ذاتيا بدأت هذه النسبة في التناقص التدريجي لتصل في سنة 1983م إلى نسبة (12,4%)، ومن أسباب هذا التناقص هو عدم مبالاة السكان في التنصل من مهنة الفلاحة بالتدريج وترك عقاراتهم أو بيعها أضف إلى ذلك تدعيم الولاية ببعض المشاريع الهامة التي توفر أجرا منتظما ومستمرا للفرد، هذا كله بغية تحقيق التوازن وإعادة كفة الاختلال إلى مدارها بين الشمال والجنوب والحد من نزيف الهجرة الريفية نحو المدن الشمالية، ولقد برزت الوحدات الصناعية الأولى شمال المدينة في بداية السبعينات بجوار السكة الحديدية، ثم عرفت بعد ذلك قفزة نوعية مع ظهور وحدات هامة أخرى من حيت الطاقة وحجم الطبقة العاملة على غرار وحدة إنتاج الكوابل (ENICAB) التي تشغل 1232 عاملا، ووحدة النسيج (ELATEX) التي يعمل بها 828 عاملا، كما شهد قطاع البناء أيضا تطورا ملحوظا في هذه الآونة ليتوسع إلى مقاولات عمومية (وطنية وولائية وبلدية) والى مقاولات خاصة كان لها الدور المهم في امتصاص حجم لا بأس به من اليد العاملة.

ولقد عرف القطاع الثالث المتمثل في الخدمات والتجارة نشاطا ملحوظا هو الآخر في هذه الآونة حيث نشطت المدينة كمركز إداري هام في المنطقة ككل ويُرجع الكثير من الباحثين السبب في هذا التطور إلى القفزة المسجلة في القطاعين المذكورين سابقا، إضافة إلى تدعيم المدينة بمشاريع كبرى لعل أهمها هو الجامعة التي أصبحت تمتص الدفعات الهائلة من الشباب الذين كانوا ينزحون إلى المدن الجامعية الأخرى.

المتغيرات البلديات	عدد السكان	النشطين	عدد المشتغلين	عدد المشتغلين فعلا	معدل النشاط الخام (%)	عدد البطالين	معدل البطالة (%)	معدل الإعالة (%)
بسكرة	200654	105433	51319	30299	25,58	11109	10,54	9,03

الجدول (IV-9): التركيب الاقتصادي لبلدية بسكرة لسنة 2008.

المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

وقد ذكرت المصالح المختصة في الإحصاء أن 6,65% من مجموع الكتلة العاملة ينشطون ضمن القطاع الأول، بينما 17,90% منهم ينشطون ضمن قطاع البناء والأشغال العمومية، وان 13,05% ينشطون ضمن قطاع الصناعة، في حين أن 62,40% ينشطون ضمن القطاع الثالث، والجدول رقم (10) يوضح النسب بالأرقام:

القطاعات / البلديات	الفلاحة		البناء و الأشغال العمومية		الصناعة		القطاعات الأخرى		المجموع	
	العدد	النسبة (%)	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)	العدد	النسبة(%)
بسكرة	3507	6,65	9439	17,90	6881	13,05	32906	62,40	52733	100

الجدول (IV-10): توزيع اليد العاملة في مختلف القطاعات لسنة 2007.

المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

البيان (IV - 7): توزيع اليد العاملة في مختلف القطاعات

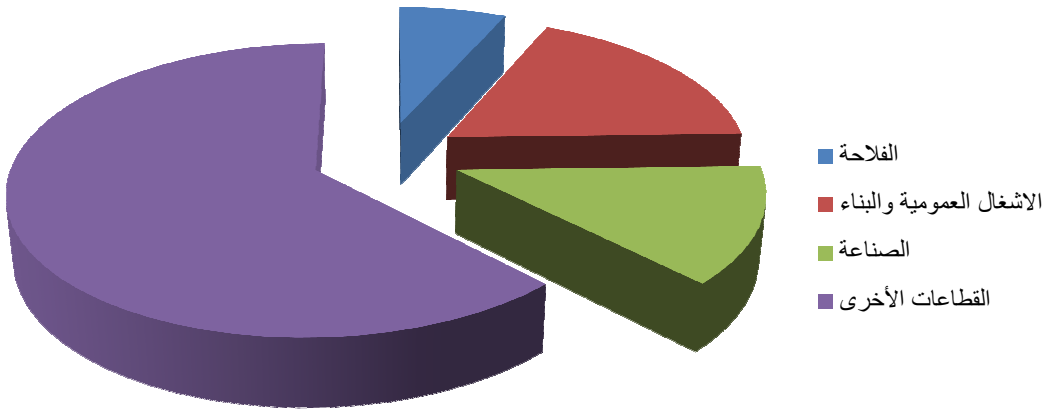

4)-7- واقع الحظيرة السكنية والبنية التحتية والمرافق العامة بالمدينة:

4)-7-1- واقع البنية التحتية:

استنادا إلى ما جاء في الإحصاء العام للسكان والسكن الصادر عن الديوان الوطني للإحصاء للولاية والأرقام المقدمة ضمن المخطط العمراني التوجيهي في مرحلته الأولى لسنة 2010م يمكننا استخلاص واقع البنية التحتية للحظيرة السكنية بمدينة بسكرة والتي يمكن تلخيصها كالآتي:

* شبكة الصرف الصحي:

تغطي مدينة بسكرة شبكة للصرف الصحي ذات نمط أحادي قديمة الإنجاز في معظمها ويعود أقدمها إلى الفترة الاستعمارية، الشبكة ذات أقطار تتراوح ما بين 300 و 1500 ملم من الإسمنت المضغوط أو الإسمنت المسلح و منها ما هو مجدد في السنوات الأخيرة من مادة البلاستيك (PVC) للأقطار (315،400) ملم.

مجمعات الصرف الصحي تنتهي إلى أودية تصب فيها مباشرة دون تصفية هذا في الوقت الحالي هذه المصبات تتمثل في:

* مصب واد زمر وهو موجود غرب حي سيدي غزال تنتهي إليه مياه الصرف الصحي للجهة الغربية لمدينة بسكرة المجمع الرئيسي لهذا المصب بقطر رئيسي 1100مم وتنتهي إليه مقاطع أخرى بأقطار تتراوح ما بين (400 إلى 1000)مم.

* مصب واد سيدي زرزور الغربي، تنتهي إلى كل مصبات مدينة بسكرة الواقعة غرب واد سيدي زرزور وهي كالتالي:

- مجمع بقطر 1000مم ثم 800مم ثم 700مم ثم 500مم ثم 400مم موازي لحافة واد سيدي زرزور الغربية تتفرع عنه مجمعات ثانوية بأقطار تتراوح بين (400 و300)مم.

- مجمع بقطر 1500مم موازي للطريق المعبد المار جنوب حي لبشاش يتفرع عنه مجمع يخترق حي لبشاش وصولا إلى مفترق الطرق عند المدخل الرئيسي (حس برج الترك) بقطر 1000مم ثم إلى قطر 700مم بحي مجنيش وحي الدرومان والزيتونة و قطر(900 و500)مم بحي باب الضرب ،كما يتفرع عن المجمع الرئيسي 1500مم مجمعان بالطريق الوطني رقم 03(طريق تقرت)، الأول بقطر 1200مم ثم 800مم بشارع الزعاطشة والثاني بقطر 1100مم ثم إلى قطر (500 و400)مم لصرف المياه المستعملة لأحياء وسط المدينة.

- مصب واد سيدي زرزور الشرقي تنتهي إليه مياه الصرف الصحي لحي فلياش.

- 03 مصبات مؤقتة تصب بشعاب موجودة جنوب الطريق الرابط بين بسكرة و بلدية شتمة حيث هناك غابات النخيل والأراضي الفلاحية، المجمعات الرئيسية لهذه المجمعات ذات أقطار (1500، 1200، 1100، 800 ...400)مم.

* شبكة التزويد بالمياه الصالحة للشرب:

تنقسم شبكة التزويد بالمياه الصالحة للشرب في بسكرة إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

- القسم الأول (وسط بسكرة):

محدود بحافة واد الحي (واد سيدي زرزور) من الجهة الشرقية إلى خط السكة الحديدية الذي يمر وسط المدينة من الجهة الغربية ،هذا الجزء من الشبكة هام جدا كونه يغطي جزء لا بأس به من الأحياء بمدينة بسكرة جرت به عدة تحديثات مست الشبكة الرئيسية و بعض الأزقة التي كانت تعاني مشكل التزويد بمياه الشرب.

- القسم الثاني (المنطقة الغربية بسكرة):

محدود بخط السكة الحديدية من الجهة الشرقية إلى غاية طريق المعدات الثقيلة الرابط بين الطريق الوطني رقم 03 والطريق الوطني رقم 46، هذا القسم يضم منطقة النشاطات بالجهة الشمالية والمنطقة الصناعية بالجهة الجنوبية.

- القسم الثالث (العالية):

هذا القسم هو الواقع شرق واد سيدي زرزور بما في ذلك منطقة الحظائر والجامعة وفلياش جنوبا، شبكة التوزيع ذات نمط مختلط بأقطار ما بين (200-400)مم بالنسبة للشبكة الرئيسية في حين الشبكة الثانوية والثالثية أقطارها ما بين (63 - 150)مم.

كما تم تجديد قناة المياه الصالحة للشرب إنطلاقا من مفترق الطرق عند مقهى زهانة وصولا إلى مفترق الطرق عند إكمالية العالية الشرقية.

التجمع	الآفاق	عدد السكان	الاحتياج اليومي للسكان	Qmoyj H ل/ثا	Qmoy maj ل/ثا	Kj	Qmaxj ل/ثا	Qmaxj م3/يوم	Kp	Qp ل/ثا	Qeu ل/ثا
بسكرة	2008	200654	180	418,03	522,54	1,3	679,30	58691,30	1,64	859,15	687,32
	2013	216161	180	450,34	562,92	1,3	731,80	63227,09	1,64	920,78	736,63
	2018	236328	200	547,06	683,82	1,3	888,97	76806,60	1,62	1109,91	887,92
	2028	288082	200	666,86	833,57	1,3	1083,64	93626,65	1,60	1334,87	1067,90

الجدول (IV-11): تقدير احتياجات السكان والمرافق.
المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

الآفاق	السعة اللازمة (م3)	السعة الموجودة (م3)	السعة المقترحة (م3)
2008	14792,82	21000	/
2013	15926,77	26000	/
2018	19321,65	,,	/
2028	23526,66	,,	/

الجدول (IV-12): تقدير احتياجات التخزين.
المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

* شبكة الكهرباء:

تعد التغطية بخطوط الكهرباء في حالة ممتازة كما هي موضحة في الجدول (13):

البلدية	الحضرة السكنية	عدد المساكن المزودة	نسبة التزويد(%)
بسكرة	44644	43997	98,55

الجدول (IV-13): وضعية تغطية البلدية بشبكة الكهرباء.
المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

* شبكة الغاز:

إن ما يميز المدينة هو عبور أنبوب الغاز سونلغاز الذي يمر بالبلديات التالية : بسكرة - الحاجب، أما عن شبكة التوزيع فهي موضحة بالجدول (14):

البلديــة	الحظيرة السكنية	عدد المساكن المزودة	نسبة التزويد
بسكرة	44644	35876	80,36

الجدول (IV-14): وضعية تغطية البلدية بشبكة الغاز.
المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانية 2008.

* شبكة الطرق:

تضم المدينة شبكة مهمة من الطرق تربط مختلف تجمعاتها العمرانية بعضها ببعض، كما تربط المدينة بحد ذاتها مع باقي الإقليم، وهي موزعة بمختلف أنواعها الوطنية، الولائية والبلدية وغير المصنفة على المدينة ككل كما هي موضحة بالجدول (15):

البلدية		شبكة الطــرق						
		طرق وطنية	طرق ولائية	طرق بلدية	طرق معبدة	طرق غير معبدة	المجموع	كثافة الطرق
بسكـرة	الطريق الوطني رقم (03)	39,30	-	16	16	-	16	0,12
	الطريق الوطني رقم (46)							
	الطريق الوطني رقم (83)							
	الطريق الوطني رقم (31)							

الجدول (IV-15): وضعية شبكة الطرق.
المصدر : مديرية التخطيط و التهيئة العمرانيـة 2008.

* شبكة الهاتف:

الإحصائيات مدونة في الجدول (16):

البلديـات	عدد المراكز	استطاعة المركز	عدد المشتركين	هاتف لكل 100 ساكن
بسكرة	06	35088	20550	10,04

الجدول (IV-16): وضعية شبكة الهاتف.
المصدر : اتصالات الجزائر 2008.

4)-7-2- واقع المرافق العمومية:

في الواقع أن أغلب المقاربات التي تناولت تعريف السكن اعتبرت أن المرافق ذات الاحتياجات الأولية تتموضع مدمجة مع السكن، وهذا التموضع هو الدافع الأساسي لعمليات الهجرة من الريف نحو المدينة والذي يؤدي إلى ازدياد الطلب وولادة أشكال مختلفة من المساكن الغير شرعية، ومنه كان لزاما علينا إعطاء ولو لمحة موجزة عن واقع المرافق العمومية بالمدينة.

* المرافق التربوية:

تضم بلدية بسكرة لوحدها الأغلبية الساحقة من تعداد المرافق التربوية المتواجدة ضمن تراب البلدية ككل عبر كافة المراحل والأطوار الأساسية والتقنية والثانوية ومرافق التكوين المهني، ويمكن تلخيص ذلك ضمن الجداول الآتية:

الأطوار / البلديات	الطور الأول و الثاني			الطور الثالث			الثانوي		
	عدد المدارس	المتمدرسون	معدل شغل القسم	عدد الإكماليات	المتمدرسون	معدل شغل القسم	عدد الثانويات	المتمدرسون	معدل شغل القسم
بسكرة	67	28079	37	29	18859	44	12	7738	30

الجدول (IV-17): معدلات التمدرس بمدينة بسكرة.
المصدر : مديرية التربية والتعليم لولاية بسكرة 2007-2008.

المراكز الموجودة		طاقة الاستيعاب	الاختصاصات المفتوحة	عدد الأساتذة	عدد المتربصين فعلا
بسكـرة	م.و.م في التكوين المهني	400	17	28	1411
	مركز العالية	250	13	18	715
	مركز أحمد قطاني	300	08	11	533
	مركز فضيلة سعدان	250	16	18	972
	مركز لبشاش	300	08	04	158

الجدول (IV-18): مراكز التكوين المهني بمدينة بسكرة.
المصدر : مديرية التكوين المهني لولاية بسكرة 2008.

أضف إلى كل هذا المرافق الأخرى ذات المستوى الجامعي مثل جامعة محمد خيضر، ومركز التكوين الشبه طبي الذي يلبي الاحتياجات على المستوى الجهوي.

* المرافق الصحية:

تضم المدينة مجموعة من المرافق الصحية تتركز معظمها في مقر الولاية بلدية بسكرة خاصة المستشفيات والتي لها مجال تأثير واحد بحيث تخدم مجال الدراسة و تتعداه لتخدم الولاية ككل وهي غير كافية لتلبية الخدمات التي يحتاجها السكان خاصة المتواجدين بالمناطق البعيدة عن مراكز البلديات، نفس الشيء بالنسبة للأطباء والصيادلة.

البلديات	مؤسسات عمومية استشفائية متخصصة				مجمعات صحية		قاعات العلاج
	العدد	الأسرة	العدد	الأسرة	العدد	الأسرة	
بسكرة	02	472	02	131	06	-	08

الجدول (IV-19): المرافق الصحية المتواجدة بمدينة بسكرة.
المصدر : مديرية الصحة لولاية بسكرة 2008.

وما يلاحظ أن المرافق التربوية والصحية تأخذ مظهرا ومكانا داخل الأحياء والأنسجة السكنية دون منطق محدد أو تقسيم معتبر يأخذ ويراعي حجم أو شكل الأحياء المكونة للإطار العمراني للمدينة.

* المرافق الترفيهية والرياضية والثقافية:

كحـال جميع المرافق تتركز أهم المرافق الثقافية والرياضية وكذا الترفيهية في مركز المدينة غير أنها ليست بالعدد المطلوب وهذا ما يشكل عجزا ،فيما يسجل القطب بسكرة ضغطا على مرافقه التي لا تعد هي الأخرى ملبية لحاجيات السكان ولا تفي بالغرض المحدد لها.

البلديات	المراكز الثقافية	المرافق الرياضية	المرافق الترفيهية
بسكرة	دار الثقافة مركز ثقافي 04 مكتبات بلدية متحف بلدي	03 دور شباب بيت الشباب 02 ملاعب بلدية 11 ملعبا جواريا	مسبح أولمبي مسبح نصف أولمبي

الجدول (IV-20): المرافق الرياضية والترفيهية والثقافية المتواجدة بمدينة بسكرة.
المصدر : مديرية التخطيط والعمران لولاية بسكرة 2008.

* المرافق الدينية:

تتوفر المدينة على عدد لا بأس به من المرافق الدينية المتمثلة في المساجد وقاعات الصلاة والمدارس القرآنية، ويمكن تلخيصها في الجدول (21):

البلديـة	عدد المساجد	عدد قاعات الصلاة المرخصة	عدد المدارس القرآنية
بسكـرة	61	04	02

الجدول (IV-21): المرافق الدينية المتواجدة بمدينة بسكرة.

المصدر : مديرية التخطيط والعمران لولاية بسكرة 2008.

* المرافق السياحية:

تضـم المدينة مجموعة من الفنادق تخدم السياحة بالمنطقة تتمركز أغلبها بمقر البلدية، بالإضافة إلى مجموعة من المطاعم السياحية المصنفة ووكالات السفر والسياحة والحمامات المعدنية على غرار حمام الصالحين.

البلديـــة	الفنــدق	الرتبـة	قدرة الاستيعاب
بسكـرة	فنـدق الزيبان	03 نجوم	196
	فندق حمام الصالحين	03 نجوم	398
	فندق نسيب	02 نجوم	75
	فندق عابدي	01 نجمة	73
	فندق سلامي	01 نجمة	58

الجدول (IV-22): الفنادق المصنفة بمدينة بسكرة.

المصدر : مديرية السياحة لولاية بسكرة 2008.

البلديـــة	الفنــدق	قدرة الاستيعاب
بسكـــرة	نزل الحاج الشاوي	73
	فندق ذياب أحمد	57
	فندق دار المعلم	68
	نزل المنصور	36
	نزل الراحة	45
	نزل الراحة لعمال البريد و المواصلات	118

الجدول (IV-23): الفنادق الغير مصنفة بمدينة بسكرة.

المصدر : مديرية السياحة لولاية بسكرة 2008.

نضيف إلى ذلك مناطق التوسع السياحي بكل من مقر بلديتي بسكرة والحاجب وهي على الترتيب:

- منطقة التوسع السياحي ببسكرة(Z.E.T1) بمساحة 244,28 هكتارا.
- منطقة التوسع السياحي بعين بن النوي(Z.E.T2) بمساحة 34,45 هكتارا.
- منطقة التوسع السياحي بالحاجب(Z.E.T3) بمساحة 10,30 هكتارا.

4)-7-3- واقع الحظيرة السكنية:

وتجد الإشارة في بداية هذا العنصر إلى التحول والزيادة الكمية الكبيرة لتعداد السكنات في بسكرة، هذا العنصر العمراني الذي شهد تحولا كبيرا وهذا منذ الاستقلال، ففي سنة 1945م كانت بسكرة تضم 2453 مسكنا مقسمة على النحو التالي:

- 516 مسكنا استعماريا.
- 1937 مسكنا بلديا أي بطراز محلي.

ومنذ سنة 1945م إلى سنة 1966م أي بمجال زمني قدره (21) عاما عرف إيقاع الزيادة السكنية في بسكرة قفزة قدرت بحوالي 170 وحدة سكنية لكل سنة وهذا حسب إحصائيات أرشيف بلدية بسكرة، أي أنها وصلت سنة 1966م إلى 6053 مسكنا بأنماط مختلفة كالآتي:

- 2210 مسكنا بطابع محلي منجزة بالطوب من مادة الطين.
- 3843 مسكنا استعماريا جماعيا وفرديا.

والمتأمل الجيد يلحظ أن الزيادة الأكبر كانت على مستوى السكنات الاستعمارية مقارنة بنظيرتها المحلية وهذا بسبب السياسة الاستيطانية التي كان يتبعها الاستعمار الفرنسي وقتئذ، أما عن مستوى الرفاهية ضمن هذه المرافق في ذلك التاريخ فيمكن القول عنه أنه كان في حالة جد متدنية فحسب الإحصائيات المسجلة من طرف الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 1966م (RGPH66) أشارت إلى أنه 8% فقط من مجموع الحظيرة السكنية تعتبر مجهزة بكل مرافق الرفاهية.

ولقد وصل تعداد المساكن ببلدية بسكرة حسب تقديرات الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 1987م إلى 21806 مسكن، في حين أنه في السنوات الست التالية شهدت الحظيرة السكنية تطورا في الجانب الوظيفي حسب إحصاءات مديرية العمران والبناء والسكن المدونة ضمن الجدول (24):

السنوات	1987	1988	1989	1990	1991	1992	1993
السكن الاجتماعي	616	362	464	263	35	310	453
السكن الترقوي	0	14	0	0	98	299	346
المجموع	616	376	464	263	133	609	799

الجدول (IV-24): المساكن المنجزة ببلدية بسكرة في الفترة 93/87.

المصدر: مديرية العمران والبناء والسكن.

وهذه السكنات كانت نتاجا لقرارات قانون الاحتياطات العقارية لسنة 1974م، أما عن طريقة التقويم والإحصاء فكانت تتم اعتمادا على ما تدلي به المصلحة التقنية لمديرية العمران والبناء والسكن عن طريق رخص البناء المستخرجة من طرفها، وقد سجلت في تلك الفترة وضمن هذا القطاع وجود 07 تقسيمات ترابية تضم في مجموعها 2510 تحصيصة و49 تعاونية مؤلفة من 2550 تحصيصة.

هذه الطريقة في التقويم أعطت في الفترة الممتدة بين سنتي 1987م و1994م ما قيمته 3954 رخصة بناء تشكل وحدات سكنية اعتمادا على فرضيات مديرية العمران والبناء والسكن.

وتجدر الإشارة إلى أن أغلبية المساكن غير متواجدة فعليا على ارض الواقع وقتئذ وذلك لأن المستفيدين لم يمكنهم انجاز مساكنهم في مدة ثلاث (03) سنوات المفروضة حسب تعاليم رخصة البناء، كما أفادت الأرقام الإحصائية عن وجود 25274 مسكنا ببسكرة في نهاية سنوات 1993م لتبلغ 31396 مسكنا في سنة 2008م.

4)-7-3-1- معامل شغل المسكن:

بعرض معامل شغل المسكن بمدينة بسكرة للثلاثينية الأخيرة من القرن الماضي ومقارنتها بمعامل شغل المسكن الوطني نجده دوما أقل من المعامل الوطني ويرجع هذا إلى انجاز برنامج السكن الجماعي الممنوح للمدينة عقب ترقيتها إلى مصاف الولايات، ثم شهد هذا المعامل ارتفاعا في الفترة بين 1987م و1993م بقيمة (0,2) لكنه ظل دوما أقل من المعامل الوطني.

السنوات	المعامل المحلي لشغل المسكن	المعامل الوطني لشغل المسكن
1966	6.6	6.7
1977	6.6	7.8
1987	6.1	6.7
1993	6.3	7.2

الجدول (IV-25): مقارنة معامل شغل المسكن لمدينة بسكرة بمعامل شغل المسكن الوطني في الفترة 93/66.

المصدر: علقمة جمال 1995.

هذا الارتفاع في المعامل يُنبأ بتفاقم أزمة السكن خصوصا مع التأخر الملحوظ في انجاز برامج السكن الاجتماعي في الفترة الممتدة بين سنتي 1987م و1993م والتي شهدت زيادة طبيعية جد مرتفعة، أضف إلى ذلك الوفود المهاجرة نحو المدينة التي تعد قطبا جهويا مما أدى إلى الارتفاع المفرط في قيمة معامل شغل المسكن والذي جاوز سنة 1998م المعامل الوطني (5,2ن/م)، ثم يعود بعد ذلك إلى الانخفاض سنة 2008م ويُرجع المختصون هذا التناقص إلى تخلي المجتمع البسكري عن فكرة المسكن الكبير.

البلدية	إحصاء 1998			إحصاء 2008		
	عدد السكان (نسمة)	عدد المساكن الإجمالي (مسكن)	معدل شغل المسكن نسمة /مسكن	عدد السكان (نسمة)	عدد المساكن الإجمالي (مسكن)	معدل شغل المسكن نسمة /مسكن
بسكـــرة	172905	24519	7,05	200654	31396	6,39

الجدول (IV-26): تطور الحظيرة السكنية لمدينة بسكرة.

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكن لسنتي 1998/2008م.

البلديـــة	نوع التجمع	عدد السكان (نسمة)	عدد المساكن	معدل إشغال المسكن (ساكن/مسكن)
بسكـرة	التجمع الرئيسـي	199667	30972	6,44
	التجمعات الثانوية	-	-	-
	المناطـق المبعثرة	987	148	6,67
	المجمـوع	200654	31120	6,45

الجدول (IV-27): التوزيع المجالي للمساكن حسب التجمعات السكانية.

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكن لسنة 2008م.

وتجدر الإشارة إلى أن معامل شغل المسكن يحسب بناء على فرضيات عامة لا تأخذ في اعتبارها الحالة الحقيقية للحظيرة السكنية كالمساكن المهددة بالانهيار وتلك القابلة لإعادة البناء والترميم وقد تم إحصاء 2584 مسكنا باليا مهدما و3025 مسكنا آخر في حالة حرجة يستدعي التدخل العاجل، كذلك والجدول أدناه يتضمن مجموعة المساكن الاجتماعية الموضوعة قيد الطلب مصالح ديوان الترقية والتسيير العقاري (O.P.G.Iلدى) في الفترة بين سنتي 1993/1985م.

السنوات	1985	1986	1987	1988	1989	1990	1991	1992	1993
العدد المطلوب	3329	3839	4075	2054	2760	1667	1219	1057	953

الجدول رقم (IV-28): تعداد المساكن المطلوبة بين سنتي 1993/1985م.
المصدر: ديوان الترقية والتسيير العقاري ببسكرة.

وفي الجدول (29) يتضح لنا أن معامل شغل المسكن ببسكرة ورغم كل الجهود إلا أنه ظل واحدا من أكبر المعاملات على الصعيد الوطني مقارنة بالمدن الكبرى الجزائرية.

المدينة	بسكرة	الجزائر	قسنطينة	وهران	بجاية	مستغانم
معامل شغل المسكن	6,3	7,6	7,2	6,5	6,1	6,0

الجدول رقم (IV-29): مقارنة مدينة بسكرة بكبريات المدن الجزائرية.
المصدر: الديوان الوطني للإحصاء.

هذه الوضعية تؤدي إلى إحداث نوع من الاكتظاظ السكاني وزيادة عدد المساكن الهشة وعدم انسجام وتوافق الجزء الأكبر من الحظيرة السكنية مع بيئتها ومحيطها والذي يؤدي في محصلة الأمر إلى تحولات تمس مختلف القطاعات الاقتصادية التي تثير اضطرابات في نمط استهلاك المجال وطريقة إنتاج البيئة الحضرية بسبب عدم مبالاة السكان في كيفية انجاز المساكن وإنما يقتصر تفكيرهم فقط في مجرد الحصول على مسكن.

المراحـــــــل	المساحة في كل مرحلة (هـ)	الزيادة في المساحة (هـ)
ما قبـــل 1541	31,41	-
1680 -1541	44,31	12,90
1844 – 1680	161,07	129,66
1865 – 1844	200,16	39,09
1932 – 1865	230,01	29,85
1962 – 1932	433,25	203,24
1977 – 1962	640,95	207,70
2008 - 1977	2778	2137

الجدول رقم (IV-30): الاستهلاك المجالي للمدينة عبر الزمن.
المصدر: مديرية التخطيط والعمران لولاية بسكرة 2008.

4)-7-3-2- مظاهر التحول:

تعد الأنشطة الاقتصادية ذات تأثير فعال على البيئة الحضرية، وهي تأثر بعدة وجوه مختلفة حسب طبيعة المنطقة.(راجع الفصل الأول)

والملاحظ في أيامنا هذه أنه في مدينة بسكرة يشكل القطاع الصناعي والخدماتي الأنشطة الاقتصادية المهيمنة حيث يتربعان على ما نسبته 85% من مجموع اليد العاملة بالرغم من أن بسكرة تملك في تاريخها ميلا نحو الزراعة والسياحة وفق ما أوضحه الباحث (CÔTE ;Marc) الذي صرح بأن أوائل هذه التحولات بدأت منذ الاستقلال ومغادرة المعمرين الفرنسيين أصحاب مزارع النخيل نحو فرنسا أو المدن الجزائرية الكبرى آنذاك وترْكهم لثروة وطنية في الميدان الزراعي، لكن الصناعة والخدمات والبناء وغيرها من المهن التي توفر راتبا ثابتا كانت هي السبب المباشر وراء هجرة اليد العاملة للقطاع الأولي نحو القطاعين الثانوي والثالثي، ويمكن إيجاز مظاهر التحول في:

* النخيل:

ويشكل هذا القطاع الأساس وراء تواجد السكان والتعمير في المنطقة منذ العهد القديم وهذا للدور المناخي الذي يلعبه، كما يعد الممون الأساسي بمواد البناء كالجريد والجذوع.

وفي حقيقة الأمر أن بسكرة ما عرفت نجاحا ولا ازدهارا إلا بفضل واحات النخيل، هذه الأخيرة كانت المحفز لتوطين الجزء الأكبر من السكان ذوي الأصول الرعوية والبدوية الذين أنشأوا مساكنهم بالمواد المحلية ضمن نطاق بساتين النخيل، هذه الأخيرة التي ظلت تمثل للأجيال المكان الأمثل للإنتاج والاستهلاك والتكاثر، لكنه وللأسف يكابد في هذه الآونة الأخيرة حالة من التدني المقلق سببه هو مزاحمة القطاعات الأخرى له والمدعومة من طرف الدولة، فالملاحظ يرى وبوضوح أن أعداد المصانع والمنشآت الحديثة تزحف على الأراضي الفلاحية وطبعا على حساب ثروة النخيل مما أدى إلى تقلص مساحات غابات النخيل، فعدد النخيل الذي كان 250 ألف نخلة والتي تضم تعدادا سكانيا قدره 50 ألف نسمة كان يعطي نسبة قدرها 05 نخلات/فرد، تضائل ليسجل حاليا 184180 نخلة موجهة لعدد من السكان قدره 200654 نسمة أي 0,9 نخلة لكل فرد.

* وسائل ومواد البناء:

هذه التحولات طالت لتمس طريقة انجاز المساكن التي كانت تعتمد في الماضي على التقنيات التقليدية و" التويزة "[1] في جميع أعمال الإنجاز، أما في الوقت الحالي فإنتاج المساكن يعتمد على وسائل مختلفة تعتمد أساسا على تقنيات غير متماشية مع هذه البيئة حيث أصبحت المساكن تنجز من طرف شركات مقاولات كبيرة ذات حجم وطني.

[1] **التويزة: هي عملية اشتراك ومساهمة جماعية بين سكان الحي الواحد أو العائلة لانجاز شيء ما.**

ونذكر كمثال على هذه الشركات (SONATIBA) التي تنجز المساكن بطرق صناعية تعطي تجمعات سكنية جماعية غير متماشية مع المحيط، كذلك نجد وحدة مقاولة البناء بورقلة (E.C.O) مثل(D.N.C) التي تقوم بانجاز المباني عقب إجراء اتفاقيات.

وطال هذا التحول ليشمل مواد البناء أيضا، فبعد أن كانت المساكن تنجز بمواد بناء محلية متماشية مع المعطيات المناخية والاقتصادية للسكان المحليين مثل استعمال الطين والجريد وجذوع النخل، تطور كل هذا لتصبح المساكن تنجز بمواد جديدة تظهر بصورة دخيلة على هذه البيئة خاصة من الناحية المناخية مثل استعمال الحديد والخرسانة وغيرها من مواد البناء المستحدثة.

* أثر التصنيع:

لقد حظي القطاع الصناعي بمكانة متميزة منذ السنوات الأولى من الاستقلال وذلك من خلال امتصاصه لليد العاملة مما أضر كثيرا بالقطاع الفلاحي، كما أنه يوفر مناصب شغل مستقرة مما جعله في تزايد مستمر، والملاحظ أن معدلات التوظيف والتركز مرتفعة في القطاع الصناعي والخدماتي المتواجدة بعاصمة الولاية وسببه أن السكان القرويين والمزارعين اتجهوا نحو القطاع الصناعي والخدماتي بحثا منهم عن عمل مستقر وأجر أعلى.

هذا الانجذاب نحو القطاع الصناعي خلق نوعا من عدم التوازن بين عدد المساكن والكثافة السكانية الحقيقية مما نتج عنه أزمة في السكن أدت إلى إحداث نوع من التحول السريع في النسيج العمراني البسكري الذي كان ذا طابع فلاحي رعوي لينتقل إلى نسيج عمراني ذي طابع صناعي، وهذه الظاهرة تشمل في حقيقة الأمر معظم المدن الجزائرية وخاصة تلك التي في الجنوب، كما أثرت الصناعة في أشكال تهيئة المجال العمراني وتقنيات البناء حتى وصلت إلى حد صناعة المساكن، فقد أحصي أن أكثر من 75% من المساكن الجماعية المنجزة خلال الفترة ما بين 1993/1987م كانت مسبقة الصنع وهذا بتواجد المصانع المختصة في هذا المجال والتي تقدر على انجاز مسكن واحد كل يوم.

4)-7-4- شغل المجال العمراني:

إن موجة التحولات التي مست الأنشطة الاقتصادية مست هي الأخرى الجانب المتعلق بشكل استغلال الفضاء العمراني وهذا خلال الثلاثينية الأخيرة من القرن الماضي، حيث أصبح يشهد هيمنة الفضاء المسكون الذي أخذ شكلا جديدا من حيث توضعه، حيث أصبح يتواجد خارج واحة النخيل، وأصبح الفضاء المسكون هو الهاجس الأكبر الذي يحظى بأكبر اهتمام في مدينة بسكرة من خلال تربعه على النسبة الأكبر من مقارنة بالمكونات الأخرى للنسيج العمراني، فأصبح الفضاء العمراني شبه مشغول كليا بالمباني السكنية.

وفي الصف الثاني نجد الواحات الخاصة بالنخيل والتي تمثل ما نسبته 3/1 من مجمل المساحة العمرانية في حين أنها في سنة 1945م كانت تمثل نسبة 5/4 من مجمل المساحة أيام أن كانت الواحة تمثل رمزا للهوية وعنصرا مناخيا ودعما اقتصاديا، فإنها تشهد في هذه الأيام اجتياحا مخيفا من طرف مبان فوضوية وغير شرعية.

مساحة المنطقة الصناعية تشغل الصف الثالث بمساحة تقدر نسبتها بـ 6/1 المساحة العمرانية وتشغل الجزء الجنوبي الغربي من المدينة، والغريب في الأمر أن هذا السهل الذي تشغله المنطقة الصناعية يعد السهل الأكثر خصوبة والأمثل لإنشاء واحات النخيل.

أما الصف الرابع فقد احتلته منطقة الحدائق المتواجدة بشمال المدينة.

في حين أن 7/1 من مجمل المساحة العمرانية فهي عبارة عن أراض شاغرة صالحة للعمران ما عدا وادي بسكرة الذي يقطع المجال الحضري للمدينة من الشمال إلى الجنوب.

لكن الخطر يكمن في حقيقة أن هذا المحيط العمراني مهدد بالتشبع في القريب العاجل إذا ما أخذنا في الحسبان الزيادة المفرطة والفوضوية للسكن العشوائي الذي نراه يتوسع على حساب الأراضي الفلاحية من جهة ومن جهة أخرى فإنه يزيد من عمق الهوة بين الأنسجة العمرانية المتواجدة بالمدينة بسبب عدم إتباعه أي منطق معتبر سواء على الصعيد المعماري أو العمراني.

خلاصـــــــــة:

إن القفزة النوعية والكمية التي تشهدها مدينة بسكرة في ظل التنمية الشاملة أحدثت حركة صناعية وخدماتية أدت إلى تحفيز أمواج الهجرة من الضواحي إلى مركز المدينة مما أدى إلى إحداث اختلال في نموها وزيادة في عدد سكانها قياسا بهياكلها العمرانية وخدماتها الحضرية.

وفي ظل العمران العشوائي والغير مقنن وإثر غياب الهيئات الرسمية المتخصصة في هذا المجال، نتجت في ظل هذا كله أشكال عمرانية متضاربة سواء على المستوى المعماري وذلك من خلال إنشاء أشكال معمارية غير متناسبة مع معطيات المدينة وخاصة المعطيات المناخية والاجتماعية منها وموقع المدينة، بل مناقضة لطابع المدينة الواحاتي الغني بالعناصر المعمارية والجمالية المحلية النابعة من المجتمع الأصلي، أو المستوى العمراني ويتجلى ذلك من خلال ظهور أشكال عمرانية لا تخضع إلا للمعطيات التقنية كسهولة شق الشوارع وتوصيل مختلف الشبكات وتنظيم حركة المرور الميكانيكية واستحداث وظائف عمومية تقتصر فقط على أداء جانبها الوظيفي.

الفصل السابع:

دراسة المعطيات الاستقصائية من خلال البيئة البرمجية.

مقدمـــة:

بعد دراستنا للنسيج العمراني الاستعماري ببسكرة محل دراستنا ومحاولة تحليل مكوناته العمرانية وكذا فهم العلاقات التي تربط بين عناصره باستعمال المقاربة المورفونمطية، وسعيا منا لمعرفة أسباب تأقلم الأسرة الجزائرية مع هذا العمران الدخيل على واقع هذا المجتمع فقد ارتأينا جس نبض المستعملين للمجال وكذا المصممين المعنيين وهذا باللجوء إلى تقنية الاستبيان بواسطة الاستمارة لجمع البيانات اللازمة التي تخدم سيرورة هذه الدراسة ومن ثم معالجة هذه البيانات بواسطة البيئة البرمجية المناسبة.

1)- البيئة البرمجية المعتمدة في التحليل:

تم الاعتماد في هذه الدراسة على برنامج Sphinx plus$_2$(v5)Version 5.1.0.3 على أن تتم الدراسة على مستويات ثلاث نوجزها كالآتي:

1)-1- المستوى الأول (الدراسة أحادية المتغير):

وفي هذا المستوى ندرس نسب النتائج مستقلة عن بعضها أي كل متغير على حدى حيث تهدف هذه الدراسة إلى تحديد حجم هذا المتغير ضمن النسيج المدروس.

1)-2- المستوى الثاني (الدراسة ثنائية المتغير):

وفي هذا المستوى تكون الدراسة بدمج متغيرين اثنين وتحديد تأثير وتفاعل كل منهما وتحليل التأثير الذي يحدثه كل متغير على الآخر.

1)-3- المستوى الثالث (الدراسة متعددة المتغيرات):

وفي هذه الدراسة نقوم باعتماد خريطة العوامل لدراسة تلاقي وتجاذب المتغيرات المدروسة لتحديد العوامل الأكثر تأثيرا على الظاهرة المدروسة.

2)- المستوى الأول (الدراسة الأحادية المتغير) للاستمارة الموجهة للطلبة:

2)-1- متغير الوظيفة:

وقد تم التركيز في هذا الجزء من الدراسة على الطلبة الجامعيين من اختصاص الهندسة المعمارية كونهم المؤثرين الفاعلين في انجاز وتصميم المشاريع العمرانية والمعمارية، وقد جاءت النسبة كما هي موضحة بالجدول لتدل على الهيمنة بنسبة 74,3% من مجموع المستجوبين.

Fonction	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
Etudiant	75	74,3%
Fonctionnaire	1	1,0%
Bureau d'études publique	0	0,0%
Bureau d'études privé	24	23,8%
Autres	0	0,0%
TOTAL OBS.	**101**	**100%**

الجدول (VII-1): متغير الوظيفة.
المصدر: الباحث، 2011.

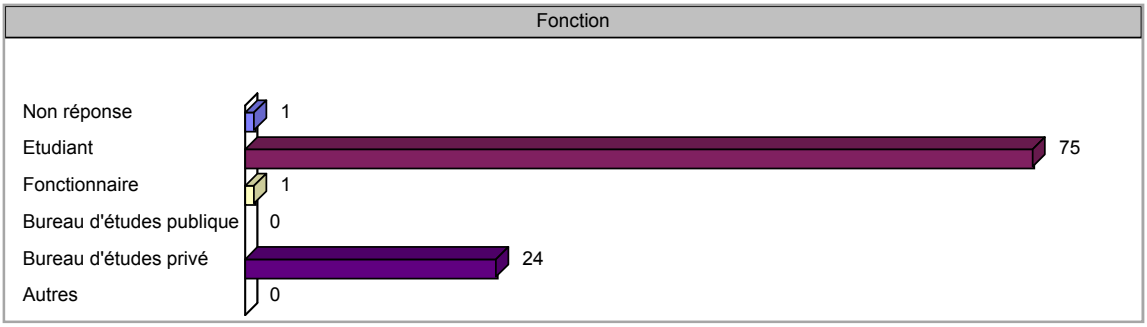

البيان (VII-1): متغير الوظيفة.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-2- متغير مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع الجزائري:

وقد أظهرت النتائج كما هي موضحة في الجدول أن حوالي ثلثي المستجوبين (62,4%) يرون أن العمران الاستعماري غير مناسب للمجتمع الجزائري كونه غير متماش مع العادات والتقاليد العربية الإسلامية، في حين أن الثلث الباقي (36,6%) يرونه مناسب للمجتمع اعتبارا من تنظيمه المحكم وإدخاله لأساليب عصرية في البناء.

la propice de l'architecture coloniale	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
Oui	37	36,6%
Non	63	62,4%
TOTAL OBS.	**101**	**100%**

الجدول (VII - 2): متغير مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع الجزائري..
المصدر: الباحث، 2011.

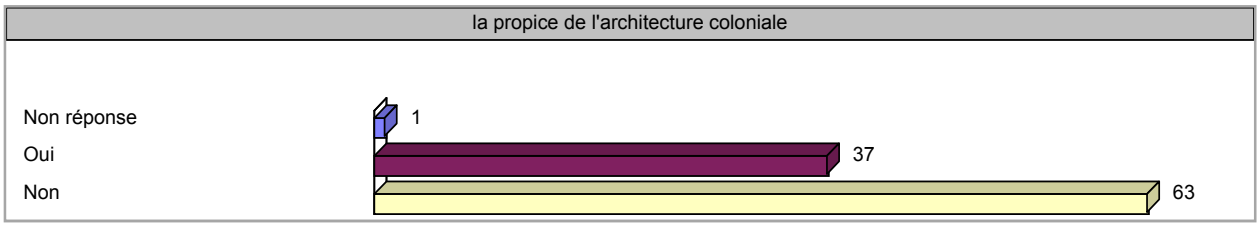

البيان (VII-2): متغير مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع الجزائري.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-3- متغير تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني للمشاريع السكنية:

وقد دلت النتائج على أن (88,1%) يرون أن العمارة الاستعمارية كان لها تأثير على المشاريع السكنية في المدن الجزائرية، في حين ترى البقية الباقية (10,9%) أنه لم يكن للعمارة الاستعمارية أي تأثير على هذه المشاريع.

l'influence de l'architecture coloniale	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
Oui	89	88,1%
Non	11	10,9%
TOTAL OBS.	**101**	**100%**

الجدول (VII - 3): متغير تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني للمشاريع السكنية.
المصدر: الباحث، 2011.

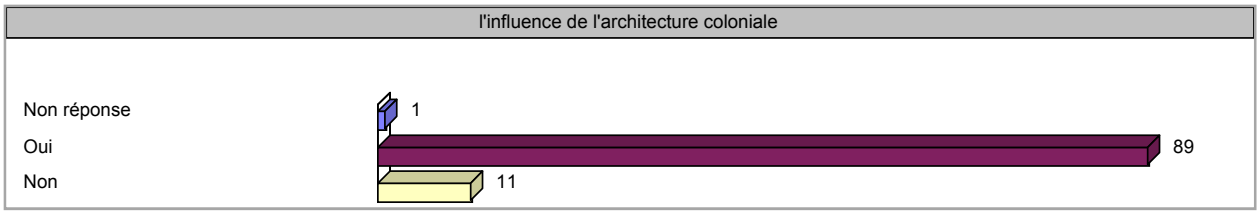

البيان (VII-3): متغير تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني للمشاريع السكنية.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-4- متغير سبب تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني للمشاريع السكنية:

La cause de cette influence-	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	12	11,9%
Absence de référence conceptuelle	25	24,8%
La certitude que l'architecture coloniale est l'architecture appropriée	25	24,8%
La certitude que l'architecture traditionnelle est inappropriée	19	18,8%
La crise de logement et l'explosion démographique	37	36,6%
Manque de l'enveloppe financier pour la construction et l'étude	14	13,9%
L'influence de l'architecture coloniale sur les architectes locales	32	31,7%
Manque de temps pour l'étude technique des projets	22	21,8%
TOTAL OBS.	**101**	

الجدول (VII-4): متغير سبب تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني للمشاريع السكنية.
المصدر: الباحث، 2011.

اختلفت الآراء حول تحديد السبب الأكثر فاعلية وراء انتشار العمران الاستعماري، إلا أن النسبة الأكبر كانت (36,6%) ويرجع أصحابها السبب إلى أزمة السكن والنمو الديموغرافي حيث أصبح الاهتمام منصبا على عملية الإسكان دون النظر إلى النوع، تليها النسبة (31,7%) وفيها يعود اللوم إلى المهندسين المحليين وتأثرهم بالتراث الموروث عن الاستعمار، ولعل النسبة الموالية تلقي بالضوء على سبب هذا التأثر بالعمارة الاستعمارية وهو غياب المرجعية التصميمية من جهة والاعتقاد أن العمارة الاستعمارية تعد الأنسب للمجتمع الجزائري اليوم حيث نجد هذان العنصران يمثلان ما نسبته (24,8%)، كما نجد أن نقص المدة الزمنية المخصصة للدراسة الفنية للمشاريع والاعتقاد الشائع أن العمارة المحلية التقليدية غير مناسبة وغير متماشية مع متطلبات المجتمع تحظيان بنسبة من هذا التأثير حيث نجدهما يمثلان ما نسبته (21,8%)، (18,8%) على التوالي.

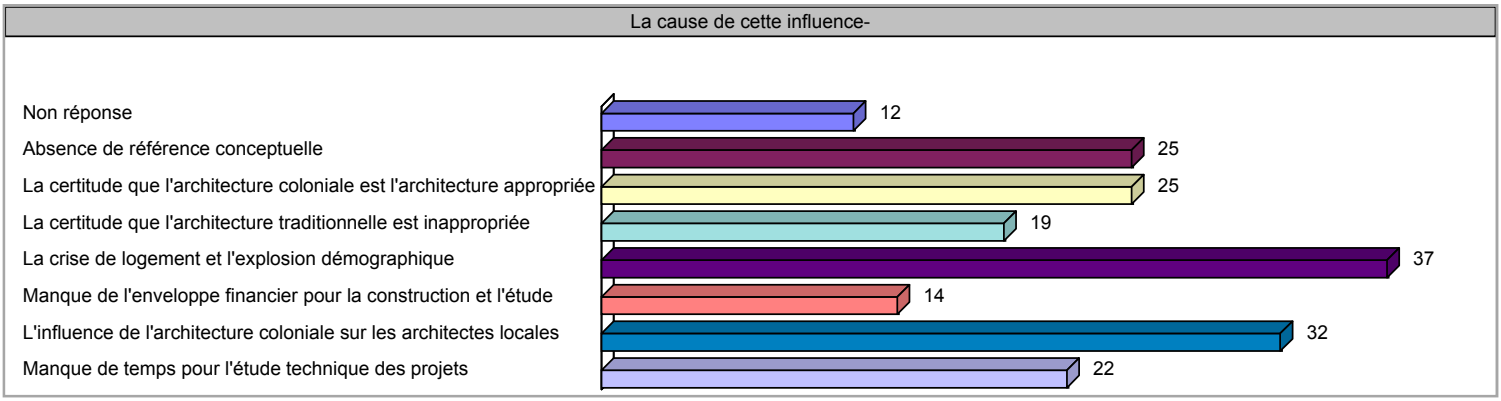

الجدول (VII-4): متغير سبب تأثير العمارة الاستعمارية
على الواقع العمراني للمشاريع السكنية.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-5- متغير المسؤولية:

la responsabilité	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	8	7,9%
Le citoyen	10	9,9%
Le responsable local	24	23,8%
Les spécialistes	26	25,7%
Les exécuteurs sur terrain	7	6,9%
Tous responsables	45	44,6%
TOTAL OBS.	**101**	

الجدول (VII-5): متغير المسؤولية.
المصدر: الباحث، 2011.

يرى (44,6%) من مجموع المستجوبين أن المسؤولية تلقى على عاتق الجميع، في حين يرى آخرون أن المسؤولية لا يتحملها إلا المختصون وهم المعماري والمخطط والعمراني الذين يتحملون مهمة التخطيط والتصميم وجاء بنسبة (25,7%)، وكذلك المسؤول المحلي وهو المسير الذي يتولى مهام الإدارة القانونية والموافقة على المشاريع وجاء بنسبة (23,8%)، أما المستعمل والمنفذون الميدانيون فقد حظوا بالنسب الأدنى من تحمل المسؤولية حيث يعتبرون مجبرين على القيام بالمهام المنوطة بهم من استعمال للمجال أو الانجاز التقني حيث جاءت النسب الخاصة بهم (9,9%)، (6,9%) على التوالي.

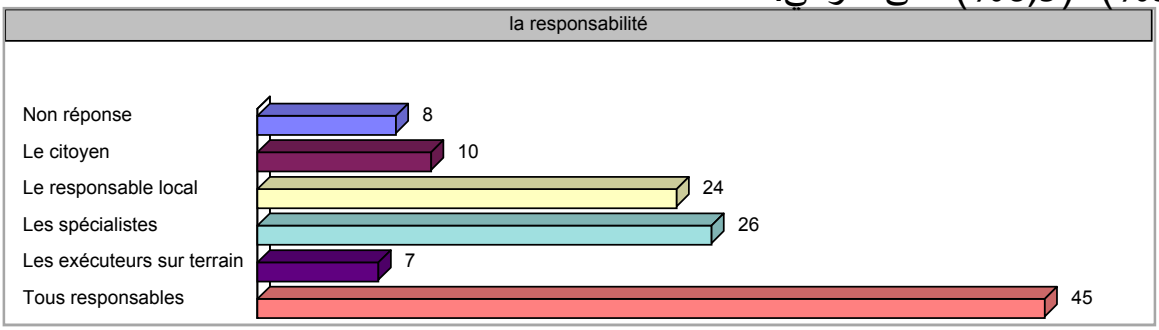

البيان (VII-5): متغير المسؤولية.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-6- متغير الميول المعماري:

la tentation	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
L'architecture coloniale	46	45,5%
L'architecture traditionnelle	54	53,5%
TOTAL OBS.	**101**	**100%**

الجدول (VII-6): متغير الميول المعماري.
المصدر: الباحث، 2011.

بعد الاستقصاء المجرى مع الطلبة والمختصين الميدانيين اتضح أن الميول نحو إحدى العمارتين جاء تقريبا بنسبة متساوية، حيث نجد أن ما نسبته (53,5%) يجدون أنفسهم أكثر ميولا نحو العمارة المحلية التقليدية، أما ما نسبته (45,5%) فنجدهم متأثرين بالعمارة الاستعمارية.

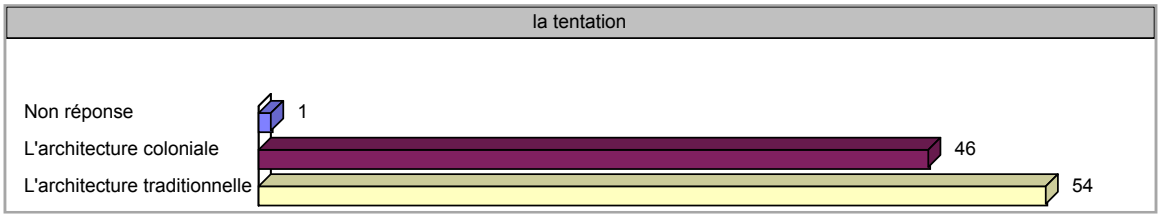

البيان (VII-6): متغير الميول المعماري.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-7- متغير الميول نحو العمارة الاستعمارية:

la cause de l'influence de l'architectur	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	54	53,5%
Votre avis que l'architecture coloniale est la plus appropriée pour votre société	15	14,9%
Votre avis que l'architecture traditionnelle n'est pas bonne pour la société	7	6,9%
Le perte des anciens Ksour et l'impossibilité de faire comme	16	15,8%
Vous êtes intéressé par la quantité par apport la qualité	3	3,0%
Le programme scolaire l'oblige	18	17,8%
Autres	6	5,9%
TOTAL OBS.	**101**	

الجدول (VII-7): متغير سبب الميول نحو العمارة الاستعمارية.
المصدر: الباحث، 2011.

عزى ما نسبته (17,8%) من مجموع الطلبة المحبذين للعمارة الاستعمارية السبب إلى البرنامج الدراسي المقرر والذي يفرض منهجه التأثر بالعمارة الاستعمارية، في حين أن لضياع واندثار القصور القديمة سببا هو الأخر في ميول الطلبة عنه باتجاه العمران الاستعماري حيث يجهل الكثير منهم ماهية العمران المحلي التقليدي، أما ما نسبته (14,9%) فيرجعون سبب ميولهم إلى العمارة الاستعمارية إلى نظرتهم الخاصة واعتقادهم أنه هو العمران الأنسب للمجتمع اليوم، أما الاعتقاد أن العمران المحلي غير مناسب للمجتمع وكذا الاهتمام بالكم على حساب الجودة والنوع فقد كانت لهم أقل نسب (6,9%)، (3%) على التوالي.

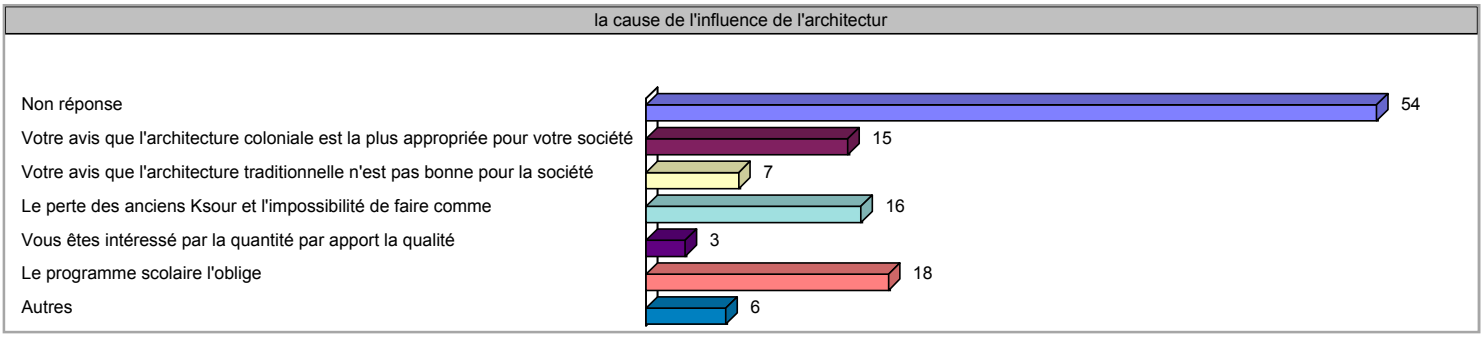

البيان (VII-7): متغير الميول نحو العمارة الاستعمارية.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-8- متغير كيفية تنمية البيئة الحضرية:

La méthode de développement l'environnem	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
La construction des nouveaux cités et avec des critères traditionnelles	58	57,4%
L'accouplement entre l'architecture locale et l'architecture coloniale	49	48,5%
L'oublier totale de l'architecture traditionnelle	6	5,9%
Choisir l'architecture coloniale européenne	2	2,0%
Autres	8	7,9%
la restauration des anciens ksour	30	29,7%
TOTAL OBS.	**101**	

الجدول (VII-8): متغير كيفية تنمية البيئة الحضرية.
المصدر: الباحث، 2011.

رأى (57,4%) من مجموع المستجوبين أن الطريقة الأمثل لتنمية البيئة الحضرية هي بإنجاز وإقامة أحياء جديدة بمزايا ومواصفات تقليدية كونها الأنسب والأكثر تماشيا مع أعراف السكان وعاداتهم، في حين أن (48,5%) منهم يرون أن الدمج بين العمارتين المحلية والاستعمارية هو الحل الأمثل لتنمية البيئة الحضرية كونه يستفيد من مزايا كلا النموذجين، أما (29,7%) فيرون الحل في إعادة بعث وترميم القصور العتيقة التي طالما شكلت البيئة المثلى لإقامة السكان، بينما لم تحظ عوامل التخلي التام عن العمارة التقليدية، وتبيني العمارة الأوربية إلا بنسب ضئيلة كانت (5,9%)، (2%) على التوالي.

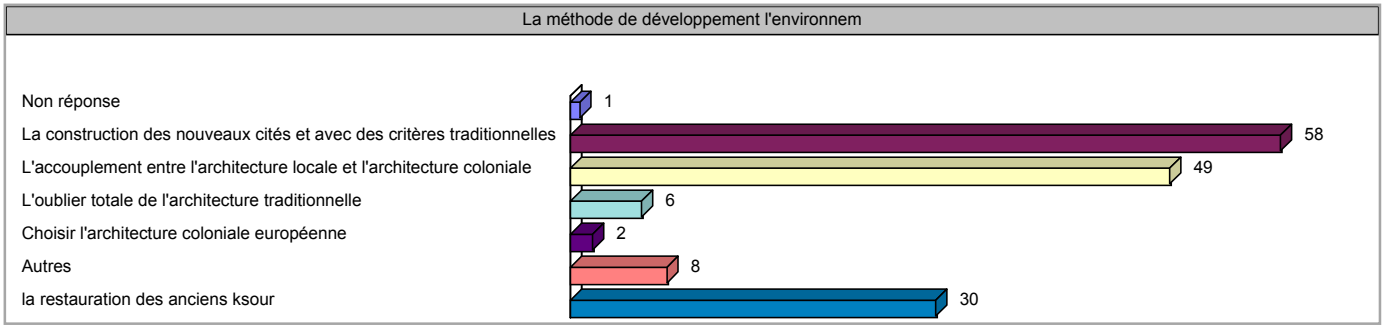

البيان (VII-8): متغير كيفية تنمية البيئة الحضرية.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-9- متغير البرنامج الدراسي:

البرنامج والمنهاج الدراسي وكما أسلفنا يراه (63,4%) من مجموع المستجوبين خادما وموطئا لانتشار العمارة الاستعمارية بما تحويه طياته من مناهج، في حين أن البقية الباقية وهي (35,6%) تراه بالعكس خادما للعمارة المحلية التقليدية.

le but du programme scolaire	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	1	1,0%
L'architecture coloniale	64	63,4%
L'architecture traditionnelle	36	35,6%
TOTAL OBS.	**101**	**100%**

الجدول (VII-9): متغير البرنامج الدراسي.
المصدر: الباحث، 2011.

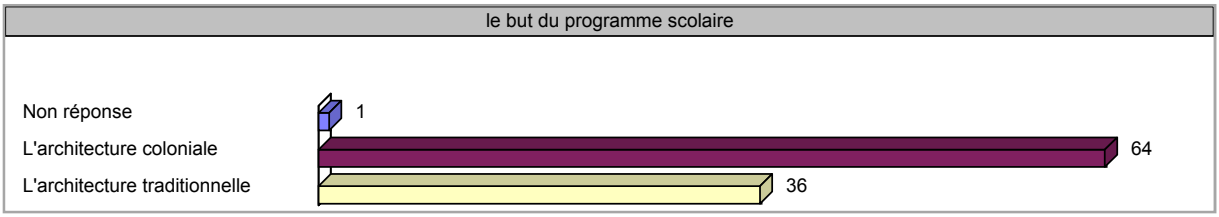

البيان (VII-9): متغير البرنامج الدراسي.
المصدر: الباحث، 2011.

3)- المستوى الثاني (الدراسة ثنائية المتغير) للاستمارة الموجهة للطلبة:

3)-1- دراسة المتغيرين (مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع//الميول المعماري):

والهدف من هذا العنصر هو تحديد نسبة الذين يرون أن العمران الاستعماري مناسب للمجتمع ومقارنته بنسبة ميولهم إلى إحدى العمارتين، ومنه فإننا نجد أن (66,66%) من الذين يرون أن العمارة الاستعمارية غير مناسبة للمجتمع هم من الذين يميلون إلى العمارة المحلية، وبنفس النسبة نجد الذين يميلون إلى العمارة الاستعمارية يرونها مناسبة للمجتمع الجزائري اليوم، في حين أن باقي النسبة من كلا الطرفين يرون عكس ما رأته النسبة الأولى أي العكس بالعكس.

la propice de l'architecture coloniale / la tentation	Non réponse	Oui	Non	TOTAL
Non réponse	1	0	0	**1**
L'architecture coloniale	0	25	21	**46**
L'architecture traditionnelle	0	12	42	**54**
TOTAL	**1**	**37**	**63**	**101**

الجدول (VII-10): دراسة المتغيرين (مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع//الميول المعماري).
المصدر: الباحث، 2011.

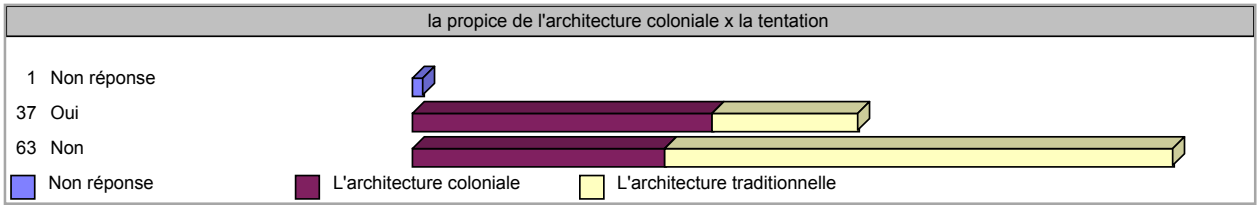

البيان (VII - 10): دراسة المتغيرين (تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني//سبب التأثير).
المصدر: الباحث، 2011.

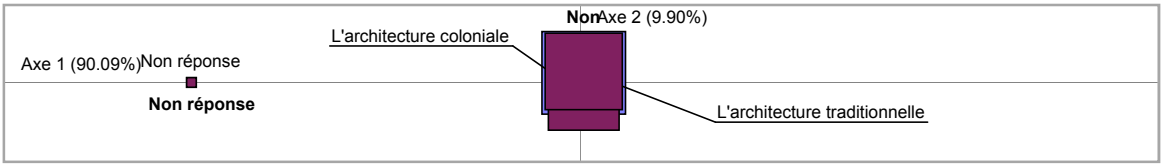

البيان (VII - 11): خريطة العوامل للمتغيرين (مناسبة العمارة الاستعمارية للمجتمع//الميول المعماري).
المصدر: الباحث، 2011.

3)-2- دراسة المتغيرين (تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني//سبب التأثير):

La cause de cette influence- / l'influence de l'architecture coloniale	Non réponse	Absence de référence conceptuelle	La certitude que l'architecture coloniale est l'architecture appropriée	La certitude que l'architecture traditionnelle est inappropriée	La crise de logement et l'explosion démographique	Manque de l'enveloppe financier pour la construction et l'étude	L'influence de l'architecture coloniale sur les architectes locales	Manque de temps pour l'étude technique des projets	TOTAL
Non réponse	1	0	0	0	0	0	0	0	**1**
Oui	0	25	25	19	37	14	32	22	**174**
Non	11	0	0	0	0	0	0	0	**11**
TOTAL	**12**	**25**	**25**	**19**	**37**	**14**	**32**	**22**	**186**

الجدول (VII-11): دراسة المتغيرين (تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني//سبب التأثير).
المصدر: الباحث، 2011.

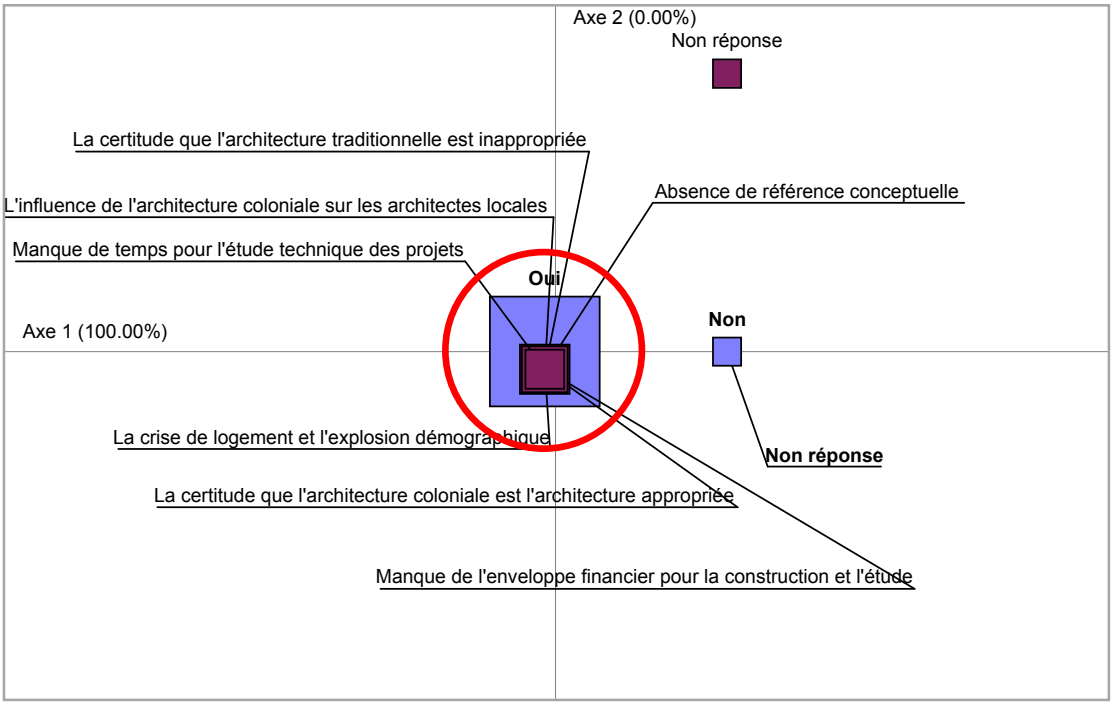

البيان (VII - 12): خريطة العوامل للمتغيرين (تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني//سبب التأثير).
المصدر: الباحث، 2011.

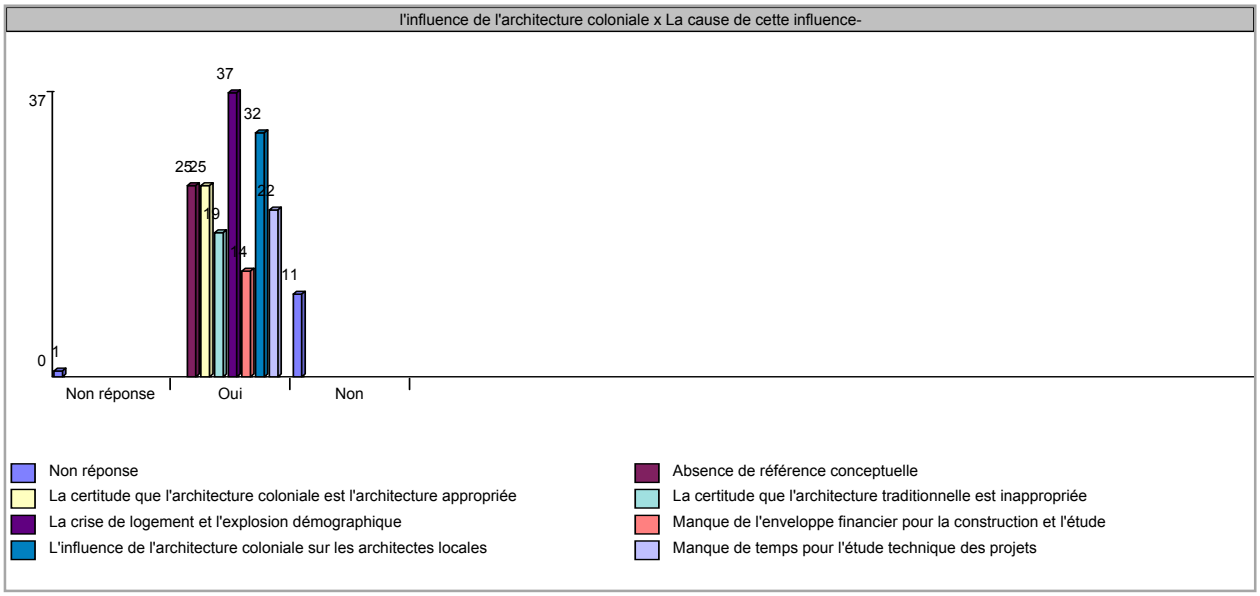

البيان (VII-13): دراسة المتغيرين (تأثير العمارة الاستعمارية على الواقع العمراني//سبب التأثير).
المصدر: الباحث، 2011.

ونسعى ضمن هذا العنصر إلى تحديد العوامل الأكثر فاعلية والأوسع تأثيرا في جعل هذا النوع من العمران ينتشر ضمن بيئة غير بيئته، العامل الأكثر تأثيرا في نظر المستجوبين والذي أخذ أعلى نسبة (37%) كان أزمة السكن والانفجار السكاني الذي أنحى بالمسؤولين إلى ضرورة الاهتمام بالإسكان بغض النظر عن طبيعة المسكن قصد تجاوز الأزمة، العامل الثاني والذي جاء بنسبة (32%) كان تأثر المصممين المحليين بالعمارة الاستعمارية بسبب غياب المرجع التصميمي من جهة وهذا راجع إلى اندثار القصور العتيقة محل الإلهام والتي تمد المصممين بالأفكار العمرانية، كما يتضح من خلال الاستجواب تولد نوع من العزوف لدى المصممين عن العمران المحلي التقليدي بسبب ميولهم إلى العمران الاستعماري واعتقادهم أنه العمران الأنسب بسبب الوسائل التي أدخلها على المدن اليوم.

ولعل المشكل قد تفاقم ونعني بذلك الانفجار السكاني وأزمة السكن مما صعب من إيجاد الحلول وأصبحت الحلول هزيلة تفتقد إلى الإتقان والسبب هو نقص مدة الدراسة والانجاز والمتابعة جراء هاجس المشكل المتفاقم يوما بعد يوم من جهة وكذلك غياب روح المسؤولية من جهة أخرى عاد كل هذا وبالا على الرصيد الحضاري لمدننا اليوم.

3)-3- دراسة المتغيرين (الميول المعماري//سبب الميول إلى العمارة الاستعمارية):

la cause de l'influence de l'architectur / la tentation	Non réponse	Votre avis que l'architecture coloniale est la plus appropriée pour votre société	Votre avis que l'architecture traditionnelle n'est pas bonne pour la société	Le perte des anciens Ksour et l'impossibilité de faire comme	Vous êtes intéressé par la quantité par apport la qualité	Le programme scolaire l'oblige	Autres	TOTAL
Non réponse	1	0	0	0	0	0	0	**1**
L'architecture coloniale	0	15	6	16	3	18	6	**64**
L'architecture traditionnelle	53	0	1	0	0	0	0	**54**
TOTAL	**54**	**15**	**7**	**16**	**3**	**18**	**6**	**119**

الجدول (VII-12): دراسة المتغيرين (الميول المعماري//سبب الميول إلى العمارة الاستعمارية).
المصدر: الباحث، 2011.

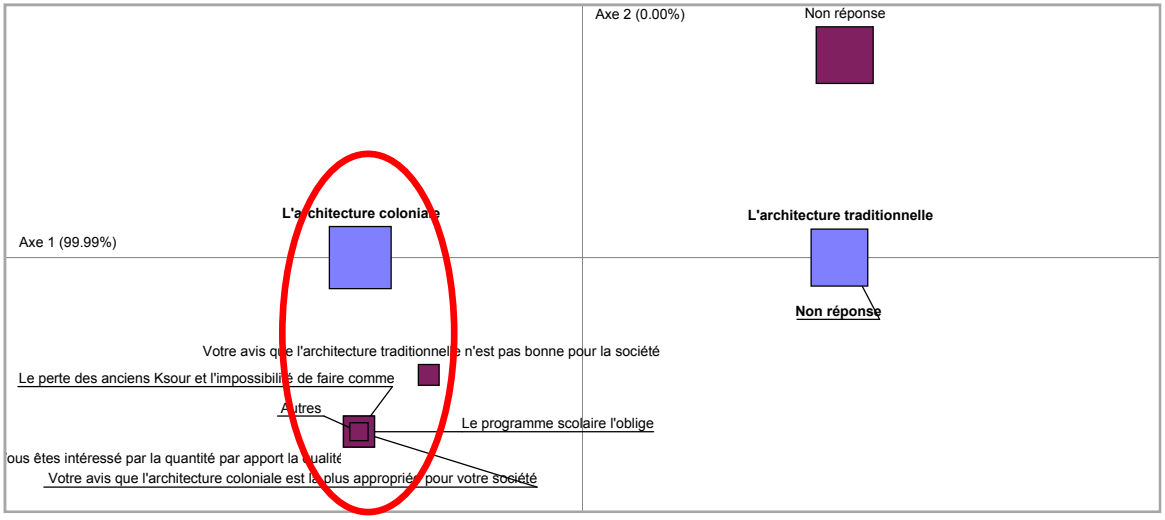

البيان (VII-14): خريطة العوامل للمتغيرين (الميول المعماري//سبب الميول إلى العمارة الاستعمارية).
المصدر: الباحث، 2011.

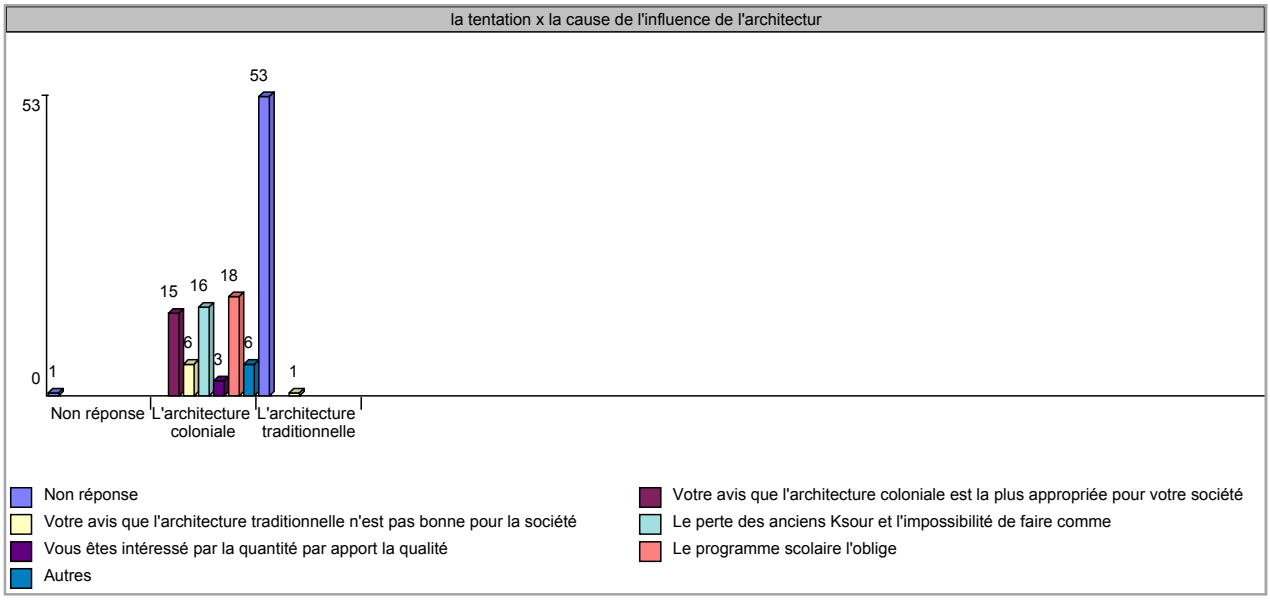

البيان (VII-15): خريطة العوامل للمتغيرين (الميول المعماري//سبب الميول إلى العمارة الاستعمارية).
المصدر: الباحث، 2011.

لقد كانت وجهات نظر المستجوبين جد متقاربة ضمن هذا الجزء من الاستجواب، حيث كانت مجمل أجوبتهم تدور حول ثلاثة محاور أساسية يرجعون إليها السبب في ميولهم نحو العمران الاستعماري هي البرنامج الدراسي المقرر والذي يلزم الطلبة على حد تعبيرهم على السير وفق مسار يخدم تبني العمران الاستعماري، والمحور الثاني كان اندثار واختفاء القصور العتيقة التي زالت بفعل عمليات الهدم أو الانهيار وبالتالي صعوبة محاكاتها أو الاقتباس منها خاصة إذا ما أدرجنا إليها أن أغلب الطلبة لم يعرفوا العمران العتيق المحلي إلا ضمن صفحات الكتب التي تعنى بالجانب التراثي أو التاريخي، هذا كله جعل الطلبة والمصممين يتولد لديهم اعتقاد أن العمران الاستعماري هو الأنسب للمجتمع وأنه العمران الكفيل بإخراج المجتمع اليوم من أزماته العمرانية وكان من المحاور المهمة التي جعلت المصممين يميلون ويتأثرون بالعمارة الاستعمارية.

3)-4- دراسة المتغيرين (الميول المعماري//البرنامج الدراسي):

le but du programme scolaire / la tentation	Non réponse	L'architecture coloniale	L'architecture traditionnelle	TOTAL
Non réponse	1	0	0	**1**
L'architecture coloniale	0	36	10	**46**
L'architecture traditionnelle	0	28	26	**54**
TOTAL	**1**	**64**	**36**	**101**

الجدول (VII - 13): دراسة المتغيرين (الميول المعماري//البرنامج الدراسي).
المصدر: الباحث، 2011.

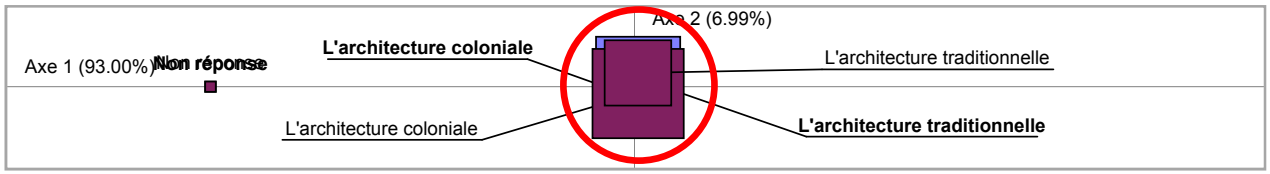

البيان (VII - 16): خريطة العوامل للمتغيرين (الميول المعماري//البرنامج الدراسي).
المصدر: الباحث، 2011.

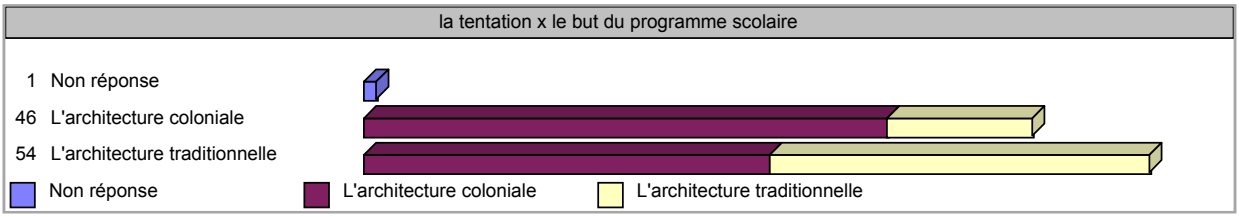

البيان (VII - 17): دراسة المتغيرين (الميول المعماري//البرنامج الدراسي).
المصدر: الباحث، 2011.

وفي هذا العنصر يتضح لنا إلى أي منحى يهدف البرنامج الدراسي المقرر على الطلبة من خلال استطلاع رأيهم حول ذلك، فنسبة (78,26%) من مجموع الطلبة المتأثرين بالعمران الاستعماري يرون البرنامج الدراسي يخدم العمران الاستعماري، وفي ذات الوقت نجد أن (51,85%) من مجموع الطلبة المتأثرين بالعمران المحلي التقليدي يؤكدون هذه الحقيقة أن

البرنامج الدراسي يخدم العمران الاستعماري، في حين أن البقية من كلا الطرفين يرون أن الحقيقة عكس ذلك.

4)- المستوى الأول (الدراسة الأحادية المتغير) للاستمارة الموجهة للمستعملين للحي:

4)-1- متغير السن:

L'âge	Nb. cit.	Fréq.
de 20 a 30 ans	28	40,0%
de 30 a 40 ans	17	24,3%
de 40 a 50 ans	16	22,9%
de 50 a 60 ans	4	5,7%
de 60 a 70 ans	5	7,1%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-14): متغير السن.
المصدر: الباحث، 2011.

وقد تم التركيز في هذا العنصر على أرباب الأسر لسببين أساسيين هما أنهم الفئة التي بيدها حق التصرف في المسكن من جهة ومن جهة أخرى لسهولة التعامل مع هذه الشريحة التي كان معظمها من صنفي الشباب والكهول، فكانت النسب كما هي موضحة بالجدول (40%) منهم تتراوح أعمارهم بين 20-30 سنة، و(24,3%) تتراوح أعمارهم بين 30-40 سنة، في حين أن (22,9%) فأعمارهم تتراوح بين 40-50 سنة.

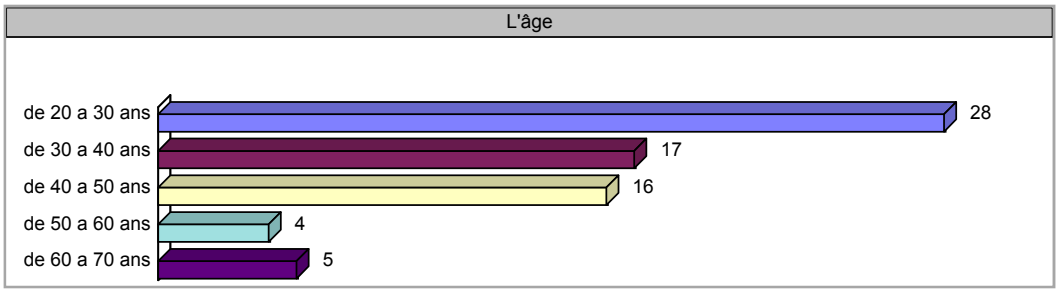

البيان (VII-18): متغير السن.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-2- متغير الجنس:

Sexe	Nb. cit.	Fréq.
Masculin	58	82,9%
Féminin	12	17,1%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-15): متغير الجنس.
المصدر: الباحث، 2011.

وللسببين المذكورين آنفا في العنصر السابق فقد فضلنا أن يكون التعامل أكثر مع العنصر الرجالي فكانت نسبة المستجوبين من الذكور كما هو موضح بالجدول (82,9%).

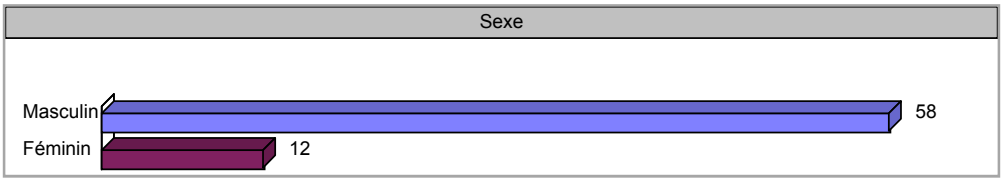

البيان (VII-19): متغير الجنس.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-3- متغير الشغل:

Emploi	Nb. cit.	Fréq.
Fonctionnaire	51	72,9%
retraite	19	27,1%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-16): متغير الشغل.
المصدر: الباحث، 2011.

بسبب طبيعة أحوال المستجوبين وجنسهم فقد كان معظمهم من الشريحة العاملة بنسبة (72,9%)، في حين أن (27,1%) منهم كانوا إما من الشباب العاطلين عن العمل يضاف إليهم عدد لا بأس به من الشيوخ المتقاعدين أو الإناث من ربات البيوت.

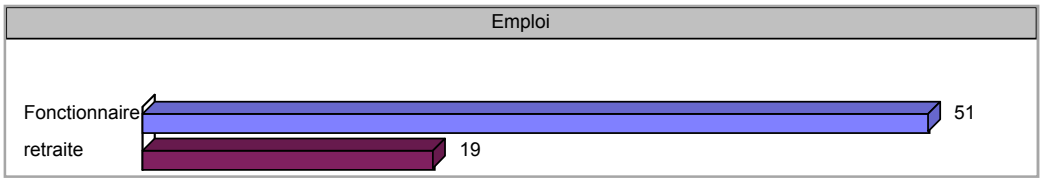

البيان (VII-20): متغير الشغل.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-4- متغير المستوى الثقافي:

من خلال نتائج الاستجواب المدرجة ضمن الجدول يتضح لنا أن أغلب المستجوبين ذووا مستوى علمي مهم حيث نجد أن (35,7%) منهم هم من خريجي الجامعة، و(34,3%) منهم هم ذووا مستوى ثانوي، أما (14,3%) فمستواهم ابتدائي.

Le niveau culturel	Nb. cit.	Fréq.
Diplômé de l'école coranique	2	2,9%
Primaire	10	14,3%
Secondaire	24	34,3%
Universitaire	25	35,7%
Autre	9	12,9%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-17): متغير المستوى الثقافي.
المصدر: الباحث، 2011.

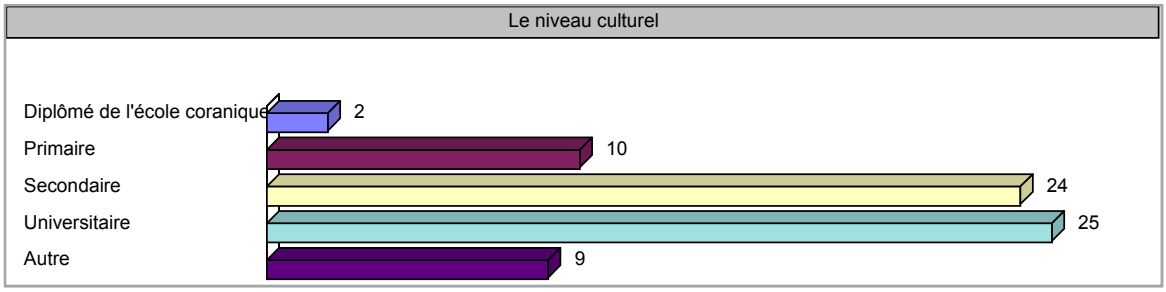

البيان (VII-21): متغير المستوى الثقافي.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-5- متغير الإقامة الأصلية:

النسبة الكبرى من المستجوبين كانوا يقطنون في هذا الحي نفسه وذلك أن أغلب هذه السكنات هي مساكن آبائهم من قبل فكانت نسبتهم (57,1%) من مجموع المستجوبين، في حين أن (31,4%) منهم كانوا يسكنون ضمن أحد أحياء المدينة العتيقة وإنما انتقلوا إلى هذا الحي من أجل تحسين مستوى عيشهم حيث كان هذا الحي قبلة السكان عقب الاستقلال جراء التهميش الكبير الذي تعرضت له أحيائهم خلال فترة المستعمر الغاشم.

La situation d'ancien logement	Nb. cit.	Fréq.
Dans un des cités de la ville ancienne	22	31,4%
Dans un des cités de la nouvelle ville	5	7,1%
Dans cette même cité	40	57,1%
Hors de la ville	1	1,4%
Hors de la willaya	2	2,9%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-18): متغير الإقامة الأصلية.
المصدر: الباحث، 2011.

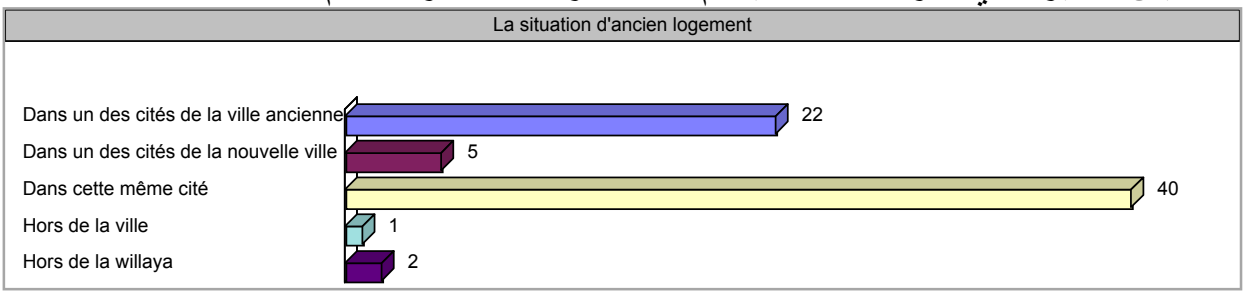

البيان (VII-22): متغير الإقامة الأصلية.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-6- متغير سبب تغيير الإقامة الأصلية:

لقد كانت النسب الكبرى من المستجوبين يرجعون سبب تغيير محل سكناهم إلى سببين أساسيين، أولهما هو ضيق المسكن الأصلي وعدم ملائمته لهم وحقق هذا نسبة (22,9%)، والسبب الثاني هو أن المسكن الحالي هو الأنسب لهم وجاء هذا بنسبة (21,4%).

la cause de changement du logement	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	38	54,3%
Pour chercher un travail régulier	2	2,9%
Parce que l'ancienne maison était petite	16	22,9%
Parce que la maison actuelle est bonne	15	21,4%
Pour profiter des services de la ville	4	5,7%
Autres	2	2,9%
TOTAL OBS.	**70**	

الجدول (VII - 19): متغير سبب تغيير الإقامة الأصلية.
المصدر: الباحث، 2011.

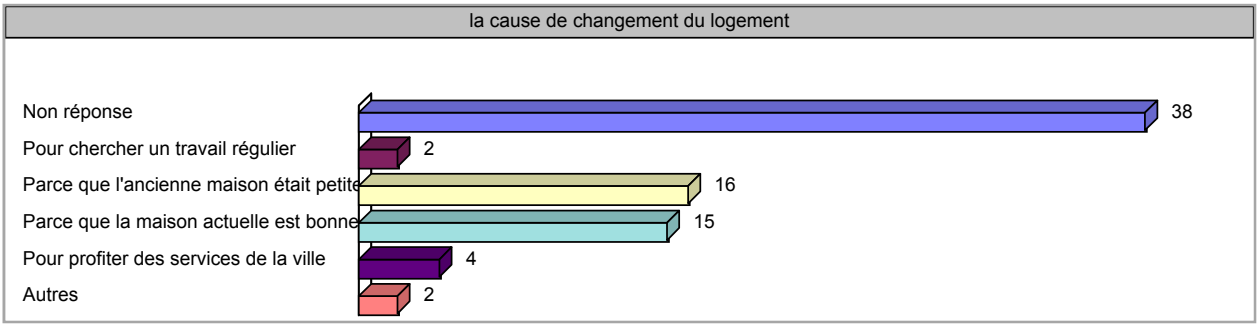

البيان (VII-23): متغير سبب تغيير الإقامة الأصلية.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-7- متغير سبب اختيار هذا الحي:

ترجع الأغلبية الساحقة من المستجوبين السبب وراء اختيارهم هذا الحي إلى كون المسكن هو الأنسب لهم حيث إن (72,9%) منهم يرون ذلك، في حين أن (20%) منهم كان سبب اختيارهم لهذا الحي هو وجود أقارب لهم به.

la cause de choisir cettc cité	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	2	2,9%
Parce que nos proches y habitants	14	20,0%
une terrain et une maison sont moins chers	5	7,1%
On n'a pas trouvé que cette cité	3	4,3%
Autres	6	8,6%
cette maison est appropriée pour vous	51	72,9%
TOTAL OBS.	**70**	

الجدول (VII - 20): متغير سبب اختيار هذا الحي.
المصدر: الباحث، 2011.

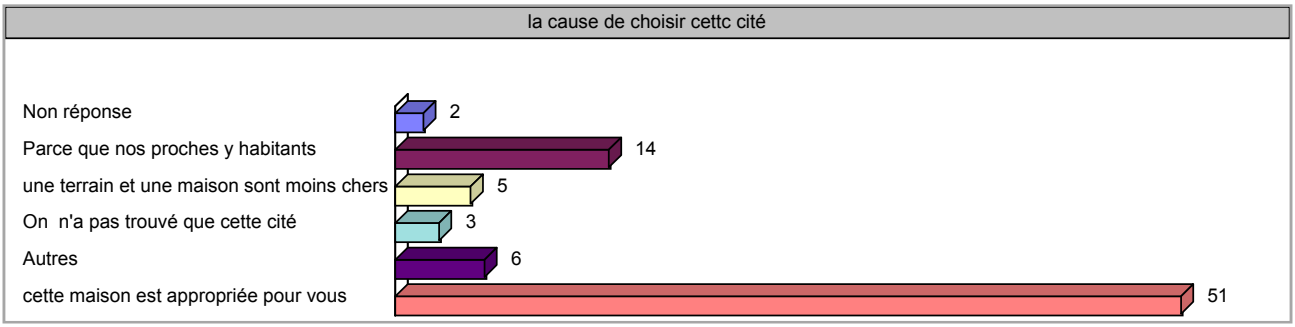

البيان (VII-24): متغير سبب اختيار هذا الحي.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-8- متغير الوضعية القانونية للمسكن:

إن (80%) من مجموع المستجوبين يتمتعون بالملكية التامة للمسكن إما عن طريق الشراء أو الإرث، في حين أننا نجد أن (17,1%) منهم هم عبارة عن مستأجرين للمسكن الذي يعيشون فيه.

le cas loyal de la maison	Nb. cit.	Fréq.
Propriétaire	56	80,0%
Locataire	12	17,1%
Logement de fonction	1	1,4%
Autres	1	1,4%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-21): متغير إحداث تعديلات على المسكن.
المصدر: الباحث، 2011.

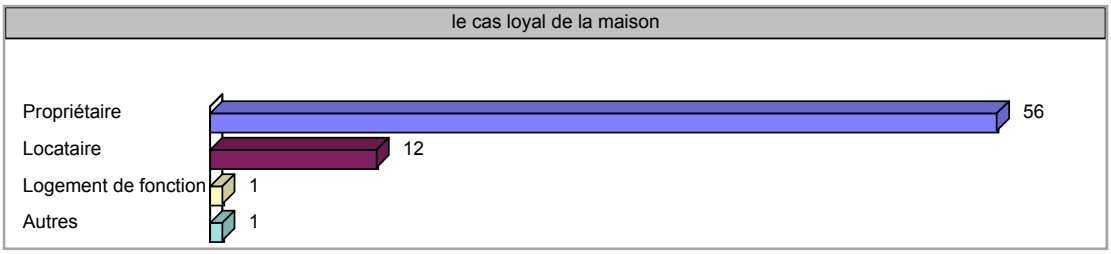

البيان (VII-25): متغير الوضعية القانونية للمسكن.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-9- متغير إحداث تعديلات على المسكن:

لقد تبين من خلال الاستجواب أن (71,4%) من مجموع المستجوبين قاموا بإحداث بعض التعديلات على مستوى المخطط العام للمسكن لأسباب مختلفة، في حين أن (28,6%) منهم لم يجروا على مسكنهم أي تعديل إما اختيارا منهم أو لأسباب مجبرين عليها.

faire quelques changements dans la const	Nb. cit.	Fréq.
oui	50	71,4%
non	20	28,6%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-22): متغير إحداث تعديلات على المسكن.
المصدر: الباحث، 2011.

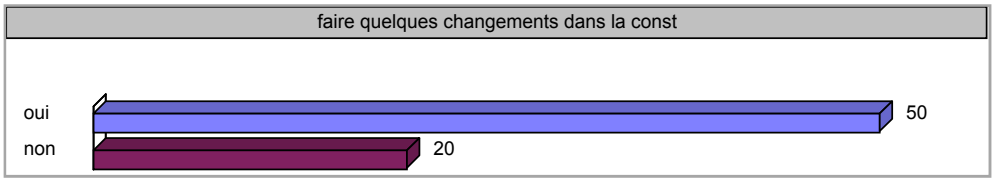

البيان (VII-26): متغير إحداث تعديلات على المسكن.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-10- متغير سبب إحداث تعديلات على المسكن:

(38,6%) من الذين أحدثوا تعديلات على مساكنهم إنما قاموا بهذه التعديلات كون مخطط المسكن غير مناسب لهم وغير متماش مع أعرافهم وتقاليدهم، بينما نجد أن (17,1%) قاموا بهذه التعديلات لأسباب أخرى لعل أهمها هو الترميم نظرا للحالة التي وصلت إليها هذه المساكن بسبب توالي السنين التي مرت عليها.

La cause de ces changements	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	20	28,6%
La surface habitée est étroite	3	4,3%
Nombre de pièces est insuffisants	3	4,3%
Le plan de la maison est incomplet	27	38,6%
Autres	12	17,1%
Les espaces requis ne sont pas épargner	5	7,1%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-23): متغير سبب إحداث تعديلات على المسكن.
المصدر: الباحث، 2011.

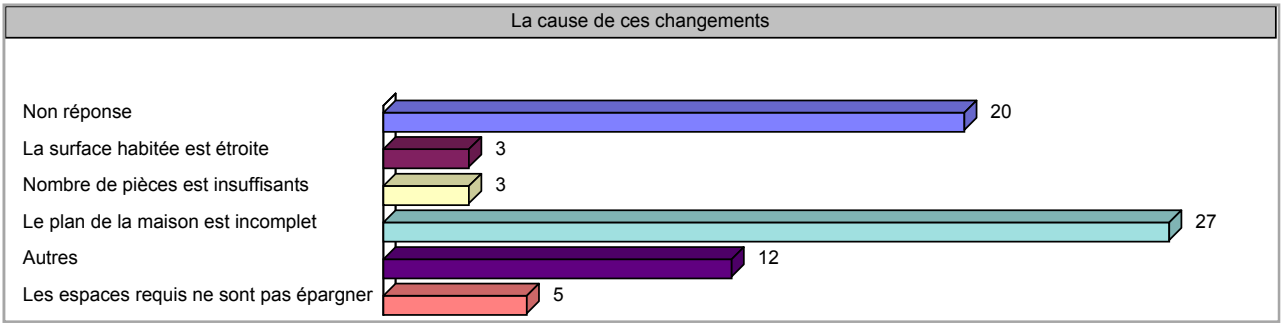

البيان (VII-27): متغير سبب إحداث تعديلات على المسكن.

المصدر: الباحث، 2011.

4)-11- متغير طبيعة هذه التعديلات:

la nature de ces transformations	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	20	28,6%
Transformation de la cuisine	8	11,4%
Ajouter un espace	8	11,4%
Changement total du plan	22	31,4%
Autres	8	11,4%
Changement d'un espace	4	5,7%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 24): متغير طبيعة هذه التعديلات.

المصدر: الباحث، 2011.

يتبين لنا من خلال الجدول المقابل أن (31,4%) من الذين أحدثوا تعديلات على مستوى مساكنهم نجدهم قد قاموا بتغيير جذري للتصميم الداخلي للمسكن هذا إن كانت حالته المادية ميسورة تسمح له بذلك وإلا فقد اكتفت البقية الباقية ذات النسبة (11,4%) بإجراء تحويلات طفيفة مست بعض المجالات الداخلية كتحويلات على مستوى المطبخ أو إضافة مجال أو الاقتصار على بعض عمليات الترميم.

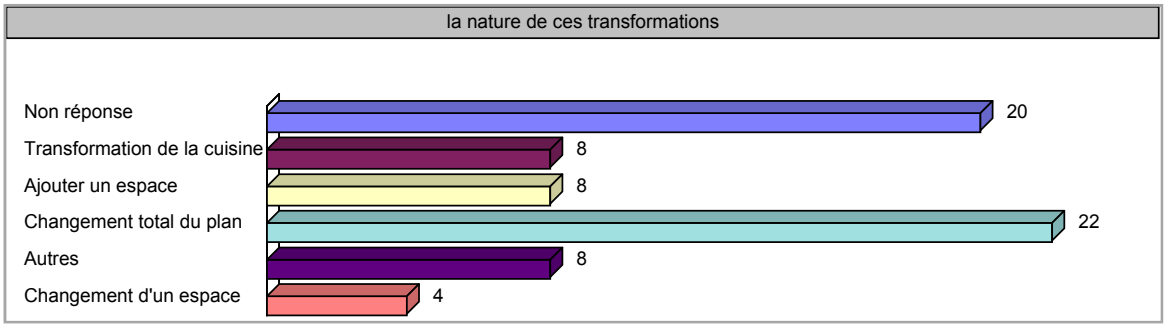

البيان (VII-28): متغير طبيعة هذه التعديلات.

المصدر: الباحث، 2011.

4)-12- متغير سبب المحافظة على المخطط الأصلي:

La cause de sauvegarder le plan	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	50	71,4%
Vous n'êtes pas propriétaire	7	10,0%
En peur de la loi	1	1,4%
Vous n'avez pas les moyens (l'argent)	7	10,0%
Le plan est bon	5	7,1%
Autres	0	0,0%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 25): متغير سبب المحافظة على المخطط الأصلي.

المصدر: الباحث، 2011.

لقد أرجع (10%) من مجموع المحافظين على المخططات الأصلية لمساكنهم السبب لكونهم لا يمتلكون المؤهلات المادية التي تسمح لهم بإجراء تعديلات على مساكنهم أو لكون المسكن في حد ذاته ليس ملكا لهم، في حين أبدت (7,1%) منهم رضاهم التام عن مساكنهم وارجعوا السبب في عدم تدخلهم على مساكنهم أنها جد مناسبة لهم.

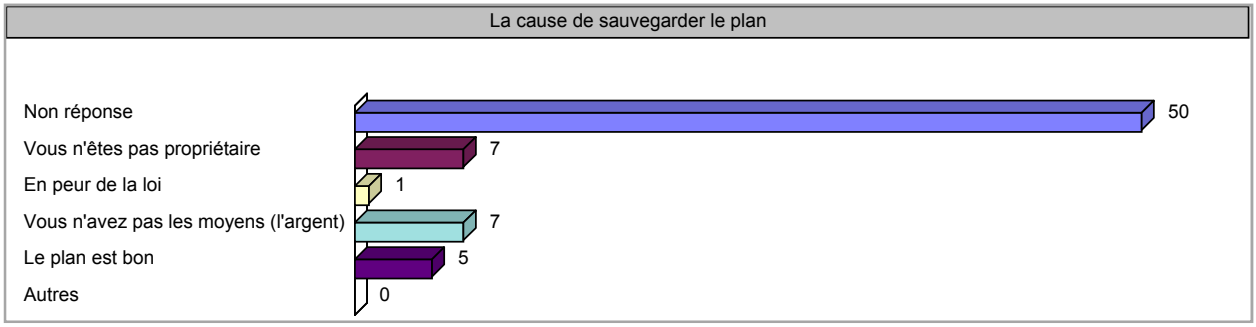

البيان (VII-29): متغير سبب المحافظة على المخطط الأصلي.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-13- متغير العلاقة مع الجيران:

لقد جاءت المؤشر أن هناك علاقة مع الجيران بنسبة ساحقة هي (100%).

la relation avec les voisins	Nb. cit.	Fréq.
oui	70	100%
non	0	0,0%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 26): متغير العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

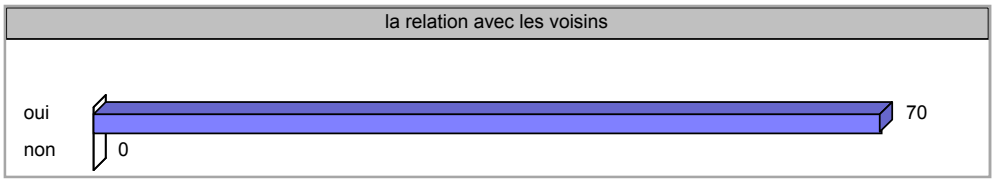

البيان (VII-30): متغير العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-14- متغير طبيعة العلاقة مع الجيران:

معظم العلاقات بين جيران هذا الحي إنما نشأت بسبب تواجدهم في هذا الحي أي بعد سكنهم فيه فقد جاءت نتائج الاستبيان توضح ذلك فبلغت نسبة هذا المؤشر (70%)، أما نسبة (20%) منهم فإن علاقة الجيرة بينهم مقرونة بروابط الدم والقرابة أيضا.

la nature de cette relation	Nb. cit.	Fréq.
Des compagnons	5	7,1%
Des proches	14	20,0%
Relation née dans la cité	49	70,0%
Autres	2	2,9%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 27): متغير طبيعة العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

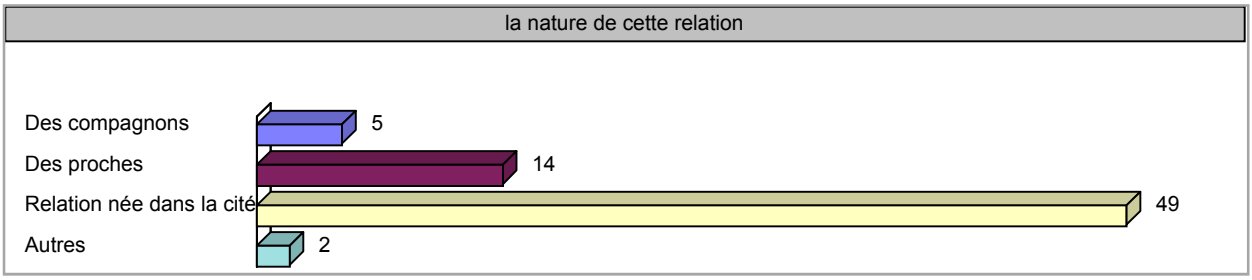

البيان (VII-31): متغير طبيعة العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-15- متغير تقييم العلاقة مع الجيران:

تسود بين جيران هذا الحي علاقة جيرة قائمة أساسا على الاحترام المتبادل والمودة والتقدير مما جعل (80%) من المستجوبين يصفونها بالجيدة، في حين أن (17,1%) منهم يصفون هذه العلاقة بأنها علاقة متوسطة.

évaluation de cette relation	Nb. cit.	Fréq.
Bonne	56	80,0%
Moyenne	12	17,1%
Mauvaise	2	2,9%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-28): متغير تقييم العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

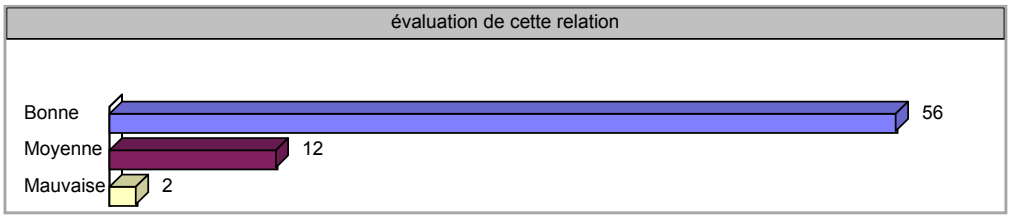

البيان (VII-32): متغير تقييم العلاقة مع الجيران.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-16- متغير المعاناة من مشاكل جراء السكن بالحي:

أبدى (62,9%) من مجمع المستجوبين عن عدم معاناتهم من أية مشكلة تتعلق بتخطيط الحي، في حين أن (37,1%) أوضحوا أنه ثمة عديد المشاكل التي يعانون منها جراء تواجدهم ضمن هذا الحي الاستعماري.

des problèmes liées a l'aménagement de l	Nb. cit.	Fréq.
oui	26	37,1%
non	44	62,9%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII-29): متغير المعاناة من مشاكل جراء السكن بالحي.
المصدر: الباحث، 2011.

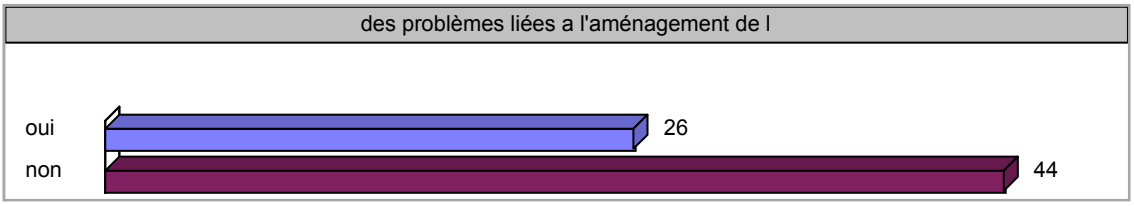

البيان (VII-33): متغير المعاناة من السكن بالحي.
المصدر: الباحث، 2011.

4)-17- متغير سبب هذه المشاكل:

أغلب التذمر من هذا الحي كان بسبب افتقاده لبعض المرافق الضرورية التي يحتاجها السكان فأبدى (21,4%) منهم القول بأن هذا هو المشكل الرئيسي لهم، بينما عبر (10%) منهم عن استيائهم من تخطيط الحي وأنه غير متماش البتة مع عاداتهم وتقاليدهم، في حين أن (8,6%) يرغبون في الانتقال منه للعيش في حي تقليدي.

la cause de ces problèmes	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	44	62,9%
Le plan ne va pas avec vos coutumes	7	10,0%
Souffrance de l'isolation avec vos voisins	2	2,9%
La volonté d'habiter une cité traditionnelle	6	8,6%
Autres	4	5,7%
Manque des équipements nécessaires	15	21,4%
TOTAL OBS.	**70**	

الجدول (VII-30): متغير سبب هذه المشاكل.
المصدر: الباحث، 2011.

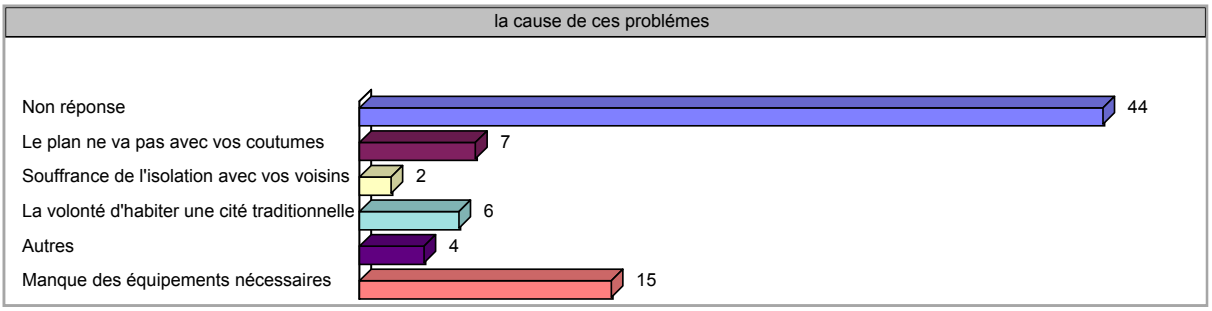

البيان (VII-34): متغير سبب هذه المشاكل.

المصدر: الباحث، 2011.

4)-18- متغير الرضا بالإقامة في الحي الاستعماري:

أبدى أزيد من (84,3%) من مجموع المستجوبين عن رضاهم التام عن السكن في هذا الحي الاستعماري مرجعين السبب إلى عديد العوامل والتي لعل أهمها هو مناسبة المسكن وتماشيه مع متطلبات الأسرة وكذا طيب عشرة الجيران وعلاقات المودة القائمة بينهم منذ سنين وكذا موقع الحي الكائن بوسط المدينة وبالتالي قربه من شتى مرافق المدينة التي يحتاج إليها المواطن في حياته اليومية.

êtes-vous satisfait d'habiter cette cité	Nb. cit.	Fréq.
Satisfait	16	22,9%
Moyennement	7	10,0%
No satisfait	3	4,3%
Très satisfait	43	61,4%
Moins satisfait	1	1,4%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 31): متغير الرضا بالإقامة في الحي الاستعماري.

المصدر: الباحث، 2011.

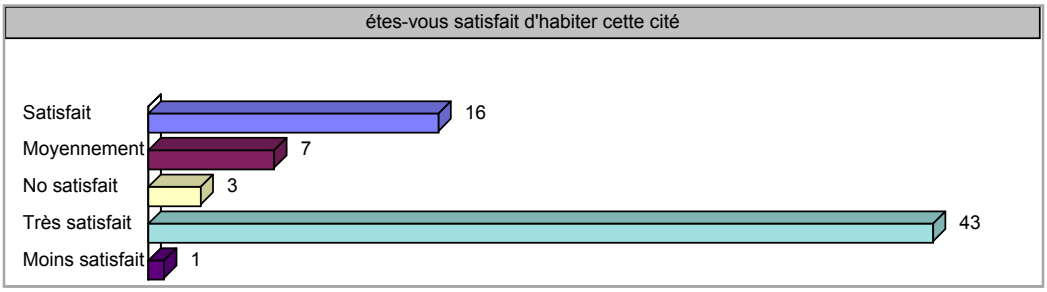

البيان (VII-35): متغير الرضا بالإقامة في الحي الاستعماري.

المصدر: الباحث، 2011.

4)-19- متغير الرغبة في تغيير الإقامة بالحي:

النسبة الغالبة والكبرى لا ترغب أبدا في تغيير محل إقامتها من هذا الحي الاستعماري للأسباب التي ذكرت في العنصر السابق فقد أبدى (77,1%) من مجموع المستجوبين عن عدم عزمهم على تحويل مقر سكناهم من هذا الحي إلى غيره، في حين أنه توجد نسبة (22,9%) منهم ترغب حقا في تغيير محل إقامتهم إلى وجهات أخرى.

Est-ce que vous voulez changer de cité	Nb. cit.	Fréq.
oui	16	22,9%
non	54	77,1%
TOTAL OBS.	**70**	**100%**

الجدول (VII - 32): متغير الرغبة في تغيير الإقامة بالحي.

المصدر: الباحث، 2011.

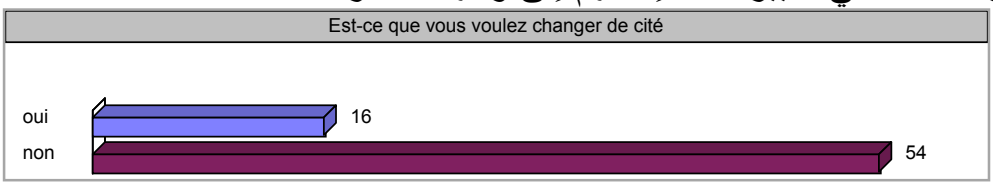

البيان (VII-36): متغير الرغبة في تغيير الإقامة بالحي.

المصدر: الباحث، 2011.

4)-20- متغير العلة من عدم تغيير الإقامة بالحي:

الظروف المادية هي العائق الأكبر التي دفعت بالكثير من السكان إلى المكوث في هذا الحي وعدم تغييره، كما أن صعوبة إيجاد مسكن بالمواصفات المرغوبة إضافة إلى الثمن المناسب يعد من أصعب الأمور في هذه الآونة فإن التقت هذه العوامل مع بعضها فالأمر يزداد صعوبة إلى صعوبته.

Si la réponse est oui, pourquoi tu n'as	Nb. cit.	Fréq.
Non réponse	54	77,1%
Les moyens ne permettent pas	9	12,9%
Tous les nouvelles cités sont identiques	3	4,3%
Pas de cité identique exemplaire	0	0,0%
La difficulté de trouver une maison actuellement	6	8,6%
Autres	2	2,9%
TOTAL OBS.	**70**	

الجدول (VII-33): متغير الرغبة في تغيير الإقامة بالحي.
المصدر: الباحث، 2011.

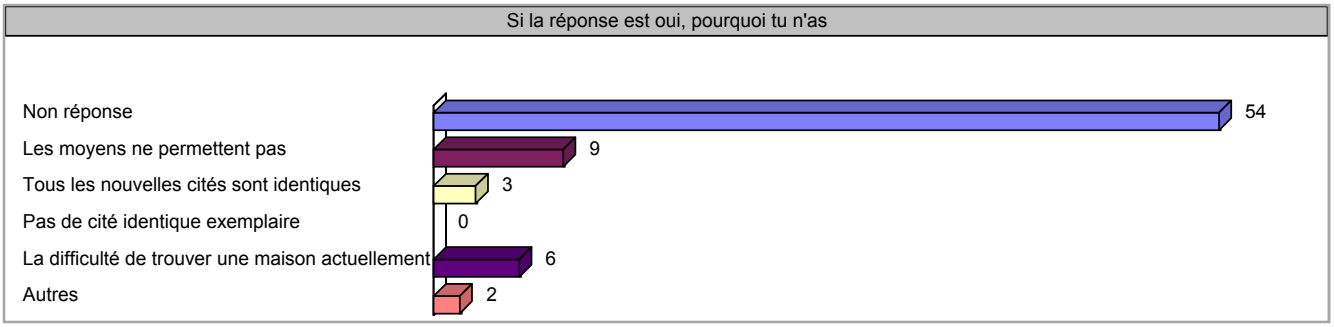

البيان (VII-37): متغير العلة من عدم تغيير الإقامة بالحي.
المصدر: الباحث، 2011.

5)- المستوى الثاني (الدراسة ثنائية المتغير) للاستمارة الموجهة للمستعملين للحي:

5)-1- دراسة المتغيرين (سبب اختيار هذا الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن):

faire quelques changements dans la const la cause de choisir cettc cité	oui	non	TOTAL
Non réponse	2	0	**2**
Parce que nos proches y habitants	11	3	**14**
une terrain et une maison sont moins chers	3	2	**5**
On n'a pas trouvé que cette cité	0	3	**3**
Autres	3	3	**6**
cette maison est appropriée pour vous	37	14	**51**
TOTAL	**56**	**25**	**81**

الجدول (VII-34): دراسة المتغيرين (سبب اختيار هذا الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن).
المصدر: الباحث، 2011.

وهذا العنصر يبين حقيقة ما إذا كان ثمة انسجام حقيقي بين السكان أو إن اختيار هذا المسكن لم يكن إلا لدوافع أخرى لعل أبرزها هو موقعه الاستراتيجي في قلب المدينة، فأغلب الذين أبرزوا أن اختيارهم لهذا الحي كان دافعه هو مناسبة المسكن لهم وتماشيه مع ظروفهم المعيشية وعاداتهم وتقاليدهم تبين من خلال الاستبيان أن (72,54%) منهم قد أجروا تعديلات على هذه المساكن، وتعدى الأمر حتى إلى أولئك الذين انتقلوا إلى هذا الحي بهدف التقرب من أقربائهم المتواجدين بالحي قبلهم فأبدت ما نسبته (78,58%) منهم عن إجرائهم لتعديلات على مساكنهم هم أيضا، أي أننا نستطيع أن نجزم أن انتقالهم إلى المسكن الحالي كان ضرورة لا بد منها وان هذا المسكن كان الأنسب لهم في وقت ما ومقارنة بمسكن آخر أي بمعطيات أخرى، وإلا فالحقيقة أن هذا المسكن هو الأخر يعتريه بعض النقص في الاستجابة لمتطلبات هذه الأسر.

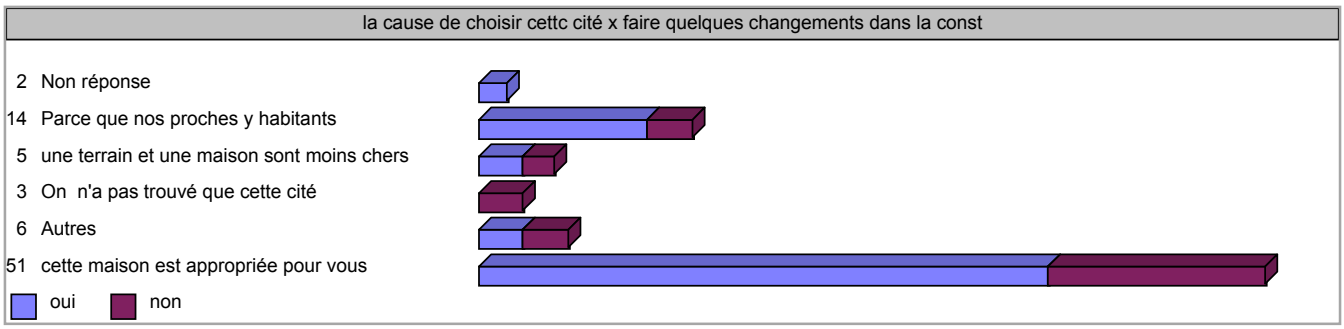

البيان (VII-38): دراسة المتغيرين (سبب اختيار الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن).
المصدر: الباحث، 2011.

6)- المستوى الثالث (الدراسة متعددة المتغيرات) للاستمارة الموجهة للمستعملين للحى:

6)-1- دراسة المتغيرات (سبب اختيار هذا الحى//إجراء بعض التعديلات على المسكن//سبب هذه التعديلات):

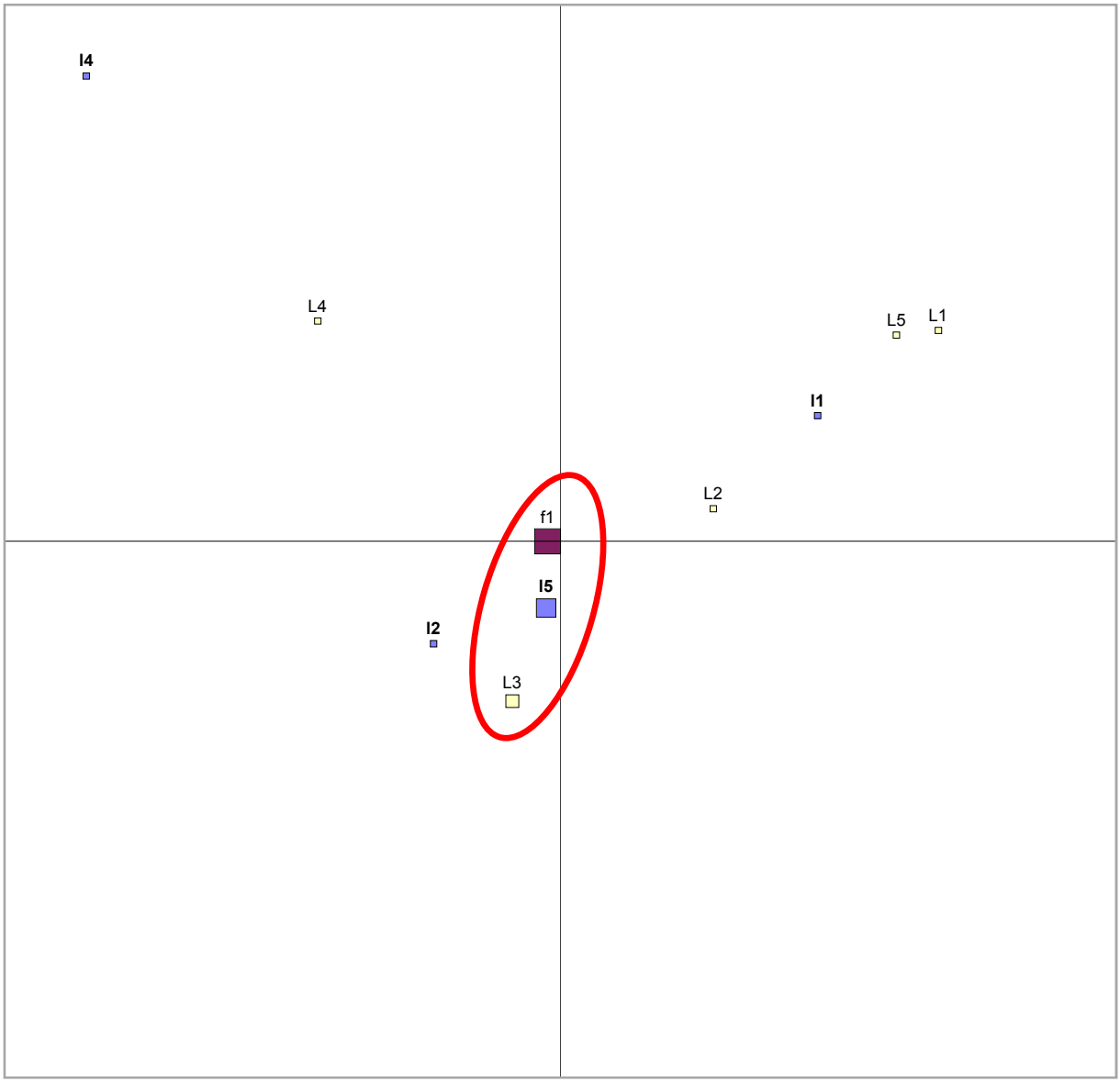

البيان (VII-39): خريطة العوامل للمتغيرات (سبب اختيار الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن//سبب هذه التعديلات).
المصدر: الباحث، 2011.

من خلال قراءة خريطة العوامل يتضح لنا صحة الكلام الأخير فقد دلت القراءة المتأملة للخريطة أن النسبة الأكبر من الذين اختاروا السكن بالحي الاستعماري إنما اختاروها لاعتقادهم أن المسكن الاستعماري هو الأنسب لهم أو على الأقل يمكن القول أنه كان الأنسب لهم، هذه النسبة أغلبها قد أجرت تعديلات على هذا المسكن ولم يبق على حاله الأصلي أقله من جهة التنظيم الداخلي، بل لقد دلت النتائج المحصل عليها من عملية التحليل أن السبب الغالب والدافع لإحداث هذه التغييرات هو أن مخطط المسكن الحالي غير مناسب تماما للأسرة وغير متماش مع عاداتها ومتطلبات حياتها.

6)-2- دراسة المتغيرات (سبب اختيار هذا الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن//طبيعة هذه التعديلات):

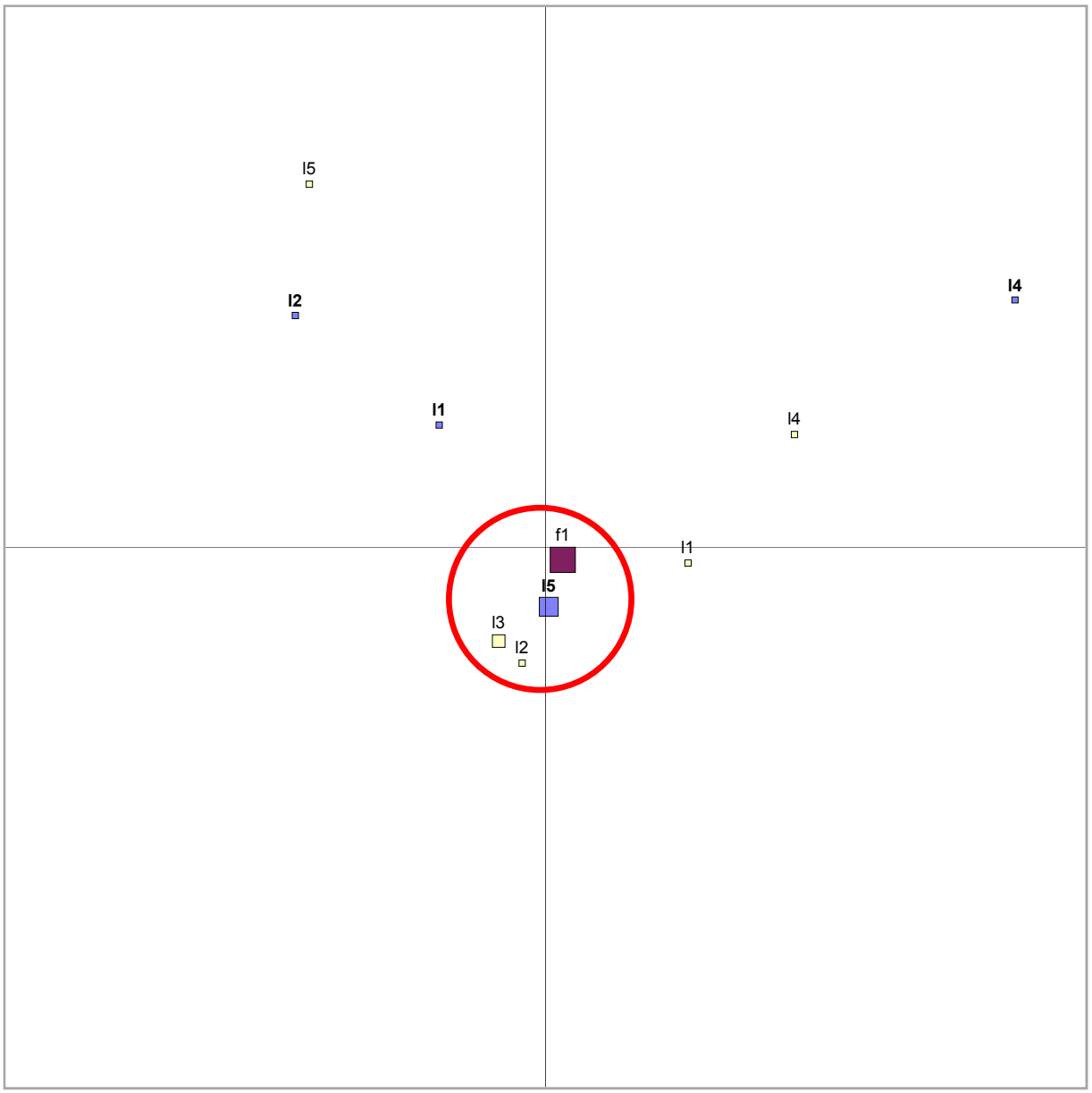

البيان (VII-40): خريطة العوامل للمتغيرات (سبب اختيار الحي//إجراء بعض التعديلات على المسكن//طبيعة هذه التعديلات).

المصدر: الباحث، 2011.

وهذا العنصر جاء مؤكدا للعنصر الذي سبقه من خلال معرفة ماهية التغيرات المحدثة على مستوى المساكن التي يزعم أصحابها أنهم ما اختاروا السكن بهذا الحي الاستعماري إلا بسبب مناسبتها لهم، فالناظر المتأمل لخريطة العوامل المدرجة أعلاه توضح أن أغلب السكان الذين اختاروا السكن ضمن هذا الحي كان سبب اختيارهم أن المساكن ذات مخططات مناسبة لهم، لكن الخريطة أثبتت أن أغلبهم أجروا تعديلات على هذه المساكن وأن معظمها كان تعديلا جذريا للمخطط الأصلي، فإن لم يكن التغيير جذريا فقد كان مساسا بهيكلة هذا المخطط من خلال إضافة مجال أو تحويل وظيفة أو غير ذلك، مما يدل وكما أسلفنا أن اختيار السكن بالحي الاستعماري ربما كان مناسبا في حقبة ما لكن ليس على الدوام، فالكل يعلم أن الأحياء العتيقة والتي كانت تضم الجزائريين الأصليين أيام الاحتلال طالما عانت من التهميش والعزلة ونقص المرافق إبان فترة الاستعمار الغاشم، وأما الأحياء الاستعمارية التي كانت تضم المعمرين فكانت بها سبل الحياة الناعمة والرغيدة، فمن الطبيعي أن تكون هذه الأحياء ملاذا للجزائريين المضطهدين ووجهة لهم عقب خروج هذا المستعمر الظالم.

خـــلاصـــــــــة:

من النتائج المتحصل عليها إثر عملية الاستجواب والتي مست شريحتين تعنيان بالواقع الذي تعيشه مدينة بسكرة اليوم، اتضح لدينا من خلال الدراسة الأحادية المتغير للاستمارة الموجهة للطلبة الجامعيين من الاختصاص أن (62,4%) من المستجوبين يرون أن العمران الاستعماري غير مناسب لمجتمعنا اليوم لاختلافه الشديد مع العادات والتقاليد السائدة، أما (36,6%) منهم فيرونه مناسبا كونه يتميز بتنظيم جيد وأدخل أساليب جديدة في البناء واستغلال المجال، لكن رغم هذا نجد أن (88,1%) من المستجوبين يرون هذا العمران الاستعماري ذا تأثير كبير على مدينة بسكرة اليوم وعلى واقعها العمراني وهذا لعدة أسباب حيث دلت النتائج أن (36,6%) من المستجوبين يرجعون السبب إلى أزمة السكن والانفجار الديموغرافي حيث أصبح الاهتمام منصبا على عملية الإسكان، في حين أن (31,7%) منهم يرون سبب هذا التأثير راجعا إلى ميول المصممين نحو العمران الاستعماري وتأثرهم به بسبب غياب المراجع التصميمية المعتمدة واندثار القصور العتيقة وكذا تولد اعتقاد بأن العمران الاستعماري هو الأنسب بالرغم من أننا نلاحظ ومن خلال النتائج أن (53,5%) من المستجوبين يجدون أنفسهم أكثر ميولا إلى العمارة المحلية التقليدية ولا أدل على ذلك من أن (57,4%) منهم يرون السبيل الأمثل لتنمية البيئة الحضرية هو بإقامة حياء جديدة وبمواصفات تقليدية، في حين نجد أن (48,5%) منهم يرون أن الدمج بين العمرانين المحلي والاستعماري هو السبيل الأمثل لتنمية البيئة الحضرية وهذا بالاستفادة من مزايا كلا العمرانين.

ومن النتائج المتحصل عليها من الدراسة ثنائية المتغير اتضح لدينا أن تأثر المصممين بالعمران الاستعماري راجع إلى عدة عوامل أهمها هو البرنامج الدراسي المقرر والذي يرى (63,4%) من الطلبة أنه يخدم العمران الاستعماري.

أما بالنسبة للاستمارة الموجهة للمستعملين بالحي الاستعماري فقد جاءت بنتائج متباينة على صعيد الدراسة أحادية المتغير فقد دلت النتائج أن (72,9%) من مجموع السكان إنما اختاروا هذا الحي للإقامة به كون المسكن هو الأنسب لهم، لكننا نجد أن (71,4%) منهم قد أجروا تعديلات وتحسينات على مساكنهم حيث يرجع (38,6%) منهم السبب وراء إجراء هذه التعديلات إلى أن مخطط المسكن غير ملائم لهم وأن (31,4%) من الذين أجروا هذه التعديلات كانت طبيعتها تعديلا جذريا وتحويلا تاما لمخطط المسكن، وعلى الرغم من هذا كله فإننا نجد (84,3%) من السكان راضين بالإقامة ضمن هذا الحي حيث عبر (77,1%) منهم عن عدم رغبتهم في تحويل إقامتهم منه مما يدل أنه ثمة عوامل أخرى تدفع بالسكان إلى التمسك بالسكن في هذا الحي.

ولعل من أبرز هذه العوامل هو موقع هذا الحي الاستراتيجي في وسط المدينة اليوم وكذا صعوبة التخلي عن المسكن الأصلي ونشوء مجموعة من العلاقات الحميمة بين الجيران حيث عبر أزيد من (90%) من السكان عن وجود علاقات احترام ومودة متبادلة بينهم.

لكن الشيء الأهم من هذا كله هو أن هذه العوامل ساهمت في تلاشي العمران المحلي العتيق، فأزمة السكن والانفجار السكاني وفقدان الهوية المعمارية والعمرانية وغياب المراجع التصميمية واندثار معالم التراث المحلي والانجذاب والانبهار بالعمارة الأوربية والنقل الحرفي والغير مدروس لمنتوج العمارة في الشمال كل هذه العوامل وغيرها الكثير أدى إلى اضمحلال معالم الأصالة والتراث وفقدان الهوية العربية الإسلامية لمدينة بسكرة اليوم، هذه الأخيرة التي تشهد حالة من الصراع واللاتأقلم بين أنسجتها العمرانية المختلفة مما جعل المدينة تعاني من حالة من التمزق الحضاري والعمراني.

الفصل السادس:

الحي الاستعماري ببسكرة:

نموذج جديد لاستغلال المجال.

مقدمـــة:

تحدثنا في الفصلين السابقين عن مدينة بسكرة ككل أي من الناحية العامة وهذا وفق فترات زمنية مختلفة امتدت من قبل الاستعمار إلى بعيد الاستقلال وصولا إلى الوقت الحالي عايشنا من خلالها أشكال التحولات العمرانية التي مست الأنسجة العمرانية بالمدينة والتي كان مبدأها كما أسلفنا هو النسيج العمراني الاستعماري الذي جاء بنموذج جديد لاستغلال المجال الحضري، وسنحاول في هذا الفصل الكشف عن خصائص هذا النسيج الدخيل واستخراج السمات المميزة له والتي تركت بصمات واضحة وأثرا بالغا على الأنسجة العمرانية بالمدينة حتى عقب الاستقلال.

1)- معطيات حول موقع الدراسة:

1)-1- المـــوقـــع:

يمثل مجال الدراسة (الحي الاستعماري) وسط مدينة بسكرة ثاني مخطط شغل الأراضي لبسكرة وفقا لتوجيهات المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير وحدوده كالآتي:

- من الشمال: الحديقة العمومية 05 جويلية.
- من الجنوب: شارع الأمير عبد القادر.
- من الشرق: شارع الإخوة مناني.
- من الغرب: محطة السكة الحديدية.

1)-2- المســاحـــة:

وتبلغ مساحة الحي 31 هكتارا.(انظر الشكل-01-)

1)-3- الحالة العقارية:

إن جل السكنات الموجودة بمجال الدراسة تعود إلى ملكية خاصة حسب مصادر مكلفة ببلدية بسكرة.(انظر مخطط الطبيعة العقارية)

1)-4- العوائق والارتفاقات:

وهي باختصار كالآتي:

- خطوط السكة الحديدية المتواجدة غرب الحي.
- القطاع العسكري المتواجد في شرق مجال الدراسة ومركز الخبرة الطبية العسكرية في شمال المجال.
- الحديقة العمومية 05 جويلية المتواجدة شمال مجال الدراسة.

2)- التحليل العمراني:

لقد كانت الجزيرات في العهد الاستعماري بهذا الحي ذات أشكال متماثلة، وقد أعطيت لها تسمية الجزيرات المتماثلة (Ilot type) كما كان شكل البنايات بها منتظم ومتماثل وبها سكنات فردية تتوفر غالبا على طابق علوي واحد بكثافة (04)أو(05)سكنات لكل جهة.

2)-1- النمط الاستعماري الأصلي(Le style colonial):

تتوفر معظم البنايات في هذا النمط على فناءات من الداخل وخاصة في الجهة الغربية من مجال الدراسة، والنمط المعماري الذي تميزت به البنايات الأصلية أثناء الاحتلال الفرنسي للمدينة كان متناسقا ومرتبا ومنظما وموحدا من حيث:

- العلو: طابق أرضي وآخر علوي على الأكثر.
- مواد البناء: والتي تتكون من الحجر والتوف والطين و...
- الواجهات: منظمة ومحسوبة بدقة حسب محور التناظر وكانت بمثابة تجميل للشارع من الخارج وهذا نوع من نمط أوربي مدروس.
- الأسقف: معظمها مسطح بينما نجد البعض منها مائلة ومن بينها ما هو متواجد بعض التجهيزات العمومية التي شيدت آنذاك أثناء وجود الاستعمار الفرنسي مثل دار البلدية.

الصورة (VI-1): دار البلدية ببسكرة.
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (VI-2): منازل ذوات السقف المائل.
المصدر: الباحث، 2011.

وفي الجهة الشرقية وبمكان السوق تختلف نوعا ما إذ إن ساحة السوق محدودة بسكنات ذات طابقين وهي في الحقيقة عبارة عن مبان صغيرة بحيث يوجد بالطابق الأرضي أقواس بداخلها دكاكين صغيرة الحجم والتي تحتل مكانة كبيرة في المجال التجاري، كما أن البعد بين عارضتي الأقواس يقدر بمترين أو ثلاثة أمتار، أما في الطريق الرئيسي فهي أكثر من ذلك، وقد تميزت هذه

البنايات بطابع عربي إسلامي يرمز إلى بداية مجال سكني عربي في الأصل خلال أواخر القرن التاسع عشر(19) المتميز بالطابع الشرقي أين نجد العناصر المعمارية كالمشربية مثلا.

الصورة (VI-3): ظهور المباني بطابقين.
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (VI-4): المنازل في السوق ذات الأقواس.
المصدر: الباحث، 2011.

2)-2- النمط الحالي (البنايات المجددة):

بدأ النمط الاستعماري يُفقد شيئا فشيئا مع مرور الزمن بتهري بناياته وتهديمها في معظم الأحيان وإنشاء بنايات جديدة مكانها والتي لم تحافظ في أغلب الأحيان على النمط الأصلي مما زاد من الاختلال في استمرارية النمط الأصلي.

وقد انجر عن كل هذا تقسيم الجزيرات بصفة غير منظمة، إذ تحولت الجزيرة من (04) إلى (05) قطع متوزعة إلى عدد أكبر من المساكن مما أدى إلى اختلال كبير في القراءة المتزنة للواجهات العمرانية والتأثير على الفضاء الداخلي للسكنات مما أثر على القدرة على استنباط نمط حالي مميز لهذا المجال، لكن يمكن تعديد بعض مميزاته كالأتي:

- استعمال مواد البناء الحالية (اسمنت وحديد).
- الهيكلة عبارة عن كمرات وأعمدة خرسانية.
- علو متفاوت من طابق أرضي(RDC) إلى طابق أرضي وفوقه أربعة طوابق(RDC+4).

الصورة (VI-5): المنازل المجددة في الحي الاستعماري.
المصدر: الباحث، 2011.

الصورة (VI-6): استعمال تقنيات ومواد بناء جديدة وحديثة.
المصدر: الباحث، 2011.

وقد تم اعتماد الوثيقة التحليلية للدراسة المورفونمطية كوسيلة توضيحية للقراءة الوصفية التحليلية لعناصر الشكل العمراني والعلاقات بين عناصر الشكل العمراني وفق المعايير الثلاثة (الطوبولوجية، الهندسية والبعدية)، وقد سبقت الإشارة إلى هذه العناصر المتعلقة بالدراسة التوضيحية لعناصر الشكل العمراني (النسق التحصيصي، النسق الشبكاتي، نسق المجال الحر) وكذا العلاقات بين عناصر الشكل العمراني (الموقع العمراني//نسق شبكاتي)(الموقع العمراني//نسق المجال الحر)(نسق شبكاتي//نسق تحصيصي)(نسق شبكاتي//نسق المجال الحر)(نسق تحصيصي//نسق المجال الحر) وهدفها كما أسلفنا هو الكشف عن صفات النسيج العمراني المدروس اعتمادا على تحليل وصفي أحادي المتغيرات، وسنستعين بما قام به (مدوكي، م، 2010) فيما يخص ترميز المؤشرات والبدائل كخطوة مساعدة لاستخراج النتائج التحليلية وتسهيل عمليتي القراءة والتحليل.

أ)- ترميز المؤشرات:

- فيما يخص ترميز مؤشرات العناصر النسقية للشكل العمراني فإن الحرفين الأولين يمثلن نوع النسق (SV النسق الشبكاتي) ثم الحرف الذي يليه يمثل المعيار المدروس (الطوبولوجي-T- الهندسي-G- البعدي-D-) ومن بعد ذلك نجد الرقم الترتيبي للمؤشر المدروس ضمن المعايير المذكورة.

- أما بالنسبة للعلاقات النسقية المدروسة فإن تسمية المؤشرات تخضع للمنطق التالي:

الحرف الأول يرمز للعلاقة (R) والحرف الثاني يرمز للمعايير المدروسة (الطوبولوجية (T) والبعدية (G) الهندسية (D))، والأربعة أحرف الموالية تمثل ترميز النسقين المبحوث عن العلاقة التي تربط بينهما(SVSP) (نسق شبكاتي (SV)//نسق تحصيصي (SP))، وأخيرا الرقم يمثل ترتيب المؤشر المدروس ضمن أحد المعايير المعتمدة(طوبولوجي، هندسي، بعدي).

- وفي الأخير يجب التنويه إلى أنه في كلا الحالتين (دراسة العناصر النسقية أو العلاقات بين عناصر الشكل العمراني) إذا وجد مؤشر وحيد لمعيار ما مدروس فإننا سنستغني عن الرقم المحدد للترتيب.

ب)- ترميز المتغيرات (البدائل) التابعة للمؤشرات:

وفيما يخص ترميز المتغيرات التابعة أي البدائل تم اعتماد حرفين فأكثر بالصيغة الفرنسية للكلمة مثل: الخضوع (ob) والتلاصق (Accol).

وعليه نقوم بسرد الجداول الثمانية المتعلقة بدراسة العناصر والعلاقات بين عناصر الشكل العمراني والتي تضم المؤشرات والمتغيرات التابعة لها رفقة الترميز الموافق.

وبعد القيام بعملية التحليل الوصفي نقوم باستخراج النسب المئوية للخاصيات المدروسة ثم القيام بعملية جرد عام للنتائج واستخراج الصفات الأكثر حضورا اعتمادا على النسب المئوية المستخرجة سابقا حيث نعتبر بالصفات ذات النسب المئوية الأكبر، ومن ثم تجمع النتائج في جداول تفصيلية مجزأة حسب عدد العناصر والعلاقات بين عناصر الشكل العمراني المعتمدة في الدراسة، وبذلك نستطيع استخراج صفات النسيج العمراني المدروس وفق كل نسق مدروس.

الجدول الأول	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز
نسق شبكاتي (SV)	المعيار الطوبولوجي للنسق الشبكي(SVT)			
	علاقة الطرق بالشبكات	SVT1	خطية	Linéa
			عقدية	Boucl
			شجيرية	Arbor
			إشعاعية	Rayon
			إطارية	Qudri
			شبكية	Résile
	التوضع النسبي لشبكة الطرقات	SVT2	التجاور	Juxtap
			التنضيد	Superp
	المعيار الهندسي للنسق الشبكي(SVG)			
	العلاقة التوجيهية للشبكة مع المحاور الرئيسية	SVT1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة التوجيهية بين الشبكات	SVT2	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية بين الشبكات	SVT3	التشابه	Semb
			عدم التشابه	Disemb

الجدول (VI-1): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالنسق الشبكاتي.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول الثاني	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
نسق تحصيصي (SP)	المعيار الطوبولوجي للنسق التحصيصي(SPT)			
	التوضع النسبي للتحصيصات	SPT1	احتواء	Inclu
			تلاصق	Accol
	التحصيصات في ما بينها	SPT2	مستمرة	Cont
			غير مستمرة	Discont
	التوضع النسبي بين الشبكات التحصيصية	SPT3	تجاورية	Proxi
			احتواء	Inclu
	المعيار الهندسي للنسق التحصيصي(SPG)			
	العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات	SPG1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	الأشكال	SPG2	هندسية منتظمة	Georégu
			هندسية مشوهة	Défirrég
	العلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية	SPG3	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	المعيار البعدي للنسق التحصيصي(SPD)			

	التدرج البعدي للتحصيصات	SPD1	موجود	Prop
			غير موجود	Disprop
	أبعاد التحصيصات في الشبكة	SPD2	ثابت	Const
			غير ثابت	Inconst

الجدول (VI-2): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالنسق التحصيصي.

المصدر: مدوكي، م، 2010

الجدول الثالث	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
نسق المجال الحر (SL)	المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر(SLT)			
	التوضع النسبي للساحات العامة	SLT1	تجاور	Contig
			لا تجاور	Ncontig
	الترابط بين الساحات العامة	SLT2	تواصل	Comm
			لا تواصل	Ncomm
	الساحات فيما بينها	SLT3	مستمرة	Cont
			غير مستمرة	Discont
	المعيار الهندسي لنسق المجال الحر(SLG)			
	العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة	SLG1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية	SLG2	تماثل	Identi
			تشابه	Simila
			اختلاف	Différ
			تكامل	Compl

الجدول (VI-3): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بنسق المجال الحر.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول الرابع	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
العلاقة النسقية: الموقع العمراني//النسق الشبكاتي (Rsusv)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//النسق الشبكاتي(RTsusv)			
	الوضعية النسبية للشبكاتية مقارنة بخطوط التسوية	RTsusv1	المسايرة	Coïncid
			عدم المسايرة	NCoïnci
	الرابط بين الطرقات والموقع	RTsusv2	استقلالية	Dépend
			الترابط	Indépen
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//النسق الشبكاتي(RGsusv)			
	العلاقة التوجيهية بين الطرق وخطوط التسوية	RGsusv	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob

الجدول (VI-4): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالعلاقة النسقية الموقع العمراني//النسق الشبكاتي.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول الخامس	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
العلاقة النسقية: الموقع العمراني//نسق المجال الحر (Rsusl)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RTsusl)			
	الوضعية النسبية للمجال الحر مقارنة بخطوط التسوية	RTsusl	متجاورة	Contig
			غير متجاورة	Nconti
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RGsusl)			
	العلاقة التوجيهية بين خطوط التسوية ومحاور الساحات العامة	RGsusl1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية بين خطوط التسوية وأشكال الساحات العامة	RGsusl2	الاختلاف	Différ
			التشابه	Simila
			التكامل	Compl
			التضاد	Contra
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RDsusl)			
	مقياس الساحة العامة مقارنة بمقياس خطوط التسوية	RDsusl	مهمل العلاقة	Disropo
			تناسب المقياس	Proporti

الجدول (VI-5): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول السادس	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
العلاقة النسقية: نسق شبكاتي//نسق تحصيصي (Rsusp)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RTsusp)			
	وضعية التحصيصة بالنسبة للطريق المارة	RTsusp1	تلاصق	Accol
			تباعد	Eloigne
			التنضيد	Suppo
	الترابط بين التحصيصة والطريق المارة	RTsusp2	مباشر	Directe
			غير مباشر	Indirect
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RGsusp)			
	العلاقة التوجيهية بين شبكة التحصيصات ومحور الشارع	RGsusp1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية	RGsusp2	التشابه	Sembl
			عدم التشابه	Disem
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RDsusp)			
	العلاقة البعدية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية	RDsusp1	ثبات	Constan
			تغير	Inconst
	أبعاد واجهات التحصيصات على الطريق	RDsusp2	ثبات	Constan
			تغير	Inconst

الجدول (VI-6): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول السابع	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
العلاقة النسقية: نسق شبكاتي//نسق المجال الحر (Rsvsl)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RTsvsl)			
	الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية	RTsvsl1	تمثل نقطة خاصة	Poinpar
			لا تمثل نقطة خاصة	Poinnpa
	وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق	RTsvsl2	تجاور	Adjacen
			تباعد	Eloigne
			اختراق	Pénétre
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RGsvsl)			
	العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة والشبكاتية	RGsvsl1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية	RGsvsl2	موجهة	Déduit
			مكملة	Compl
	العلاقة الرابطة	RGsvsl3	**الطريق يقطع الساحة**	Coupan
			الساحة تشوه الطريق	Déform
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RDsvsl)			
	مقياس الساحات العامة	RDsvsl	**مميزة عما يحيط بها**	Singulie
			غير مميزة	Répétit

الجدول (VI-7): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

الجدول الثامن	المؤشر		المتغيرات التابعة (البدائل)	
	التسمية	الترميز	التسمية	الترميز
العلاقة النسقية: نسق تحصيصي// نسق المجال الحر(Rspsl)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RTspsl)			
	وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات	RTspsl	**مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية**	Inscrit
			متمفصلة من عدة شبكات تحصيصية	Articul
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RGspsl)			
	العلاقة التوجيهية لمحاور الساحات العامة ومحاور الشبكة التحصيصية	RGspsl1	الخضوع	Ob
			عدم الخضوع	Dob
	العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية	RGspsl2	متماثلة	Identi
			متشابهة	Simila
			متكاملة	Compl
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RDspsl)			
	مقياس الساحة العامة مقارنة بالتحصيصات	RDspsl	الاختلاف	Différ
			التشابه	Simila

الجدول (VI-8): ترميز المؤشرات والبدائل المتعلقة بالعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر.

المصدر: مدوكي، م، 2010.

2)-3- القراءة الوصفية التحليلية للحي الاستعماري(القراءة المورفونمطية):

2)-3-1- النسق الشبكاتي:

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: علاقة الطرق بالشبكات: إطارية.
- الثاني: التوضع النسبي لشبكة الطرق: التجاور.

ب- المعيار الهندسي للنسق الشبكاتي:

- الأول: العلاقة التوجيهية للشبكة مع المحاور الرئيسية: الخضوع.
- الثاني: العلاقة التوجيهية بين الشبكات: الخضوع.
- الثالث: العلاقة الشكلية بين الشبكات: التشابه.

2)-3-2- النسق التحصيصي:

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: التوضع النسبي للتحصيصات: تلاصق.
- الثاني: التحصيصات فيما بينها: مستمرة.
- الثالث: التوضع النسبي بين الشبكات التحصيصية: تجاورية.

ب- المعيار الهندسي للنسق التحصيصي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات: خضوع.
- الثاني: الأشكال: هندسية منتظمة.
- الثالث: العلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية: خضوع.

ج- المعيار البعدي للنسق التحصيصي:

- الأول: التدرج البعدي للتحصيصات: غير موجود.
- الثاني: أبعاد التحصيصات في الشبكة: غير ثابت.

2)-3-3- نسق المجال الحر:

أ- المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر:

- الأول: التوضع النسبي للساحات العامة: غير متجاورة.
- الثاني: الترابط بين الساحات العامة: عدم التواصل.
- الثالث: الساحات فيما بينها: غير مستمرة.

ب- المعيار الهندسي لنسق المجال الحر:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة: عدم الخضوع.
- الثاني: العلاقة الشكلية: اختلاف.

2)-3-4- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: الوضعية النسبية للشبكاتية مقارنة بخطوط التسوية ويضم: المسايرة.
- الثاني: الرابط بين الطرقات والموقع ويضم: استقلالية.

ب- المعيار الهندسي:

- العلاقة التوجيهية بين الطرق وخطوط التسوية ويضم: خضوع.

2)-3-5- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الوضعية النسبية للمجال الحر مقارنة بخطوط التسوية ويضم: غير متجاورة.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين خطوط التسوية ومحاور الساحات العامة ويضم: عدم الخضوع.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين خطوط التسوية وأشكال الساحات العامة ويضم: الاختلاف.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحة العامة مقارنة بمقياس خطوط التسوية ويضم: مهمل العلاقة البعدية.

2)-3-6- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: وضعية التحصيصة بالنسبة للطريق المارة: تلاصق.

- الثاني: الترابط بين التحصيصة والطريق المارة: مباشر.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين شبكة التحصيصات ومحور الشارع: الخضوع.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية: تشابه.

ج- المعيار البعدي:

- الأول: العلاقة البعدية بين الشبكة التحصيصية والشبكاتية: ثبات.

- الثاني: أبعاد واجهات التحصيصات على الطريق: تغير.

2)-3-7- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية: لا تمثل نقطة خاصة.

- الثاني: وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق: تجاور.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة والشبكاتية: الخضوع.

- الثاني: العلاقة الشكلية: مكملة.

- الثالث: العلاقة الرابطة: الساحة تشوه الطريق.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحات العامة: لا وجود للتميز.

2)-3-8- العلاقة النسقية (نسق تحصيصي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات: مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية لمحاور الساحات العامة ومحاور الشبكة التحصيصية: عدم الخضوع.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية: متشابهة//متكاملة.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحات العامة مقارنة بالتحصيصات: الاختلاف.

2)-4- التحليل الوصفي الأحادي المتغيرات:

وتهدف هذه العملية إلى استخراج النسب المئوية للمتغيرات وإظهار الصفات السائدة والمميزة لكل مؤشر مدروس، وتجدر الإشارة إلى أنه تم الاعتبار بالصفات ذات الحضور القوي وإهمال الصفات ذات النسب المئوية الضعيفة من باب التغليب، وإطلاق صفة السائدة يكون في جميع الحالات على النحو الآتي:

* إذا تساوت النسب المئوية للمتغيرات بنسبة **(50%)** فهنا تؤخذ كلتا الصفتان ويطلق عليهما **سائدتان متوازنتان**.

* إذا وصلت النسب المئوية للمتغيرات إلى نسبة **(100%)** فهنا يطلق على الصفة **سائدة تامة** وهي دليل على تجانس خواص النسيج العمراني المدروس.

* إذا وصلت النسب المئوية للمتغيرات إلى مجال الخمسينات **(%)** والأخرى إلى مجال الأربعينات **(%)** فهنا تؤخذ كلتا الصفتان ويطلق عليهما **سائدتان متوازنتان نسبيا** وينطبق الأمر في حال لو كانت كلتا الصفتان بنسب ضعيفة لكن متقاربة لعدم قدرتنا على تغليب إحداهما على الأخرى أو تجاهلهما معا.

2)-4-1- النسق الشبكاتي:

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: علاقة الطرق بالشبكات: تشكل المتغيرة <<إطارية>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: التوضع النسبي لشبكة الطرق: تشكل المتغيرة <<متجاورة>> نسبة **(100%)**.

ب- المعيار الهندسي للنسق الشبكاتي:

- الأول: العلاقة التوجيهية للشبكة مع المحاور الرئيسية: تشكل المتغيرة <<الخضوع>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: العلاقة التوجيهية بين الشبكات: تشكل المتغيرة <<الخضوع>> نسبة **(100%)**.

- الثالث: العلاقة الشكلية بين الشبكات: تشكل المتغيرة <<التشابه>> نسبة **(100%)**.

2)-4-2- النسق التحصيصي:

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: التوضع النسبي للتحصيصات: تشكل المتغيرة <<تلاصق>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: التحصيصات فيما بينها:فهي <<مستمرة>> بنسبة **(100%)**.

- الثالث: التوضع النسبي بين الشبكات التحصيصية: فنجد أنها <<تجاورية>> بنسبة **(%100)**.

ب- المعيار الهندسي للنسق التحصيصي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات: يشكل <<خضوع>> نسبة **(%84)**، و<<عدم الخضوع>> نسبة **(%16)**.

- الثاني: الأشكال: فنجدها <<هندسية منتظمة>> بنسبة **(%100)**.

- الثالث: العلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية: يشكل <<خضوع>> نسبة **(%84)**، و<<عدم الخضوع>> نسبة **(%16)**.

ج- المعيار البعدي للنسق التحصيصي:

- الأول: التدرج البعدي للتحصيصات: فنجده <<غير موجود>> بنسبة **(%100)**.

- الثاني: أبعاد التحصيصات في الشبكة: فنجده <<غير ثابت>> بنسبة **(%100)**.

2)-4-3- نسق المجال الحر:

أ- المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر:

- الأول: التوضع النسبي للساحات العامة: فنجدها <<غير متجاورة>> بنسبة **(%100)**.

- الثاني: الترابط بين الساحات العامة: يشكل <<عدم التواصل>> نسبة **(%100)**.

- الثالث: الساحات فيما بينها: تكون <<غير مستمرة>> بنسبة **(%100)**.

ب- المعيار الهندسي لنسق المجال الحر:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة: يشكل <<الخضوع>> نسبة **(%100)**.

- الثاني: العلاقة الشكلية: يشكل <<الاختلاف>> نسبة **(%70)**، و<<التشابه>> نسبة **(%30)**.

2)-4-4- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: الوضعية النسبية للشبكاتية مقارنة بخطوط التسوية ويضم: المسايرة **(%100)**.

- الثاني: الرابط بين الطرقات والموقع ويضم: استقلالية **(%100)**.

ب- المعيار الهندسي:

- العلاقة التوجيهية بين الطرق وخطوط التسوية ويضم خضوع **(%100)**.

2)-4-5- العلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الوضعية النسبية للمجال الحر مقارنة بخطوط التسوية نسبة <<غير متجاورة>> **(%100)**.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين خطوط التسوية ومحاور الساحات العامة ويشكل <<عدم الخضوع>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين خطوط التسوية وأشكال الساحات العامة: يشكل <<الاختلاف>> نسبة **(100%)**.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحة العامة مقارنة بمقياس خطوط التسوية <<مهمل العلاقة البعدية>> **(100%)**.

2)-4-6- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: وضعية التحصيصة بالنسبة للطريق المارة: ويشكل <<تلاصق>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: الترابط بين التحصيصة والطريق المارة: ويكون <<مباشرا>> بنسبة **(100%)**.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين شبكة التحصيصات ومحور الشارع: ويشكل <<الخضوع>> نسبة **(100%)**.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية: <<تشابه>> بنسبة **(100%)**.

ج- المعيار البعدي:

- الأول: العلاقة البعدية بين الشبكة التحصيصية والشبكاتية: <<ثبات>> بنسبة **(100%)**.

- الثاني: أبعاد واجهات التحصيصات على الطريق: يميزها <<التغير>> بنسبة **(100%)**.

2)-4-7- العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- الأول: الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية: نجدها <<لا تمثل نقطة خاصة>> بنسبة **(83%)**، بينما نجدها <<تمثل نقطة خاصة>> بنسبة **(17%)**.

- الثاني: وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق: يشكل المتغير <<تجاور>> نسبة **(83%)**، أما المتغير <<اختراق>> فيشكل نسبة **(17%)**.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة والشبكاتية: نجد <<الخضوع>> نسبته **(50%)**، أما <<عدم الخضوع>> فنسبته **(50%)**.

- الثاني: العلاقة الشكلية: يشكل المتغير <<مكملة>> نسبة **(100%)**.

- الثالث: العلاقة الرابطة: نجد أن <<الساحة تشوه الطريق>> بنسبة **(100%)**.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحات العامة: نجد انه <<لا وجود للتميز>> بنسبة **(100%)**.

2)-4-8- العلاقة النسقية (نسق تحصيصي//نسق المجال الحر):

أ- المعيار الطوبولوجي:

- وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات: نجد أنها <<مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية>> بنسبة **(83%)**، و<<متمفصلة من عدة شبكات تحصيصية>> بنسبة **(17%)**.

ب- المعيار الهندسي:

- الأول: العلاقة التوجيهية لمحاور الساحات العامة ومحاور الشبكة التحصيصية: نجد أن <<الخضوع>> يشكل **(50%)**، بينما يشكل <<الخضوع>> نسبة **(50%)**.

- الثاني: العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية: نجد أنها <<متكاملة>> بنسبة **(66%)**، ونجدها <<متشابهة>> بنسبة **(34%)**.

ج- المعيار البعدي:

- مقياس الساحات العامة مقارنة بالتحصيصات: يشكل <<الاختلاف>> نسبة **(100%)**.

2)-5- نتائج التحليل الوصفي الأحادي المتغيرات(الصفات السائدة):

وتسعى هذه الدراسة إلى تبيان الصفات السائدة والأكثر حضورا على مستوى عناصر الشكل العمراني والعلاقات بينها، وتم سرد هذه النتائج ضمن الجداول الملحقة، ويعقبه استخراج الصفات السائدة التامة والصفات السائدة المتوازنة والصفات السائدة المتوازنة نسبيا.

الجدول الأول	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
نسق شبكاتي (SV)	المعيار الطوبولوجي للنسق الشبكي(SVT)				
	علاقة الطرق بالشبكات	SVT1	إطارية	Qudri	100
	التوضع النسبي لشبكة الطرق	SVT2	التجاور	Juxtap	100
	المعيار الهندسي للنسق الشبكي(SVG)				
	العلاقة التوجيهية للشبكة مع المحاور الرئيسية	SVG1	الخضوع	Ob	100
	العلاقة التوجيهية بين الشبكات	SVG2	الخضوع	Ob	100
	العلاقة الشكلية بين الشبكات	SVG3	التشابه	Semb	100

الجدول (VI-9): الصفات السائدة لمؤشرات النسق الشبكاتي.

المصدر: الباحث، 2011.

* تحليل الجدول الأول:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن النسق الشبكاتي فإننا نميز أن جميع المؤشرات المحللة تضم صفة وحيدة وسائدة تماما مما يدل على تجانس هذا الحي في ما يتعلق بالجانب الشبكاتي.

الجدول الثاني	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
نسق تحصيصي (SP)	المعيار الطوبولوجي للنسق التحصيصي(SPT)				
	التوضع النسبي للتحصيصات	SPT1	تلاصق	Accol	100
	التحصيصات فيما بينها	SPT2	مستمرة	Cont	100
	التوضع النسبي بين الشبكات التحصيصية	SPT3	تجاور	Proxi	100
	المعيار الهندسي للنسق التحصيصي(SPG)				
	العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات	SPG1	الخضوع	Ob	84
			عدم الخضوع	Dob	16
	الأشكال	SPG2	هندسية منتظمة	Georégu	100
	العلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية	SPG3	الخضوع	Ob	84
			عدم الخضوع	Dob	16
	المعيار البعدي للنسق التحصيصي(SPD)				
	التدرج البعدي للتحصيصات	SPD1	غير موجود	Disprop	100
	أبعاد التحصيصات في الشبكة	SPD2	عدم الثبات	Inconst	100

الجدول (VI-10): الصفات السائدة لمؤشرات النسق التحصيصي.

المصدر: الباحث، 2011.

*تحليل الجدول الثاني:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن النسق التحصيصي فإننا نميز ما يلي:

- كل خواص المعيار الطوبولوجي تشكل صفاته صفات سائدة تامة، الأمر ذاته ينطبق على خواص المعيار البعدي.

- أما الصفات السائدة فشملت خاصية <<الخضوع>> على مستوى كل من العلاقة التوجيهية بين محاور التحصيصات والعلاقة التوجيهية بين الشبكات التحصيصية.

الجدول الثالث	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
نسق المجال الحر (SL)	المعيار الطوبولوجي لنسق المجال الحر(SLT)				
	التوضع النسبي للساحات العامة	SLT1	لا تجاور	Ncontig	100
	الترابط بين الساحات العامة	SLT2	لا تواصل	Ncomm	100
	الساحات فيما بينها	SLT3	غير مستمرة	Discont	100
	المعيار الهندسي لنسق المجال الحر(SVG)				
	العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة	SLG1	الخضوع	Ob	100
	العلاقة الشكلية	SLG2	اختلاف	Différ	70
			تشابه	Simila	30

الجدول (VI-11): الصفات السائدة لمؤشرات نسق المجال الحر.

المصدر: الباحث، 2011.

*تحليل الجدول الثالث:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن نسق المجال الحر فإننا نميز ما يلي:

- شملت الصفات السائدة التامة كل خواص المعيار الطوبولوجي وكذا العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة التابعة للمعيار الهندسي.
- أما الصفات السائدة فشملت خاصية <<الاختلاف>> ضمن العلاقة الشكلية على مستوى المعيار الهندسي، كما تجدر الإشارة أن خاصية <<التشابه>> ضمن نفس العلاقة وعلى مستوى نفس المعيار تشكل نسبة لا بأس بها لا ينبغي تجاهلها.

الجدول الرابع	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
العلاقة النسقية: الموقع العمراني//النسق الشبكاتي (Rsusv)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//النسق الشبكاتي(RTsusv)				
	الوضعية النسبية للشبكاتية مقارنة بخطوط التسوية	RTsusv1	المسايرة	Coïncid	100
	الرابط بين الطرقات والموقع	RTsusv2	استقلالية	Dépend	100
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//النسق الشبكاتي(RGsusv)				
	العلاقة التوجيهية بين الطرق وخطوط التسوية	RGsusv	الخضوع	Ob	100

الجدول (VI-12): الصفات السائدة لمؤشرات العلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي).

المصدر: الباحث، 2011.

* تحليل الجدول الرابع:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن العلاقة النسقية (الموقع العمراني//النسق الشبكاتي) فإننا نميز أن جميع المؤشرات المحللة تضم صفة وحيدة وسائدة تماما مما يدل على التجانس المسجل على مستوى هذا الحي في ما يتعلق بالعلاقة المحللة.

الجدول الخامس	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	%
العلاقة النسقية: الموقع العمراني//نسق المجال الحر (Rsusl)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RTsusl)				
	الوضعية النسبية للمجال الحر مقارنة بخطوط التسوية	RTsusl	غير متجاورة	Nconti	100
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RGsusl)				
	العلاقة التوجيهية بين خطوط التسوية ومحاور الساحات العامة	RGsusl1	عدم الخضوع	Dob	100
	العلاقة الشكلية بين خطوط التسوية وأشكال الساحات العامة	RGsusl2	الاختلاف	Différ	100
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية الموقع العمراني//نسق المجال الحر(RDsusl)				
	مقياس الساحة العامة مقارنة بمقياس خطوط التسوية	RDsusl	مهمل العلاقة	Disropo	100

الجدول (VI-13): الصفات السائدة لمؤشرات العلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر).

المصدر: الباحث، 2011.

* تحليل الجدول الخامس:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن العلاقة النسقية (الموقع العمراني//نسق المجال الحر) فإننا نميز أن خواص جميع المؤشرات المحللة تضم صفة وحيدة سائدة تماما مما يدل على التجانس المسجل على مستوى هذا الحي في ما يتعلق بالعلاقة المحللة.

الجدول السادس	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
العلاقة النسقية: نسق شبكاتي//نسق تحصيصي (Rsusp)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RTsusp)				
	وضعية التحصيصة بالنسبة للطريق المارة	RTsusp1	تلاصق	Accol	100
	الترابط بين التحصيصة والطريق المارة	RTsusp2	مباشر	Directe	100
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RGsusp)				
	العلاقة التوجيهية بين شبكة التحصيصات ومحور الشارع	RGsusp1	الخضوع	Ob	100
	العلاقة الشكلية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية	RGsusp2	التشابه	Sembl	100
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق تحصيصي(RDsusp)				
	العلاقة البعدية بين شبكة التحصيصات والشبكاتية	RDsusp1	ثبات	Constan	100
	أبعاد واجهات التحصيصات على الطريق	RDsusp2	تغير	Inconst	100

الجدول (VI-14): الصفات السائدة لمؤشرات العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي).

المصدر: الباحث، 2011.

*تحليل الجدول السادس:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق تحصيصي) فإننا نميز أن كل الخواص المحللة تضم صفات وحيدة وسائدة تماما مما يدل على انسجام الحي ضمن العلاقات القائمة بين كل من النسق الشبكاتي والنسق التحصيصي.

الجدول السابع	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
العلاقة النسقية: نسق شبكاتي//نسق المجال الحر (Rsvsl)	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RTsvsl)				
	الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية	RTsvsl1	**تمثل نقطة خاصة**	Poinpar	17
			لا تمثل نقطة خاصة	Poinnpa	83
	وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق	RTsvsl2	تجاور	Adjacen	83
			اختراق	Pénétre	17
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RGsvsl)				
	العلاقة التوجيهية بين محاور الساحات العامة والشبكاتية	RGsvsl1	الخضوع	Ob	100
	العلاقة الشكلية	RGsvsl2	مكملة	Compl	100
	العلاقة الرابطة	RGsvsl3	**الساحة تشوه الطريق**	Déform	100
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق شبكاتي//نسق المجال الحر(RDsvsl)				
	مقياس الساحات العامة	RDsvsl	غير مميزة	Répétit	100

الجدول (VI-15): الصفات السائدة لمؤشرات العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق المجال الحر).

المصدر: الباحث، 2011.

*تحليل الجدول السابع:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن العلاقة النسقية (نسق شبكاتي//نسق المجال الحر) فإننا نميز ما يلي:

- كل خواص المعيارين الهندسي والبعدي تشكل صفاتها صفات سائدة تامة.
- أما خاصية <<لا تمثل نقطة خاصة>> ضمن الوضعية النسبية للساحات العامة مقارنة بالشبكاتية، وخاصية <<التجاور>> ضمن وضعية الساحة العامة مقارنة بالطريق وكلاهما ضمن المعيار الطوبولوجي فتشكلان صفات سائدة.

الجدول الثامن	المؤشر السائد		المتغيرات التابعة (البدائل)		
	التسمية	الرمز	التسمية	الرمز	(%)
العلاقة النسقية: نسق تحصيصي// نسق الحر(Rspsl)المجال	المعيار الطوبولوجي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RTspsl)				
	وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات	RTspsl	مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية	Inscrit	83
			متمفصلة من عدة شبكات تحصيصية	Articul	17
	المعيار الهندسي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RGspsl)				
	العلاقة التوجيهية لمحاور الساحات العامة ومحاور الشبكة التحصيصية	RGspsl1	الخضوع	Ob	100
	العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية	RGspsl2	متكاملة	Compl	66
			متشابهة	Simila	34
	المعيار البعدي للعلاقة النسقية نسق تحصيصي//نسق المجال الحر(RDspsl)				
	مقياس الساحة العامة مقارنة بالتحصيصات	RDspsl	الاختلاف	Différ	100

الجدول (VI-16): الصفات السائدة لمؤشرات العلاقة النسقية (نسق تحصيصي//نسق المجال الحر).

المصدر: الباحث، 2011.

*تحليل الجدول الثامن:

فيما يخص الصفات السائدة ضمن العلاقة النسقية (نسق تحصيصي//نسق المجال الحر) فإننا نميز ما يلي:

- لا تظهر الصفة السائدة التامة إلا ضمن المعيار البعدي والمؤشر الأول ضمن المعيار الهندسي.
- أما الصفات السائدة فتمثلت ضمن خاصية << مدمجة ضمن الشبكات التحصيصية>> ضمن وضعية الساحات العامة ضمن شبكة التحصيصات التابعة للمعيار الطوبولوجي، وكذلك خاصية <<متكاملة>> ضمن العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية التابعة للمعيار الهندسي، وتجدر الإشارة إلى أن خاصية <<متشابهة>> ضمن العلاقة الشكلية بين الساحات العامة والشبكة التحصيصية التابعة للمعيار الهندسي تشكل هي الأخرى نسبة لا يُستهان بها.

2)-6- محصلة عامة:

إن هذه النتائج المتحصل عليها توضح خصائص هذا النسيج العمراني المدروس ومدى تجانسه وانسجامه من خلال تحليل نسب الصفات المستخرجة ومدى هيمنتها، وفي إطار عملية التحليل فإننا نميز ما يلي:

- مجمل الخواص المدروسة هي **(41)** خاصية منها **(34)** خاصية تشكل حالة **سائدة تامة** أي ما نسبته **%82,93**.
- **(07)** خواص مدروسة تتسم بصفة سائدة أي ما نسبته **%17,07**.

وبإلقاء نظرة متفحصة على هذه النتائج يتضح لنا جليا أن حالة الصفة السائدة التامة تشكل الأغلبية الساحقة حتى وإن نظرنا إليها على مستوى المعايير منفردة، فعلى مستوى المعيار الطوبولوجي نجد أنه ومن بين **(16)** خاصية مدروسة **(13)** خاصية منها تشكل حالة صفة سائدة تامة أي ما نسبته **%81,25**، وكذلك على مستوى المعيار الهندسي فمن بين **(18)** خاصية مدروسة نجد **(11)** منها تشكل حالة صفة سائدة تامة أي ما نسبته **%61,11**، وهذا وإن دل فإنما يدل على أن أجزاء النسيج العمراني لهذا الحي تعد أكثر تجانسا من حيث البنى التحتية.

البيان (VI - 1): نسب الصفات السائدة

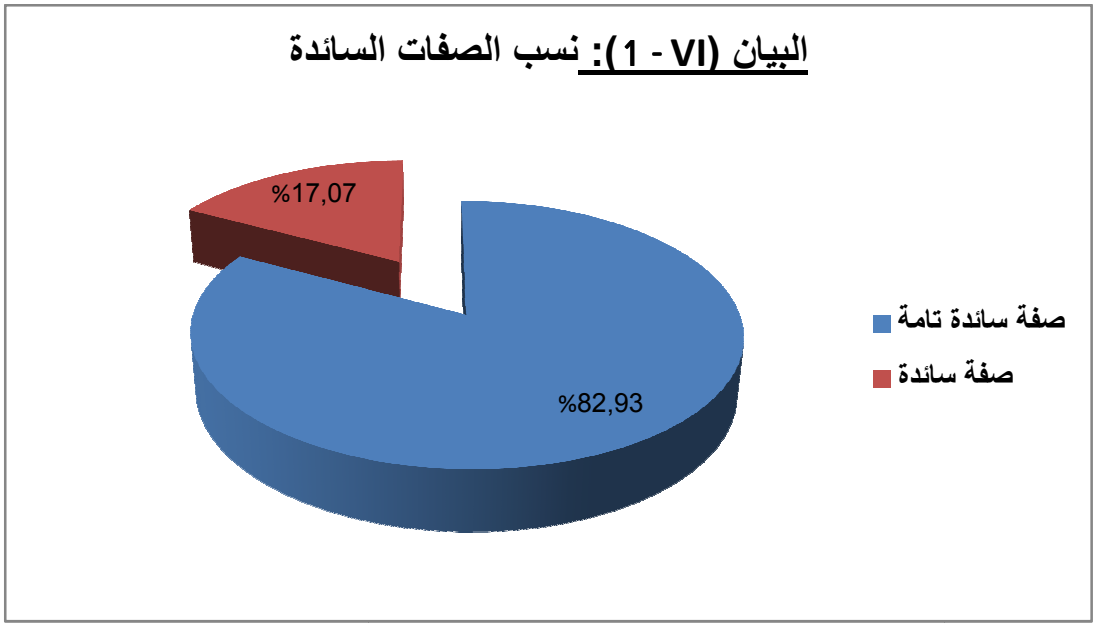

قائمة المراجع ومصادر البحث.

قائمة المراجع ومصادر البحث:

المراجع باللغة العربية:

- **أحمد خالد علام**، (1980)، تخطيط المدن، دار المعارف، القاهرة، مصر.
- **أحمد يحيى عبد الحميد**، (1998)، الأسرة والبيئة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر.
- **إسحاق يعقوب القطب**، (1990)، خصائص المدينة والتحضر في الدول الإسلامية، في مجلة المدينة العربية، الكويت.
- **أسمهان صوفان**، (1981)، الحي السكني في المدينة العربية المعاصرة. المدينة العربية خصائصها وتراثها الحضاري الإسلامي، منظمة المدن العربية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.
- **الخليل، س**، (1992)، النصب التذكارية، الفن، الابتذال والمسؤولية في العراق، (ترجمة) نديم الزعني، دار النشر الساقي، بيروت، لبنان.
- **الديب، ب**، (2001)، أثر الخلل الاجتماعي على المجال العمراني، من رسالة الدكتوراه قسم العمارة والعمران، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- **الديب، ب**، (2009)، التحضر وعملية التحضر، من الدروس الملقاة على طلبة الماجستير، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر.
- **آل عبد الكريم، ف.ب.ع.ك**، (2004)، مفهوم الأسرة والعولمة، من وثيقة مؤتمر السكن والتنمية الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **العمري، ع.أ**، (2007)، حقيقة التغير الاجتماعي والثقافي، من رسالة الدكتوراه قسم علم الاجتماع، جامعة الملك عبد العزيز، جدة، المملكة العربية السعودية.
- **المنجد الأبجدي**، 1986.
- **بوجو قارنيي، ج**، (1989)، الجغرافية الحضرية، (ترجمة) حلمي عبد القادر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- **جميل عبد القادر**، أ، (1995)، عمارة الأرض في الإسلام مقارنة الشريعة بأنظمة العمران الوضعية، مطبعة الرسالة (طبعة 02)، بيروت.
- **حجازي، م.ف.ر**، (1987)، التغير الاجتماعي، إصدار مكتبة وهبة، القاهرة.
- **حسج البصري، ن.ع.ر**، (2007)، دور العامل الاجتماعي عند تخطيط المدن، مجلة البناء، العدد 196، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **حوبش، م.خ**، (2003)، تجارب الأردن في مجال الحفاظ على المدن القديمة، ندوة دمشق القديمة والحفاظ عليها تراثا وطنيا وعالميا، دمشق، سوريا.
- **خلف الله، ب**، (2005)، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة، الجزائر.
- **خلف الله، ب**، (2007)، المدينة الإسلامية بين الوحدة والتنوع، دار الهدى للطباعة، الجزائر.
- **خلف الله، ب**، (2008)، العمران والمدينة، دار الهدى للطباعة، الجزائر.
- **رشيد بورويبة**، (1977)، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د.م.ج، الجزائر.
- **سراج الدين، م**، (1983)، التطور الاقتصادي والتغير المعماري، في جائزة الآغاخان للعمارة، الحداثة والتراث، تأثير التنمية في العمارة والتخطيط، إصدار مجلة الآغاخان، صنعاء، اليمن.

- **طالب حميد الطالب**، (1990)، الماضي والمستقبل ونظرتنا للعمارة المعاصرة، في مجلة المدينة العربية، العدد 43، الكويت.
- **عاطف غيث، م**، (1987)، علم الاجتماع الحضري، مدخل نظري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر.
- **عبد الرحيم أبو العيون، أ**، (1996)، التنمية العمرانية لعواصم المنطقة الوسطى من وادي النيل في مصر، رسالة دكتوراه، كلية الهندسة بجامعة المنيا، مصر.
- **عبد العال صالح، م**، (2005)، موجهات التنمية الصناعية في الاقتصاد الجديد، المؤتمر السنوي الأول للجمعية الاقتصادية العمانية، مسقط، سلطنة عمان.
- **عدلي، ع.أ**، (2006)، التنمية المستدامة للصحاري، شبكة الرائد العربية للبيئة والتنمية R.A.E.D، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- **علقمة، ج**، (2005)، دراسة الوظيفية والتهيئة المستديمة للفضاء بالمناطق الجافة "الصحراء الشرقية بالجزائر "، الملتقى الدولي الثالث عشر للاستدامة، القاهرة، مصر.
- **غالب، ع.ر**، (1988)، موسوعة العمارة الإسلامية، عربي/فرنسي/إنجليزي، الطبعة الأولى، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
- **فاروق القباني، هـ، عابدين، ي**، (2007)، دراسة التجمعات الحضرية في سوريا، المدينة: التعريف والمفهوم والخصائص، منشورات قسم التخطيط العمراني والبيئة، جامعة دمشق، سوريا
- **ف.ف، كوستللو**، (1982)، علم الاجتماع الحضري- التمدين في الشرق الأوسط، (ترجمة) د/أبو بكر باقادر، د/هاني يحيى نصري، دار القلم، بيروت، لبنان.
- **قاسي محرور**، (1984)، القصبة- الهندسة المعمارية وتعمير المدن، الجزائر.
- **لعروق، م.م**، (2008)، التهيئة والتعمير في صلاحيات الجماعات المحلية (ملتقى حول تسيير الجماعات المحلية من 09 إلى 10 جانفي 2008)، مخبر التهيئة العمرانية، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر.
- **محمد السويدي**، (1990)، مدخل لدراسة المجتمع الجزائري، د.م.ج، الجزائر.
- **محمد بن الحسن الوزان الفاسي**، (1983)، وصف إفريقيا، (ترجمة) محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- **محمد سعيد العطار**، (1983)، أثر التنمية في المجتمع والبيئة مع إشارة خاصة إلى اليمن في الحداثة والتراث، تأثير التنمية في العمارة والتخطيط العمراني، جائزة الآغاخان للعمارة، صنعاء، اليمن.
- **محمود فيصل الرفاعي**، (1994)، المدن العربية والمشكلات العصرية، في مجلة المدينة العربية، العدد 62، الكويت.
- **مدثر عبد الرحيم**، (1983)، الطابع الاجتماعي والقانوني للمدن الإسلامية في المدينة الإسلامية، ندوة مركز الشرق الأوسط، جامعة كامبريدج، بريطانيا.
- **مدوكي، م**، (2010)، دراسة تطور المدينة والتغيرات المورفونمطية للمجال الفيزيائي، دراسة حالة مدينة تقرت، من رسالة الماجستير، قسم الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر، بسكرة. الجزائر.

المراجع باللغات الأجنبية:

* **A.E.J. MORRIS**; (1986); History of Urban From Halsted Press Book. New York. USA.
* **ALKAMA**. **Dj**; (1995); Analyses typologiques de l'habitat a Biskra; INES Biskra.
* **ALKAMA**. **Dj**; (2005); Une forte micro-urbanisation. In COTE. M; (dir) 2005: La ville et le désert; le Bas Sahara Algérien; Aix-en-Provence. Karthala-IREMAM. Paris.
* **ALLAIN**. **R**; (2004); Morphologie urbaine-géographie; Aménagement et architecture de la ville; Edition Armand colin. Paris.
* **ASSELIN**. **V**; (2001); Plan directeur de mise en valeur ministère de la culture et des communications Québec. Ethnoscop. Ville de Montréal.
* **BENEVOLO**. **L**; (1979); Histoire de l'architecture moderne; V1; Traduction Vera; Jacques Vicari; Ed Bordas. Paris.
* **BENEVOLO**. **L**; (1994); Histoire de la ville; Traduction de Cathrine Peyre; Ed Parenthèse. Marseille. France.
* **BEN YOUCEF**. **B**; (1999); Analyse urbaine éléments de méthodologie. Editions O.P.U; Alger.
* **BERNARD**. **A**; (1939); Afrique Septentrionale et Occidentale; Edition Armand colin; Paris.
* **BISSON**. **V** & **BISSON**. **J**; (2002); Rôle et évolution des capitales de région dans le fonctionnement de l'espace au Sahara; Revue méditerranée; tome 99; n° 3.4.
* **BISSON**. **J**; (2003); Les Sahara mythes et réalités d'un désert convoité. Edition L'Harmattan; Paris.
* **BORIER**. **A** & **DANIEUL**. **F**; (1984); Méthodes d'analyse morphologique des tissus urbains traditionnels. In cahiers technique. Musée et monuments.
* **BOUDON**. **F** & **AL**; (1977); Systéme de l'architecture urbaine; le quartier des Halles a Paris; Ed Centre national de la scientifique. Paris.
* **CANIGGIA**. **G**; (1994); Une approche morphologique de la ville et du territoire-lecture de florence. Edition institut supérieur d'architecture saint-Luc. Bruxelles.
* **CASTEX**. **J** & **AL**; (1980); Lecture d'une ville; Versailles; Editions du moniteur. Paris.

* **CHALINE**. **C**; (1996); Les villes du monde arabe. Edition Armand colin. Paris.
* **CÔTE**. **M**; (1983); L'espace Algérien. OPU. Alger.
* **CÔTE**. **M**; (2005); L'urbanisation aujourd'hui au Bas Sahara. In COTE. M; (dir) 2005: La ville et le désert; le Bas Sahara Algérien; Aix-en-Provence. Karthala-IREMAM. Paris.
* **DANIEL**. **Pinson**; (1998); La question morphologique dans la recherche urbaine; in annales de la recherche urbaine. Université d'Aix-en-Provence.
* **DELFANTE**. **CH** & **PELLETIER**. **J**; (2000); Villes et urbanisme dans le monde. Edition Armand Colin. Paris.
* **DORIER**. **Apprill**; (2001); Vocabulaire de la ville; notions et références; Editions du Temps. Paris.
* **DUPLAY**. **M** & **DUPLAY**. **C**; (1982); Méthode illustrée de création architecturale; Editions du Moniteur. Paris.
* **ENCARTA**; 2008.
* **FARHI**. **A**; (2005); Des métropoles actives. In COTE. M; (dir) 2005: La ville et le désert; Aix-en-Provence. Karthala-IREMAM. Paris.
* **FREDERIC**. **H**; (1972); Eléments analytiques de l'espace urbain; Ed Vincent. Paris.
* **GAUTHIER**. **B**, (2003); Espace Urbain-vocabulaire et morphologie; Edition du patrimoine MONUM. Paris.
* **HAFIANE**. **A**; (1989); Le défis a l'urbanisme-l'habitat élligal a Constantine. OPU. Alger.
* **JEANDROZ**. **P** & **CHATCHER**. **P**; (2004); Glossaire Saharien; Voyagistes spécialisées portail Sahara. Paris.
* **KADRI**. **S**; (2006); Les Ksour face a la dynamique urbaine; Cas du Ksar de Ouargla; thèse de magistère; Université Mohamed Khaider; Biskra. Algérie.
* **KOKA**. **K**; (1997); Formes urbaines et appropriation du sol a Kinshasa au Zaïre (Congo); Diplôme du grade de philosophai Doctor (ph.d) en aménagement; Université de Montréal. Québec.
* **KOUZMINE**. **Y**; (2007); Dynamiques et mutations territoriales du Sahara Algérien; Vers de nouvelles approches fondées sur l'observation; Thèse de doctorat en Géographie; ThéMA; Université de Franche. Comté.

* **La Rousse**; (2008).
* **LEVY**. **J** & **LUSSAULT**. **M**; (2003); Dictionnaire de la géographie et de l'espace des société; Edition Belin. Paris.
* **LYNCH**; **K**; (1998); L'image de la cite; Ed Dunod. Paris. (éd; orig. 1960)
* **MARLIN**. **P** & **CHOAY**. **F**; (2000); Dictionnaire de l'urbanisme et de l'aménagement; Edition presses universitaires de France. Paris.
* **MAZOUZ**. **S**; (2005); Mémoires et traces; Le patrimoine Ksourien. In COTE. M; (dir) 2005: La ville et le désert; le Bas Sahara Algérien; Aix-en-Provence. Karthala-IREMAM. Paris.
* **NOPPEN**. **L**; (2006); Méthodes d'analyse du cadre bâti; Université Laval. Laval.
* **PANERAI**. **PH**; (1987); Les nouveaux tissus et leur évolution; Colloque international d'Oran; Les tissus urbains; Editions de l'ENAG; 1-3 Décembre 1987. Algérie.
* **PANERAI**. **PH** & **AL**; (2002); Analyse urbaine; Edition Parenthése. Paris.
* **PELLETIER**. **J** & **DELFANTE**. **CH**; (2000); Villes et urbanisme dans le monde; Edition Armand Colin. Paris.
* **PENEAU**. **J-P**; (1987); Evolution et formation des tissus urbains-Le recours au tissu dans les métaphores urbaines in colloque international; Ministère des affaires étrangères et Ministère de l'aménagement du territoire et de l'urbanisme et de la construction. Oran. Algérie.
* **PINON**. **P** & **DOMINIQUE**. **D-H**; (1991); Lire et composer l'espace public; Editions du S.T.U. Paris.
* **PLIEZ**. **O**; (2006); Les villes de transit peuvent-elle être durable ? in actes du colloque international; migration; urbanisation et entérinement entre Méditerranée et Afrique saharienne (MUREMA); 10-12 Décembre 2006. Annaba. Algérie.
* **RACINE**. **F**; (1999); Degré de discontinuité dans la transformation des tissus urbains au Québec (influence des types suburbains). Université Montréal. Canada.
* **RAHMANI**. **C**; (1982); La croissance urbaine en Algérie; OPU. Alger.
* **RETAILLE**. **D**; (1989); La conception nomade de la ville; in BISSON. J; (dir). (1989). Le Nomade; L'oasis et la ville; Cahiers d'URBAMA n° 20.
* **ROSSI**. **A**; (1981); L'architecture de la ville; Ed l'Equerre. Paris.

* **SAÏDOUNI**. **M**; (2000); Elément d'introduction a l'urbanisme; histoire méthodologie; réglementation; Collection Fac; Edition casbah. Algérie.
* **THIERY**. **Paquot**; (1992); Homos urbanis-essai sur l'urbanisation du monde et des mœurs. Ed Dufelin. Paris.
* **TOMAS**. **F**; (2003); Les temporalités des villes; Publications de l'université de Saint-Etienne. Saint-Etienne. France.
* **VERNEZ Moudon**. **A**; (1994); Getting to know the built landscape typo-morphology; Titre de Frank; Karen A; Schneek Loth; Lind H; (1994); ordering space; Types in architecture and design; Van Nostrand Reinhold.
* **VERNEZ Moudon**. **A**; (1997); Urban morphology as an emerging interdisciplinary field; College of Architecture and Urban Planning. University of Washington. Seattle. U.S.A.

الوثائق الرسمية:

- مديرية التعمير والبناء، بسكرة.
- مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية، بسكرة.
- اتصالات الجزائر، بسكرة.
- مديرية التربية والتعليم، بسكرة.
- مديرية التكوين المهني، بسكرة.
- مديرية الصحة، بسكرة.
- مديرية السياحة، بسكرة.
- مديرية العمران والبناء والسكن، بسكرة.
- ديوان الترقية والتسيير العقاري، بسكرة.
- الديوان الوطني للإحصاء، بسكرة.
- مديرية مسح الأراضي، بسكرة.
- المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير، بسكرة (2008).
- مخطط شغل الأراضي رقم (02) وسط مدينة بسكرة، مكتب مراد للدراسات المعمارية والعمرانية (B.M.E.A.U).

استمارة استبيان موجهة للمستعملين بالحي الاستعماري.

بيانات شخصية:

- السن:.....
- الجنس:.....
- الوظيفة:.....
- المستوى الثقافي:
  - خريج مدرسة قرآنية ☐
  - ابتدائي ☐
  - ثانوي ☐
  - جامعي ☐
  - آخر ☐

بيانات حول الحي والمسكن:

- أين أقمتم سابقا ؟
  - في حي من أحياء المدينة العتيقة ☐
  - في حي من أحياء المدينة الجديدة ☐
  - في هذا الحي نفسه ☐
  - خارج المدينة ☐
  - خارج الولاية ☐

- لماذا انتقلتم من مسكنكم السابق ؟
  - بحثا عن عمل منظم ☐
  - لضيق المسكن السابق وعدم ملائمته ☐
  - لأن المسكن الحالي هو الأنسب لكم ☐
  - للحصول على خدمات المدينة ☐
  - أخرى ☐

- لماذا اخترتم هذا الحي للإقامة ؟
  - لوجود أقارب لكم ☐
  - أرض ومسكن رخيص الثمن ☐
  - لأن هذا المسكن هو الأنسب لكم ☐
  - لم نجد غير هذا الحي ☐
  - أخرى ☐

- ما هي الوضعية القانونية لمسكنك ؟
  - ملك لك ☐
  - إيجار وظيفي ☐
  - إيجار من الغير ☐
  - سلفة ☐
  - أخرى ☐
- المساحة الكلية للمسكن:.....م^2.
- عدد الطوابق ☐
- المساحة المسكونة:.....م^2.
- عدد الغرف لكل طابق: ط1 ☐ ط2 ☐ ط3 ☐ ط4 ☐

- هل أجريتم بعض التعديلات على هذا المسكن ؟
  - نعم ☐
  - لا ☐
- في حالة نعم، لماذا ؟
  - المساحة المسكونة ضيقة ☐
  - عدد الغرف غير مناسب ☐
  - المجالات المطلوبة غير كافية ☐
  - التصميم غير مناسب للأسرة ☐
  - أخرى ☐
- ما هي طبيعة هذه التعديلات ؟
  - تعديل في المطبخ ☐
  - إضافة مجال ☐
  - تحويل وظيفة ☐
  - تعديل جذري للتصميم ☐
  - أخرى ☐
- في حالة لا، لماذا ؟
  - المسكن ليس ملكا لكم ☐
  - خوفا من القانون ☐
  - الحالة المادية لا تسمح بذلك ☐
  - التصميم مناسب لكم ☐
  - أخرى ☐
- هل هناك علاقة مع الجيران ؟
  - نعم ☐
  - لا ☐

- في حالة نعم، ما طبيعتها ؟
  - زمالة ☐
  - قرابة ☐
  - علاقة نشأت في مكان الحي ☐
  - أخرى ☐
- كيف ترى هذه العلاقة ؟
  - جيدة ☐
  - متوسطة ☐
  - سيئة ☐
- لماذا ؟.....

.....

- هل تعاني من أية مشاكل ناتجة عن تخطيط الحي ؟
  - نعم ☐ لا ☐
- في حالة نعم، لماذا ؟
  - التصميم لا يتماشى مع أعرافكم ☐
  - المعانات من العزلة مع الجيران ☐
  - نقص المرافق الضرورية ☐
  - الرغبة في الإقامة في حي تقليدي ☐
  - أخرى ☐

- هل أنت راض بالإقامة في هذا الحي ؟
  - راض ☐
  - راض جدا ☐
  - نوعا ما ☐
  - غير راض ☐
  - غير راض أبدا ☐
- لماذا ؟.....

.....

- هل ترغب في تغيير إقامتك من هذا الحي ؟
  - نعم ☐ لا ☐
- إذا كان الجواب نعم، لماذا لم تغيرها إلى حد الساعة ؟
- هل السبب يعود إلى ؟
  - الظروف المادية لا تسمح ☐
  - تشابه جميع الأحياء الجديدة ☐
  - عدم إيجاد حي بالمواصفات المرغوبة ☐
  - صعوبة إيجاد مسكن في الوقت الحالي ☐
  - أخرى ☐

شكرا لتعاونك معنا.

استمارة استبيان موجهة لطلبة الهندسة المعمارية والمختصين في الميدان.

بيانات شخصية:

- الوظيفة:
  - طالب ☐
  - موظف ☐
    - مكتب دراسات عام ☐
    - مكتب دراسات خاص ☐
- أخرى (تذكر):.....
- الاختصاص:.....

في الكلام عن العمارة الاستعمارية:

- هل تعتقد أن العمران الاستعماري مناسب لمجتمعنا ؟
  - نعم ☐
  - لا ☐
- مهما كان الجواب، لماذا في رأيك ؟.....
.....
- هل تعتقد أن العمارة الاستعمارية كان لها تأثير على الواقع العمراني للمشاريع السكنية ؟
  - نعم ☐
  - لا ☐
- إذا كان الجواب نعم، فهل يعود الأمر إلى ؟
  - غياب مرجعية تصميمية ☐
  - الاعتقاد الجازم بأنه العمران الأنسب ☐
  - الاعتقاد بأن العمران التقليدي غير مناسب ☐
  - أزمة السكن والنمو الديموغرافي ☐
  - نقص الغلاف المالي المخصص للانجاز والدراسة ☐
  - تأثر المصممين بالعمران الاستعماري ☐
  - نقص المدة المخصصة للدراسة الفنية للمشاريع ☐
- من هو المسؤول في رأيك في انتشار مثل هذا النوع من العمران ؟
  - المستعمل (المواطن) ☐
  - المسؤول المحلي (المسير) ☐
  - المختصون: المعماري، المخطط، العمراني، ... ☐
  - المنفذون الميدانيون: المعماري المتابع، المقاول، ... ☐
  - الكل مسؤولون ☐
- بأي العمارتين تجد نفسك أكثر تأثرا ؟
  - العمارة الاستعمارية (الحديثة) ☐
  - العمارة التقليدية (المحلية) ☐

- إذا كنت متأثرا بالعمارة الاستعمارية، فهل يرجع السبب إلى ؟

- اعتقادك أنها الأنسب لمجتمعك ☐
- اعتقادك أن العمارة التقليدية غير مناسبة للمجتمع ☐
- اندثار القصور القديمة وعدم القدرة على محاكاتها ☐
- اهتمامك بالكمية على حساب النوعية ☐
- المنهج الدراسي يفرض ذلك ☐
- أخرى ☐

- من وجهة نظرك الخاصة، كيف السبيل إلى تنمية البيئة الحضرية ؟

- بترميم القصور القديمة المندثرة ☐
- بإقامة أحياء جديدة وبمواصفات تقليدية ☐
- الدمج بين العمارتين المحلية والاستعمارية ☐
- التخلي التام عن العمارة التقليدية ☐
- تبني العمارة الاستعمارية الأوربية ☐
- أخرى ☐

- بالنسبة للمنهج الدراسي، أي العمارتين تراه يخدم أكثر؟

- العمارة التقليدية المحلية ☐
- العمارة الاستعمارية الحديثة ☐

شكرا لتعاونك.

خـلاصـــة:

بعد تعرضنا للدراسة المورفونمطية للنسيج العمراني الاستعماري اتضح جليا أنه خاضع لنمط معين من التخطيط لا سيما على مستوى كل من الشبكات والتحصيصات على حد سواء مما أفرز لنا نسيجا أشبه ما يكون بالنسيج الوحدوي، هذا النسيج الذي يحقق مستوى معينا من التنظيم على مستوى الفضاءات العمرانية والمرافق العامة جعله يقوم بالوظائف المنوطة به على جانب كبير من السهولة واليسر.

فلعل هذا هو السبب المباشر الذي جعل الأسرة الجزائرية تتأقلم مع هذا الإرث العمراني متناسية الإرث العمراني المحلي والمتجلي في المدينة القديمة التي أصبحت في نظر الكثيرين مثالا للأنسجة العشوائية أين تختلط الوظائف العمرانية بعضها ببعض وتضيع معها الصفات التي من الممكن أن يتسم بها أي نسيج عمراني، فأصبحت التوسعات العمرانية المستحدثة للمدن اليوم تحاكي وإلى أبعد حد تلك الأنسجة الموروثة عن المستعمر بشوارعها الواسعة والمخططة تخطيطا شطرنجيا وبتحصيصات متماثلة تضم مجالات ذات وظائف عمرانية وحيدة وموجهة نحو الخارج والتي لا تمت لتلك المجتمعات بأية صلة لتزيد كل يوم بعدا عن المدينة القديمة متناسية <<... أن المدينة ما هي إلا الغلاف الذي يعيش فيه الإنسان والثوب الذي يكسو المجتمع وأن لوائح التخطيط والبناء والتعمير إن هي إلا وسائل لتحقيق أكبر قدر من الرفاهية والراحة التي يطمح إليهما الإنسان...>>. (الديب، ب، 2001).

الخلاصـــــة العامـــة.

خـــلاصـــة عـــامـــة:

إن المسار المنهجي المتبع خلال هذه الدراسة والمسلط على المدينة عموما ومدينة بسكرة خصوصا قد أثبت من خلال التطرق لمركباتها الفيزيائية حدوث العديد من التحولات ضمن أبعادها (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية، ...) وهذا بالتوافق مع التطورات الحاصلة على مستواها.

وبغض النظر عن حقيقة التحولات التي مست الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تلعب هي الأخرى بالأصل دور المسبب في حدوث هذه التحولات التي تمس الأنسجة العمرانية المكونة للمدينة.

ولقد بينا في دراستنا هذه تغير الصورة العمرانية لمدينة بسكرة منذ دخول المستعمر إليها ليفرض بعد ذلك خطة معمارية وعمرانية جديدة على هذا المجتمع، هذا الأخير وجد نفسه مضطرا للتعايش والتأقلم وقبول هذا الطراز العمراني الغريب عنه بسبب عديد العوامل التي تعرض لها إما أزمة السكن والانفجار السكاني أو المشاكل المادية وتبعاتها أو عوامل أخرى تجعله مضطرا لقبول هذا النمط الأوربي، خصوصا وأن هذا النمط آخذ في التطور والنماء حتى بعد الاستقلال وعلى حساب نمط محلي وتقليدي أصيل طالما ضمن عديد الميزات التي تخدم نواح عديدة من متطلبات الإنسان الاجتماعية والنفسية والمناخية والمادية، وكانت بحق ذلك المجال المنشود الذي حوى الإنسان بكل أبعاده ضمن بيئة أكثر ملائمة للظروف المناخية المحلية وأكثر صحية.

ولا شك أنه لا يستطيع أحد أن يلغي فترة زمنية أو حقبة تاريخية ما من سجل أي كان، فإن دورة نمو المجتمع الإنساني وما يصحبها من نتائج على البيئة التي تؤويه على مدار التاريخ يمكن اعتبارها تراكمية بفعل التجربة الإنسانية في صورها الجماعية المنظمة التي تجعل الإنسان في إطاره الذي وجد من أجله وهو اجتماعيته حسب ما قاله << **بن خلدون** >>، إلا أننا نجد وفي مدينة بسكرة عزوفا عن تتبع آثار الأجداد في مجالي البناء والتخطيط واقتفاء لآثار المستعمر في تشييد العمائر والمرافق، بل ونقلا بلا وعي لما يتم تشييده في مدن الشمال حتى أصبح الناتج قلبا معماريا أجوفا بلا روح، هذا كله مرده إلى الشرخ الهائل بين الخطة الحضرية وميدان تطبيقها لعدم إحاطتها الكامل بمعطيات مجتمع المدينة وعدم أخذ نواتها الأولى كأساس للتخطيط والتوسعات المستقبلية لما تتوفر عليه من مزايا بيئية محلية واجتماعية ومناخية لامتصاص الفوارق المتوقعة بين الصور العمرانية المرتقبة، والوصول لتحقيق مجال عمراني ومعماري يحفظ طابع المدينة الواحاتي ويضمن الاستقرار المريح للمستعمل.

وتهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على هذا كله في خطوة للفت الانتباه إلى خطورة هذا الوضع الراهن لعله يتفطن لذلك ليتم تدارك الأزمة قبل استفحال خطرها وتأتي على البقية الباقية من التراث المحلي العتيق الذي تزخر به هذه المدينة، وقد قسمت هذه الدراسة إلى جزأين رئيسيين:

- أحدهما نظري: وفيه تم ضبط أهم المصطلحات والمفاهيم النظرية التي من شأنها خدمة البحث وفقا لمسار تدرجي من المدينة وصولا إلى الشكل العمراني.

وقد خصص الفصل الأول منها للكلام عن المدينة عموما وسرد كل ما يتعلق بها من مفاهيم أساسية وفقا لمنظور أهم المقاربات الفكرية للوصول إلى فك التعقيد الذي يعتريها انطلاقا من فهم مركباتها على اختلاف نماذج المدن وتنوع خصائصها ووظائفها.

وقد خلصنا إلى أن المدينة تعد كيانا جد معقد وذلك بالنظر إلى خصائصها المختلفة من مدينة لأخرى كالموقع الجغرافي والوظيفة وعوامل النشأة ونمط التعمير وغيرها.

وعلى اعتبار أن المدينة كيان فيزيائي فإنه يؤثر ويتأثر بما حوله بما حوله من ثقافات السكان وظروف عيشهم الاجتماعية والاقتصادية مما يجعل المدينة في حالة من الحراك المستمر والتطور الذي يمس مظهرها الفيزيائي العام.

وفي الفصل الموالي تطرقنا إلى المدينة الأم المشكلة للبيئة العتيقة في المجتمع البسكري بكل ما تحمله من مفاهيم ومكونات، حيث تم التطرق إلى عوامل وظروف نشأتها وتأسيسها وخصائصها وأسس تنظيمها وتخطيطها والمراحل التي مرت بها والحقب التي توالت عليها لمعرفة منحى تطور مثل هذا النوع من العمران العتيق، هذا العمران الذي شكل رغم بساطته المثال الأروع الذي حقق الطابع الإنساني بكل مقوماته من خلال نسيج عمراني متعاطف بدرجة وثيقة مع متطلبات الإنسان ومتماش مع قدراته المادية ومستجيب لمبادئ دينه وعاداته وأعرافه حيث يمكن القول بأن العمران العتيق حقق للسكان وقتئذ كل ما كانوا يصبون إليه.

وأما الفصل الثالث فقد خصص للكلام عن العمارة والعمران الاستعماري الذي يعد أول بذرة غرست لتحول العمران العتيق وأول مسمار دق في نعش العمارة المحلية، حيث تم الكلام عن نشأته وتوسعه وأهم الطرز المكونة له وكذا أهم المرافق المشيدة ضمنه، هذا العمران الذي يعد امتدادا للعمران اليوناني والروماني القائمين على البعدين الديني والعسكري والذي وصل إلى مدن العالم الإسلامي بواسطة الاستعمار حيث أصبح هذا العمران مفروضا على المدن المستعمرة وزادت مشاكله وتفاقمت بعد انطلاق الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر وما تمخض عنها من نتائج على الأصعدة الثقافية والاجتماعية والاقتصادية وتم إبعاد الإنسان عن إبداعاته الثقافية وعلاقاته الاجتماعية كون هدف هذه الثورة هو السيطرة على الإنسان وجعله مستهلكا فقط لمنتوج الحضارة الأوربية.

وذيل هذا الفصل بكلام حول أهم المقاربات الفكرية المساهمة في الكشف عن الأهداف المبحوث عنها لنقوم بعدها بتبني المقاربة **المورفونمطية** كمقاربة يمكنها الكشف عن خصائص الأنسجة العمرانية بغرض الوصول إلى الفهم الحقيقي لماهية الشكل العمراني.

ولدراسة البنية التحتية للشكل العمراني تم اعتماد الشبكة التحليلية لـ Albert Lévy لمعرفة طبيعة العناصر والعلاقات بين عناصر الشكل العمراني وكذا تسهيل عملية القراءة وتحليل المؤشرات المدروسة ضمن هذه البنية.

أما البنية الفوقية فقد اعتمد على الملاحظة وكذا إجراء الاستبيان كوسيلة لجمع البيانات ثم معالجة المعطيات المتحصل عليها بواسطة بيئة برمجية مناسبة.

- والثاني تحليلي: أين تم تطبيق المنهجية والمقاربة المتبعة على حالة الدراسة، حيث استهل هذا الجزء بفصل يحوي في طياته تعريفا بحالة الدراسة ومميزاتها وخصوصيتها مما ساعد في سيرورة عملية البناء والتحليل، هذه المدينة التي شهدت قفزة نوعية وكمية معتبرة ومقلقة في ظل التنمية الشاملة على الصعيدين الصناعي والخدماتي ما انجر عنه إحداث نوع من الجذب أدى إلى تحفيز أفواج النازحين من الضواحي إلى مركز المدينة مما أخل بنموها وأدى إلى زيادة عدد سكانها قياسا بهياكلها العمرانية المتواجدة.

هذه الزيادة السكانية أدت إلى ظهور نوع من العمران العشوائي الذي أنتج بالمدينة مجموعة من الأشكال العمرانية المتضاربة سواء على المستوى المعماري بوجود أشكال غير متماشية مع معطيات المدينة المناخية أو الاجتماعية بل ومناقضة لطابع المدينة الواحاتي الغني بالعناصر المعمارية النابعة من صميم هذا المجتمع، أو على المستوى العمراني من خلال ظهور أشكال عمرانية لا تخضع إلا للمعطيات التقنية كسهولة شق الشوارع وتوصيل مختلف الشبكات وتنظيم حركة المرور.

أما الفصل الثاني فكان أكثر تعمقا من سابقه حيث عني بحالة الدراسة بصفة مدققة متناولا عوامل النشأة والمميزات ومراحل النمو والتطور وكذا الحقبات المتوالية على هذه المدينة والخبرات المتراكمة عن كل حقبة تاريخية حيث لوحظ ومنذ الاستقلال أن الإنتاج العمراني والمعماري بمدينة بسكرة أصبح لا يمثل سوى ثقافة المستعمر وعلى حساب السكان المحليين، حيث أصبح هذا العمران هو الخطة والمرجعية الأساسية التي تستند عليها عمليات التوسع المستقبلية للمدينة متجاهلة بذلك الأنوية العتيقة للمدينة التي كان من الواجب جعلها منطلق التوسعات العمرانية مما أدى إلى تفاقم الهوة واتساعها بين العمرانين المحلي والحديث أدى إلى بروز مجموعة من الأشكال العمرانية متجلية في مجموعة من التجزئات والأحياء الغير مراقبة والعشوائية حتى أصبح النسيج العمراني بالمدينة يشوبه الغموض والتمزق.

وفي الفصل الموالي تم تطبيق الدراسة التحليلية على الحي المدروس (الحي الاستعماري) بغية معرفة عناصر الشكل العمراني المكونة له وحقيقة العلاقات بين عناصر الشكل العمراني وهذا كله من أجل معرفة خصائص ومميزات الطراز المعماري والعمراني الاستعماري، هذا العمران الذي يخضع لنمط معين من التخطيط لا سيما على مستوى كل من الشبكات والتحصيصات على حد سواء مما أفرز لنا نسيجا أشبه ما يكون بالوحدوي، هذا النسيج الذي يحقق مستوى معينا من التنظيم على مستوى الفضاءات العمرانية والمرافق العامة مما خوله القيام بالمهام المنوطة به على جانب كبير من السهولة واليسر.

أما الفصل الأخير فقد تم من خلاله جس أحوال المستعملين للحي الاستعماري وكذا المختصين الميدانيين وأصحاب القرار من أجل فهم حقيقة انتشار مثل النوع من العمران.

وفي خاتمة هذه الدراسة فقد تبين لنا أن انتشار مثل هذا النوع من العمران كان في الحقيقة نتاجا لالتقاء عدة عوامل فاعلة ساهمت إن لم نقل أنها تسببت في تفشيه من بداية الأمر:

- أولها: أن اختيار السكان للسكن ضمن هذا الحي كان أمرا حتميا عقب خروج المستعمر ونيل البلاد لاستقلالها كون هذه الأحياء كانت هي الأمثل للعيش نظرا لطبيعة الأشخاص الذين كانوا يقطنونها وتميزهم بظروف معيشية لائقة خلافا للأحياء العتيقة التي كانت تضم في جنباتها مجموعة الجزائريين البؤساء ومعاناتهم من الفقر والجوع والتهميش.

- ثانيها: الموقع الاستراتيجي لهذا الحي كونه يتوسط المدينة ككل فيصعب على السكان التخلي عنه لقربه من كافة المرافق الحياتية الضرورية للسكان حيث كانت هذه الأحياء عقب الاستعمار هي الأنوية الجديدة لعمليات التوسع، وكذلك للعلاقات الحميمة التي نشأت بين الجيران ضمن هذا الحي.

- ثالثها: اندثار القصور العتيقة التي تشكل أبرز معالم التراث والعمران المحلي العتيق، وبالتالي فقدان مراجع تصميمية ملموسة، بالإضافة إلى تأثر أغلب المصممين الجدد والمعماريين بمنتوج الحضارة الغربية واتخاذها كمرجع تصميمي لعمليات البناء والتصميم مما أفضى إلى تأزم الوضع العمراني لمدننا اليوم.

- رابعها: حدوث مجموعة من الأزمات أبرزها أزمة النمو والانفجار السكاني وما انجر عنها من أزمات للسكن، وبالتالي أصبح الاهتمام منصبا على عمليات الإسكان فقط لامتصاص المشكل بغض النظر عن طبيعة المساكن أي أن الاهتمام أصبح بالكم دون النوع، بالإضافة إلى مجموعة عوامل أخرى لعلها أن تكون مواضيع بحث مستقبلية.

وعليه نصل إلى أن مجموعة الفرضيات المقدمة كإجابات حول إشكال البحث تم إثبات صحتها من خلال تتبع أحوال النسيج العمراني وبالنظر إلى التعامل المتبادل بين المستعملين وأحيائهم السكنية.

- حدود الدراسة والمحاور المستقبلية للبحث:

إن هذه الدراسة تضم إحاطة بمدينة بسكرة منذ نشأتها إلى يومنا هذا مرورا بالحقب الزمنية المتوالية التي مرت على هذه المدينة من خلال تحليل مركبات أنسجتها العمرانية وفقا للمقاربة المورفونمطية، وقد اقتصرنا في هذه الدراسة على تحليل الإطار الفيزيائي الخارجي للنسيج العمراني الاستعماري بالمدينة وتعرضنا لبعض العوامل التي ارتأينا أن لها السبب وراء تأقلم الأسرة الجزائرية مع هذا الإرث الأجنبي.

ومنه فإن هذا الموضوع قابل للتعمق فيه أكثر سعيا للخلوص بأكثر العوامل الدافعة إلى انتشار مثل هذا النوع من العمران في مجتمعاتنا، وعليه فإن توجيه البحث يكون كالآتي:

- المستوى الأول:

اتخاذ هذه الدراسة كمرجع أو منطلق للتعمق أكثر في دراسة أنسجة مدينة بسكرة، أو تطبيق نفس المنهجية المتبعة على مدن أخرى تابعة لإقليم الزيبان للخلوص بالمنطق العام الذي يتحكم في نمو وتطور مدن هذا الإقليم لمعرفة علاقة المدينة بالإقليم ككل.

- المستوى الثاني:

- البحث عن عوامل أخرى ساهمت في انتشار العمران الاستعماري بالمدينة أو الإقليم ككل وأدت إلى تأقلم الأسرة الجزائرية معه.

- دراسة النسق المبني (ما بداخل المبنى) إضافة لباقي النسق الأخرى للكشف عن التغيرات الحاصلة على مستوى الشكل العمراني من الداخل والخارج.

- تحديد التأثيرات المباشرة والغير مباشرة للعوامل (الاجتماعية، الاقتصادية، الثقافية) على تحول الأنسجة العمرانية.